

فتحة
فأير وزشاة
ابن الملك ضاراب

كن عارفاً بأحاديث الأولى سلفوا - يزيدك العرف آداباً على أدب
غرب نفع غزير لست تدركه بدا بما أغضته سالف الحقب



المجلد الثاني

الطبعة الأولى



ملزماً للطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفى

بشارع المشرك الحسينى رقم ١٨

التراسلات : مصر - صندوق بومستة الجوزية رقم ١٣١

الجزء الثانى عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضراب

فدنت منها قهرماتها اسما وجعلت تعزيبها وتسليها وقالت لها بالله ياسيدتى ان تهدي
وعيك وتستكنى لنفسك واصبرى على الايام وحوادثها ولا تفضحى نفسك ولا تعطىها
مواها واملكى قيادك ولا تجمعى الى التطويح فى هذه المصائب فورامك من الاعداء
كثير فبالصبر تتالين مرادك وتغفلين على أعدائك ولا يحق لك أن تحزنى وفيروز شاه
حتى وسيفه فى يمينه فلو أخذت إلى أقصى الارض لاسارق أثرك واسترجعك إليه ومنع
عنك مطامع الخاطبين ورد كيدهم إلى نحرهم وليس عليك فقط إلا أن تحفظى له نفسك
وتدرمى على حبه ولا تسلى بقبول غيره زوجا لك فاعلمى أنت ما هو مطلوب منك
وعليه هو أن يتم العمل ويجرى المقتضى ولا تعاندى أفعال القدرة فان الله لا يزاله
يرغب فى مرور حوادث عليك والدهر يجب أن يمتحنكما ويمتحن حبكاليه ما أتيا عليه
وإلى أى درجة تثبتان فى الحب . فقات بعد أن تهدت وأرسلت زفرة متأججة بيران
الحسرة والغيظ . واتي ما برحت على ازدياد شوق إلى حبيبى وجل ما أراه أمامى أن
ابنى سيعقد زواجى على صالح بن الوليد حاكم مصر وقد اتفقوا على هذا العقد واتي
اخاف اتي عند وصولى إلى تكليدار يباشرون بانفاذ هذا العقد وفى نيتهم انهم يجبرونى
ويقهروننى اليه ويخلصونى من فيروز شاه . ثم احمرت عينها وقامت فى أم رأسها
وقالت والرب العظيم رب موسى وإبراهيم اني لاجعلن حظ صالح اسود مثل القبر واقهر
أماه عليه شديد قهرا جعلنى يندنى الدهر طوله ويندم على فعله هذا كل الندم لاني
سأصحب فى ثيابى خنجرى وأخفيه إلى حين الحاجة إليه فاذا نظرت منهم أعمال القدر
ورأيتهم قد صرخوا على زفاف صالح على صبرت الى ان يدخل فى فاطمته طعنة تكون
القاضيه عليه وبعد ذلك اتبع نفسى ولا أكون قد مكنت منى غير فيروز شاه الذى
وعده بحفظ ودأه وحبه فهو وحيدى نئى نزلته قلبى وأحطته بمكان رفيع منه فهو
أهل لأن يفسى بالسفوس ويتبدل الأرواح فى سبيل خدمته ثم انشدت

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| حتى ثقة إتلافي وعي | احبك باختيارى لا رغم |
| بفسى من بعدهم ويجنى | بغير جنابة منى وجرم |
| ور من زدى من غير وعد | ولم يك ذاك يخطر لى بوهم |
| رث من بعد ما قد كان يحنو | لما لاقيت من كمد وغم |
| وقد لبس "سود وجه" يسعى | كما شق الخنادس بدر تم |
| لقد منج خوى روحا بروح | وما قرن القى جسما بجم |

وكيف وقد اذاب الحب جسمي وقد اقي السقام دمي ولحي

فلا شيء سوى نفس خفي ودمع كأنهم المزن يهيم

ولا زالت عين الحياة كل ذلك الليل وكل ذلك النهار وهي على ما هي عليه تتوح
وتبكي وتتدب وكلما شعرت بحركة يخفق قلبها وتنجل عزائمها وتخور قواها وتظن ان
أباها قد بعث من يحملها للسفر ويبعدها عن حبيبها وهي تؤمل أن يعدل أباها عن
عزمه ولا يعود يرضى بالرجيل ولما رأتها اسما على تلك الحالة تركتها مع بنتها
وسارت هي فدبرت نفسها وهيات لوازمها وحزمت لها ثيابها وفي مساء اليوم الثاني
دخل أخوها الشاه حارث عليها وقال لها ان أباك بعثني لاذهب بك إلى مصر وهانذا
رفعت كل ما يلزمنا أثناء السفر على ظهور الجمال وركب أخوك الشاه أسد ولم يبق إلا
أنس فميا اخرجني من قصرك فان الباذل ينتظرك عند الباب وقد ضربت لك عليه
هودجا يليق ببنات الملوك من مثلك ولا تتعوقى أو تتهاملنى فانتا نرغب فى السرعة فلا
يصبح هذا الليل إلا ونحن بعيدون عن هذه الديار لا نرى فيها أحدا ولا يرانا منها أحد
فلما سمعت كلامه شعرت بانفطار كبدها ولم تحب بكلمة بل نظرت إلى الأرض ساهية
وكان الشاه حارث يعلم بحب اخته لفيروز شاه وأنه لا يهون عليها السفر فلم يزد عليها
أكثر من ذلك بل سار عنها نحو جاريتها اسما يطلب اليها مرافقتها وان تسلمه ثيابها
وأمتعتها . وبعد أن بعد عنها أخوها ذرفت دموعا غزيرا من مآقي مفرحة وأندشت :

كيف أصبحت يا دار وقد زللك الانس حين بانوا وولى

وكان الديار إذ فارقوها زهرة من لآلى الطل عطلى

كان فيها بدر إذا ما انجلى فالحبون بين صرعى وقتلى

حجته عن ناظرى سحب اليى ن وفى القلب والجوانح حلا

أيا النازح الذى ليس يهوى غيره القلب فى البرية خلا

كل يوم أقضى عليك حذارا ان يرى مبصر شخصك ظلا

واشتباى اليك فى البعد مثل الـ قرب نار بها الجوانح تصلى

وأكثر من التعداد والبكاء لفرقة الوطن وبعدها عن أندار وقالت فى نفسها

هل ياترى أعود فأرى هذا القصر الذى ربيت فيه وألفت رياضه وحياضه وهل

ياترى تسبح لى الأيام ان أشاهد خدمى وحشمى ويسر قلبى بماتى اقربائى وانسابى

وجعلت تزيد من لوم الدهر وتنديده وقد صح لديها الصحيح وقطع الرجاء ولم يعد

من أمل للقاء وقد أصبحت يبحر الاوهام والافكار المقلقة والاكدار وإذا بأخيها

قد قرب منها فأخذها من يدها ونزل بها النرج إلى باب القصر وهى ماشية من خلفه ولا

نعى على نفسها ولا تعرف أين تضع رجلها وكانت كالعمياء التى تقاد من يديها ولا

تبصر ما أمامها وما وراءها ثم رفعها أخوها إلى هودجها وسارت البغال والجمال بالاحمال
وهي في وسطها وفي تلك الساعة وصل الأمراء والرجال الذين أعدم الشاه سرور للمسير
بمعين الحياة إلى مصر فساروا في المقدمة وهي من خلفهم على هودجها ودموعها تهطل كالسواقى
وهي تعرف من نفسها أنها سائرة إلى سفر طويل لا تلاقى بعده ولا تعرف أن كان
فيروز شاه يمضى إلى الوصول إليها أولا أو أنها تراه أو يراها فيما بعد ولما خرجت من باب
المدينة أصعدت زفرة حرا وتنهدت تنهدا متبول وبكت بدمعة سخية وأنشدت مودعة :

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| بعاد يزيد الجوى والحنينا | وبين يعلم قلى الانينا |
| فراق أذاب الحشا أدمعا | فأجرى بصفى الدماء العيونا |
| ألقنا السهاد لسكب الدموع | فأنكر منا الرقاد الجفونا |
| فقدت اصطبارى غداة الرحيل | وعرضت عنه الجوى والشجونا |
| رعى الله أيام قرب مضت | وحيا ليا لها والسنيـ |
| وجاد الحيا أربعا بالديار | وسلم صحبا بها قاطنينا |
| وهبت بها نسائم القبول | تحدو إلينا سحابا هتونا |
| وغزت بها سحرا ورقها | تبه للنور فيها عيونا |
| ولا يرحب في رباهما الصبا | تروح شمالا وتغدو يمينا |
| أحينا هل يفك الرهونا | غريب ويقضى البعاد الديونا |
| وهل عائد زمن بالخمى | وبالقرب هل يسعف النازحينا |
| وهل بالتلاقى يجود الزمان | لنعلم أحبابنا ما لقينا |
| فقد صدع الصبر طول البعاد | وللقلب قد كان حصنا حصينا |
| وعلى تنى البين ما قد جهلت | فدقت النوى وعرفت الحنينا |
| فهل تذكر من غرب الديار | ويذكر من بالخمى الظاعنينا |
| رحلنا فما تابعتنا القلوب | وسرنا فظلت لدينا وهونا |
| رحلنا فما تابعتنا القلوب | وسرنا فظلت لديكم رهونا |

وكانت راكبة إلى جانبها قهرمانتها وبناتها وما أشرفت شمس ذلك الليل إلا وقد
غابوا عن المدينة وبعدها عن تلك الديار وكان لا أثر لهم بها ولا دليل ولندعهم الآن
سائرون على هذا الطريق الطويل ونعود إلى تلك الأمم المتجمعة وما كان منها فانه
بعد أن بعث الشاه سرور بولديه الشاه أسد والشاه حارث جمع إليه أمراء مملكته
وبينهم الأمير خطير المصرى واستشارهم في ماذا يفعلون فقال طيفور انى لا أرى بدا
من انسداد مصر إلى مصر إلى حضرة الوليد حاكمها تنمسك بأذنا له ونطلب منه المعونة
على الإخلاء إذا تبعوا آثارنا فتتحد وإياه يدا واحدة فنقطع عنهم الآثار ونبيد عنهم

آخرهم ونهلكهم وإذا امتنعوا عن المسير وشاهدوا الصعوبة الواقعة لهم بارتكابهم مثل
هكذا خطر نكون قد ارتحنا من شرم لانهم يعودون إلى بلادهم وعيالهم ويستكنون مرتاحين
من هذه الحرب وأخطارها فواقفه الجميع على ذلك وقالوا ان هذاعين الصواب فانتا تفضل
ان نرحل إلى مصر ونقيم بها أشهراً وأياماً من أن نذهب فريسة لسيرف الايرانيين
وعدمهم فقال خطير اني لا أرى أن أوفق الآراء ان تترك العدو وشأنه ونرحل إلى بلادنا
غير اني أخاف من أنهم لا يتبعونا إلى تلك الديار فيضيع نأر أخى ويذهب دمه هدرا
ولذلك عزمت على أن أكبس عساكر الزوج المقيم فيها فيروز شاه في الليل الذي نزع
فيه على الرحيل فبينما تكون قد ركبت الفرسان وسارت أمامنا المهمات أحط بجيشي على
فيروز شاه فأتقمت منه وأخذ لنفسي بئثار وأرفع عني العار وغير فيروز شاه لا يريد بدلا
عن أخى فهو أعز رجل فيهم وأيسل فارس بينهم فقالوا له افعل ما بدالك في ذلك ثم ان
الشاه سرور قال اني أرى من الموافق ان أسلم المدينة إلى الشاه سليم فيكون حاكما عليها
مدة غيابنا وإذا دخل الملك ضاراب المدينة ونظره هو القائم عليها لا يؤذى أحداً سيه
ولا يعترض لأحد لأن له فضل كبير على فرخوزاد وليس بينه وبينهم من الاسباب
العدوانية ما يستدعي الايقاع به والتعرض له بشر ثم قرأ رأيي على مثل ذلك قبل الشاه سليم
بأن يبقى في المدينة وان يسلم أمر الحكم اليه في مدة غيابهم وتفرق الجميع من حول
سرور ولم يبق عنده غير وزيره طيفور فتذكر كل ما وصل اليه من المصائب والاهوال
والحروب الذي اتعبته وأكرته ورمته بالخسران فالتفت إلى طيفور وقال له لا شيء
أصعب لدى من مبارحة هذه الديار وأخاف من عناد الدهر وغدره ان لا أعود فأراها
فيما بعد واني لا أعجب من تقلبات الايام كيف بعد ان كان الزمان صافيارثقا لا يشاب
بكدر يتقلب على بكل هذه المصائب التي مرت علينا وأعجب منها إذ ما فكرنا بامر ودرناه
إلا عاد علينا شرا ووبالا فقبح الله هذه الايام وقبح أفعالها ورجالها وأعظم شيء
يكدرني ان من كان أحب الناس الى واصدقهم في خدمتي قد أخلف على وخاني وأقام
بخدمته عدوى وهو هلال العيار فما كنت أظنه إلى هذا الحد من الخبث والحيانة فقال
له طيفور لا تغضب يا سيدي على هلال قلبي يحدثني ان هلالا سيأتينا بنفع عظيم في
قيامه بين الاعداء قال وأى نفع يرجي منه وهو الى هذه الايام لم يأتنا بخبر ولا فكر
فينا وأخاف من ان نرحل عن هذه الديار وهو ليس معنا لا تاتنا ننتفع به غابة
الاتفاوع ونعهد اليه بالمهمات .

قال وما أتم الشاه سرور كلامه الا رأى هلالا قد دخل عليه من باب الصيوان
وهو اشعث اغبر وعليه الملابس العجمية كأنه من اكبر عياري القرمس فاعتطف اليه
الشاه سرور وقال له بلطفة اين كان غيابك يا هلال فاني أراك كعياري ايران وقد

أخبرت أنك عاهدت الملك ضاراب على خدمته ولم يكن عهدى فبك إلى هذا
الحد مع أنك رئيس عيارى بلادى وقد انعمت عليك كثيرا وما قصرت معك قط
قال كلا يا سيدى فاقى لم أخدم الملك ضاراب عن صدق نية ولا عاهدته على خلوص
طوية بل اضمرت له الشر ونويت ابصال الأذى اليه والآن قد ترجع عندي أنك
سترحلون عن هذه الدبار إلى بلاد مصر فقصدت الانجاز واعتدت إلى عمل الحيلة
فأنتيت اليكم أعرض ماخطر في فكرى عليكم وأود سرعة العودة خوفا من الطولة
فينكشف الأمر . قال طيفور وأى شيء خطر لك فابده في الحال فاننا نوافقك عليه
إذا كان صوابا . قال انه خطر في ذهني أن أدخل الآن على فيروزشاه وهو على انفراد
وأقول له انى كنت الان بين عساكر الين اتجسس أخبارهم فرأيت أن أنزل إلى
البلد لأشاهد عيالى فيها وإذا بعين الحياة وقد اركبها أبوها على هودج وبعثها إلى
بلاد مصر ومعها ١٠ أمراء فقط لاغير فتأثرتهم حتى وصلوا إلى فم الوادى فرجعت
إليك وهم يسرون يتمهل فإذا سمع كلامى لابد من أن تحرك فيه نيران الحب فيقصد
ذاك المكان وحده وتكونون أنتم قد بعثتم يهودج فارغ فرق ناقة مجللة بالحرير
وحولها ١٠ رجال وترسلون أيضا مائة ألف نفس تسكن في أعلى الوادى فتى توسط
الوادى وقرب من الهودج تهجم عليه العساكر بوقت واحد وتحتاط به من كل صوب
وباقل من ساعة نقوده أسيرا وتالون منه مرادا . فقال الشاه سرور حسنا ما فكرت
فان صح هذا الرأى وأوسر فيروزشاه لأنعمت عليك مزيد الانعام وأوصلت إليك
غزير العطايا . قال طيفور انى على يقين من أسر فيروزشاه ووقوعه في أيدينا فاسرع
إذن يا هلال وهانحن من هذه الساعة نسير العساكر إلى ذلك الوادى الذى أشرت
إليه ونبعت بالهودج محمولا على ناقة مع عشرة من الأمراء ليكون كما قلت وبعد ذلك
فالتدبير على الله فودع هلال الشاه سرور وطيفور وخرج من عندهما وهما في فرح
لا يوصف وقد بعث في الحال فاستدعى بأحد قواده الامناء وأطلعه على الدسيصة وقال
له أريد منك أن تذهب بمائة ألف من العساكر وتسكن في الوادى على جانبيه ومتى
نظرت إلى أحد وقد اعترض المردج وقصد توقيفه فانطبقوا عليه أجمعكم واستأسروه
وقدوه إلى فهذا يكون فيروزشاه ابن الملك ضاراب وإياك من التهامل ففى مثل هذا
الوقت يجب الانتباه والتيقظ قال سمعا وطاعة وأخذ من تلك الساعة مائة ألف من
العساكر المستخبة وسار بهم إلى حيث أمرهم الشاه سرور وأقاموا ينتظرون النهاية
وما يكون من أمر هلال العيار . ثم أمر الشاه سرور أن يؤتى يهودج فرفعه على ناقة
وسلحه إلى عشرة من الأمراء وساق بين يديهم العبيد وقال لهم متى أجزتم الوادى
غسبوا على مهل إلى أن يتجاجم فيروزشاه فاتركوا الهودج وتفرقوا عنه وسوقوه

أمامكم وإنما من أن تقطعوا الوادى قبل أن يفاجئكم فاجابوه بالسمع والطاعة وخرجوا من بين أيديه وساروا على الطريق الذى أوصاهم أن يسيروا عليها .

فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من هلال العيار فإنه عاد من عند الشاه سرور وسار إلى أن دخل جيش الزنج فقصص صيوان فيروزشاه وكان إذ ذاك قد قرب نصف الليل واسود حاله فتنقدم مظهرا على نفسه التعب واللهثة وهو يقر ويقر إلى أن قرب من الصيوان وعول على الدخول على فيروزشاه وإذا يرى فرخوزاد وخورشيد شاه خارجين من الصيوان وكانا قد صرفا السهرة عنده ثم ودعاه وتركاه وحده ليس عنده إلا بهروز العيار فلما رآهما أراد أن ينزوى إلى جهة الصيوان فلما مكناه بل تقدم منه فرخوزاد وقد رآه على تلك الحالة فاشغله أمره وكان قلبه يحفل منه ويخافه وصاح به ما بالك يا هلال في هذه الجهة أى شئ تنقص في هذه الناحية مع أن مهنتك أن تقوم بخدمة الملك ضارب مع بقية العيارين الذين عنده قال ياسيدى ان معنى إشارة أريد أن أبشر بها سيدى فيروزشاه وأطلعها لأنها عالم بانه فى مزيد احتياج إليها وانما تسره جدا ولذلك قصدت أن أخدمه خدمة يتذكرنى بها إلى آخر الأيام ويعلم انى أمين على مصالحه . قال وما هى هذه الإشارة وما هو هذا الذى يحتاجه فيروزشاه فأبده لنا . قال ليس فى وسعى أن اطلع أحدا على مثل هذا السر فهو مخصوص به متعلق بذاته لا خل لأحد غيره به فاذهبا إلى مكانكما فليس ذلك من مصلحتكما ثم قصد أن يتقدم فصاح به فرخوزاد واستوقفه وقال له ويلك يا هلال انطمع بالخلاص من بين بدى أو تظن انى تركك تدنو من فيروزشاه فوحق الله العظيم الذى خلق المخلوقات وكون الكائنات إذا خطوت خطوة واحدة إلى الامام أرسلت سبى هذا إلى صدرك فاسكنتك قبرك وجعلتك عبرة للناظرين والسامعين فأبى الذى أتيت بصده لى حتى إذا كان صوابا تركتك ان تدخل على فيروزشاه لأننا تركناه وقد دخل إلى فراشه ونام فيه فلا أوافق على نهوضه منه إلا لأمر خطير . فلما رأى هلال ان لابد من اطلاع فرخوزاد وخورشيد شاه على أمر دسيسته أظهر الجذ فى كلامه وأبدى وجه الحيلة وقال اعلم ياسيدى انى كنت بخدمة الملك ضارب فبعثنى لا كشف له أمرا جديدا من جهة الأعداء فمرت واختلطت بينهم وأنا بصفة واحد منهم ثم حدثتني نفسى أن أدخل البلد لأن لى هناك أهل وعيال وأنا فى شوق زائد اليهم وفيما أنا داخل المدينة سمعت الناس يقولون ان فى هذه الليلة تسافر عين الحياة فسألت عن ذلك فقيل لى ان أباهما مراده أن يرسلها إلى بلاد مصر إلى الوليد حاكمها . فترى على ابنه صالح فلما سمعت هذا الكلام كاد يطير الشرار من عيني وقلت ماذا يا ترى يصير بسيدى فيروزشاه إذا عرف بسفرها وغابت عنه . ثم خطرت لى

اقصد قصر عين الحياة فقصدته املا ان اطلع هناك على شيء انفع به سيدى فلما وصلت اليه وجدت الاحمال مرفوعة على ظهور الجمال وقد رفع لها هودج من الحرير على باذل مجمل بالحرير والزخارف ثم رفعوها اليه وسلبوه إلى جماعة من العبيد وبعد ذلك وصل عشرة رجال من امراء اليمن فساروا من خلف الهودج وهم بالعدد الكاملة ليحموها في الطريق فلما رأيتهم انقطع رجائي من ان اخلصها فتأثرتهم من ورائهم وهم لا يعلمون في الى ان خرجوا من المدينة وتسلبوا الطريق المؤدية الى مصر وعند ذلك لاح لي ان اقصد سيدى فيروز شاه واظلمه على هذا الامر عساه ان يسرع فينقذ عين الحياة قبل ان تبعد عن هذه الديار فيعض كفيه ندما وأسفا ولا يعود يقدر بعد ذلك على الوصول اليها لان اباهما يعمل برأى طيفور الخبيث الحاسد فقبح الله وجهه فاهوى الاخداع ما كره في رجائي ان فيروز شاه بعد ان يتم له مراده ينعم على بالاموال الغزيرة واحوز عنده على التقدم لانه لم يأت به احد بمثل هذه الخدمة من عياري بلاده قال فرخوزاد سر اذن امامنا ودعنا نقضى الغرض ونعود قبل الصباح قال دعنا ياسيدى نأخذ معنا فيروز شاه لانه غرض كبير في ذلك وربما يلومنا اذا لم نتوفى في طريقنا قال لاسبيل الى وقوفه على هذا الامر الا بعد انقضائه ولا اريد ان يستبعض الان من نومه لامر بسيط كهذا في وسعنا ان نقضيه ونعود على عجل لانك زعمت ان مع عين الحياة عشرة امراء فقط فلا يحتاج الامر لفيروز شاه ونحن كفو لالني امير من امراء اليمن فيها سر امامنا بالعجل فلما رأى هلال اصرار فرخوزاد على المسير وحده مع خورشيد شاه وانه لا يقبل مطلقا ان يعرف فيروز شاه سار امامها وهو يلعن الصدق التي منعته من اتمام مرغوبه وقال في نفسه لا بد من التوفيق فان لم يكن فيروز شاه فهو لاء من اعيان الفرس واحدهما ابن فيلزور البهلوان والاخر ابن عمه الملك ضاراب ولازان سائرا بين يديهما وهما سائران من ورائه وقد اخذ كل منهما جوادا سابقا وتقلد بسلاح عامة الزوج الذين صادفونهم في طريقهم وخرجوا من الجيش دون ان يعلم احد أى جهة يقصدون وفي اى طريق يسيرون وقد رأهم الحرس فلم يقصد ان يعترضهم لما عرفهم وقبل الصباح بساعتين وصلوا الى تلك الوادى فدخلوا وساروا فيها وهم مجدون في المسير الى ان تبنوا على نور الافلاك الهودج وهو سائر امامهم ومن خلفه الامراء وبين يديه العبيد بالمزاريق فصفق هلال يديه من الفرح والتفت الى فرخوزاد وقال له هوذا ياسيدى عين الحياة مخبوءة على هودجها وقد ادركناها بمكان قريب فلما شاهد فرخوزاد وخورشيد شاه الهودج تحفقا صحة كلام هلال العيار قوما العمدان واطلقا العنان وصاحا بالامراء ويلكم ايها الاوغاد

إلى أين تغدون في هذه البرارى أظنون أنكم تخلصون بعين الحياة ووراءكم أسود الالبحام
تطلب لكم الموت والانتقام . فلما سمع الرجال الذين من الهودج الصباح أظهروا على
أنفسهم الخوف والجزع فتحسوا الناقة وتفرقوا إلى جهة السكين وكذلك هلال العيار
فانه لما شاهد هجوم فرخوزاد ورفيقه أطلق ساقيه إلى جهة السكاكر الكامنة في أطراف
الوادى فصاح فيها وأمرها بأن تحمل وكان فرخوزاد قد وصل إلى الهودج فأناخ الناقة
ورفع سحاف الهودج وإذا به يراه فارغا ليس فيه أحد فالتفت إلى ورائه فلم ير هلال
العيار يخاف من المكيدة والغدر فصاح في خورشيد شاه وقال له هيا بنا إلى الرجوع
على عجل فان هذه مكيدة تمت علينا من هلال العيار فما أتم كلامه حتى سمع صباح عساكر
الين وقد تدفقت من القمم مثل السيل العرمرم وأحاطت بهما من كل جهة وصوب
وهى تصيح وتنادى وقد سدت بكثرتها تلك الوادى . فعرف فرخوزاد وخورشيد شاه
أنه لا خلاص لهما إلا بالضرب والنبات وملاقة الاعادى إلى أن يأتها الله بالفرح
فأطلقا العنان وشرعا بأيديهما العمدان وخاضا ذلك البحر العجاج المتلاطم بالأواج
ولم يكن إلا القليل حتى قامت الحرب على ساق وقدم وطاف ساقها بكاسات العدم
يسقيهم فيها سم البوار ويعجل عليهم بقصف الأعمار وكلما ازدحم القوم على خورشيد
وفرخوزاد . صاحا فيهم وحمل عليهم حملة الآساد . فدفعاهم إلى الورا بهمة وجهية .
وفعلا أفعالا فارسية . وقاتلاهم مقاتلة فيروزية . تحدث بها الأبطال والفرسان في كل
زمان ومكان . قال وكان القتال قائم بين فرخوزاد ورفيقه وبين رجال الين وهلال
العيار الحديث المبكر واقف على رأس أكمة بهم الوادى ينتظر نهاية الحال وما يكون
من أمر القتال وهو ينتظر أسرها وقودها الى الشاه سرور ليظهر له صدق خدمته
ونجاح مهمته كان النهار قد قارب الوصول فانبعث من انبثاق الصباح نور ضعيف
تتميز به الأشباح من بعضها البعض وبينما هلال على تلك الراية وإذا به شخصا أت إلى
الجهة فتبينه وإذا به شبرنك العيار وكان شبرنك في عسكر الين وقصد الرجوع قبل
وصول النهار فصادف مروره بالقرب من تلك الجهة فسمع غوغاء على بعد فانخطف
إلى ذلك المكان يستكشف الاخبار وهو لا يعلم السبب ولما قرب أخذ يتلصص وفي
عله أن لا أحد يراه . فلما نظره هلال قال في نفسه لابد من كيد والقبض عليه قبل
وصوله إلى مكان المعركة ثم انخذف إلى الطريق ودار بظهره إلى جهته وظهر على نفسه
أنه لا يراه وأنه منهمك بأمر يقتش عليه في الأرض فلما رآه شبرنك على تلك الحالة ظن
أنه لم يره فقال في نفسه لابد لي أن أعرف قصده وماذا يفعل هنا فاختفى خلف شجرة
وجعل ينظر اليه فوجده قد دنا من الأرض خفرو طمر ثم نقل إلى الامام وفعل كذلك ثم

نقل أيضا وفعل كالاول فاختار من عمله وقال ماذا ياترى يخفى في هذا المكان فوالله لا حرمته ما يحبته وصبر عليه إلى أن صار بعيدا منه فقرب من الحفرة الاول فوجده قد وضع فوقها حجرا فثبت عنده أنه طمر شيئا مهما فرفع الحجر وحفر قليلا وإذا به يرى حنجورا فيه ماء كدر فانشغل باله من ذلك وجعل ينظر إلى الحنجور فوجده في هيئة غريبة لم يرقط مثله ففتحه ورفع سداده فانبعث منه رائحة زكية انفتح لها صدره فوضع فم الحنجور على أنفه وجعل يستنشقه وهو مسرور براحمته ولم يمض إلا دقائق قليلة حتى شعر من نفسه بأنه في اضطراب وقد ثقل رأسه وأسدل على عيذه فلم أنه قد بنج وأن تلك حيلة نصبت له ثم زاد عليه الحال فوقع إلى الأرض ولم يعد يمسى على نفسه وكان هلال قد شاهده من بعد معاد اليه وهو يصفق من الفرح فوجده على تلك الحالة فشد كنفه وأوثق رجله ثم أبغضه بضد البنج فانتبه ونظر ما بين يديه وإذا به يرى هلالا العيار أمامه فقال ماذا جرى على يا هلال قال قد وقعت في قبضة يدي واصطدت بفخ قد نصبت لك وعا قليل سأفودك إلى حضرة الشاه سرور وينتقم منك على تجسسك جيوش اليمن . قال وملك أتعدر بنا ونحن في أمان منك ولم نتحذر من عملك لأننا مركنون لك واقفون بآمانك . قال لا تطمعون مني بخلوص لأنى ما وافقت الملك ضاراب وأجبتة إلى خدمته إلا لا نخلص من الهلاك ولا نصب له أولاد من أعزاء قومه شرك الهلاك فهكذا عمل العيارين وإلا فلا وما أننى قد نجحت في عملى فقدت فرخوزاد وخورشيد شاه إلى وهددة الهلاك وعمال قليل زارهما أسيرين أوقيلين وقد خدمتني الصدف بأكثر مما طلبت فقد قادتك إلى على غير انتظار لأنى إن أحرمتك الدخول بين قومك ومنعتك عنهم أحرمتهم منافع عديدة لأنك من أكبر المتجسسين المحتملين وقد رماك الله بيد من هو أقدر منك حيلة وحيلة . فسكت شبرنك ولم يبد خطابا ولا جوابا وصبر على حكم انقضاء . وأما هلال فقد تركه على حاله ملقى إلى الأرض وصعد إلى الرابية التى كان عليها قبلا فشاهد الحرب لا تزال قائمة بين قومه وبين فرخوزاد وخورشيد شاه فتعجب من ثباتهما أمام هكذا عسكر جرار ورأى ما يصيحان صيحات الاسود وهيجان على اليمين فيفرقأنهم ذات اليمين وذات الشمال ويخوضان بحر ذلك الجيش بثبات وعزيمة تكاد تأخذ بالعقول فخرق قلب هلال عند ما شاهد منهما ذلك وقال في نفسه هوذا النهار قد قرب والشمس سوف تشرق على القوم وأخاف أن تأتى عساكر الفرس بسعدة فارسهما فتذهب مأمورى بى سدى وأكون قد تعبت دون نتيجة ولم أتمكن من خدمة سيدى الشاه سرور خدمة ترضيه ليكون ذلك كفارة تشفع لى عنده على قاتمى عند عدوه . ثم ان هلال انطلق الى بين العساكر وصاح ويلكم يا رجال اليمن

أنكم ان قاتلتم هذين الفارسين أيا ما وشهورا لا تتألون منهم مرادا فصوروا أسبهمكم الى جواديهما فمتى وقعا الى الأرض مسكتوهما مسك اليد وقد توهما قود البعير . فلما سمع الفرسان كلامه تنهوا اليه فالوا الى جواديهما فقتلوهما والحال وقع فرخوزاد ورفيقه الى الأرض فامشقا سيفيهما وجعلا يقانلان وهما على الأرض حتى كلا وملا وضعت عزائمهما لأنهما اثنان وأمامهما مائة ألف فارس ولم يكن الا القليل حتى سقطت السيوف من أيديهما ووقعا الى الأرض وقد سلما بأنفسهما بعد أن قتلا مقتلة عظيمة وأهلكا قسما كبيرا من الاعداء فرمت الفرسان أنفسهما فوقهما وأوثقوهما بالحبال وقادروهما أسارى أذلاء لانه قد أضعفهما التعب وفعل فيهما الملل كل الفعل كونهما لم يناما كل الليل فاستلم هلال العيار أمر قيادتهما وهو يقول لها ويلكيا أظننتي أنى دعوتكيا الى وليمة فسبقتهما اليها فيروز شاه ولم تتركا أن أنى به لاني نصبت هذا الفخ له فوقعتما به أتما ولا بد لى من أن أسعى خلف فيروز شاه فأقوده أسيرا ذليلا لينتقم منه سيدى الشاه سرور فقال له فرخوزاد قبحك الله من خائن غادر أظن أن فيروز شاه قريب التصديق مثلنا لاسما وعنده بهروز العيار ولو تركناك تصل اليه لما كان وقع علينا ما وقع وما ذلك الامن أفعال العناية ولا بد من أنك تقع مرة ثانية بأيدى الملك ضاراب فينتقم منك جزاء على خيانتك وغدرك هذا . قال انى لا أقع يده ولو نصب لى ألف شرك وسوف ان شاء الله ترون فرسان للعجم واحد بعد واحد أسراء مثلكم وأما بهروز فلا بد لى من مسكه كما مسكت شبرنك عياركم وها هو ملق الى وجه الصعيد ثم شد هما الى شبرنك وكر راجعا ومن خلفه الفرسان تندفق كالسيل العرمم وهو من أفرح خلق الله بنجاح مسعاه وعدم ضياع تعب .

قال الراوى ولا زالوا سائرين الى أن وصلوا الى الشاه سرور فدخل عليه هلال العيار وقبل الأرض بين يديه وقال له بشراك يا سيدى بنجاح مسعانا فانتا أمرنا فرخوزاد وخورشيد شاه وشبرنك العيار . فلما سمع الشاه سرور ذلك تكبر وقال له ويلك يا هلال قد وعدتني بأسر فيروز شاه فأين هو وما بالك قد أتيتني بغيره . قال له ياسيدى لم تساعدنى الظروف على اىصال الخبر اليه ثم حكى له كل ما كان من أمره الى أن عاد اليه . فقال طيفور لا بأس فان الاثنان من أمراء العجم فاحد هما ابن فيلزور البهلوان فارس بلاد فارس و ثانيهما من أمراء العائلة الملكية فهو ابن عمه الملك ضاراب وسيد فى قومه . فلما سمع خطير ان ابن فيلزور البهلوان اسير فى ايديهم نهض واقفا وقال قد ساق الى الله سبحانه وتعالى اخذ الثار من اقرب طريق فان فيلزور البهلوان قد قتل اخى وها ابنه الآن فى ايدينا فقتله وناخذ بثار اخى خاطر منه ونحرق قلب ابيه عليه كما احرق ابوه قلبى على اخى . فقال له طيفور لقد اصبحت فى

ذلك وأنا في نيتي أن يقتل الاثنان فرتاح من شرهما وماذا يقدر يعمل معنا الملك ضاراب ونحن في هذه الليلة قلع عن هذا الديار وفي صباح الغد لا يعود يرى لنا أثر في كل هذه النواحي فوافقهما على ذلك الشاه سرور وقر الرأى على قتل الاثنين معاً . فلما سمع الشاه سليم بذلك وتحقق أنهم اعتمدوا على قتل فرخوزاد كاد يطير الشرار من عينيه وخفق قلبه وانفطر فؤاده من خبائثه طيفور وغدره ولم يعد يسعه السكوت فقال للشاه سرور إن قتل فرخوزاد وخورشيد شاه ياسيدي من أكبر الخطأ ولا أريد أن توافق عليه فتقدم فيما بعد ولا يجب أن تنسى لك ولدان في أسر الملك ضاراب أحدهما في جيشه والآخر في بلاد فارس فاذا عرف بأنك قد قتلت أسيريك يأمر بالحال بقتل ابنك فبدمك إياها وماذا ياترى يفيدك قتلها إذا قتل ابنك على أن الملك ضاراب لم يعاملها معاملة صارمية بل بكرهما ويراعيهما وفي أسره أيضا الأمير قتيل فينزل به البلاء والتشكيل وفضلا عن ذلك فانكم راحلون إلى مصر إلى الوليد كما واعدتم أن تتركوا تمزواة البن تحت سلطتي ولا بد بعد رحيلكم من أن يدخل الملك ضاراب المدينة فاذا قتلتم فرخوزاد ورفيقه لا يبقى على أحد فيها ولذلك لا أقبل أنا أن أبقى عرصة للصائب ونفضب فيروز شاه آفة الحرب ورحاها ولا أعرض بنفسى لانتقام فيلزور وغيره من فرسان إيران . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام رآه عين الصواب وقال صدقت فيما قلته فقد غاب عن ذهني أمر ولدي وإني أشكر الله سبحانه وتعالى حيث لم أقتل هذين الأسيرين وإلا لو قتلتهما وعرف الملك ضاراب بقتلها بقتل ولدي في الحال ثم أمر الشاه سرور أن يسلم فرخوزاد ورفيقه إلى جماعة من الأمراء وأوصاهم بالتحفظ والانتباه عليهما وقال لهم في المساء سبروا بهما أمامنا إلى مصر وانتظرونا في الطائف عند المنذر بن النعمان حيث يكون الملتقى وأمر أن يسلم شبرنك إلى هلال فأخذه وشده إلى الطنب وأقام على عذابه وانفقوا جميعا على السفر في ليل ذلك النهار وقد طرد خطير عزمه على كبس جيش فيروز شاه تحت الظلام علمهم يقعون به فيأخذونه أسيرا في طريقهم ويقدهونه للوليد لأنه يسر بأسره كونه يزاحم ولده في عين الحياة .

فلنترك أهالي اليمن وعساكر مصر إلى أن يقدم الليل ونتوجه إلى جهة الايرانيين فانهم نهضوا في الصباح على نية القتال ونظروا إلى جهة الاعداء فوجدوهم لم يخرجوا من خيامهم فتعجبوا من ذلك ولا سيما الملك ضاراب فانه تحير وجلس في ديوانه وجمع اليه أعوانه ووزراءه ورجال مجلسه فاجتمعوا اليه وجلس كل في مكانه فنظر إلى كرسي خورشيد شاه وفرخوزاد فوجدهما فارغتين فسأل عن سبب غيابهما فلم يجبه أحد فبعث من يسأل له عن الخبر في خيامهما وبين عسكرهما فلم يعلم أحد عنهما خبراً

فقال له فيروز شاه أنهما صرفا السهرة عندى وانصرفا عني في آخر السهرة ولم أعد أعلم
عنهما خبرا فبعث وأحضر حراس فيروز شاه وخدم صيوانه وسألهم عنهما فقال له
الخدم أنهما خرجا من الصيوان وبعدا بضغ أذرع وإذاهلال العيار قد جاء وفى نيته
الدخول على سيدنا فيروز شاه فنسأله واستفسرا منه عن السبب فقال لهما ان الشاه سرور
قد بعث ببنه عين الحياة إلى مصر وقد شاهدها فوق الهودج وخلفها نحو عشرة أمراء
من أمراء اليمن فتبعت آثارهم إلى أن خرجوا من المدينة وأنت مسرعا لآخبر فيروز
شاه على متأثرهم ويستخلصها وقصد الدخول ثانية فسنعماه وسارا وهوين أيديهما وأظن
أنهما سارا معه إلى المكان الذى أشار إليه . وقال له الحراس أيضا اننا نظرناهما وقد
خرجنا من الجيش إلى الجهة التى ولم نكن نعلم مكان مسيرهما وكان بين يديهما هلال
العيار . فلما سمع الملك ضراب وسائر المروجدين هذا الكلام أطرقوا إلى الارض وقالوا
ان تلك حيلة قد تمت من هلال العيار وقد صفق فيلزور من الفيط وبكى خوفا من أن
ينم على ولده أمر يكرهه وكان أعظم الجميع غيظا فيروز شاه لأنه تكدر مزيد الكدر
كيف أن هلال العيار لم يصل إليه وكيف تمكن من أخيه وقاده بالحيلة مع أن الحيلة
كانت منصوبة له ولوتركاه يصل إليه وسار معهما لما تمكن أحد منهم . ثم رفع الملك رأسه
وسأل عن شبرنك العيار فقيل له انه من الامس لم يظهر له خبر فقال الملك لابد من
أه يكون قد وقع فى قبضة الأعداء بدساتس هلال الخيىث وإذ ذاك لاحظت منه التفاتة
إلى جهة ولده فيروز شاه فوجد بالقرب منه بهروز العيار بن الفول وهو يحدق من
واحد إلى آخر وشرار النار يتطاير من عينه وقد كاد يمتنق من الخنق فلحظت منه ذلك
وقال له لما هذا التقاعد يا بهروز وقد نظرت ما جرى علينا من أعمال هلال العيار
وكيف غدر بنا وخائنا . فقال له ياسيدى قد نبتك إلى ذلك لاني كنت أعرف خبائثه
وأنه سيخوننا وقد سألتني أن أكفه فلم أقبل وقد أخبرتك بوقته أماما فرسانك
وأعيانك . قال له ان كنت تعلم غدره وخبائثه كيف لم تنبه إليه وتقف في طريق
دساتسه وتمنعه عن أن يغدر بنا . فقال له بهروز انى كنت مؤكدا أن هلالا لا يقصد
الايقاع بأحد من كل جبهوشنا وأمرانا إلا بسيدى فيروز شاه ولذلك كنت ملازمة
ليلا ونهارا أسهر عليه ولا أدع أحدا يخدمه غيرى ولا أنرك هلالا يقرب منه قط أو
يدنو من صيوانه ولو وصل هلال إلى سيدى فيروز شاه وأخبره بما أخبر به فرخوزاد
وخورشيد شاه لعرفت منه الحيلة وعملت على كبحه وانما الآن أقسم لك بالاله
العظيم انى لابد من أن أمسك هلالا واقوده لبين يديك تجازبه على فعله وانى سأقصد
جيش الأعداء واتحسس حال فرخوزاد ورفيقه فان كانا مأسورين فلا أعود إليكم إلا

بهما ولو أقت بين الأعداء أشهر أو أعواما وان كان وقع عليهما أمر مكدر فان أكر قسمي
 بسيدى فيروز شاه اتى لا أعود إلا ومعى الشاه سرور وطيفور تفعل بهما ما تريد .
 وفي الحال خرج بهروز من حضرة الملك ضاراب بعد أن وودعه وودع فيروز شاه
 وأخذ معه شياغوس النقاش وأقاما ينتظران الليل وسواده إلى أن جاء وهو مقتم
 مظلم أسود الوجه والقلب فسارا إلى أن توسط الطريق بين الجيشين فخرافى الأرض
 حفرة برأى بهروز وتدبره مم أمر شياغوس أن يقيم في الحفرة وعليه كلاما يقوله كلما
 رأى شخصا مارا من تلك الجهة وقال له ان هلال العيار لابد له من أن يطرق جيشنا
 في هذا الليل فاذا شعرت به مارا وقرب منك فقل له ما هو كذا وكذا وافعل ما هو
 كذا وكذا وأنا كامن بالقرب منك فاني لا أترك هذا الليل يمضى ولا أريد أن يطلق
 الصباح قبل أن أقبض على هلال العيار وأكيد فاجابه شياغوس إلى سؤاله وأقام في
 الحفرة وبعد بهروز عن الطريق وبالقضاء المقدور صادف مرور هلال من تلك الطريق
 بعد ذلك بقليل فلما قرب من الحفرة سمع صوت أنين هقيق صادر من فؤاد وجوع
 إلى جانب الطريق فتعجب من ذلك وكان سواد الليل يسره ولم يعهد أن أحدا رابط
 له في تلك الجهة فتقدم في تلك الحفرة وصغى باذنه وإذا يرى الأنين قد زاد وسمع
 لغة يمنية ورجلا يقول . قد قرب الأجل يا ربى وكدت أهلك من الجوع ولى ثلاثة
 أيام في هذا المكان لا ترسل لى أحدا يسحبني إلى قومي يارب اتى أنذر لك النذور
 وافرق باموالى على الفقراء إذا بعثت أحد يأخذنى إلى المدينة ترى أرسل لى هلال العيار
 أو غيره فانت السميع المجيب . فلما سمع هلال كلامه تأكد عنده أنه من أهالى الإن
 فقال من أنت يا هذا ومن الذى رماك في هذه الحفرة . فاجاب قل لى من أنت فاني أراك
 يمينيا . قال أنا هلال العيار كنت مارا من هنا فسمعتك تأن وتشكو فقصدت أن اطعم
 على أمرى فاضهر شياغوس أنه متألم من حاله وزاد في توجعه وقال بالله عليك يا هلال
 ارفعنى من هذه الحفرة وأوصلنى إلى أول الجيش وارمنى هناك فأتاساعد وكيل أشغال
 الشاه حارس بن الشاه سرور وكنت مع الجيش أثناء الحرب من نحو يومين بالقرب من
 سيدى قاصبت بعدة جراحات ووقعت إلى الأرض ولما كان القتال لا يزال عاقد خفت من أن
 أدس بارجل الخيل فذهبت إلى هذه الطريق فوقعت في هذه الحفرة وقد خارت قواى
 وضعفت ولم أقدر على النهوض لكثرة ما سالمنى من الأدمية ثم أغشى على وغبت عن الدنيا ثم
 وعيت الى نفسي ولم تصادف أحدا ولا أقدر على المشى فقيت كاترانى أفق تارة وأغيب
 أخرى ولا يعلم بى أحد وما الدم يتدفق من جراحاتى واتى هالك في هذه الليلة لا عالة

فباقة عليك يا هلال خذني إلى مكاني . فصدق هلال كلامه لأنه كان عالم أذوكل أشغال
الشاه حارس قد قتل في تلك المعركة وكان بهروز يعرف ذلك قد شاهدته ينازع فسأله
عن نفسه فأخبره أنه يعني وأنه أصيب بجراح فتم قتله فقال له هلال اصبر على ما ساعد
فاني ذاهب إلى معسكر الأعداء وسأعود بسرعة لأن في نية عساكرنا أن تمكس في
هذا الليل عساكر فيروز شاه وقد بعثوني أترقب لهم الفرصة إلى حين يناموا ومتى
عدت أخذتك معي فقال بالله عليك يا هلال لا تركني فانك ربما إذا رجعت تجدني
قد مت وأنت تعلم محبة سيدي لي فمتى علم بملك كنت السبب في نجاتي من الموت أنعم
عليك وزاد سروره منك . قال لا يمكن الآن وسأعود قريباً فأخذك بطريق وأخاف
من العاقبة لا سيما وان خورشيد شاه وفرخزاد عندنا أسيرين وفي النية أن يرسلوا
إلى مصر في هذه الليلة قبل أن يتسمل لها الخلاص . فقال لا عاقبة الآن فان الأعداء
لا يزالون متيقظين لأن الليل من أوله فيمكنك أن ترفعي إلى مكاني وتعود دون أن
يعلم بك أحد وأقسم لك بالرب العظيم اني أعطيك أموالاً غزيرة وأجزيتك جائزة لم
ترها كل صمرك وادع سيدي أيضاً أن يسر قلبك ويرضيك وأنت تعرف عظم منزلي
عنده وحبه فضلاً عن أنك تكون قد فعلت معي عظيم رحمة لا أنساها منك ما دمت
حياً . وجعل شياغوس يتوقع عليه ويبكي ويعدده بدفع الدراهم والدنانير الكثيرة
حتى لعب الطمع في رأسه وحديثه نفسه أن يوصله إلى محله ويقبض منه ما وعده
به حالاً واشترطت عليه بذلك فأجابته إليه . فقال له اذن قم بنا لأوصدك قال لا أقدر
على الوقوف فأرفعتني على ظهرك . فتقدم منه هلال وأوقفه ثم دار بظهره وأركبه
عليه وقصد الرجوع إلى جهة الجيش وكان شياغوس طويل القامة والرجلين فلف
يديه على رقبة هلال وفعل برجليه كذلك فوق رجليه حتى لم يعد يقدر هلال
على المشي وكاد يخرق فصاح فيه وقال له ويلك يا ساعد أرفع نفسك وحن يدك
لأسرع بك فاني أود العجلة والرجوع فان قومنا بانتظاري لانهم يرغبون في كبسة
فيروز شاه هذه الليلة . فقال له وأى ساعد هنا ومن الذي تعني وما هذا الاسم الذي
تقوله فانا شياغوس النقش وهذا الذي تراه إلى جانبك بهروز العيار . فندام هلال
هذا الكلام خارت قواه وتقطعت عزائمه ولم يعد يقدر على المشي عند سماعه بذلك
بهروز ثم شد عليه شياغوس برجليه فالتقاه إلى الأرض وكان بهروز قد حضر إليه وقد
رأى كل ما كان وما تقدم فأرقا هلالاً وشدها بالحبال وقال بهروز لشياغوس سر
انت بهلال إلى المعسكر واسأتر إلى خلاص فرخزاد وخورشيد شاه وان لا أرجع
إلا بهما واعلم فيروز شاه بما قاله هلال من ان في نية خطير والشاه سروراً بكبسة
في هذه الليلة ليكون على حذر فأجابته شياغوس الى طلبه ورفع هلالاً على كتفه وهو

مقلول الأيدي والأرجل وسار به عائدا حتى انتهى إلى حضرة الملك ضاراب موضعه أمامه وقال له خذ ياسيدي فهذا الخائن التاكت هلال العيار الذي غدر بنا وقاد رجالنا إلى الذل والاستئثار فلما رآه الملك سر بأسره وسال شياغوس عن بهروز تخشى له كل ما كان منه وكيف أسرا هلالا وسار بعد ذلك لخلاص فرخوزاد ورفيقه وبعد ذلك أمر الملك بأن يوضع هلال إلى جنب الشاه شجاع والأمير قيسل عند طور الأيراني بعد أن وبخه ولامه وتهدهد وأخبر شياغوس فيروز شاه ماسمعه من هلال من أن في نية الأعداء أن يكبسوا جيشه في تلك الليلة وحذره من غدرهم .

وأما بهروز فإنه دخل بين جيوش الأعداء وطاف بين خيام الأعيان وقد رأى منهم الاستعداد والتهيء إلى الكبسة وعلم أنهم بانتظار هلال ليعود إليهم بالخبر ولا زال إلى أن قرب من المكان المأسور فيه فرخوزاد فوجد شبرنك العيار مشدود إلى الطنب ومربوط بالحبال فدنا منه شيئا فشيئا بحيث لا يراه أحد وأخرج سكينه قطاع الحبال وأطلق له يديه ورجلاه وسار به بعيدا وعرفه بنفسه وقال له ماذا جرى عليك يا شبرنك تخشى له بالاختصار كل ما كان من هلال وكيف غدر به بعد أن غدر بفرخوزاد ورفيقه . ثم قال له وقد عرفت الآن أن في نيتهم هذه الليلة أن يرسلونا إلى مصر لنبقى فيها إلى أن يصلوا حيث في خاطرهم أن يرحلوا إلى مصر وقد وكل بنا نحو ١٠ أو ١٢ نفسا من الأمراء وهم بانتظار أمر الشاه سرور ليسيروا بنا فاجلد عنه الذي وصلت قبيل ذلك قال لا بأس فإني أزمعت أن ألبس ملابس الأمراء واختلط بينهم واجعل نفسي حارسا على فرخوزاد إلى أن يسهل لي خلاصهما وأما أنت فسر بالعجل وأخبر فيروز شاه بكل سرعة بأن في خاطر خطير أن يكبس جيش الزنوج في هذه الساعة وأنه متأهب مستعد وهو منتظر رجوع هلال ولا بد إذا استعوقه أن يرسلوا غيره فيتحدروا لأنفسهم . ثم ودعه وسار شبرنك وهو فرح بالخلاص سرور به ومن بعد ذهابه اختلط بهروز بين أمراء الشاه سرور القائمين على حراسة فرخوزاد وخورشيد شاه كحارس معهم وكان كل واحد منهم من جهة من جهات المملكة قد انتخبهم سيدهم وأصامهم بالحفاظة على الأسيرين وحرسهم على ذلك فلما أقام بينهم بهروز لم يعرفوه فسألوه عن نفسه فأخبرهم أنه مرسل للحراسة معهم على الأسيرين فصدقوه وظنوا أنه مبعوث من قبيل الشاه سرور مثلهم فامتزجوا معه بالمعاشرة والمكالمة وقد شاهدوا منه ما سرهم وأعجبهم فأحبوه وأنشروا من مرافقته وفي تلك الساعة وصلت أوامر الشاه تأمرهم بالركوب والمسير أمامهم على طريق مصر وأن ينتظروا قدوم العساكر في الطائف وهي مدينة المنذر ملك النعمان إلى أن تصل بهم فيسيرون معا وكان كل خوفه من أن عيارى الأعداء تحتال على خلاص أسيريه

فتنشلها من يده ولذلك قصد ابعا دهما قبل حمله على عساكر الاعداء . وفي الحال نهضت الامراء فركبت خيولها وركب بهروز جواد سرقه من باب بعض الخيام وخرج الجميع من المدينة بعد أن رفعوا الاسيرين على جوادين وهما موثقان مقلولان راستلوا طريق مصر وتبطنوا التلال والسهول وهم يقصدون الطائف

وبعد ذهابهما ارتاح فكر الشاه سرور ووزيره طيفور فاصدروا الامر بان تنأهب العساكر السفر وتبأ وتستعد للرحيل بعد ساعات قليلة تحت سواد الليل دون أن يعلم بها أحد من الاعداء فعملوا وأخذت الاحمال ترفع على ظهور الجبال والبقاع وتدخل المدينة لتخرج من باب آخر مؤد إلى طريق مصر وكانت ايضا عساكر مصر تحت امرة خطر تستعد للهجوم على جيش فيروز شاه بعد أن رفعت أحمالها وسيرتها أمامها مع عساكر البين وكان الشاه سرور قد أضاف إلى المصريين جيشا من البغين وأوصاهم أن يأخذوا كل ما يقع في أيديهم كونهم مسافرون قبل الصباح فامل الجميع النجاح ولم يكن من عائق يعيقهم إلا رجوع هلال وقد شغل بالهم عليه ولعبت بهم الهواجس حتى قطعوا منه الرجاء وارتابوا من طول غيابه . فدعا الشاه سرور إليه خفيها العيار وقال له سر إلى جيش فيروز شاهوا كشف لنا خبره أهل الازالون سهارى وتفرقوا للذنام وانظر لنا خبر هلال العيار وما هو سبب غيابه فاجاب بالسمع والطاعة وانطلق في الحال حتى دخل بين خيام الزوج فلم يجد أحدا ووجد أن الخيام مقفلة الابواب فترجم أن الجميع نياما فكر راجعا بسرعة وهو فرحان ومسرور بذلك ولا زال حتى وصل إلى بين يدي سيده فعرض عليه ما رآه وقال له اعلم يا سيدى أن الجميع في الخيام ما منهم واحد في الخارج حتى أن الحرس في غفلة وقد دخلت بين الخيام وخرجت دون أن أرى أحدا من الزوج إلا بعض حرس نيام ففرح الجميع لهذا الخبر ولا سيما خطير وفي الحال نهض إلى جواده فركبه وفعلت مثله سائر الفرسان وتقدموا إلى جهة الزوج وفي نيتهم أن يكبسوهم ويوقعوا بفيروز شاه فأخذوه أسيرا أو يقتلوه ولما قربوا من الخيام هجموا عليها هجمة واحدة من كل الجهات وجعلوا يدوسونها ويدخلونها فلا يروا داخلها أحدا ومثل ذلك فعل خطير فانه دخل إلى مضرب فيروز شاه وسيفه مشهر بيده فلم ير فيه أحدا فطار عقله وتأكد أنه علم ندسيستهم فرجع حالا إلى الوراء وجعل يصيح برجاله أن ترجع عن الكبة وإلا هلكت وما لك أن تسمع أصوات فيروز شاه كالرعد القاصف في خلال ذلك الليل ومن خلفه الزوج تبربر بالسنتها وتهتهم كالأسود الكواسر

قال وكان السبب في ذلك أن شياغوس لما رجع بهلال العيار أتى به إلى جهة فيروز شاه بكل سرعة وأخبره بالذى سمعه من هلال العيار وأنه كان آت ليرى في

[٢ - فيروز شاه]

سعى وقت ينام الفرسان وتقل الخيام ليعود إلى مولاه ويخبره بذلك فسر فيروز شاه
 عن هذا الخبر وفي الحال أمر أن تركب عساكر وترك كل شيء في محله وتقل الخيام
 بما يدل أنها بام داخلها وترجع معه إلى الورا فقلعوا وما استقروا إلا القليل حتى
 أتى شبرك أيضا فأخبر فيروز شاه بأن لإعداء يتهاون ويتعدون وأنهم متظرون
 رجوع هلال فأمر شبرك أن يبقى عند الخيام فمن جاء من العيارين يحس الخبر يعارضه
 ولا يمانه بل يدعه يدخل ويرجع من حيث أتى . فأقام شبرك مع بعض من عياريه
 وفي تلك الساعة وصل خفيف العيار فظرووه وقد دخل بين الخيام فراقبوه وعلموا أنه
 غش بالحال الحاضرة وظن أن الجميع قد ناموا لأنهم رأوه رجعا بالحال وهو يزيد
 فرح فأخبروا فيروز شاه فتأكد قرب مجيئهم ولم يكن إلا القليل حتى سمع الصباح وشاهد
 الأعداء وقد تخللوا الخيام وطافوا بها من كل جانب وإذ ذلك صاح أعلى صوته وأمر
 العساكر بالمجوم مهاجمت من خلفه وقد أطلق لجواده العنان فخرج من تحته كالسهم
 الطيار وبداقتي قليلة أدرك الأعداء فأرسل حسامه إلى صدورهم يحرقها وهوى بعمده
 على رؤوسهم يسحقها وفعل مثله ميمون وباقي الفرسان والابطال وقد تمكنوا من القوم
 وأى تمكن فلوأ فيهم بضرب الفصال من البين والشال وسدوا عليهم طرق الخلاص
 حتى لم يعد لهم من مناص وصاروا كيتفا داروا برون عساكر الزوج تضرب فيهم في
 وجوههم وأفتيتهم فيقتلون عن خيولهم ولما رأى خطير صعوبة هذا المركز وان جيشه
 كراجماعا عن الخيام وطلب الحرب بنفسه وهو لا يصدق بالنجاة وقد تبعه من تسهل له
 القرار وستره الليل عن أعين النظار وذهب الباقيون ضحية سفار السيوف لأن فيروز شاه
 علم أن هذه العساكر هي عساكر مصر ورجال عدوه الذي يراحمه في عين الحياة وتصور
 وقوع أخيه فرخوزاد ونسيبه خورشيد شاه في قبضة الأعداء فشملت بقلبه نيران
 الغضب ولذلك جود الضرب في الأعداء ليشتي غليله منهم فكان يلقي الفرسان فوق
 بعضها أكراما كالللال المتجمعة ويدوس بنعال فرسه رؤس الرجال والابطال ولا يسمع
 في تلك الممعة غير صوته فانه يعلو على كل صوت وكانت رجاله تشتد فيه وهي تراه
 حاضرا في كل مكان لأنه كان كالنجم ينخطف من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى
 الغرب وهو يمدد الرجال وينزع منها أرواحها ويحرمها النظر إلى هذه الدنيا ولم يكر ساعة
 حتى وصلت أيضا عساكر إيران تحت إمرة فيازور البهلوان لأنهم سمعوا الصباح والصراخ
 فعلموا أن الأعداء قد كبسوا جيش فيروز شاه ولم يكونوا يعلمون بمادره من كيدهم فأمرهم
 الملك ضاربا بالركوب وأن يسرعوا لانتقاذ ولده فركب فيل زور في الحال وتقاطرت من
 خلفه الفرسان والابطال وقصدوا مساعدة فيروز شاه إلا أنهم لما وصلوا إليه وجدوه

قد فرق الأعداء وبدد شملهم وأهلكهم عن آخرهم وقد هدأت الحال أو كادت . ثم نزل عن فرسه ودخل إلى صيوانه والدم قد غطى ثيابه فاغسل ونزع ما عليه ولبس لباسا آخر وجلس في الصيوان ثم دخل عليه فيلوزور بقية الفرسان وسألوه الخبر فاجبرهم بعمل بهروز وشياغوس وخلص شبرنك وانهم أوصلوا إليه خبر الأعداء وقد عقدوا رأيا على الابتاع به وهو في غفلته على فراشه فدخل الخيام وأقام بعيدا عنها يكمن لهم إلى أن تخللوا الخيام فضرهم برجاله ورماهم بنبال قوته فتطايروا إلى الموت سباقا واكتست الأرض من جشهم ثوبا نجيما وتبدل لونها بالاحمرار القاني . ثم بعد ذلك نهض وسار إلى أبيه ودخل عليه فوجده على مقالى الجرح وكان الوقت إذا ذاك آخر الليل وقد قرب الصباح فدنا منه وقبل يديه قبله بين عينيه وسأله عما اوجب ذلك القتال في الليل الدامس لحكى له ما كان شبرنك وشياغوس وقال له في آخر كلامه انى صرفت الجهد إلى ان لا يتصدع خاطركم إلى ذلك لعلنى باتى وحدى قادر على هلاك أهل اليمن ومصر باجمعهم واخذ الله خدمتى السعادة وساعدتى يد العناية ففعلت بالأعداء افعالا لم يروها طول زمانهم وإيامهم فانه لم ينبج منهم أحد الا القليل وما ذلك الا ببركة وضاكم ويد عنايتكم فقبله أبوه نائيا وبكى من الفرح لانه كان يحبه حبا قويا عظيما ويفرح بشجاعته وبسالته

فهذا ما كان من هؤلاء وأما الشاه سرور فانه أقام في صيوانه ينتظر رجوع الأمير خطير من كبسته لفيروز شاه . وأما الا القليل حتى عاد اليه ذليلا مقهورا وهو يركض ملتفتا الى ورائه ومن خلفه العساكر متقطعة من عشرة وعشرين وهى على غير هدى لا تسمى على نفسها ولا تصدق أن تصل الى مراكزها فالتقاء الى خارج الصيوان وسأله عن السبب فقال له ان الله لم يقسم لنا نصيبا بالنصر وعوض ان تكون الكهبة لنا صارت علينا وما ان العساكر التى نجت وصلت اليك والباقي لا ريب انه هالك أو هلك فانفض في هذه الساعة وسر تنتج السائرين أمامنا فانى لا أقبل ان ابقى دقيقة في هذا المكان فانفض الشاه سرور وطيقور وقد كادا يتشققان من الفيض والحق مما لحق بالعساكر وما وقع على خطير من الفشلة والانكسار وركب كل منهما جوادا وركبت بقية الفرسان والأمراء . ومن كان لا يزال في ذلك المكان دخلوا المدينة وسلموها الى الشاه سام وواوصوه بكل الحفظ ودعوه وخرجوا من الباب الآخرونهم يحزنون لا بوصف على فراق وطنهم وبلادهم وتركهم خاوبعدهم عنها ماعدا طيقور فانه كان وحده مسرورا بهذه الرحلة حيث كان يعد نفسه بأنه ينال الخيرات من الوليد ملك مصر بحيث دبر له على الاتيان بعين الحياة اليه لتزف على ابنه واكبر فرحه كان عند تصوره بأنه قد افلتت من يد فيروز شاه حبيته وأبعد عنه وقهره

وأُنزل به الأحزان والأكدار ولم يعد له سبيل إلى الوصول إليها فيما بعد وإذا وصل
فلابد من هلاكه وموته وكان يشتهي من كل نفسه أن تسول لفيروز شاه نفسه ويتبعهم
إلى تلك الديار ليدبر في هلاكه وهكذا انتهت مدة قيامهم في تمزاء الين ولم يعد من
سبيل إلى رجوعهم إليها بعد وخرجوا من المدينة وتبطنوا القفار وسلكوا طريق
مصر يقصدون المرور على الطائف لينزلوا على المنذر بن النعمان سيدها الذي كان بجيشه
مهم في هذه الحرب وكانت مدينة الطائف منتهى حكم الشاه سرور وبأخذوا فرخوزاد
وخورشيد شاه من هناك ويسيروا بهما إلى مصر وستعود إلى اتمام حديثهم فيما يأتي
وأما الشاه سليم فإنه أقام في المدينة إلى أن تبين وجه الصباح وأشرقت الشمس
على تلك الأرض والبلاد وإذا ذلك دخل دار الأحكام وبث فدعا أعيان المدينة
والأمراء المتخلفين فيها وقال لهم اني ما دعوتكم إلا لأعرض عليكم أمر خطير نحن في
حاجة إليه الآن فقالوا له مر بما شئت فأتنا مطيعون لك سامعون لقولك وما نعهده
فيك من الحكمة وحسن الإدارة وسلامة الطوية يجعلنا أمنا بانك لا ترغب إلا في
ما فيه مصلحتنا ونفعنا . قال انكم باجمعكم تعلمون عظم سلطان الملك ضاراب واتسع
شوكته وكثرة جيوشه وفرسانه ولهذا قد رأيت من الموافقة أن تذهب باجمعنا إلى
حضرتة ونعرض طاعتنا ونخبره بسفر الشاه سرور إلى مصر بجيشه وابنته وبهذا نشترى
مرضاة الملك ضاراب خوفا من أن يظن باننا لا نزال مصريين على العناد فيوقع بنا
ويذهب المدينة قصاصا للشاه سرور واني أكفل لكم قبرا لعنده والعفو عنه وبطاعتنا
له نحفظ أموالنا وأرواحنا وليس فينا من يقدر على مقاومته وعناده فاستحسن الجميع
رأيه وقالوا له افعل ما أنت فاعل فاننا نرى بعملك هذا الصراب وليس فينا من يكرهه
ونهمز الشاه سليم وأخذ معه جماعة من الأعيان وسار بهم بقصد الملك ضاراب
وكان الملك ضاراب إذا ذلك في حيرة عظيمة لأنه لما أشرقت الشمس نظر إلى
جهة جيش الأعداء فلم ير أحدا منهم وكان لا يزال عنده وزراءه وابنته فقال لهم
' إن حالة الشاه سرور تستحق الشفقة والرحمة لأنه ناقص العقل ضعيف الرأي منقلب
للفكار فلا أظن إلا أنه دخل المدينة وفي نيته أن يدير له أمرا جديدا يستعين به على
عنادنا على أنه لا خلاص له منا إلا بشيء واحد لا بد منه على كل حال وهو زواج
بنته باني وبهذا تنتهي بيننا الحرب ويعود السلم ويرجع إلى بلاده الامان وترتاح
يعته . فقال طيطلوس اني أخاف من أن يسافر الشاه سرور ببنته إلى مصر ليزفها
على شاه صالح بن الوليد ويلزمنا أن نتبعه إلى هناك هذا إذا لم يكن قد رحل في هذه
ساعات القليلة . قال الملك اني أحب أن أعرف ذلك فينبغي أن نرسل من يكشف

لنا الاخبار وياتينا بالعلم اليقين . وما أتم كلامه حتى دخل عليه شيرنك وقال له ياسيدى ان الشاه سليم صاحب المدينة السلية ومعه جماعة من أعيان اليمن آتون اليكم . فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام خفق قلبه ونهته دواعي الحقيقة وحكى له ضميره بكل ما وقع على عين الحياة وأصبح بانتظار الشاه سليم لتجلى له الحقيقة ويظهر ما كان من أمر الشاه سرور ولم يمض إلا دقائق قليلة حتى وصل الشاه سليم ودخل الصيوان فلاقاه الملك ضاراب بالترحاب والاكرام وأجلسه إلى جانبه وأبدى له من الملاحظة فوق ما كان يظن وفعل ذلك مع جميع الذين كانوا معه . وبعد أن جلس الشاه المذكور بدقائق قليلة بدأ بالكلام فقال للملك ضاراب اعلم يا سيدى أننا نحن قد جئناك طائعين صاغرين ملتجئين منك العفو والسماح عن المدينة ومن فيها وقد حملنا كرامة أخلاقك على الاتيان اليك والرجاء منك بالعفو والسماح ولا خفاك أن الشاه سرور قد ترك المدينة وسار عنها قاصدا بلاد مصر وقد أعهد إلى بولاية المدينة ولذلك قد آتيت إليك أعرض عليك قبولي ودخولي وإنى إذا قبلت أن أكون على البلاد أكون مقاما من قبلك لا من قبل غيرك لأنك أنت الآن سيد البلاد وحاكمها كونها فتحت بسيفك وسيف ولدك سيد فرسان هذا الزمان . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام سرى الدم باردا في عروقه واسودت الدنيا في عينيه وانعقد لسانه في الأول عن الكلام فنظر إلى الأرض باهتا . وأما فيروز شاه فقد ضاع عقله وغاب وعيه وغلب عليه الحب فصاح وهو على غير هدى وهل سار ببنته عين الحياة معه فأنى سادرك في طريقة وأستخلصهم منه وأنزع منه روحه إن شاء الله . فقال كلا ياسيدى فانه بعث ببنته من قبل ولا ريب أنها قد بعثت كثيرا عن هذه الديار ومعهما أخوها الشاه حارث والشاه أسد وهما يسرعان المسير فكثير غضب فيروز شاه وزاد خفقان قلبه ونمى الغيظ به على حين كان شدة الشوق وأم الفراق يصدعان قلبه ولبه . ثم أجاب الملك ضاراب الشاه سليم بهدوء وسكينة وقد نظر إلى عواقب الأمور بعين الباصر الخبير وخاف على ولده من أن تتكدر شعائره وتنظر مرارته قال له اعلم أنه لا بد لنا من المسير خلف الشاه سرور ولو اختبأ فوق القبة الزرقاء أو نزل تحت الأرض إلى ما تحت الماء ولا أرجع عنه بعناية الله إلا بارغامه على زواج بنته بابن وما سار إلى مصر إلا ليجلب الانتقام والويل إلى تلك البلاد وإلى حاكمها الوليد الذى كان فى غنى عن كل ذلك فان ابنه لا يصلح ان يكون زوجا لعين الحياة ولا تقبل به وقد اخبرت انه ناقص العقل اعشى العينين جبان . هان ففج الله الشاه سرور ما اجهله فمر مجنون ناقص الفكرة خرب بلاده ووطنه وقاد بنفسه إلى العذاب والغربة وجر من خلفه إلى هدة الهلاك أوفانا من الامراء والفرسان وألقى بهم الى

الأخطار انقياداً لطلب طيفور ذاك الحية السامة أيقن أنه يتوفى لبنته زوجاً كاملاً بأوصافه كفيروزشاه على أننا سننظر في ذلك متى دخلنا المدينة وأما أنت فاني أعرف حسن مزاجك وما أنت عليه من الحكمة والتعقل ولا سيما وقد وصل اليك كثير من جميلك ومعروفك فانك في أول الأمر قد عاملت فرخوزاد معاملة العقلاء وقدرته حق قدره ورفعت منزلته لما شاهدت فيه البسالة النادرة في أمثاله ولم يتولد فيك البغض له والحسد منه بل أوصلت إنيامك وإحسانك وفوق ذلك فاني عرفت خلوصك بما أبدته للشاه سرور عندما كان في نيته أن يسلم فيروزشاه وفرخوزاد إلى هورنك وقد أبدته النصيح بأن يطلقهما ويمهد اليهما كبح عدوه فامتنع بطلب طيفور وكان ذلك منك عن حكمة ودراية وميل إلى خلاصهما وبإحسان لو قبل أو اتبذ بمشورتك لكان الآن في راحة وطمأنينة وأكثر من جميعه فاني أذكر لك فضلاً وجيلاً دفاعك عن فرخوزاد وغور شيدشاه في هذه المرة عندما كان الشاه سرور قد نوى قتلها وقد أخبرني شبرنك الذي كان حينئذ معها ما قلته رغبة في منع قتلها وعليه فاني بالاتفاق مع سائر علمك وأعيانها وفرسانها نشر بأحسانك ومن ينكر الإحسان ليس بإنسان فاحكم الآن أنت على تمراء اليمين وأملك فيها فتلك من يصلح أن يكون ملكها لأن بقلبك من الرحمة وحب العدل ما يكفل لعموم الرعية والسعادة وحسن الإقبال وليكن حكمك مطلقاً وليس تسلط أحد عليك وإني ساعدك وعونك وغوثك عند الحاجة وأثبت قولي الآن بالقسم أني سأمنع الشاه سرور إذا رغب في الرجوع إلى بلاده من الحكم والسيادة وسأكون له من الآن وصاعداً أكبر عدو وسأنتقم منه إذا وقع في يدي ولا أبق عليه مطلقاً وسأخذ بنته بالرغم عن أنفه وأزفها على ابني بعد موته وقد يعلم الله أني لو كنت أعلم أن ابني يوافق على الانتقام منه لما قصرت عن مسكه وفيروزشاه نفسه أقدر من الجميع على ذلك إنما كل رغبته في عدم خرق حرمة مراضاة لعين الحياة لعله أن ذلك لا يرضيها أما الآن وقد زاد إلى حد أنه رضى بفوات ملكه وبعد إلى أبعد الأقطار ملتجئاً إلى من ليس في وسعه أن يحمي مني فلا بد من تأثره وكيد.

وكان فيروزشاه يسمع هذا الكلام وهو لا يكاد يميز بين معانيه وتركيبه لأنه كان غائب العقل والهدى وجل ما أدركه من قول أبيه أنه سيتأثر الشاه سرور وبأن يمين الحياة ولذلك علق نفسه بقليل أمل بعيد النوال ولم يسمعه الوقت ولا مكتته حالته الحاضرة من الكلام فرمى بنفسه إلى كرسيه وقد أسند برأسه عليها وهو غير ملتفت إلى انتباه الجمع إليه وكيدهم من حالته وقد يفعل العشق بأربابه أكثر مما فعله وفيروزشاه على أنه وإن كان متمكناً منه غاية التمكن إلى درجة جنونية إلا أن

قواه العقلية وجلده على احتمال المكارة وصبره عند وقوع المصائب عليه جعلته يقاوم صدمات الحب بثبات عجيب ومع كل ذلك لم تغل حالته من المظاهر الارثيائية المشقية الفعالة فكان الجميع ينظرون اليه بقلوب الشفقة والرحمة ولا سيما أبوه . ثم تقدم فيلزور وسأل الشاه سليم عن ولده فرخوزاد فأخبره بالتدقيق عما كان مزأمره وأمر خورشيد شاه وقال له إنهما بمنأى أمام السكر من أول الليل مع بعض أمراء الدين وقد أوصى الشاه سرور أن يقيموا بهما في الطائف إلى أن يصل هو إلى هناك وعندى أن الشاه سرور لا يقدر أن يمد اليهما يدا لاني نهته أنه إذا فعل بهما شرا يخسر ولديه وبقية الأسرى الذين عندكم ولذلك امتنع عن قتلها وأمر بمراعاتهما وإني أسأل الله أن يسهل لهما الخلاص ويرجمهما اليكم لاني أحب فرخوزاد وقد أنزلته منزلة الولد وباحذا لو سمع لي الزمان أن أبقيته عندى لكنك ملكك بسيفه قسما عظيما من البلاد واخضعت تحت اقدامي كل عدو الله إنما بعده عني أورثني حزنا لا ينقضي إلا بقربه وقد أجهدت النفس إلى إقناع الشاه سرور طمعا براحة فرخوزاد وفيروز شاه فلم أتوفق إلى الغاية لأن طيفور صارف الجهد إلى هلاكهما غير أن العناية لا تساعد على ذلك .

وبعد ان اقام الشاه سليم مدة في صيوان الملك ضاراب بشرح له عن أحوال الشاه سرور وطيغور ويذمه الزمادة عملهما من فضائل الملك ضاراب بفرسانه وابطاله وأمر ان يركب الجيش برمته ويدخل المدينة وياخذ له مراكم موقفة بقيم فيها لأجل راحته لينبأ بامرهم بالمسير إلى مصر وسار هو في المقدمة وإلى جانبه فيروز شاه وهو حزبن كئيب لا يقدره قرار ولا يبدأ له بال وأكثر حزنه كيف أنه يدخل المدينة وعين الحياة بعيدة عنها قد فارقتهما بالرغم وأجبرت على مبارحتها وكان يخطر في خاطره أن لا يدخل المدينة لو لم يحركه شوقه إلى الدخول إلى قصرها عليه يجد من تلك الآثار اللطيفة ما يبل به شوقه أو يرى من يحضره بخبر رحيلها كيف كان وماذا فعلت وفوق كل ذلك كانت رغبته في ان يقف ويذرف العبرات السخية ويندب فراقها منه ويصرف وقته فيه . ولو لم يكن الا القليل حتى ازدحمت الأقدام عند ابواب المدينة لأن أهلها باجمعهم خرجوا للملاقاة الملك ضاراب وفيروز شاه وبقية قومهما وهم ينادون بالطاعة والانقياد ويدعون لها بطول العمر والبقاء وكانت المدينة بأبهج زينة وأروع احتفال وقد خرجت النساء من خباياها والاطفال من مهودها والشيوخ من زواياها وكلهم يسرحون ويمرحون وقلوبهم مملوءة بالفرح لتنايه هذه الحرب ورجوع الأمن والراحة الى المدينة التي أصبحت في ضيقة عظيمة فلاقى الملك ضاراب جميع الأمالي بالبشاشة والتحيات وهو يخترق الأسواق سائرا الى دار الحكومة ولا زال

حتى انتهى اليها والقوم افواجا من خلفه ومن امامه وكان فيروز شاه مع كل التجمع والازدحام وهو غائب الوعى محصور من التطويل يرغب في الافراج ويتمنى قدوم الليل لينفرد بنفسه يشاهد مكان حبيته الخالي منها ولما استقر الملك ضاراب داخل القصر امر ان يؤتى بتاج بلاد اليمن فأتى به فرقه بين يديه ووضع على رأس الشاه سليم واجلسه في صدر الديوان وامر ان ينادى باسمه في سائر البلاد وان يكتب الى كل جهات المملكة بما كان من الشاه سرور وتركه للبلاد فارا من وجه الملك ضاراب الى بلاد مصر غير ملتفت الى ما فيه مصلحته وخيره وقد اختار خراب بلاده وهلاك رعيته وتشيت شمله وبعده عن مسقط رأسه على ان يسلم بنته زوجة لفيروز شاه وما ذلك الا بغضا وعدوانا ولهذا قد فتح الملك ضاراب البلاد بسيفه واستولى عليها عنوة ولما لم يكن له من صالح في فتحها اعهد بها الى الشاه سليم صاحب المدينة السليمية والبسه التاج البني واقامه حاكما عوضا عن الشاه سرور فمن اطاع وجاء صاغرا استقر في مكانه وكان هو الحاكم والوالي ومن خالف كان خصمه الملك ضاراب وولده فيروز شاه الفارس الكرار والأسد المغوار الذي اشتهر صيته في سائر الاقطار . وبعد ان بعث الملك ضاراب بهذه التحارير امر الشاه سليم ان تدفع مراكز المدينة الى صاكر الاجام وان يقدم لهم ما يحتاجون اليه من المأكول والملبوسات . واختار لنفسه بحضور الملك ضاراب وزراء عاقلين حكما وقوادا باسليين اشداء واعهد اليهم بتدبير المملكة وقيادة الجيوش فاستحسن الملك ضاراب عمله وصرف ذلك النهار كله في تدبير احوال الشاه سليم واستقراره على البلاد على امل ان يعود في القدر الى ضرب مجلس من قرمه للتدبير في امر صالحه ولما كان المساء دعى الملك ضاراب وبقية الفرسان الى وليمة الشاه سليم الا فيروز شاه فانه اعتذر لنفسه بانه يرغب في الاعتدال واتخذ له مركزا قصر عين الحياة فانصرف وحده اليه فوجده مقفلا فخلع بابه ودخله وعبراته تنساقط من اجفانه منهرة كالغدران ولما اجتاز الباب ونوسط الدار تذكر تلك الليالي التي مرت فيها فبكى بكاء اثنا كلات وانشد من حرق قلب وانفطار كبـد

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل | ومن بكائي بكت اعداى اذرحلوا |
| يا منزل الحى اين الحى قد نزلوا | نفسى تساق اذا ما سبقت الابل |
| أنتم صباحا سقاك الله من طلل | غيثا وجاد عليك الواابل المطل |
| سقىا لمهدم والدار جامعة | والشمل ملتئم والحبل متصل |
| فطلال ما قد نعمنا والحبيب بها | والدهر يسعد والواشون قد غفلوا |
| قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه | والدهر ذو دول بالناس ينتقل |

بانوا فبان الذى قد كنت آمله والبين أعظم ما يبلى به الرجل
قالشمل مفترق والقلب محترق والدمع مندفق والركب مرتحل
كان قلبي لما سار عيسهم صب به دنف أو شارب نمل
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم وثوروها وصارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها تنو إلى ودمع العينين منهمل
يا حادى العيس عرج بى أودعهم يا حادى العيس فى ترحالك الاجل
لانى وحق لا أنسى مودتهم ياليت شعرى بطول العهد ما فعلوا

ثم خنفته العبرة وشاجت به بلايل الاشواق ووقف نحواً من ساعة وهو فى ضياح
عقل وازدياد وجدو وشكوى لا يرى فى تلك الدار إلا شخص حبيته الومى مع عليه
بغياها ولا يحلوه غير البكاء والنوح فانه كان ينادى وما من سامع ويدعو عين الحياة
وما من مجيب إلى أن فاض الدمع بحورا من عينيه فأشداً أيضاً :

ترى ينقضى حال التهاجر والقلأ ويرجع ما قد انقضى لى أولاً
أيام كنا والديار تلنا فى طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا من بعد هاتيك المنازل والحلا
أنروم منى يا عدولى سلوه وأرى فؤادى لا يطع العذلا
فدع الملام وخانى بصباتى فالقلب من أنس الحجة ما خلا
يا سادة تركوا الديار وسافروا لا تحسبوا قلبي لبعدمكم سلا

ثم تقدم إلى المقصورة التى كانت تجلس فيها عين الحياة فوجد أثاثها لا يزال على
حاله وسفرة المدام التى كانت تجلس عليها إلى جانب ومن حولها كرسيا فشاقه مارآه
وزاد بوجده وغرامه وهيجته الذكرى إلى أيام كانت تعاطيه المدام وتشدده الاشعار
فوقف بقدم الحزين والدوع لا تقطع عن السيلان وقلبه لا يفتر عن الحفقان وعيناه
تنظر إلى شخص عين الحياة الومى وهى كأنها تلومه عن بعد وقول له لو أسرعت
إلى لما قدر أبى أن يبعدنى هناك فجعل يصبح من فؤاد مجروح وقد اعتراه ضرب من
الجنون وكاد يحتل عقله ولم يرفى فى التصبر لا أنسا ولا جليسا إلا رسوما وآثارا فسكنا
كان فى المقاصير كان من أثر حبيته عين الحياة وذلك كان من أكبر الأسباب المهيجة لغرامه
المرجبة لتدفق أدمعه ولازال على حاله حتى شعر كأن الاغماء يمارعه فألقى بنفسه على
كرسى عين الحياة وأسند رأسه يديه وهو يروم أن يهبر نفسه على فراق حبيته فلم
يقدر وكان التعداد له أكبر سلوى ومناقشة الاشعار أعظم صبر ولذلك أنشد :

يا منزلا لعب الزمان بأهله فأبادهم بتفرق لا يجمع
 ان الذين عهدتهم فيما مضى كان الزمان بهم يضر وينفع
 أصبحت تفرع من رآك وطالما كنا اليك من المخاوف لنرضع

وبقى على حالته هذه إلى أن مضى قسم طويل من الليل وهو بين بكاء وتعداد ثم
 تبع ذلك نوم ثقيل ففرق ببحران الثبات لا يعبى على حالته وهو ملقى على الكرسي إلى
 أن بدت غرة الصباح فانتبه من نومه ونظر إلى حاله وقد كدرته جدا ولام نفسه على
 إعطائها مداها لجعل يسند بها بالصبر ويقويها على احتمال صعوبة الفراق ثم خرج من
 القصر فوجد خادمه لا يزال ينتظره على الباب ومعه جواده السكين لأنه كان قد أوقفه
 عنده منذ الليل فنسبه ولم يعد ينتبه إليه فأقام الخادم على حالته والجواد معه وهو ساعة
 ينام ساعة يستيقظ إلى أن وصل إليه فيروز شاه فركب جواده وهو حزين على تهمله فيه
 وكيف لم يلتفت إليه ويأمر الخادم بأن يقدم له العلف وينزع عنه العدة ولا يزال سائرا
 إلى أن دخل دار الاحكام فوجد مجلس أبيه قد حفر بكامل أعضائه فدخل بهدأن كان
 أوصى الخادم أن يعتنى بالجواد وقبل يد أبيه وجلس في مكانه وكان التحول قد أخذ
 منه مأخذا عظيما وظهرت على وجهه آثار الليل الماضي ودلائل البكاء والنواح التي
 لا تخفى على أحد فلم يملك ضاراب أن ابته صرف ذلك الليل في لوعة واشتكا. ولذلك
 فكر أن لا يترك وحده بل عزم أن يوكل طيطلوس أن يرافقه ويقم معه كل مدة إقامتهم
 في المدينة وأخبر بذلك طيطلوس فأجابه إليه ليسليه ويبرد شوقه ثم إن الملك قال
 اني أزمعت على السفر إلى بلاد مصر لأقيم فيها حربا عوانا وأخبرها على رأس حاكمها
 وأستخلص عين الحياة بقوة الله سبحانه وتعالى فما قولكم في ذلك . وكان مجلسه إذذاك
 مؤلما من كامل وزرائه وبطانته فأجابه طيطلوس ان ذلك لا بد منه إلا أنه يلزمنا ان
 نبصر في مستقبل الحال ونرى ما أماننا من المصائب والاهوال . فقال فيروز شاه
 اني لا أرى لزوما لمسير الجيش برمته إلى مصر فاني قد أزمعت أن أسير بجيشي إلى
 بلاد مصر وانى أستعين بأهله فأفنى الاشغال وحدى وأعود إليكم ولا تخفكم اني كنت
 وحدى في بلاد الزوج ساعدتني العاية حتى تسلطت عليها وأهلك ملكها وكنت
 إذذاك دخلتها وأنا أسير مغلول وأما الآن فاني مطلق وسيفي في يميني وجيشي مطيع
 لي يوافيني على ركوب الخاطر والاهوال وكله أبطال فرسان . فقال طيطلوس ان مصر
 ليست كلاد الزوج فهي صعبة المسالك كثيرة الرجال وانى أعرف أننا لو سرنا
 بالجيش كاه لنلاقى من الاخطار ما لا يخطر لنا الآن بال وعندى أننا نرسل إلى
 طهران إلى مصفر شاه بن عم الملك ضاراب نستدعيه الينا بالعساكروا الابطال ونرسل

أيضا إلى طبرستان إلى كرمان شاه حاكمها فأتينا بالخبر الذي عنده وانا في احتياج إلى هذا المدد لأنه قد نقص من عساكرنا أكثر من مائة ألف فارس بسبب هذه الحرب ولا بد أتنا إذا قصدنا مصر ينقص أكثر من هذا العدد ولا ريب في اتنا نغلب إذ ليس في وسعنا أن نسد النقص هنالك . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام رآه عين الصواب فقال لا ينبغي بنا أن نخاطر بأنفسنا ونهلك رجالنا ونعرد ولا ننال المقصود وقد يعلم الله ما نلحق في هذه الخطرة ولا نعرف ما وراءها من الأحوال ولا ندرى ان كان نعرد إلى بلادنا في الحال أو تطول غيبتنا وتتشعب إلى شعب وفروع فوافق الجميع هذا الرأي إلا فيروز شاه فانه تكدر غاية الكدر وكادت مرارته أن تنشق وتنقطع من هذا التطويل إلا أنه لم يفه بكلمة ولا أبدى رأيا بل صبر على مضض وقد خاف في نفسه أن بسبب هذه المطاولة والتأخير يحصل على عين الحياة أمر مكدر يذهب بحياتها لأنه كان متيقن أنها لا تسلم بنفسها إلى الزواج بغيره إنما كان يلوح له أنها إذا اجبرت اليه تقتل نفسها وتفضل الموت على الحياة مع غيره وقد لحظ أبوه منه ذلك وكذلك طيطاروس قد قرأ ما في باطنه فاستدرك الأمر تطمينا له وتطيبا لمخاطره فقال انه لمن الواجب ان نسير في الحال خوفا من ان تجبر عين الحياة على الزواج إلا اني أعلم حق العلم وأنا أكد ان الشاه سرور وطيفور لا يرتضيان بقيام العرس على هذه الصورة ولا يقبلان بزواج عين الحياة ووراءهما عدو بتأثرهما مثلنا ولذلك لابد للشاه سرور ان يعتذر إلى الوليد بأنه لا يسمح بيته إلا بعد خلاصه من عذره وارتياح باله من جهته ليكون في أمان فيما بعد ويرجع إلى ملكه أمينا غير خائف عليه فاني لا أرى في التأخير من ضرر يذكر في مقابل النفع الذي ينتج عنه وفي الحال أمر الملك ضاراب طيطولوس ان يكتب الكتابين إلى مصفر شاه وكرمان شاه فاخذ وكتب :

بسم الله إله العرب والمعجم وسائر الأمم

من الملك ضاراب ملك بلاد فارس وأبي فيروز شاه إلى ابن عمه مصفر شاه عامل طهران وحاكمها . فبعد السلام عليكم وإيصال التحيات اليكم أبدى أنه لا خفاكم الاسباب التي وقع الحرب لاجلها فيما بيننا وبين أهالي اليمن وحاكمها الشاه سرور إلا أننا بعد أن توجهنا من إيران في طلب خلاص فيروز شاه والسعي خلفه وقضاء مصلحته سرنا وسار أمامنا في المقدمة طيطولوس فلقى الشاه سرور وحاربه بعد ان حارب ابنه وقهره فتأخر طيطولوس وهلك عن معه خلق كثير فالتزموا ان يلتجئوا إلى الجبل لينتخلصوا من الهلاك فتدود عليهم الضيق الشاه سرور ولولم أدركم لهلكوا عن آخرهم ثم اشتد بعد ذلك نار الحرب وزاد استعارها فيما بيننا وبين اليمنيين حتى أحرزنا

عليهم نصرا مجيدا وكدنا تنهى الحرب ونقضى منهم وطرنا فهاذنونا إلى عشرة أيام فاجتنام وفي تلك الاثناء جاء طومار الزنجي بجيوش الزنوج وهو من جبابرة هذا الزمان وعماقتها يركب الفيل ورجلاه تكاد تصل إلى الأرض فانضم إلى الاعداء وجددوا الحرب معنا فاسروا الفرسان بأجمعهم ومن جماتهم فيلوزر واشتد أذى الشاه سرور وأمل الفوز والظفر وعزم على قتل الأسرى وفي مقدمتهم كبيرهم فيلوزر فوضع تحت سيف الجلاله وإذا لم يكن الله يرغب في موته بعث بولدى فيروزشاه من غرب وهو لا يعلم بأبل عاد من جزائر الزنوج بجيوش الملك هورنك بعد أن قتله وتملكه على بلاده وقبل وصوله بعث بتحرير إلى الشاه سرور يتهدده ويتوعدده مع بهروز العيا فصادف وصوله وفيلوزر تحت خطر الموت فوق العجب في قلوب أهل اليمن وخافوا سوء العاقبة لما يعلموه من اقدام فيروزشاه وبسالته فاخروا قتل الأسرى وبغضهم إلى القلعة الجبلية وفي نيتهم انها تحميمهم إلا أن بهروز رجع فاخبر سيده بالواقع فأسرع إلى خلاصهم فخلصهم وهدم القلعة الجبلية وعاد اليها براهية النصر الفارسية وقد اقرن اليه الراية السودانية وبحال حلوله بيننا حل النصر وجانا الفرج فانه أهلك جيش طوما وبدده وقتل طومار على مرأى من الجميع هضبة سيف لا تبرح من ذهي حتى الموت وبعد ذلك حاصر الشاه سرور في المدينة فدخلها وقفل أبوابها فزحفنا عليه وكدنا نخرب المدينة ونذك أسوارها دفعة واحدة فلما رأى منا ذلك بعث اليها بشروط الصلح ووعد بزواج بنته عين الحياة بفيزوزشاه وضرب لذلك أربعين يوما على زعم أمه يهيئ أمرها فكان منه ان استجار بالوليد ملك مصر ووعدوه أنه يزوج بنته بابنه الشاه صالح أي من خطه فده بنته من العساكر مع خاطر وخطير فقتل فيلوزر الأول وتبدد الجيش المصري ولما رأى الشاه سرور نفسه غير قادر على مقاومتنا فر هاربا إلى مصر بينت عين الحياة ووزيره الخبيث طيفور وكان عياله هلال قد احتال على فرخوزاد وخورشيد شاه فاستأسرها وسار بهما إلى مصر إلى بلاد الوليد وحتى الساعة لا نعرف خيرا عنهما . ولذلك عزمنا أن أرحل بجيشي ورجالي وانتقم هذا الخبيث فاقتله وأقتل وزيره طيفور لانه هو الاصل لكل هذه البلايا واخلص أولادنا منه وأزف بنته علي فيروزشاه ولذلك أطلب اليك أن تعجل إلى بالمسير بمائة ألف فارس مع بطل بلادك وحاميا الأرواح وليشها الصميدع بهزاد البهلوان ابن فيلوزر لانتافي حاجة اليه واياك من التأخير والعاقبة فاننا على جمر الغضا نطلب السرعة والعجلة كي لا يفوتنا هذا الخادع الخائن أو يفعل امرنا به يزداد كدونا ومصيبتنا ونحن الآن في بلاد اتين بانتظارك والسلام .

وكتب كتابا آخر مثله إلى كرمان شاه يطلب إليه السرعة والاستعجال وبعد

ان ختم التحريرين دعا شيرنك وشياغوس وقال لما كل منكما يأخذ كتابا يوصله إلى صاحبه ولكن مسيركما مسيرا يسابق مسير الطير فقال شيرنك بما انى قليل الخبرة لا اعرف كل الطرقات فانى أسير إلى طهران إلى مصفر شاه وشياغوس يسير إلى طبرستان لأنه خبير بالطرقات لكثرة تروده إليها وإلى غيرها من الممالك فاجابه شياغوس وأخذ كل منهما تحريرا وانطلق يجرى بسرعة البرق وافترقا في الطريق فصار كل منهما إلى جهة وسار شيرنك يقطع القفار ويوصل سير الليل بسير النهار وهو لا يأخذه هدو ولا يقر له قرار حتى دخل إلى طهران وكانت من المدن الشهيرة وهى من أعمال ايران وكان الملك ضاراب قد أقام عليها ابن عمه مصفرشاه وهو من الفرسان المشاهير ومن أصحاب الحكمة والدراية وكان شاب من عمر فيروزشاه ومثله شكلا وهيئة لا يقدر أن يميز الرأى بينهما فانه جميل الطلعة بهيجها أحمر الوجه واسع الجبهة معتدل القامة واسع العينين صغير الأنف وبالاختصار كل ما فيه جميل وكان محبوبا جدا من الانعام وخصوصا من الملك ضاراب وكان يهلوان نخته وحامى بلاده بهزاد ابن فلزور وهو من الجبابرة العظام الذين ضربت بهم الامثال في تلك الأيام وكان في سن العشرين إلا أن الذى يراه لا يظن إلا أن له من العمر أكثر من ثلاثين وسيأتى له معنا في هذه القصة حديث كبير اعظم ما أوجد اقه فيه من الشجاعة انى ندرت بمثله بين عموم فرسان ايران وغيرها من فرسان ذاك الزمان . ولما وصل الكتاب إلى مصفرشاه وجدته مختوما بختم الملك ضاراب فأخذه باهقة وكان يحب أن يعرف ما كان من أمره ففتحه ودفعه إلى أحد أمرائه يقرأه على رؤوس الحاضرين فقرأه ذاك الأمير وكان بهزاد حاضرا فما انتهى على سماع آخر التحرير إلا صاح بصوت ارتج منه ديوان مصفرشاه وقال أكل ذلك يجرى على عساكر العجم ونحن هنا راحة واطمئنان نأكل ونمرح فوا أسفاه باليتقى كنت حاضرا لأرى طومار كيف تتفاوت الفرسان وكيف يجسر أن يمد يدا إلى أنى ويأسره ثم جعل يجرى الأرام ويتلف إلى الطيران إلى الملك ضاراب وقال أيؤخذ أخى أسيرا ويقاد إلى بلاد مصر وأنا حتى فلا يد لى من السرعة للانتقام ثم انه سأل مصفرشاه أن يسرع بالمسير فأجابه اليه لأنه كان مثله يحب العجلة اجابة لطلب الملك ضاراب وفي الحال أمر القواد والفرسان أن تتبأ إلى المسير بعد ثلاثة أيام وأن تجتمع العساكر في ظاهر المدينة وتخرج المؤن والذخائر التى يحتاجونها في سفرهم وفي الحال ارتبكت المدينة وانتشر الخبر في البلاد فما منهم الا من طلب السير والسفر وبعد نهاية الثلاثة أيام خرج مصفرشاه وقد نشرت على رأسه رايته المخصوصة به ومن عن يمينه بهزاد ليك الطراد وهو راكب على جواد أدهم كالليل الحالك ومقاد بسيف مشطب ماضى

الحدين وقد علق الى جنب جواده صدا من الحديد تقبيل العيار لا يحمله الا كل صنديد جبار وأخذت العساكر في المسير طالبة تعزاء الين

فهذا ما كان من أمر مصفر شاه وأما كرمان شاه فانه وصل اليه شياغوس النقاش ودفع اليه الكتاب وكان اذ ذاك في مجلسه قتل الكتاب في حضرته وكان بهلوان بلاده يلبتا بن فيلزور أيضا وهو ابن ١٧ سنة أصغر من بهزاد وكان جبارا صنديدا فلما سمع ما كان من أمر أبيه وأخيه فرخوا زاد فعل كما فعل بهزاد وسأل كرمان شاه ان يسرع الى اجابة أمر الملك ضراب فانفذ أمره الى الجند بالخروج وان يتسابقوا الى المسير ولا يتأخروا قط عن ذلك ولم يمض الا ثلاثة أيام حتى نهضت عساكر كرمان شاه من المدينة وسارت تحت أمرته آياها ولياليا الى أن يصلوا

ومن الواجب أن نرجع الى عين الحياة لأننا تركناها محمولة الى بلاد الوليد مجبورة الى ذلك البعاد الذي كان عندها من ضروب الفواجع القتاله وكانت لا تسير دقيقة بدون نوح ولا تعداد تدم الزمان وفعله وتعلن الايام وغدورها حيث أطاعت أباهما وخدمت طيفور وهي في هودجها منفردة عن الناس لا تنظر الى أخويها الا عند الاكل وكان أخوها يريان أثار البكاء والتفرح في عينها فيلومانيها عليه وهي تظهر انها في كدر على الوطن العزيز وبعدها عنه وكان يكررها النظر اليها وهي على تلك الحال وقد أخذ التحول الذي كان قد فارقتها منذ عودة فيروز شاه من بلاد الزوج أن يعود اليها بالتدريج شيئا فشيئا ولا زالوا في مسيرهم الى ان دخلوا بلاد مصر واذ ذاك أرسل الشاه حارث رسولا الى الوليد يعلمه بقدميهما ومعهما عين الحياة وكان قصده بذلك ان يخرج الوليد بنفسه الى ملاقاتهما وتشاهد أخته عظمته فتتزع عنها الحزن والكآبة وتميل الى الشاه صالح وتنسى فيروز شاه ولما وصل الخبر الى الوليد سر قلبه غابة السرور فدعا اليه وزيره بيدانديش وقال له ها أن عين الحياة قد وصلت اليينا وصارت في يدنا وفي صباح الغد تدخل المدينة وتقيم في قصورها ومن الواجب ان يخرج الجميع الى ملتقاهم اكراما لها وتمازا لثأنها ومقامها لتعلم عظم منزلتها عندهم وحبها ايضا بالشاه حارث والشاه أسد أخويها اللذين جاءها من بلادها فأجابه بيدانديش الوزير الى ذلك وأمر في الحال ان يخرج الفرق بالزينة والملابس الفاخرة وان ترفع الرايات المذهبة وتخرج الحرف وأرباب الصنائع كل حرفة فلو حدها وأن تعزف في المقدمة الموسيقات العسكرية والموسيقات الوطنية وان لا يبقى نوع من أنواع العظمة والملاهي الا ويخرج وأمر ابنه ايضا أن يتزين بملابسه وأن يحتف به موكب من رجاله وأوصى وزيره أن يكون مع ابنه ويعتني به ويلاحظ عمله وخطواته وأن لا يتركه يبدى حركة تحطه عند عين الحياة وكان يعلم حالة ابنه وما هو عليه

من البلادة وقباحة المنظر ولذلك كان يريد أن نجبر عين الحياة على قبوله ويعرفه جيدا أنها اذا خيرت لما قبلت به مطلقا لان مملكته كانت تضعك عليه وقد لقبوه بالشاه صالح بظاظ الدين شلي ابي مخطه وكان جل غايته أن يزوجه في حياته فيأخذ غلام يهد إليه بولاية العهد التي تفقد من بعده إذ ليس من وارث غيره لانه وحيد له وهذا هو السبب الذي حمله أن يرضى بالمقادة برجاله وأمواله وأن يخاصم أعظم ملوك ذلك الزمان لان ابنه مع ما هو عليه من المنصف واللين وبلادة الطبع علق بحب عين الحياة على السماع فلم يعد يقبل غيرها حتى أنه لعدم صبره وحلوه من الجلد والزناة خسر عقله وجن كما تقدم معنا إيراده

وفي الحال انتشر خبر وصول عين الحياة في المدينة وبلغ مسامع الكبير والصغير من رجال ونساء فخرج الشيخ بتوكا على عصاه وبرزت النساء على غير انتظام وطافت الاولاد بين العساكر فبعضها يصفق بالابدى وبعضها ينادى بالازقة . قوموا بنا ننظر عين الحياة . وبأقل من ساعتين أصبحت المدينة غالية خاربة وقد خرج من أهلها الخاص والعام بحسب طلب الوليد فبعضهم يحمل أكاليل من الزهور وبعضهم يحمل مشاعل توقد بالعنابر والعود فينبث منها رائحة ذكية ملئة تلك النواحي وكان نيايتهم الشاه صالح بظاظ الدين وقد لبس من الملابس ما يبهج الانظار ويدهش الابصار ويشغل الافكار ومن حوله الوزراء والايان وبين يديه الجيوش والخدم وأجواق الاهالي على اختلاف حرفها وكل يشغل بحرفته تقليدا والرايات تخفق مرفوعة بأيدي الابطال والموسيقات تعزف باطرب الاحان والانغام حتى كاد المشهد عظميا والاحتفال بهجا لم يسبق له مثل حتى تنفط فصحاح تلك الارض بالحلائق وهم سائرون على ما ذكر يتقدمون شيئا فشيئا إلى أن تبينوا الحودج عن بعد فصاحوا بصوت واحد مظهرين الفرح والمسرّة وكان الشاه أسد والشاه حارث يشاهدان عن بعد هذا الاحتفال العظيم فقالا لعين الحياة هو ذا أهل مصر برمتهم قد خرجوا للقيك ترحبا بك وتحببا فيك ولا ريب في أنك تسكرين مكرمة مبجلة في هذه البلاد وتصبحين وحدك الحاكمة في أهلها وكل ما فيها والمالكة عليها وعلى أموالها فلم تلتفت إلى كلامهما لأنها لم تكن من النساء اللواتي يؤخذن بالخوارف والزين ويملن إلى العظمة الخارجية بل كانت تنظر في كل شيء إلى جوهره وتترك عرضه ولا يميلها عن عزمها ويضعف رأيها أعظم الاشياء واهيجها وعلت من نفسها أن الوليد قصد بذلك انقيادها الى ولده وترغيبها فيه فزاد ذلك في كدرها وقد كادت تتسنى أن تدخل المدينة دون أن ترى وجه أحد ويراهما أحدهم مع كل بعض الشاه صالح كانت لا تذكره أن تراه وذلك رغبة في انحطاط منزله وارتفاع منزله فيروز شاه عندها لأنها

كانت تعلم انه فيجب المنظر لا يقاس بفيروز شاه ولا بمزية من مزاياء وكانت تتأكد
 انها إذا نظرت به يزيد نفور قلبها منه فلا تعود توافق مطلقا على قبول عقدها عليه وكا
 ان شخص فيروز شاه اللطيف مراقبها وحسبات أعماله لا تزال مرسومة في دماغها
 كذلك بصير شخص صالح الفتيح ومزياء الكريمة جليلة لديها فتبعدها عنه وتفرها منه
 ولم يكن إلا القليل حتى وصلت تلك الاسم المتجمعة فدنت من الهودج واحتاطت به
 وهي في مزيد فرح تسرح وتمرح وتصفق وتغنى وكلها تميل إلى أن ترى عين الحياة من
 سجاف الهودج وأن تطل منه ولذلك ازدحمت الأقدام حول الهودج ثم وصل الشاه
 صالح ويديانديش الوزير وبقية الأمراء فصالحوا ولدى الشاه سرور وسلوا عليهما
 وترحبوا بهما وسألوهما عن أبيهما فأخبراهم أنه عن قريب يصل وأنه سائر على الأثر
 وقال الشاه حارث صالحا وما هو عليه من قباحة المنظر وبلادة الطق وتلغشه
 بالكلام وقصر قامته وغير ذلك فارتاع منه وقال في نفسه لا ريب ان اخي تفضل
 الموت ولا ترغب في أن تكون زوجة له إلا أنه أخفى ذلك وأظهر السرور به والفرح
 ببقاءه وأجهد الوزير نفسه في أن يقوم مقام الشاه صالح بتأدية فروض الترحاب
 وان يمنعه من كثرة الكلام وبعد ذلك وقفوا بقرب الهودج منتظرين عين الحياة
 ان تمد رأسها وتحبهم بإشارة السلام فيبدون لها علامة التأهل والترحاب وكانت
 عين الحياة كما تقدم كارهة هذا الاحتفال ولا ترغب في أن ترى أحدا إلا انه لما كان
 من فروض التاديب والكياسة ان تبدى ما هو متظر منها رفعت سجاف الهودج
 ومدت برأسها منها فوق نظرها في الأول على الشاه صالح فشخصت اليه وأحدثت
 له ولم تعد تعى على نفسها لأنها رجده قصير القامة كبير الرأس والأنف تسيل من
 أنفه أقبية من السوائل الدماغية الكريمة فتدخل إلى فمه وعيناه تسيل أيضا على الدوام
 سوائل الدموع الناتجة عن مرض عضال في عينيه ولم تكن ترى له رقة قط بل كان
 يظهر للرأى ان كنفه يرتفعان إلى قرب أذناه وفمه يمازج صدره كأنه مركب فيه
 ومما زادها فيه احدا ما رآته فيه من الخمة والطيش لأنه حالما رآها لم يعد يتمالك
 نفسه فصاح صياح عدم الصبر وجعل يردد اسمها وقد رجع اليه قسم من حالته
 الجزئية التي كانت قد وقعت عليه ولذلك لم يطاوعها قلبها وعقلها على ان تبدى إشارة
 لوتحي أحد بل لتظهر للوزير كراحتها فيه ضحك ضحكة الازدراء وهزت برأسها
 استخفافا به وأظهرت نفسها أنها تنفرج عليه فاجهد يديانديش الوزير ان يصرف هذه
 الحالة وقد كدرته أعماله وغازله مقابلة عين الحياة له على هذه الصورة حتى ازدرت به
 وأسقطته من عينها واستخفت به غاية الاستخفاف وكانت عموم الأقوام الموجودة
 هناك شاخصة إلى الهودج ناظرة إلى عين الحياة لأن بدر جمالها لم يخف على أحد

بل انحدر بهاء نوره إلى أبعد مكان من تلك الجهة وأشرق ساطعا في كل عين وقلب حتى أنها لما انزلت سحاف المودج صاح الجميع بصوت واحد وقامت فيما بينهم الغوطة وارتفع الصباح ودار حديثها في كل شفة ولسان وكل يشكر محاسنها وجمالها وبأسف على ضياعها من الشاه صالح ويتنى في قلبه أن تكون لنفسه وأما الوزير فتكثر مزيد الكدر من عملها كيف لم تحي أحدا غير أنه كان قد أبهر بما شاهد فيها وعذرها على ضحكها على ابن سيده واستخفافها به وعلم أن عين الحياة مدركة تنظر إلى الحقائق من حيث هي فلا يميلها عن عزمها كل زخارف هذا الكون لأنه رآها لم تلتفت الا إلى الغاية الوحيدة التي جاءت لأجلها ولم تظهر اهتماما بشيء ولا فرحها من شيء ولما رأت أن الشاه صالح غير موافق لما رغبة في أن تظهر ذلك على مرأى من الجميع ليعلموا من حركانها أنها غير راضية عنه مجبورة إليه فلا يلومها أحد فيما بعد . وأما الشاه حارث والشاه أسد فقد خجلا من الوزير كيف أن أحتهما لم تحبه ولا أشارت إلى أحد بالسلام بل كان منها ما كان وأراد أن يعتذر أمام الوزير فقال الشاه حارث أن عين الحياة كانت لا تنتظر أن تلاق منكم هذا الالتفات وقد أبهرها هذا الاحتفال حتى غيب عنها وعيها فلم تعد تعرف لماذا تفعل أو ماذا يجب عليها أن تقدم لتحكم من فروض الشكر غير أن النساء مهما كننا عائلات لا بد أن تشغلن الأفراح عن المتوجب عليهن وما ذلك الا لانحجابهن عن عموم الهيئة المتجمعة من جنس الرجال ومن المعلوم أن المرأة لا تسو سريرته وتعالوهمته ويؤم عقله الا بعد أن تحسك الأيام وتقلقه الحوادث ظهراً لبطن وبطناً لظهر وتدفعه وقائع الحادثات إلى أكف المصائب فتتلاعب به زنود الأحوال وتوضح لديه كل ما كان محجوراً عن أعينه بعيدا عن ادراكه وهذا كله لا يمكن أن يكون في غير جنس الرجال المعدين من قبل الطبيعة للقيام بخدمة هذا الكون . فعلم الوزير منه غاية بأنه يريد أن يقنع أن ما كان من عين الحياة كان على سبيل الدهشة لا بالقصد والغاية فوافقه على كلامه وهو يعلم أن عين الحياة فوق الرجال حكمة . ما فعلت هذا الا بقصد تصويرها لغاياتها ومآربها الا أنه قال في نفسه ان كان قصد أبيها واخوتها زفافها على الشاه صالح نزفها عليه قبلت أولم تقل ومن اللازم أن نصير إلى النهاية لترى ما يكون منها وبعد قليل من الوقت كرت تلك الجوع راجعة إلى المدينة على الحالة التي أقبلت فيها وهي ذاية الانتظام الى ان قربت من الابواب واذا بالوايد قدحرح الى ابواب اللد وهو بانتظار عين الحياة وأخويها ولما رآه الشاه حارث ترجل وأخوه عن جواديهما ، اقتربا منه فترحب فيهما وأعدهما إلى جواديهما وسألها عن أبيهما فباده سلامه وأعلماه أنه بعثهما إليه وأخبرهما أنه يسير على أثرهما في اليوم الثاني ولا

[٣ - فمروز : ١٠]

ويجب في أنه يصل قريبا وأنه لا يقيم في الطريق إلا أياما قليلة لأنه يسير على مقتضى
سير المسافر ثم أخبره بما كان من الملك ضاراب ونعيا إليه خاطرا فتكدر من هذا
الخبر وكاد ينفى عليه لأنه كان يحبه جدا ولا م نفسه كيف خاطر بهما فبعثهما بهذا
الجيش وعزم على الانتقام من الملك ضاراب إذا جاء بلاده وكان يرجع عنده أنه لا بد
أن يطرُق بلاده ولا يترك عين الحياة قط . وفي تلك الدقيقة رفعت عين الحياة السجاف
ونظرت إلى الوليد فوجدت عليه من المهابة والوقار ما جعلها أن تشير إليه إشارة
السلام وأرخت السجاف حالا فتاه بها عقل الوليد وجمد من محاسنها وتمناها لولده
وفاقت نفسه إلى تعجيل اجتماعه بها ولم يكن يعرف منها النفور والبغض راو في الحال
أن يذهب بها إلى قصر بنته طوران تحت وأن تبقى عندها في قصرها بكل اكرام وتبجيل
وبعد ذلك سار الوليد بالشاه حارث وأخيه إلى دار الحكومة فأقاما بها عدة ساعات
ترد إليهما الأعيان مسلة ومرحبة من ثم عين لها الوليد مكانا للاقامة فذهبوا اليه وهما
بنات السورور لما لقيا من المجاورة والاكرام وكان يلوح لهما أن الوليد أقدر الملوك عند
انتساب الحرب وأكثر أعوانا وأجادا وأصحابهم بأسا ومراسا . وبعد ذهابهما اجتمع
الوليد بوزيره فقال له أن ولدي معذور لمحبته عين الحياة فهو بدون شك من أجل بنات
هذا العصر وأعقلين . قال ابي وافقتك على وحدانية جمالها وخصالها انما أظهر لك حقيقة
الأمر الذي تبينه فيها أنها لا تقبل مطلقا أن تكون زوجة لولدك ولا أخفاك أن طلابها
الآن كثيرون وكلهم من أبناء الملوك المعظام أصحاب الحسن والجمال والبسالة والاقدام
ولم تقبل أحدا منهم إلا أفضلهم حسنا واحسانا وأشجعهم عند وقع المصائب واثارة
القتال وهو فيروز شاه بن الملك ضاراب وعلى ما قيل ليوما هو مسموع أنه أجل منها
وجها وأعدل قدا وناهيك عن أقدامه وبسالته وكفى أن يقال أنه قتل طومار الزنجي
وأباد جيشه وأرسل أسيرا إلى جزائر الزنوج فتخلص من أسره وسطا على هورنك فقتله
وقتل كل عاص وتملك جزائر البحر وحده وقادم خلفه جيشا من الزنوج عزموا وهذا
لا يصدق أن يكون من فارس واحد وفوق كل ذلك فإنه قتل صفراء الساحرة واستولى
على كل ما في قصرها من الجواهر والتحف التي لا يمكن أن توجد عند أعظم ملوك هذا
الزمان ولولم تكن عين الحياة ذات عقل واصابة لكان يمكن أن تبدل فيروز شاه بالشاه صالح
اجابة لطلب أبيها وجهها عن مستقبل حياتها وما أعله حق العلم أنها عاشقة له مفرمة به
ولهذا لا توافق على زواجها بغيره ما لم يقطع رجاءها منه أي أنه إذا تزوج بغيرها
أو إذا مات ولم يعد من وسيلة للوصول إليه والحصول عليه وإلا مادام يطلبها بمجد
وبقادي نفسه لأجلها فلا تنسك له عهدا بل تبقى مصرة على حبه . ثم أخبر الوزير

الوليد بما كان منها حال وقوع نظرها على ولده وكيف أنها ضحكت منه عندما رأت قباحته وخفته وأظهرت على نفسها عدم الاعتناء به بل اعتبرته كسخرية جاء للتفرج عليه . فتكدر الوليد من هذا العمل وقال إن أباهما بعثها إلى هذه البلاد لإلتحت هذه الغاية الوحيدة وهي زفافها على ولدى وهي الآن قد صارت في يدي فلا تلت منها قط ولا بد لي من أن أقتل فيروز شاه وأقطع رجاءها منه وكما أشرت تعود فتتظر إلى ابني بعد ذلك بعين الرضى والقبول لعلها أن لا خلاص لها وتعلم من نفسها أن لا مندوحة لها عن الزواج به فضلا عن أني سأطلب إلى أبيها حال وصوله أن يزفها عليه فإذا أجاب أقت بالحال باحتفل الزفاف وأجبرتها بما أمكن من السرعة رحيت أولم ترض فقال الوزير لا أظن أن الشاه سرور يوافقك على زفاف بنته في الحال ووراءه مثل الملك ضاراب ويخاف إذا سمح بها تتركه ولا تعود إلى الحمامة عنه ولا بد للملك ضاراب أن ينتقم منه ويقتله وأنه ليس من الصالح أن تزف في الحال على الشاه صالح خرفا عليه من أن توقع به وبفسها حفظا لحب من أحبته ولا تزال تطلبه ومع كل ذلك فلا بد لنا أن نصبر الآن إلى حين اتيان أبيها فترى ما يكون من هذا الأمر فالذى يراه موافقا نقيبهم لأنه أعلم بحال بنته ومسئول عنها كونه وليها ومدبر أمرها وأقام بعد ذلك الوليد بانتظار الشاه سرور وسنرجع إلى شرح ما يكون منه في ما يأتي

لاريب في أن القارىء يرغب في أن يعرف ماذا جرى على فرخوزاد وخورشيدشاه لأننا بعثناهما أسيرين مكبلين من ١٢ أميرا مع أمراء الدين وبيروزالبار بينهم كواحد منهم وقد أركنوا له ومالوا إليه كل الميل لأنهم وجدوه أنه حريص جدا بالمحافظة عليهما وكان يحرسهما في دوره مع ستة من رفقائه وفي اليوم التالي يحرس غيره فينام هو مع رفقائه الستة وفي النهار يسهرون جميعا ولم يتمكن بهروز من خلاصهما في الطريق ولا ساعدته الظروف بل كان معاق كل الأمل بأنه يتسمل له السعى بخلاصهما حال وصولهما إلى الطائف حيث يمكن للأمراء جميعهم أن ينادوا بسوية كونهم يأمنون على الأسيرين بوضعهما في غرفة تقفل عليهما الأبواب ولا زالت على هذه الحال حالتهم حتى وصلوا إلى الطائف فبعثوا الخبر إلى وكيل المنذر وكان اسمه الأمير بدر يعلمونه بأنهم آتون بأسيرين من أمراء الفرس وقد أمروا من الشاه سرور أن ينتظروهم في الطائف وبعثوا إليه أيضا تحارير المنذر يطالب اليهم فيها أن يحرقوا كل المحافظة والانتباه على الأسيرين لينبأ يصل هو والشاه سرور لأنه كما سبق كان مع جيشه في معسكر الدين يحارب مع التتار في كل هذه الحرب وقد وكل بالمدينة هذا الأمير وخلف له نحو ألف من العساكر وأوصاه بالاقامة دائما على الأسوار

وكانت أسوار الطائف منيعة جداً من عمل القدماء ذات مراكز طبيعية صخرية وهي عالية غاية العلو لا يقدر الرامي من أعلاها أن ينظر إلى الأرض دون أن تأخذ بعقله الصفراء ويقع في قلبه الوهم والخوف . فلما وصل الخبر إلى الأمير بدر فتح أبواب المدينة وخرج لادخال أمراء اليمن وشاع الخبر في البلد فجمعوا ليروا الأسيرين المذكورين وعلوا أنهما لو لم يكونا ذا شأن لما حوفظ عليهما كل هذه المحافظة وبأقل من ساعة أدخل فرخزاد ورفيقه مكبلين بالحديد ومن حولهما حراسهما وقد جروا من خلفهم رجال المدينة بأجمعهم وقد علت النساء السطوح وملئت الجدران للفرجة على الأسيرين وطلب الأمراء اليمنيون أن يطاف بهما المدينة قبل الذهاب إلى القصر للمحافظة عليهما فطافوا الأسواق والشوارع والناس تزدهم أفواجا فواجهوا حتى كادت تنمزق أحشاء بهروز ولم يهن عليه هذا العمل إلا أنه لم يكن في رصده عناد الأمراء رفاقه ومنعهم من أمر انفقوا عليه كلهم لأن رغبته كانت التظاهر بما تكسره به شعائر الأسيرين إظهاراً يبرهن للأمراء أنه صادق المحافظة صافي النية وبعد أن طيف بهما كل شوارع المدينة أخذوا إلى غرفة كبيرة في أسفل قصر المنذر بن النعمان صاحب الطائف وهناك رفعوا عنهما بعض ما كان عليهما من أثقال الحديد وأتوهم بالآكل والماء وأقام في نفس الغرفة كامل الأمراء وقد تافت أنفسهم إلى الراحة وأملوا أن يقيموا أياماً في تلك المدينة فيصرفون وقتهم باللهو والطرب والزهة وكانت الطائف مدينة كثيرة الرياض حسنة المناخ وهي عبارة عن جنة الأرض وفيها كثير من النخل ذات الثمر . ففي مساء ذلك اليوم اجتمع كل الأمراء إلى بعضهم وتحدثوا في أمر الحراسة هل تكون كالعادة أو يقام في كل ليلة خفير واحد فأجاب بهروز وقال إن البلد من أعمال اليمن وليس فيها عدو نخشاه فيسطو علينا وينزع منا أسيرينا فضلاً عن أننا قادمون عندهما لا نفارقهما فإذا طرأ شيء فالذي يخفريه الباقيين ولنا في غرفة منيعة محاطة من كل جهة بالآنية لا خوف من أن يصل البناء شر أو أذى فاستصوب الجميع رأيهم وقال لقد أصبت فائتاً نقيم في كل ليلة حارساً واحداً يعهد إليه أمر المحافظة لأننا كذا تبعانون من شدة ما لقينا في سفرنا وقبل وصولنا وما منا إلا من تطلب نفسه الراحة بكل شوق واشتياق وأن هذه المدينة طيبة المناخ فليس من الضرورة أن نجور على أنفسنا بها . ثم لأنهم اعتمدوا على ذلك وأعهد إلى بهروز أمر المحافظة تلك الليلة فسر غاية السرور وقال في نفسه هو ذا مكنت أطلبه فمن الواجب السعي الآن في إطلاق سيدل فرخزاد وخورشيد شاه من عقابهما وإلا إذا فانتفى هذه الفرصة ووصل الشاه سرور ووزيره واجتمعت العسك والعيارون وساروا من هذه المدينة بصعب على أمر خلاصهما غاية التصعب وصبر إلى أن يحل الليل وينام الأمراء ولكي يكون أمينا من نجاح مسعاه

عول على أن يشعل النور بالبنج فينقل نوم الامراء فتم غايته على أحب ما يروم واقام
ينتظر نصف الليل ليقدم على العمل :

قال وبالامر المقدر أنه لما كان فرخوزاد وخورشيدشاه في أسواق المدينة يطاف
بهما من شارع إلى شارع قصد رجال الدرك أن يراهما من قرب فصر الملك لتتظرب
حريمه ونسائه وكان للثندر بنت وحيدة ليس له سواها قد كملت حسنا وزادت بهاء
ورونقا وفاقت بنات المدينة بجمالها وظرفها ولم تكن ترى من يهناها جمالا من الشبان
الذين خطبوا من أيها ولذلك لم توافق على واحد منهم وصبرت على أمل أن يخطبها
من تطلبه نفسها وترغب فيه وكان أبوها قد سلم إليها أمر رضاها لأنها وحيدة له ولا يريد
أن يجبرها على أمر تكرهه وكلما تقدمت قليلا في السن يزداد حسنها ويذهب جسمها وتنقل
نهودها حتى تخرج ثمر جمالها وطاب قطفه لشهرة المشتين ولذلك أخذت تحركها دواعي
الصبوة إلى التقرب من زوج يوافق مشتها فكان ذلك كل مهما وعملها حتى لم تعد
تفكر بغير هذا المعنى ولما كانت هذه الحال حالتها أخبرها البعض من خدماها أن أباها
آت إلى المدينة بعد أيام وأن الشاه سرور أرسل بقارسين من فرسان العجم إليها وقد
طيف بهما في الأسواق حتى وصلا إلى تحت قصرها وسألاها أن تطل من النافذة فتراهما
وقالوا لها اعلمي يا سيدتنا بأنهما من كبراء الرجال وأولاد الملوك لما أعطاهما الله من
الحسن والجمال والهيبة والكمال . فلما سمعت هذا الكلام حركتها دواعي الطبيعة إلى
التفرج عليهما والنظر إليهما فدنت من النافذة وأرسلت نظرها إلى الأسفل فوقع في الأول
على خورشيدشاه وكان على جانب عظيم من الحسن والبهاء فلم تعد تتمالك نفسها ووقع
في قلبها موقعا عظيما وتمكن حبه منها تمكنا عجيبا فعدت صبرها ووعيبها وفقدت عقلها
وعولت على أن تصبح بالعسكر أن يتوقف عن المسير فلم يطأوعها اسمها ل أخذت تلطم
ولم يظهر غايتها وعزمت أن ترى بنفسها من النافذة إلى الأسفل فعدت قواها وضدفت
عرائنها لإذخارت من جرى مالحق بها من شدة الحب المفرط التي وقع عليها فته وللحال
رمت بنفسها إلى الأرض ولم يكن إلا قهر ماتتها وكان اسمها نعمى فدنت منها وأنهضتها
على صدرها ولم تكن تعلم سببا لما أصابها فجعلت تطيب خاطرها وتستفسر منها عما
لحق بها وما أصابها فتهدت عند استماعها كلامها وأنشدت :

راح يثنى عطفه مرحا أي صب من هواد صحا
مفرد في الحسن ليس له من شبه فاق شمس ضحى
ينجلي في ليل طرته منه مسك الحال قد نفحا
خده وردومقلته ترجس تسقى النهى قدحا

مهجتي في جبه تلقى واصطباري في الهوى نوحا

ما رأينا مثله قمرا بالبها يختال متشحا

قلبا سمعت قهرمانتها منها هذا الانشاد اخذتها اليه وارتبكت من امرها لانها لم تكن عرفت منها قبل ذلك شيئا بما ذكرت ولا تعلم انها احبت أحدا ولا مالت الى أحد قط ثم عولت على أن توضح لها باجلى بيان عن معنى هذا الشعور التي ابتدها وانها تحب من وتقص من بقولها واذا بها قد وقفت ودنت من النافذة على أمل أن ترى خورشيد شاه مرة ثانية فلم تر أحدا لأن الخفراء ساروا به وبفرخوزاد وبعدوا بهما فلما لم تر أحدا لطمت خدها وبكت وعولت ان ترمى بنفسها ثانيا من النافذة فعرفت القهرمانه منها ذلك فنعته ولا مته وابتدتها عن النافذة فجلست إلى الحائط وانشدت -

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| سیدی مذ غبت عن نظری | لم أفق من خمرة الكدر |
| أحسب الصبح العشا أبدا | فنهاري أول السحر |
| لم تمل روحى إلى وطن | لا ولا قلبي إلى وطر |
| سل نجوم الأفق عن قلقي | فعسى تنبيك عن خبري |
| لا وعين منك رافدة | لم تذق عيني سوى السهر |
| أيها البدر الذى حجبا | نوره الوضاح عن بصري |
| لو ترى حالى بكيت على | قلبي المسجون فى سقر |
| كدت أخفى من ضنا جسدی | عن عيون الجن والبشر |

فوقفت أمامها قهرمانتها وقالت لها باقه عليك يا سيدتى ان توضحى لى الاسباب الموجبة لعلك هذا وقلقك ومن الذى تعين بكلامك هذا لاني قبل الآن لم أكن أعهد فيك إلا النفور عن الطلاب والمحطاب فهل من حادث جديد لم أعلمه فاظهري لى أمرك واخبرينى بما فى صدرك واظهري سرى ولا تخشين أمر قلبا سمعت كلامها أذرفت دموعها وتذكرت تلك النظرة التي أعقبت هذه الحسرة فزاد تسعر قلبها وأنشدت أيضا

| | |
|----------------------|------------------|
| بهوى جد بقلبي | طامعا فى لفتاتك |
| وفؤاد ضل فى حبه | مر قليل من صفاتك |
| وبطرف لم يتمتع | نظرة من نظراتك |
| غافلا عن ذنبه إذ | هو من بعض هباتك |
| يا غرا الا خاطر القا | ب برؤيا خطواتك |
| آه ما أعجزنى عن | حمل ماضى عزمانك |

بالحي ترنع والاسد
كيف يرجوك فؤاد
باني حبات مسك
والحي بعض حمانك
بل سويداء قلوب
نقلت في وجنانك
أثرى يادهر هل في
أحرق في جمراتك
لحظة من لحظاتك
ينقل الواشون كي
أحسبها من حسناتك

فتبا شوق القهر مائة إلى معرفة الحقيقة وخافت أن تكون مولاتها قد علفت بحب
فتى وأن يكون لها بذلك علم ودخل فتحركت إلى معرفة الحقيقة وفي نيتها أنها تكسب
رضاها فقبلت بدها وقالت لها باقه عليك يا سيدتي أن لا تكتمني عنى أمرا فاني محروقة
من أجل عملك هذا وأكدي انى لا أكره ما فيه خيرك وصالحك وانى أساعدك عليه بما
فوق قوتي ان امكن . فقالت لها وياك يا نعمى ان الذى أحببته والذى أقصده فى
كلاى لم أكن قد رأيته قبل الآن ولا سمعت بذكره ولا أظن ان الله يخلق مثيلا له
فخور له المحاسن وسيدها وملك اللطف وأميره جل جماله عن ان يماثل بجمال أو قوامه
يقاس بقوامه وما نظرته والله إلا نظرة واحدة ففعلت فى فؤادى مالا أطبق له حملا
وما ذلك إلا من وحدانية ظرفه ولطفه فقد صدق من قال فيه :

فلام كما سال فى خده
غدار تمنم فى ورده
بفيه المعطر ماء الحيا
ة وماء الحياء على خده
به برد جامد كم اذا
ب قلبا يتوق إلى ورده
وانى لارشفه بالضمير
رغر فؤادى من برده
لقد أفلق القلب هجرانه
فأصبح احير من بنده
وأحلل جسمى اعراضه
فجسمى أو من من عهده
جفانى من غير ذنب جنين
ت مولى يحور على عبده
فيا ويح قلبى من حبه
ويا ويح نفسى من صده

نعم هو فرق ما ذكرت فمن يا ترى يساعدنى على حبه ومن يا ترى يوصلنى اليه
ويجمعنى به فهو واقه :

ريم حياتى فى يديه
وميتى فى مقلتيه
توريد دمعى كل يو
م من تورد وجنتيه
واحر نابى من قلو
ب أصبحت أسرى لديه
أبدا يفار عليه من
عنى إذا نظرت اليه

من لى بقلب غير قاطبى استعين به عليه

ولا تعجبى من كثرة شوقى اليه ووصفى له فلو نظرته لعذرتنى وقلت بالحقيقة انه
أهل لأن يقال انه أفضل حبيب فاهو إلا فارس المحاسن وكنت أسمع ان جماعة
الفرس ينوع الجمال وقد خصهم الله به منة عليهم وطالما تأقت نفسى إلى أن أرى واحدا
منهم وسألت الله كثيرا ان يسهل لى ما أتمناه فأجاب سؤالى وبعث لى بأحسنهم وأرفعهم
واقامهم وأرقهم فانظرى يا نعمى فى أمرى ولا تتركينى وساعدينى يساعدك الله . قالت
لها لملك علقت بأحد هذين الاسيرين اللذين بهنهما الشامسرور وأبوك إلى هذه المدينة
قالت نعم علقت بالطرفهما بهاء وأعدتهما قامة وأسناهما إشرافا ليالت اليد التى مدت اليه قطعت
فلا كان من يطلب له أذى ويتمنى له شرأ فلا بد من الافراج عنه فديرى ولا تنهاملى
قالت ان طلبك هذا صعب النوال لا يمكن الحصول عليه نظالان مع الاسيرين ١٣ أميرا
يقيمون بالليل والنهار على المحافظة عليهما ولا يدفى الغد أو ما بعده أن أبوك والشاه سرور
وعساكر اليمن برمتها سيدخلون هذه المدينة فيطلبانها ويأخذانها معهما فماذا ياترى
يكون من أمرك إذا علم أبوك بذلك وانك أحببت أعداء المملكة وهل يمكن أن تصلى
اليه بدون أن يطلق من أسره ويحل عقاله وترجع اليه حريته . قالت انى إلا أخاف من
أنى ولا من أحد فى جنب نوال مرادى فانى أرغب فى أن أكون زوجة لهذا الفارسى
وأنال وصاله ولوساىة ومن ثم لا أعود أفكر مصائب وأموال هذا الكون وان مت
فموتى لا يحسب بشئ بالنسبة لهذا الخط السعيد وقد سدت على طرق التدبير فان عقلى
لم يعد يرى إلا حبيب قلبى ومتمناه وقد عدتني بالمساعدة فساعدنى ولا تضيعى العراقيل
فى سبيل حصولى على مذكرى وأكدى أنك اذا امتنعت عن النظر فى تدبير ذلك انتقمته
منك بالموت وانبعثت نفسى فيك فالآن الحياة بلا من أحب لا تطيعنى ولا ترغب فى ان
تبقى عندى ولا ريب بأنها تفارقنى وإذا ساعدتني وحصلت على هذه السعادة التى أذكرها
لك فانى أبيت مديونة لك كل حياتى لأمنع عنك شيئا ولا أفضل أحدا عليك بل تكونى
مدبرة حياتى . إذا ساعدتني التقادير وكان حبيبى هذا من العائلة الفارسية المالكة وأطلق
سراحه ورجع إلى أهله كان لك عنده أكبر مقام وأرفع منزلة .

فلما سمعت القهرمانه منها هذا الكلام أطرقت إلى الأرض ونظرت فيها نظر
المتحير وأحدثت الفكرة فى إيجاد طريقة تسهل فيها طلب مولانها وصرفت على ذلك
نحواً من نصف ساعة وتاج الملوك تائهة فى بحر ان العشق وقيافى الغرام تنظر الجواب
من القهرمانه وكان قلبها معلق كل التعلق بجوابها لعلها أنها ذات بصيرة وخبرة وانه

لا يصعب عليها تدبير أمر من الأمور الصعبة وبعد مضي نصف ساعة رفعت القهرمانته رأسها وقالت لتاج الملوك هل لا تزالين مصرة على هذا الطلب وهل لا ترجعين عن عزمك لأنك باصرارك هذا تجربين على أن تخاطرى بحياتك وحياتي أيضا ولنأتم بأن تلقى بأنفسنا إلى حضرة الهلاك فاما ان نفوز واما ان نهلك ويفتضح أمرنا . قالت انى أعرف حق المعرفة انى احتاج إلى أن أسلك طرق المهالك وأرمى بنفسى فى أعظم الصعوبات إنما لا أخفاك ان القلب الضعيف لا يحصل على الطريف وقد قيل فى لسان الحكماء من لا يتخاطر لا يطيب له عاطر فاطهرى الى ملاح فى ضميرك فى هذا المعنى وعلينا ان نسعى وعلى الله ان يدبر ويتم أمر مسعانا قالت قد لاج لي أولا ان تبدل هذه الليلة بعد نصف الليل إلى الغرفة التى فيها الاسيران والامراء ولا بد ان يكون الجميع إذ ذاك - نيام وهناك اما نقل الامراء ونخلص الاسيرين ونقل الغرفة من داخل ونخرج من هذا القصر ونبعد عن المدينة واما ينتبهون البنا ويفتضح أمرنا وتنظر منهم فيعلمون بذلك أباك والشاه سرور ويكور من أمرنا ما لانعله وغير هذه الطريقة لا أجد قط . قالت نعم هى طريقة مصيبة ولا بد لنا فى المساء من زيارة تلك الغرفة وخلاص حبيبي ورفيقه وبعد ذلك نستشيرهما فيما يفعلان فاستحضرى إذا على خنجرين لقضاء الغرض يكون واحد بيدك وواحد يدي وانى أرى وجه النور ظاهرا لى عيانا وسوف تتدكرين ما قلته لك وأقوله الآن . وبعد ان اعتمدوا على ما تقدم أقامتا تنتظران حاول الليل ودنو الوقت المطالب .

وأمّا فرخوزاد وخورشيد شاه فانهما بعد أن أقاما فى تلك الغرفة التى أعدت للمحافظة عليهما أصبحا ينتظران الفرج القريب على يد بهروز وقد قالاه سراويلك لقد طال علينا المطال ونخاف من أن يدركنا الشاه سرور ويطفون فيصعب علينا بعد ذلك الخلاص وبما أطلعنا على أمرك فيقرنا لك البنا وتكون المصيبة الاخيرة أشد من الاولى . قال انى اعلم ذلك جيدا وقد دبرت فى نفسى طرق الخلاص وفى هذه الليلة ان شاء الله أحل عقابك وأذهب بكما من هذه المدينة بعد أن أقتل كل الامراء الذين معنا وكان مساء ذلك الليل مظللاً جدا بما يساعد بهروز على نوال مراده . ولما قرب نصف الليل واعتمد الامراء على ان يناموا أخذ بهروز قطعة من البنيج ودنا من النور فأشعله بها وتركها فى زاوية الغرفة وخرج إلى الخارج . ظهرا ان نبتة قضاء حاجة وصبر إلى ان عرف أكيدا أنها فعلت فيهم وأنها احترقت إلى آخرها عاد فدخل ونظر اليهم فوجدهم قد صاحوا الارض وهم كالآوات من عظم ما لحق بهم من فعل البنيج لأنهم استنشقوا منه رائحة زكية فبالوا بقلوبهم وأفكارهم اليها وقد حدوا فعل بهروز وقالوا لاريب انه استحضرها من بلاده لأن فى بلادنا لا يوجد مثل هذه

الرائحة الزكية ثم ضعفت أبصارهم وأخذت قوة انتباههم تنقص شيئاً فشيئاً فظنوا أن ذلك من فعل النعاس لأنهم صرفوا سيرة طويلة ثم أخذوا يقعون إلى الأرض واحداً بعد واحد وهم مجهولون السبب حتى غابوا جميعهم عن الوجود فلما رآهم بهروز على تلك الحالة أسرع إلى باب الغرفة فقفله من داخل وقفل سائر النوافذ واستل من وسطه خنجره ودنا من الأول فذبحه وذبح الثاني أيضاً وعول أن يذبح الثالث ويفعل بالباقيين مثله وإذا به سمع صوت مشى على ظهر سطح الغرفة ثم رأى قافعة فتحت من السقف وحل دلى منها على شكل سلم فأسرع إلى إحدى الزوايا فاختفى فيها وكانت الغرفة كبيرة جداً لا يظهر فيها النور جلياً وصبر إلى أن يعلم الحقيقة وقد أخذته الدهشة وحسب لذلك ألف حساب وعول أن يوقع بالقادمين أباً كانوا فلا يتأخر عن إتمام أعماله وتعجب غاية العجب عند ما شاهد أنه قد سقط من تلك القافعة على ذلك الحبل فتاة بديعة المحاسن تجعل يدها خنجراً ثم نظر من خلفها فتاة أخرى تزيدها عمراً وهي بنحو الثلاثين من السنين وببد الثانية أيضاً سكين مشهرة ففكر أنه ربما كان قصدها الإيقاع بفرخيزاد ورفيقه فهياً نفسه إلى مفاجئتهما وصبر ينظر النهاية وكانت تلك الفتاة تاج الملوك وقهرمانتها وكما تقدم معنا الكلام أهما صبرتا تنتظران الليل لاتمام ما اتفقتا عليه وكانت القهرمانة تعرف منزلاً لتلك الغرفة يرسلها إلى الأسفل فجذلت لها حبلاً رتبته على ترتيب السلام وبعد نصف الليل سارت مع سيدتها وهي تحمل ذاك السلم إلى أن دخلت غرفة تعلو تلك الغرفة ودنت من تلك القافعة ففتحتها شيئاً فشيئاً فنظرت إلى ضعف النور وإلى الأمراء وهم ملقون إلى الأرض فقالت لسيدتها هو ذا القوم نيام فلنطلب من الله المساعدة ونزل إلى الأسفل ومهما شاء ربك فعل فقالت أفعلي ما بدا لك وللوقت ربطت في الأعلى طرف الحبل ودلت إلى الأسفل ثم نزلت تاج الملوك ومن خلفها القهرمانة حتى انتهتا إلى الأرض واستقرتا عليها ونظرتا إلى النيام فوجدتا اثنين منهم قد ذبحا جديداً والدم يتدفق من زواريدهما وقد فصلت رؤوسهما عن جسديهما والروح لا تزال تحبب فيهما فجمدتا وارتبكتا في أمرهما وقالت تاج الملوك ماهذه الحالة ومن ياترى قتل هذين الأميرين ولم يعد في إمكانهما أن يجريا أمراً لأن تاج الملوك وإن كانت من قوة القلب والبسالة على جانب عظيم وقد هون عليها عشقها ركوب هذه الأخطار والنزول إلى ذبح ١٣ أميراً في وسع كل منهم أن يدفع عن نفسه منها فلا يمكنها من الوصول إليه إذا كان مستيقظاً إلا أن ضعف القلب البدسي في جنس النساء عن تأثرهن لدى مشاهدتهن مثل هكذا مشهد مريع أضعفها ورفيقها وخافتا من أن يكون أحد يرقبهما لأن ما فعل تلك الافعال إلا من قادته الحوادث ارتكابها رغماً وأنه فعل

ذلك في الحين ثم نظرت تاج الملوك إلى الأسيرين فوجدتهما قد توسدا الأرض وهما يصفحان نور أوبهاء فكادت تصرخ من انشاعها وقالت لقهرماتها انظري يا قهرماتي ألا يحق لي أن أفادي نفسي لأجل حبيبي هذا الذي علقت به من نظرة واحدة فقالت دعي هنك يا سيدتي قولك الآن وتجلدي فانا ماجئنا إلا لقضاء غرض مهم فلاح بهروز بعض الحقيقة وقال لا ريب في أنهما قد جاءا لخلاص فرخو زاد وخورشيد شاه ويظهر أنهما في حالة غرام ولذلك دنا منهما بتأن شيئا فشيئا إلى أن نظرناه فارتاعنا منه وخفقت قلوبهما وخارت قواهما وارتخت أعصابهما وكادت اتفعا إلى الأرض ولم يبادر إلى تطمينها بصوت بشوش رطب وقال لها لا تخافا ولا ترتاعا فاني مساعد لكما معين لمقصدا كما فاطهرا إلى الغاية التي جئنا لأجلها . فما أجابناه بشيء بل بقينا واقفين كالاصنام لا تبديان حراكا ولا تقوهان بكلام . فقال لها قلت لكما لا خوف عليكما من شيء . وإلا فاني لا أترككما تذهبان من هنا قبل أن أعرف مقصدا وأريدكما ابضا حيا بان أعرفكما بنفسي فانا بهروز عيار فيروز شاه بن الملك ضاراب وقد أخذت على نفسي المهدة بأن أخلص سيدى فرخو زاد بن فارس بلادنا فيلزووروفيقه أيضا وهو خورشيد شاه بن عمه الملك ضاراب الذى أشرتما إليه ولذلك كنت كواحد من هؤلاء الامراء وهم بأجمعهم يظنونني بعثت من قبل الشاه سرور للحفاظ معهما ولم تسمح لي الفرص أن أفى بتعهدي إلا هذه الليلة وقد بدئت بالعمل وقتلت اثنين من الامراء ومممت بقتل الباقيين وإذا بكما قد فتحتما النافذة فاخبتت منكما حتى عرفتما الحال وشاهدتما المقتولين ولذلك لم يعد في وسعي أن أبقيكما خوفا من ظهور أمرى فاطلعاني بالعجل على سرى ولا تكذبان على بشيء.

قال فلما سمعت تاج الملوك ما سمعته من بهروز كادت تطير من الفرح وأعظم فرحها أن من أحبته ومالت إليه هر من أكابر عائلة الملك ضاراب . ولذلك لم يعد في وسعها أن تخفى عنه أمرها وتأكد لديها أن الصدف تخدعها وأن التوفيق مصعبها فقالت له انى أطلعك على واقعة الحال ولا ريب في أنك تصدقنى وذلك انى بنت المنذر وقد سمعت أن الخضر يدور بأسيرين من أسراء الفرس مرسلين إلى مدينتنا فنظرت من النافذة بينما كانا تحت قصرى فوقمت عيني على هذا البدر الذى دعوته خورشيد شاه قالت إليه نفسى وتعشقت بالرغم عن إرادتى ولم يعد لي من صبر قط عنه فدعوت قهرماتي وأطلعتهما على حالتى وشكوتها عشقى وسألتهما تدير واسطة الخلاص فلم نرى إلا أن نزل من هذه القاعة بينما يكون الامراء نيام فتدبهم ونخلص الأسيرين ونرجع إلى القصر ومن ثم يخرج من المدينة بعد أن نأخذ ما نحتاج إليه

وتبعد عن هذه الديار وترك أمهرنا بعدئذ إلى تدبيرهما . ولما صرنا داخل هذه الغرفة أخذتنا الحيرة لدى مشاهدتنا هذين الأميرين مذبحين ولم نرقط أحدا مستيقظا والآن قد عرفنا حق المعرفة أنك بهروز العيار وما سخرك الله إلا لقضاء مصلحتي وإتمام مرغوبي . قال اني أعلم جيدا أنك بنت المنذر انما لا أرى شاهدا يدلي على صدق حبك . خورشيد شاه وأنت لا تخونين عملنا . فقالت كيف لا ترى شاهدا وأكبر شاهد هو نزولي إلى هذا المكان وغاطرتي بنفسى بين قوم لا أعرفهم وما ذلك إلا من عظيم حبي وعشقى له . قال ان كنت كما تزعين أنك جئت لأجل ذبح هؤلاء الأمراء فاقدمي اذن على هذا العمل أماى واذبحي الباقيين فانهم مبنجون لا خوف من استيقاظهم وانتباههم وبذلك ثبت عندى أنك أتيت لهذه العاية فتممتها وذبحت يديك أعداءنا قالت على عينيك يا بهروز انما أيقظت على محبوبى ليرى بعينه ما أفعل له بأعداء قدينا من خورشيد شاه وفرخوزاد وأيقظهما فاستيقظا وقالا بدھشة أين الخلاص يا بهروز قال قد وقع ثم نظرا إلى تاج الملوك وجاربتيا فاندھشا من جمالها المفرط ووجودها فى ذلك المكان ولا سيما خورشيد شاه فانه مال اليها وأحبها كما أحبته وقال لبهروز من هذه ومن أين أنت . قال سوف تعلم انما انظر الآن ما يكبرن من أمرها . ثم تقدمت تاج الملوك من الأمراء وأخذت خنجرها يدها وقد اشتدت قواها وفرحت غاية الفرح وسرت مزيد السرور لأن حبيبها يشاهد عملها ويعلم أن ذلك لأجله وابتدأت تنحر الأمراء وكلما قربت من واحد فصلت رأسه عن بدنه حتى ذبحت الجميع وقد تلوثت بالدم من رأسها إلى قدمها وفى الحال دنا بهروز من فرخوزاد وخورشيد شاه فقطع رثاقهما وقبدهما وقال لهما هذه تاج الملوك بنت المنذر قد جاءت لخلاصكما فتقدمامنهما وسلمتا عليهما وشكراهما على معروفتها معهما فما صدقت أن سمعت كلامهما وعولت أن تبيح بغرامهما خورشيد شاه وتشكوا له ما لحق بها من حبه حالما نظرتة وهو مأسور غير أن السرور الذى طفق على قلبها حال دون ذلك فلم تقدر أن تحجب بكلمة بل تساقط من عينيها دموع رقيقة برهنت هما دعاها إلى هذه المخاطرة

وفى الحال قالت القمرمانة وقد قصرت ذلك المشهد تخفيفا على مولاتها من المصائب هلوا بنا إلى قصر مولاتي حيث هناك يمكننا أن نتفق على رأى فيه . النجاح فان الوقت قصير والامر خطير وعدونا كبير وفى الحال أخذت تاج الملوك من يدها وصعدت بها السلم وصعدت من خلفها خورشيد شاه وفرخوزاد وبهروز ولما صاروا على ظهر الغرفة أقفلا القاعة وساروا إلى دهليز طويل انتهوا منه الى دار سبعة وهى دار القصر ثم صعدوا أيضا بسلم آخر مؤد إلى أعلى طابق فى القصر وهو

مقام تاج الملوك فدخلوا مقصورتها وجلسوا في مراتب معدة للجلوس ولما استقر
 بهم المقام قالت تاج الملوك لخروشد شاه لا تعجب منى ومن عملى ولا تستخفى إذا
 ذكرت لك حى وما لحق قلبى من جرى نظرى إليك النظرة الأولى على أنى كنت
 خبل أن أراك لا تبيل نفسى قط إلى الزواج ولا أرغب فى أن أملكها لأحد وطالما
 رددت خطابا وطلابا وقد أجهود أنى نفسه دون حصوله على جدوى ولم يقدر أن
 يقنعنى بقبول من كان يرغب أن يزوجهم فى وكان أمرى يبدى لآنى وحيدة له ولما
 رأته عيني ولم أكن أظن أنك تفنك بقلبي هذا الفتك بل قصدت أن أخرج على
 رجال العجم . غير أن الله قادك إلى لسعادتي وحاولت أن أخفى عن قهرماتى حاله حى
 فلم أقدر ولم أكن أعهد أن العشق يصل بالانسان إلى هذه الدرجة وبعد ذلك
 اتفقت مع قهرماتى أن تسعى بخلاصكما وتخرج من المدينة فجعلنى غرامى أن ألقى
 بنفسى فى نصف الليل إلى أعماق هذا القصر بين جماعة غرياء الديار ولنا كدى أنى
 لا أنال مرادا إلا باعدامهم فتبدير العناية قد وصلت إليكما وكان بهروز العيار قد
 سهل لى طرق مساعى والحمد لله فكل شىء موفق ولم يعد بهمنى إلا شىء واحد وهو
 أن تقبلى خادمة لك أمينة على حيك وأن لا تبعدى عنك مادمت حية وها أنا بين
 يديك أسيرة مطروحة على أقدامك لا أريد منك إلا كلمة واحدة تنذر اما بموتى
 واما بحياتى ولا تحسب ذلك منى وقاحة فانى أنكلم عن صفاء نية إجابة لتطلبك قلبى
 الذى لم يعد فى طاقى أن أدفع عنه ثقل هذه الضربة إلا بموافقتك والتفاتك
 ورضاك . ثم رمت بنفسها على أقدامه تعقبها فتحركت منه عواطفه لنحوها وقد تقدم
 أن حالما رآها تحركت فيه شعائر حية لأنها كانت بديعة بمحاسنها يندر وجود مث لها
 بين بنات عصرها ولذلك دنا منها ورفعها وقال لها طيبى قلبا فانى بحبك إلى سؤالك
 ولك فى قلبى فوق ما فى قلبك وقد مالت نفسى إلى حيك كل الميل ولا بد لى من
 اتخاذك زوجة عندما يجمعنى الله بقوى وبروق بالى ويتزوج فيروز شاه بعين الحياة
 لأن لا أحد منا يرغب فى أن يجرى زفافه على فتاة قبل أن نرى فيروز شاه زوجا
 لعين الحياة فهو فخرنا وتاجنا وسيدنا وقد وقفنا أرواحنا فى سبيل خدمته وقضاء
 مصلحته . فما صدقت تاج الملوك أن سمعت هذا الكلام حتى وقع على قلبها أشهى من
 وقوع العافية على بدن العليل ولم تعد تعرف لكثرة فرحها بماذا تجيبه أو بماذا تكافئه
 على قبولها فبقيت صامدة إلى أن قال لها وإنا لا ننسى معروفك معنا وجميلك إلينا
 وقد خاطرت بحياتك من أجلنا ورمت بنفسك ضمعا بخلاصنا إلى وهذه الفضيحة
 وركوب الشار ولو عرف الأمراء بخبرك لأطلعوا عليه الشاه سرور والمذكور لا بد
 أن يخبر أبالك على إهانتك واحتقارك عندما يعلم أنك سمعت إلى خلاص أسيريه .

فأجابت أني لم أفعل إلا ما هو متوجب علي وما سمعيت إلا بصالح نفسي لأنني تأكدت أن كنت أحصل عليك أكون قد حصلت على كل السعادة وتلت درجات الراحة والمجد التي لم تتلها قط بنت من بنات عصرى . وإذا ذاك قال فرخوزاد أننا لانضيق لك معروفا ولا بد من قرانك بخورشيد شاه لأنه حتى الساعة لم تعلق نفسه بحب فتاة وقد صادفك ولا أظن أنه يهتدى إلى من هي أحسن منك غير أنه يجب أن ننظر في الأهم ونرى في تدبير أنفسنا قبل فوات الفرصة وضياح الوقت ونحن الآن لانزال في خطر محقق بنا وحتى الساعة لا نملك سلاحا ولا يمكن في الصباح أو ما بعده أن تأتى عساكر البنين وليس في طاقتنا أن ندافع مثل هذا الجيش دون أن يكون لنا من حصون هذه المدينة حامية يدافع عنا وعننا . قالت وأى تدبير أوفق من المسير إلى بلاد البنين والاجتماع بقومك فيها بنا نسير في هذا الليل نفتح أبواب المدينة بالرغم عن حراسها ونخرج قبل وصول الصباح ونسير على غير الطريق المستقيم . قال فرخوزاد ليس ذلك من الصواب فإني لا أوافق على الخروج من المدينة وجل ما أرغبه أن أتملك المدينة وأتسلط على أسوارها وأدافع فيها عند ندوم الشاه سرور لينتنا يدركنا الملك ضاربا لأنى أعلم أن الشاه سرور إذا فر من وجه الملك ضاربا إلى مصر لا بد لله من أن يثاره بدد أن يجمع شتاته فلا يتركه دون أن ينتقم منه ويجهده على أن يزف بته على ابنه . قالت أخاف أن يكون في ذلك صعوبة كلية لأن أبى قد أقام على المدينة قبل ذهابه منها حاكما يقال له الأمير بدر وقد ترك معه ألفا من الحامية تحمى المدينة وتحافظ على أسوارها . فقال هل لا يوجد أكثر من ألف فارس في المدينة قالت كلا لا يوجد أكثر من ألف نفر مع الأمير بدر . قال ان ذلك حين فإن كلا منا يقدر على أن يأتى ألف والى فارس فأطلب اليك أن ترسلنى في الصباح إلى الأمير بدر أن يأتى لمواجهةك فنعرض عليه الطاعة فإن اجاب وسلمنا المدينة أبقينا عليه وإلا قتلناه واستلناه في عاجل الحال . فاجابته الى ذلك

وبينا كان الحديث متبادلا بينهما كانت القهرمانة قد هيأت صفرة الطعام ورتبت ورتبت مائدة الشراب واحضرت كل ما يحتاجون اليه فدعتهن إلى مباشرة ذلك فنهضوا اليه جميعا جلسوا يأكلون من تلك المأكلة الفاخرة وكان فرخوزاد ورفيقه من مضى ايام كثيرة لم يبلتذ بأكل ولا شرب فأكلا يشوق زائد وبعد فراغهما قاما مع تاج الملوك الى معاينة الشراب وهم في غاية ما يكون من الامان والاطمئنان ينظران الصباح وبعد ان جلسا اخذت تاج الملوك في ان تعاطيها من تلك الخمرة المعتقة وتناشد خورشيد شاه الاسعار وهو تائه ببحر من الغرام قاده اليه وقائع الصدف وكلما نظر الى وجهها يشتد به وجده ويتزايد حبه وينمو غرامه ويتمنى أن يبقى على

تلك الحالة طول حياته لو أمكنه لأن لا شيء أذ على العاشق الوطان من استماع الفاظ من أحبه وشكواه له بأنه مثله هائم وأنه يمتنى ما يمتناه ولا أحب على قلبه من أن يرى محبوبه ساع إلا التقرب منه والاجتماع به يسهل الطرق ويزيل المصاعب وكانت تاج الملوك مثله ترى ما يراه وقد يسرها كلها رآته محققا بها متشوقا إليها ملتذا بحدِيثها مسرورا برؤيتها . وبعد أن صرفا نحو ساعتين تقرّبا على تلك الحال لعب بهم النعاس وكان لم يبق للصباح إلا نحو ساعتين أيضا قاموا وأقامت القهرمانة حراسة عليهم وقد رفعت ماعلى الموائد وانتظرت ذهاب الليل إلى أن رحل وجاء نور صباح اليوم الثالث فاستيقظتهم من نومهم وأعلنت لهم وصول النهار فهبوا وهم نشاوى من خمرة الليل ففسلوا وجوههم وجلسوا ريثما استراحوا ثم طلبوا أن تبيى لهم القهرمانة سلاحا وجوادين وتحفظهما عندها ففعلت وطلبا من تاج الملوك أن تستدعى الأمير بدر ليعلما ما يكون من أمره فأجابت إلى ذلك وأرسلت أحد خدمها أن يدعوها إليها ولم يكن إلا القليل حتى حضر فشاهد عندها الأسيرين فأخذته الدهشة وأعجب به العجب إلا أنه صبر ليعلم ما يكون من أمر تاج الملوك ويعرف بأى طريقة تخلصا فسلم عليها وسألها حماتريد فقال له فرخزاد اعلم يا بدر أنى أنا فرخزاد بن يلزور البهلوان أعظم رجل فى بلاد فارس بعد الملك ضراب ورفيق فيروز شاه وأعز الناس عنده وهذا خورشيد شاه بن عم الملك ضراب وسيد قوم وقائد جيش والذي تراه أمامك أيضا هو بهروز العيار الذى سعى فى خلاصتنا وإن قلت كيف سعى أخبرك أنه من حين خروجنا من اليمن اختلط بين الأمراء كواحد منهم وأقام معهم على حراستنا ولم يعرفه أحد منهم إلى أن وصل إلى هذه الديار وخلا له الجو فذبح الأمراء عن آخرهم وخلصنا من ذلك الأسر وما أننا قد ملكنا سلاحنا وعادت إلينا الحرية ولما أتينا إلى هذه السيدة الكريمة قبلتنا بكل رغبة وطاوعتنا إلى طلبنا ولذلك دعوناك إلى أن نعرض عليك أمرا فيه الخير لك وهو أن تقم على طاعتنا وتنزل العلم النبى عن أسوار المدينة وترفع العلم الفارسى فتنازلنا الخير والثناء وإلا فتنا نحن وحدنا قادرون على استلام المدينة بالرغم عن كل ممانع ومدافع ولا يترك ما عندك من الجيش القليل فانتا بساعات قليلة نبيده واعلم أن الشاه سرور ما قدر على أسرنا إلا أراكن لنا ونحن على غير انتباه مائة ألف فارس وكان فى وسعنا أن نلقاهم أياما لو لم يقتل جوادنا فانظر الآن فى نفسك وأجب إلى ما نسألك فيه وإلا فاخلع نفسك فقيم غيرك مكانك ولا تطعمك نفسك باتيان الشاه سرور وسيدك المنذر والجيش النبى فانهم سيأتون هذه الديار فارين من وجه الملك ضراب وأحوا لهم غير منتظمة ولا بد أن يكون فى أثرهم الملك ضراب فاذا وصلوا إلى هذه المدينة ووجدوها قد خالفت

عليهم يسرون في طريقهم ولا يلتفتون اليها خوفا من أن تدركهم عساكر الفرس . فلما سمع الأمير بدر هذا الكلام أطرق برهة إلى الأرض ثم قال إلى فرخوزاد إنني أجيئك إلى ما تطلبه وما أنا ذاهب لآتينك بمفاتيح البلد وأحضر اليك أيضا العلم البني تحرقه بالنار وتفعل بعد ذلك ما يحظر لك فكننا تحت أمرك . ففكره فرخوزاد وخرج من القصر وبعد خروجه قالت تاج الملوك اعلوا أن الأمير بدر موصوف بالمكر والغدر خلا بد أن يذهب ويأتي بالعسكر وفي نيته أن يقبض عليك ويردك إلى الأسر وهو محب لآتي ويطلع نفسه في فلاهون عليه أن يراني قرية من خورشيدشاه فيجب أن تكونوا على استعداد لرى بعد قليل ما يكون من أمره . فقال بهروز أني سأذهب إلى خارج القصر أنتظر قدومه فإذا فعل كما أشار وشاهدته آت بمفاتيح المدينة والقلاع تركته يدخل وإذا شاهدته قد عاد ومعه عسكر دخلت عليك ونهتكا نخرجان إليه قبل أن يقرب القصر ويمسك بابه قالوا أحسن يا بهروز ونظرت مريض النظر فأقام بهروز عند الباب وصبر نحو ساعة من الزمان وإذا بالأمير بدر قد عاد ومن خلفه العساكر والابطال إلا أنه لما مضى من عند فرخوزاد كان قلبه مملوفا من الحنق والغيط وما رعد بالطاعة إلا وفي نيته أن يجمع العساكر ويرجع اليهما فبعدهما إلى السجن ويمسك تاج الملوك عنده إلى أن يأتي أبوما فجمع أعيان المدينة وأطلعهم على الواقع فمنهم من وافقه ومنهم من أشار عليه بقبول طلب فرخوزاد وقالوا له إن البلاد الآن خرجت من يد لشاه سرور ولا بد للملك ضاراب أن يأتي هذه البلاد فتكون في نعمة عظيمة فلم بطعهم بل ذهب إلى القلاع وأخذ من فيها من الرجال وأمرهم أن يستعدوا للقتال وسار بهم على عجل وفي نيته أن يقفل باب القصر ويبقى الجميع داخله ويحماطه بالعسكر إلى حين مجيء المنذر والشاه سرور وظيفور فيرون عيانا ما كان من خيانة تاج الملوك ويفعلون بعد ذلك ما يرومون في الأسيرين وقبل أن يصل من القصر شاهده عن بعد بهروز فأسرع وأخبر فرخوزاد وخورشيدشاه فمضا كالأسدين وقد طلب خورشيدشاه إلى تاج الملوك أن تقف في نافذة القصر وتنتظر إلى قتاله وقد تصدع قلبه لما رآها تذرف الدمع من عينيها وطمنها وطيب خاطرها وقال لها لا تخاف فسوف تشاهدين بعينيك صدق ما أقوله لك فليس في مدينة أليك من يقدر أن يلقانا في حرب وقاتل وكفانا فخرا أن يقال أننا من رجال فارس وأننا ننسب إلى فيروزشاه عروس الميدان وسيد فرسان هذا الزمان . ثم اتحدرا إلى الخارج فوجدا الأمير بدر قد وصل إلى قرب القصر ومن خلفه العساكر والابطال وقد قوموا الرماح وأندفقوا من كل ناح وفي الحال صاح خورشيدشاه وحمل وهو كاللبث الكأسر وكذلك فرخوزاد أضلق لجواده العنان وخاض ذاك البحر المتلاطم

بامواج الفرسان . فأبلاهم بالذل والهوان . وأنزل عليهم سهام البلايا . وقدمهم لأفrend سيفه ضحبا . ومال فيهم ذات اليمين وذات الشمال . ميلان أسود الدحال . وأما خورشيدشاه فانه نظر الى تاج الملوك وهي في نافذة القصر مصفرة الوجه باكية العين فاشتدت قواه وطلب أن ينقلها من تلك الحالة إلى حالة فرح ومسرة ويغير عنها حزنها عليه بسرورها منه فجود الطعن في صدور الرجال . وأكثر الضرب في رؤوس الأبطال . وكان كأنه الباشق وهم من أمامه كالخجل . فما حمل على فيئة إلا ومالت بين يديه . وقصدت الاخفاء عن عينه . ولازال القتال يعمل . والدماء تبذل . والرجال تقتل . وسلمان الموت يفعل . حتى قل عدد الأعداء . واغتالتهم المنية . وحكم فيهم حاكم البلاء فأنفذ فيهم نافذات الرزية . فتأخروا الى الوراء طمعا بالخلاص . ورجاء أن يجدوا الى طريق السلامة من مناص ولما رأى الأمير بدر الى تلك الحال . وشاهد ما حل بهساكره من الوبال . صاح فيها ليثبتها في القتال . وفاجأ خورشيدشاه . وفي نيته أن يعدمه الحياة . وقد كدره ما رآه من تاج الملوك تنظر اليه في النافذة وتصيح فرحة من عمله وذلك أنها في بداية القتال كانت خائفة كل الخوف على حبيبها لأنها كانت تتردد في نجاحه ونجاح رفيقه وفكرت أنهما وإن كانا من الفرسان المعدودين إلا أنه لا يرجح أن اثنين غريبين يقويان على ألف فارس في بلادهم وربما قامت الاهالي معا ولذلك كانت باكية نائمة الا أنها لما شاهدت فعلهما سرها غاية السرور فانسع صدرها من الفرح وكانت عينها لا تفارق خورشيدشاه كيف مال وهي ترى الى ضرباته تخرق صدور الرجال فتددها الى الارض وبجبت منه ومن عمله وأخذت تصيح داعية له بالنصر والفوز وهي تقول له لاشلت يداك يا فارس الممارك وليث المعامع فمثلك تكون الفرسان والافلا وبمثلك تفتخر تاج الملوك بين ربات الحذور قبلك الله منك ونصرك على أعدائك ولا كان من يطلب أذاك ولا يرضى برضاك . قال وكان كلما سمع منها مثل هذا الكلام . يزيد بالبسالة والاقدام . ويهجم كأسود الآجام . الى ان التقى بالامير بدر وقد رمى بنفسه الى قتاله طمعا بالفوز عليه . وايصال الاذية اليه . وليلذ تاج الملوك ويربها ما يحل بحبيبها الا أنه ما جال معه جولة واحدة حتى صاح فيه فخبله وامطلى سيفه وضربه به ضربة قوية . وقال بملء صوته انظري يا تاج الملوك ما حل بهذا الصلوك . فقد جاء يوم أجله . وأن أوان مرتحله . وأرسل بالسيف يهوى فوقه على قمة رأسه فشقته الى تكة لباسه وانطرح الى الارض قتلا . وبدمه جديلا . فزغرط له تاج الملوك وكادت ترمي بنفسها عليه من فرحها به وأما رجال بدر فشاهدوا ما حل به وكيف وقع قتلا الى الارض فصاحوا وطلبوا الامان ورمو

[٤ - فيروز ثاني]

بأنفسهم إلى الأرض وتركوا سلاحهم وتقدموا صاغرين ونادوا باسم الملك ضاراب وقهرور شاه فلما سمع فرخوزاد نداءهم كفف عنهم وقال لهم هيا اسرعوا أمامي إلى جهة أبواب المدينة فاقبلوها وسلووا المفاتيح وبعد ذلك ننظر بأمركم فاساروا أمامهما إلى الأبواب فقفلا فرخوزاد بيده وأخذ المفاتيح وعاد إلى قصر تاج الملوك فدخله مع خورشيد شاه بعد أن أماما بهروزا على الباب كالخارس ودخلا على تاج الملوك فتلقتهما بالأكرام وأظهرت لهما مزيد فرحهما ومن ثم سألاهما عما إذا كانت تريد أن تقيم على المدينة حاكما خلاف الأمير بدر لاسهما لا يعرفان أحدا ولا يستخلصان أحدا فقات لابد من ذلك وإن أمية من وكيل أشغالي ومدير قصرى ناصر الطائفي وفيه الكفاءة لأن يحامي على الأسوار إلى أن يأتينا الملك ضاراب .

وفي الحال دعت بناصر مدير القصر وقالت له إنى لما كنت أمية منك مسرورة من أعمالك السالفة وقد خدعتني بكل جد واجتهاد عن صدق نية وصفاء باطن وكان من الواجب أن أكافئك على سابق خدمتك الصادقة فصدت أن أقيمك حاكما على المدينة متصرفا بأمرها ومتى جاء الملك ضاراب طلبنا إليه أن يقر على حكمك هذا فتصبح من الأمراء الذين يحق لهم التظيم والأكرام فاختر لنفسك قرادا ومديرين وأقم على الأسوار حتى إذا جاء الشاه سرور وطيدور وأبى أخبرتهم بواقعة الحال فإذا قصدوا الدخول جبراً مانعت حق الممانعة ودافعت حق الدفاع إلى أن يجيء الملك ضاراب لأنه لابد أن يكون في أثرهم وسد ذلك فإن الشاه سرور إذا قصد حصار المدينة بعثنا برسول إلى بلاد اليمن وأعلمنا الملك ضاراب فيبعث إلينا بالعساكر والفرسان وعلى كل حال فإن أموراً مائلة إلى الدجح رايك من المخالفة فإن أى ذا دخل المدينة ووافقته أنت ينزع عنك هذه الأمور به ، ربما أدلك وقهرك فلا تضل عنك هذه الفرصة ونخسر سعادة بعثنا إليك الله سبحانه وتعالى . فلم يصدق ناصر هذا الكلام وقال لها أصحح ما تقولين قالت بدور ريب وها فرخوزاد وخورشيد شاه قد أقامك أيضاً وأعهدا إليك بالولاية وسألاي أن أبلغك ذلك فقال له فرخوزاد سر من هذه الساعة ولا تنهمل بأمر المدينة وخذ تدبير أمرك وتتم عملك بهذا اليوم لا راساه سرور قريباً يكون هنا وإياك من الجن والخوف هاك قد رأيت منا ما رأيت ، أننا بحوله تعالى أما وخورشيد شاه قادران على أن نحارب جيش اليمن أشهراً وأماماً إلى أن يأتينا الفرج وتصل إلينا عساكرنا ورجالنا . قال سوف ترى ما يسرك فاني أمدى بنفسى في سبيل خدمتك وفي تلك الساعة وصل جماعة من أعيان المدينة إلى قصر تاج الملوك واستأذنوا بالدخول عليها وعلى فرخوزاد ، أذنت لهم فدخلوا وطأوا لآمان على أنفسهم وأموالهم فقال لهم فرخوزاد لا خوف عليكم وأنتم تلبون عدل الملك صا . ب

وجهه لرعيته ولا تخافكم أن الشاه سرور بعثنا أسارى الى هذه المدينة وفي نيته أن يتبعنا قارا من وجه ملكنا ورجلانا وبعده به هذا نصيح البلاديدنا ولا بد أن يكون الآن آت على الطريق وقد ترك بلاده فاستولى عليها الملك ضاراب . وعلى كل فأتتم أصبحتم من أباعه لان الطائف على الدوام تتبع لتعزاء اليمن فمن ملك تلك ملك هذه قالوا اننا نعلم ذلك ولا جله جئنا اليكم مستجيرين مظهرين طاعتنا وانقيادنا اليكم ونعلم أن الملك ضاراب هو الآن ملك البلاد وسيدها ثم قال لهم ان جل ما نطلبه منكم أن تبقوا على أعمالكم وأشغالكم وقد أقامت السيدة تاج الملوك عليكم حاكما ناصرا الطائفي فوافقتنا على ذلك ونريد أن نطيعوه وننفقوا اليه كطاعتكم للبندر فأجابوا بالسمع والطاعة . وبعد ذلك خرجوا مسرورين وشاع في المدينة تعيين ناصر وأنه أصبح صاحب الامر والنهي وأن ولايته من قبل الملك ضاراب فما منهم من كره ذلك بل سر به الجميع طمعا بالامن والراحة وقد ثبت لديهم أن لا رجاء بعد بالشاه سرور . وأما فرخوزاد فإنه ذهب الى الاسوار فتفقدتها ونظر الى من عليها وأخذ المهد على الجميع وأوصى ناصرا بالانتباه واليقظ وأن يحضر الشاه سرور والمندربان المدينة بيده ويد خورشيدشاه وأن جميع من فيها طائعون لاوامر الملك ضاراب ورجع الى قصر تاج الملوك فوجدتها جالسة مع خورشيدشاه يتشاكيا كان لوعة الغرام وبعدان أنفسهما بمستقبل حسن ويشكران الله على هذا التوفيق الذي حصل ويمدحان من حوادث الزمان كيف أوصلتها الى بعضهما على ميعاد فأنتجت بعد العذاب هناء واستخرجت من التعب راحة ومن الشقاء حياة وكانت القهرمانة قد أحمت حمام القصر ودعت فرخوزاد وخورشيدشاه للاستحمام والاغتسال من أقدار الدم الذي لحق بهما من جرى القتال فاستحم كل منهما بدوره ونزعا عنهما ثيابهما ورجاءتهما بثياب نظيفة وقد أجهزت نفسها في مرصاتها املا بما وعدتها به تاج الملوك من سعادة الاستقبال وحبا بسيدتها وبعد ذلك جلس كل منهما في غرفة تاج الملوك فأتتهم بالطعام الذي كانت قد هيأته وهو يختلف الاثران فأكلوا وهم آمنون من حوادث الدهر وغدرة لار المفااتيح كانت معهم وهرورز سهران على راحتهم ولم يعد في المدينة من يعصاهم أو يخالف لهم قولا وبعد أن نهضوا عن مأددة الطعام احضروا بواطي المدام وجلس كل الى ناحية فأخذت تاج الملوك قدحا من زجاجة مملوءة من آخر الجيدة المعتقة اللذيذة الصافية اللون الموصوفة بما يأتي :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| راح اذا ما الراح كن مطيها | كانت طايا الشوق في الاحشاء |
| عنية ذهينة سبكت لها | ذهب المعاني صاغة اشعراء |
| صعبت وراض المزج سى خلقها | فتعلمت من حسن خلق الماء |
| خرقاء يلعب بالعقول حبايا | كثلاعب الافعال بالاسماء |

وضعية فاذا أصابت فرصة قتلت كذلك قدرة الضمضاء
 جهمية الاوصاف إلا أنهم قد لقبوها جوهر الاشياء
 وكان بهجتها وهجة كاسها نار ونور قيما بوعاء
 أو دوة يعضا بكر أطبقت حملا على ياقوتة حمراء
 يخفى الرجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير وعاء
 ولها نسيم كالرياح تنفست في أرجه الأرواح بالأنداء
 ونارته إلى خورشيد شاه وسألت أن ينشدها شيئا من الشعر فأخذه من يدها وأنشد
 بروح ساق قد جلى تحت فرعه حينما كبر الهم عند شروقه
 سقاني بنجلويه كأسا من الهوى فأسكر في أضغاف سكر حقيقه
 وقال اخترع بكر المعاني تفرلا فلي منظر يهدبك نحو طريقه
 فوجهي مثل الروض ان باكر الحيا جنى أفاقه وغض شقيقه
 وإن أشبه التفاح خدى حمرة فلي نوتة تمحكي مناسط عروقه
 وبعد أن أنشدها الشعر شرب بصحتها ثم سكب في القدح خمرأ وأعطاهم إياه
 وسألها أيضا أن تنشده ما يحضر في بالها فأجابته بكل قبول وأخذت الكأس من يده
 بقلب مملوء من الفرح وأنشدت :

قدم الراح يا ندي ليلى أعقر الهم إن شربت العقارا
 واجل كاساتها على وزمزم باسم من صير العقول حباري
 قهوة مثل دمة العين في الكا س صفاء فالليل زاد اعتكارا
 وأدرها إذا النجوم تجلت وشهدنا من زهرها الانوارا
 وكان السماء روضة حسن أطلعت في مقامنا أزهارا
 والثرى كأنها في الدجى غي د تلفن بالشعور عذارى
 وكان الهلال يحكي وقد را ح من الغرب زورقا أو سوارا
 فاسقني من يدبك حتى ترى الفج ر عن الصبح قد أطمأ الازارا
 وصل الليل بالنهار فان ميس أهناه ما يكون جهارا
 فاترع الكأس لا عذمتك صرفا فعلى الصرف نصرف الاعمارا
 فطرب خورشيد شاه وفرخوزاد لانشادهما وسرا لفصاحة كلامها وطلاقة لسانها
 وأقاموا على تلك الحال بقية ذلك النهار وطول ذلك الليل وهم لا يعمون الى شيء وقد
 لعبت بهم اخرة ودارت فيهم وتلاعبت وأى تلاعب ولازالوا إلى أن غابوا عن الهدى
 ولعب بهم العباس فناموا في مجالسهم ولم يتمكنوا من القيام إلى أن يشرق صباح اليوم التالي

قال فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الشاه سرور فانه سار مجدا في طريقه وهو بين حالة فرح وحزن فالأول من جرى تخلصه من حرب الأعجام وبعده عنهم ومسيره إلى قوم كان يتصور في ذهنه بما زرعه طيفور في عقله أنهم يعظموه ويبجلوه ويقدره حق قدره ويحموه من كل عدو ألد لأن ملكهم أشد ملوك الأرض بأسا وأكرمهم أصلا وأوسعهم ملكا وأكثرهم جيشا وفرسانا . والثاني من جرى بعده عن وطنه وتركه ملكه وبلاده التي صرف فيها عمرا طويلا وهو على غاية ما يكون من الراحة والعظمة فاخذ الكلمة واسع السلطان مرهوب الجانب بين ملوك الأرض أجمع وبين أمراءه ووزرائه ودام في مسيره إلى أن قرب من مدينة الطائف وكان ثابت في فكره أن فرخوزاد وخورشيدشاه أسيران فيها وقد صمم النية أن يات يوما في المدينة فيأخذهما في طريقه ويرحل في الصباح على مجل لانه كان يخاف من أن يخطر للملك ضارب أن يتأثره فيوقع به وهو على الطريق قبل أن يصل إلى مصر ولذلك كان يسرع في المسير . ولما تبين الطائف عن بعد دعا اليه المنذر وقال له ها قد أقبلنا إلى مدينتك وليس في نيتي أن أبقى فيها أكثر من هذه الليلة فقط فاذهب أمانا اليها وهي . لنا مكانا نبيت فيه هذه الليلة واخرج لنا المؤن الموجودة فيها لنصحبها معنا في هذه السفرة لاننا في احتياج إلى كثرة المؤن قياما بأبدالعسكر وأخرج فرخوزاد وخورشيدشاه ليكونا بين الجيش فانتا الآن في أمان من عيارى العجم ولاخوف من إفلاتهما من أيدينا . قال على الرحب والسعة وانطلق إلى جهة المدينة مسرعا أمام الشاه سرور وقبل أن يدنوا من الاسوارتين عليها راية فارسية وذلك أن فرخوزاد قد خاط راية بلاده ورفعها على الاسوار أملا أن يراها المنذر والآتون معه فيعلبون أن المدينة خرجت منهم ودخلت في طاعة عدوهم وبينما كان فرخوزاد في القصر عند تاج الملوك جاء بهروز وأخبره بقدوم عساكر اليمن فسار إلى أن دخل الحصون وشدد عليها الحصار وأوصى من فيها أن يكون على استعداد وتهدم بهم عدم التراخي وشد أيضا على الأمير ناصر وهو الحاكم الجديد الذي قاموه من قبلهم . وفي تلك الساعة قرب المنذر من الاسوار وشاهد العلم عليها فأخذه العجب واحتار من هذا الامر ودنا شيئا فشيئا الى أن صار تحتها فوجد الرجال وقد أقاموا عليها مسلحون مهأون مستعدون فزاد قلقه ودنا من الابواب فوجدها مقفلة فرجع إلى تحت الاسوار ونادى من عليها أن يفتحوا الابواب فقالوا له لم يعد في الامكان لان المدينة الآن هي في حوزة فرخوزاد وخورشيدشاه لانهما تخلصوا من القيود واستوليا عليها بالسيف بعد أن قتل الأمير بدر الطائفي ، فقال لهم وكيف تخلصا وماذا جرى على الأمراء اليمنيين الذين كانوا على حرامتهم قالوا قد قتلوا جميعهم إلا واحدا منهم كان من

بينهم كحارس وهو بهروز العيار وإنما جل ما نعرفه الآن أنهم متفقون مع بنتك تاج الملك قائمون عندها في القصر ياكلون الماء كل الطيبة ويشربون الخمر المعتقة وهي التي خلصت الاسيرين مع بهروز العيار . قال ولما لا يمكن فتح الباب وهل اتم متفقون معهم قالوا ان مفاتيح البلديد فرخوزاد وهو الآن دائر فوق الاسوار يتفقدوها وقد تولى بنفسه امر المحافظة عليها وكلنا نخافه وليس فينا من يعصى له امرا وقد تهددنا مع بنتك اننا اذا قصرنا في الدفاع عن المدينة اهلكونا وعاملونا بالقساوة ولذلك عاهدناهم اذا طلبتم الدخول عنوة ان نمنعكم وليس لنا الا ان نقوم بهذا التعهد ونفي بقولنا خوفا على حياتنا ولا سيما على ما نظن أنهم قد بعثوا خبرا الى الملك ضاراب يعلمونه بما كان من حالة المدينة ولا ريب انه يبحث بالعساكر اليها وهذا ايضا بما يريدنا خرفا . قال وهل في نيتكم ان ترمونا ببنا لكم اذا قصدنا مهاجمة المدينة . قالوا سترى منا ذلك دون شك فاذا لم ترجع الآن رميناك بالنبال وابعدناك بالرغم وإلا هلكنا عن آخرنا ولحق بنا ملحق بالامير بدر وكيلك على المدينة

فلما سمع المذمر هذا الكلام وقع عليه اشد من ضرب الحسام وكادت ان تنفطر مرارته وعرض على زنوده من الاسف والغبط وتمنى ان يكون قد قتل ولا لحق به كل ما سيمه واكثر غيظه كان من بنته تاج الملك كيف انها غائبة وسعت في خلاص اعداء بلاده ووافقتهم على ايها وكل ذلك لاجل محبتها لهم وتعلقها بهم وتمنى ان يكون وصل اليها لينقم منها ويشرب جرعة من دمه وقد سقطت من قلبه وقلبت محبتها الى بغض وانتقام . ثم عاد راجعا الى ان التقي بالشاه سرور فقال له قد حبطت مساعيها وخسرنا خسارة كبرى . قال انى ارى على اسوارك راية فارسى فما الداعى لذلك وماذا جرى في غيابك قال ان بنتى خانت وعابت على واتفقت مع خورشيد شاه وفرخوزاد وبهروز العيار الذى صاحب الامراء من تعزاليين وهو بينهم بصفة امير لا يعلمون به وقد اقام على الحراسة مثلهم الى ان دخلوا المدينة وبالاتفاق مع نتي محلصا وحاربا بدر الطائفي وكيلي على البلد قتاوه وبددوا الجيش واختاروا غيره واقاموا كما آخر وهو وكيل اشغال بنتى الخائنة واستلموا الحصون واخذوا مفاتيح المدينة وبعثوا بالاجبار الى الملك ضاراب وقد عرفت منهم انهم مستعدون على الدفاع وعاهدوهم الاهالى باجمعهم وانقادوا اليهم فلما سمع الشاه سرور ذلك كادت تنفطر مرارته وتكدر غاية الكدر ومثله طيفور لانه كان يود ان يقي فرخوزاد اميرا اكيدا لايه وقهراله وقال للمنذر ان كل هذه المصائب وصلت اليك بالبيت والزواج فما من نت من بناتنا الا وتميل لرجال الفرس وتتمناهم فكيف خائبات خدعات وحيث الآن قد صرت المدينة فلنسر في طريقنا

ولانخرج إلى المدينة ولا نطمع في حصارها خوفا من أن يدعونا ذلك فيلقينا في المهلك ويمنع عنا
 اتنام المسمى الآخذون الآن بصده فلبق في طرية إلى أن نصل إلى مصر ونجتمع بالوليد
 وهناك يرتاح بالناوهدأ وعنا ونأمن من كيد عدونا ويطشه فأجابهم الجميع إلى طلبه وداووا
 في مسيرهم على طريق وهم في غيظ وكدر من عظم ما سمعوه وشاهدوه في الطائف ولا
 زالوا حتى بعدوا وغابوا . وقد شاهد فرخوزاد مسيرهم فعلم أنهم قد خافوا من
 أنهم إذا حاصروا البلد يتعوقون عن المسير على أنهم هم سائرون هربا من وجه الملك
 ضاراب فلا يمكنهم أن يقاتلوا أو يأخروا عن السرعة والمجلة حبا بالوصول إلى
 محط وصال أمهم وذلك طمعا بالأمان والراحة وإذا ذكر جمع إلى القصر واعلم تاج
 الملوك بما كان من أمر أبيها والشاه سرور ففرحت غاية المرح وزال ما بقلها من
 الحمرم والأتراح ولم يعد أمام عينيها من مكدر يكدرها ونظرت إلى مستقبل حياتها
 بعين الفرح والسعادة وقالت في نفسها قد زالت الأسباب التي كانت تخيفني وها أن
 أني قد بعد عني والشاه سرور ترك حصار المدينة ولم يعد يلتفت إليها قط وقد أبقاها
 لأعدائه وها أن حبيبي في يدي والى جنبي ولم أكن أعهد أن الأيام تخدمني وتصفوني
 إلى هذا الحد ويهتأ لي العيش بأطيب هناء .

وبعد ذلك كتب فرخوزاد كتابا إلى الملك ضاراب وأبى يعلمهما بكل ما كان
 من أمرهما إلى أن أعلمهما بقدم عساكر اليم ورجلها عن المدينة وقال لهما في آخر
 الكلام وها نحن الآن بانتظاركم في الطائف إلى أن تمروا علينا إذا كنتم تقصدون
 مصر وإلا إذا شئتم أتيناكم على جناح الاستعجال واتنام قميمون عند تاج الملوك راحة
 وهناء وقد تشرفنا على أسوار المدينة لرؤية الفارسية ليعلم الجميع أنها تحت حمايتكم
 وانا نشكر بهروز الذي خلصنا بمساعدة تاج الملوك . ولما وصل هذا التحرير إلى
 الملك ضاراب فرح غاية الفرح وكذلك فيلزور وبقية الفرسان ولا سيما فيروز شاه
 لأنه كان بمزيد كدر من أجله وللحال بعث الملك ضاراب بتحرير يأمرهما به أرى يقيا
 في الطائف إلى حين وصولهما لأن في عزمهما المسير إلى مصر ولم يعقهم الا وصول
 مصفر شاه وكرمان شاه ولهذا أقام فرخوزاد وخورشيد شاه في الطائف على حالتهما
 الأولى بين الكاس والطاس والراحة والسرور .

وأما الشاه سرور فإنه لا زال يجد في مسيره عدة أيام إلى أن قرب من مصر ود أمن مدينة الوليد
 فبعث إليه أجبارة قدومه وأنه آت بجيشه وفرسانه مع الأمير خضر سار إلى أن وقف يدي
 الوليد فلغز سالة ولا راعله أنه قرب من جرائمه يتحقق ما كان من الملك ضاراب وهل في
 نيته أن يقصد مصر أم لا فلما علم بقدمه فرح غاية المرح وأمر بيده انديش وزير أن ينهض إلى

ملاقاته بجموع العساكر وأن يكون نزوله الى المدينة باحتفال عظيم فأجاب طلبه وأمر
أن يخرج الجميع أفواجا ونادى المنادى في المدينة أن الشاه سرور قد قدم وعزم الملك
على الخروج فمن منكم كان يرغب في ارضاء الملك فليخرج الى ملاقاته القادمين ولم يكن
الا القليل حتى خرجت المدينة بأجمعها وكلهم بالملابس المزينة وبالآغاى المصرية وخرج
الوليد وابنه ووزيره وسائر أمرائه وخرج الشاه حارث والشاه أسد ملافاة أيهما وبعد
ساعات قليلة اجتمع القومان ببعضهما والتقى الوليد بالشاه سرور فترجلا وصالحا
الاخاء وأمر الوليد ابنه الشاه صالح أن يقبل يد الشاه سرور ففعل دون أن يبدى
كلمة أو يظهر مسرة وبعد ذلك تقدمت الاعيان وسلمت عليه وعلى طيفور وزيره الذى
له موقع كبير عند الوليد لانه كان يعلم أنه السبب الوحيد فى اىصال عين الحياة اليه
ولولاه لما خلصت من فيروز شاه فظهر له مزيد الترحاب والاکرام وبعد ذلك تقدم
خطير وحث الزراب على رأسه وبكى أخاه ولطم وجهه وأظهر الاسف والكندر فتأثر
الوليد من عمله وبكى على خاطر ووعد خطيرا بأخذ ثأرة وطيب خاطره وانعم عليه
وبعد ذلك كر الجميع راجعون والشاه سرور إلى جانب الوليد وطيغور الى جانب
ييدانديش وكل واحد يتكلم مع رفيقه ويستفسر منه عن الحرب وما كان منها وكيف
قدر الانجاء أن يسطوا عليهم وتغلبوا على بلادهم الى أن دخلوا المدينة وتحملوا أسواقها
ثم أتوا دار الحكومة وأقاموا فيها لقبول التهانى كل ذلك النهار وفى المساء ذهب الشاه
سرور مع وزيره الى قصر أعد لأقامتهما فدخلاه ونزعا ما عليهما من ثياب السفر وسدا
دمقهما بالطعام الذى هيأته الخدم ومن ثم قال الشاه سرور الى وزيره طيفور انى
مسرور غاية السرور من الوليد وحبه لنا الا انى غير مسرور من ابنه لانه لا يليق ان
يكون زوجا لبقى ومن الصعب أن نجيب الى طلبه لانها بعد أن شامت فيروز شاه
وعلقت بحبه وعرفت مقدار شجاعته الوحيدة وفصاحته وجماله النادرى المثال لا يمكن
أن توافق على الزواج بالشاه صالح لانه بليد الطباع أبكم جبان شفيح المنظر وقد نقر
قلبي منه غاية النفور فظهر تأله من كلام سيده وقال له لا يليق بك الى هذا الحد أن
تكون ضعيف الرأى والمزيمه قليل التدبير أهل نحن تحت خاطر بنتك فانت أوهاووليها
فمن رضىته أنت تجبر على مرضاته ومن التوفيق العجيب أن يكون ابن الوليد على هذه
الصورة لان بعد آيه لا يحسن الملك فتكون هى السيدة صاحبة النوى والامر ويكون
إذ ذاك لنا أعظم نفوذ فى هذه البلاد على أنها لو تزوجت واخذت فيروز شاه فماذا
يانرى يكون لنا من انفع غير أنها تذهب معه إلى بلاده ولا نعود نراها فيما بعد واما الآن
فانتا نحن أصحاب مصر وحكامها والوليد مسن وقد يمكن أن يتنازل عن الملك فى حال

حياته فندبر نحن أمر ولده ولا ريب مهما قلنا له يفعل حتى ولو سأناه أن يقرن بلاده
ببلادنا لما امتنع ولا يعرف أن يتمتع وبدون شك يكون كأكبر في يد بنك تتلاعب
فيه كيف شئت أو أرادت فدخل كلامه هذا في ذهن الشاه سرور ورآه عين الصواب
وقال له اني كنت غافل عن هذا الأمر فبالحقيقة أن الشاه صالح أوفق من ابن
الملك ضاراب الذي يرغب في أن يقتنع ببقى اقتناص الطيور بالرغم عن وعن
رجال مملكتي .

ثم اتفهما باننا تلك الليلة وهما من الجهل في فرح عظيم لا يعلمان إلا الحالة الحاضرة
الواقعة فيها وقد سرهما جدا معاملة الوليد لها بالأكرام والتعظيم وقد اتفق أيضا أن
لا يوافقان الوليد على زفاف عين الحياة قبل نهاية الحرب وقهر الملك ضاراب وقتل
فيروز شاه وإلا فيكونان قد قدما بينهما ضحية لشناعة ابن الوليد إلى أن يدفعا عداوة
عدوهما ويقهرا . وفي الصباح نهضا من مناهما وخرجا إلى مجلس الوليد فوجداه
معتزا بوزرائه ورجاله الأعيان وكلهم يفحصون عما إذا كان الإيرانيون ياتون ببلادهم
أم لا فلما دخلا ترحبا بهما واجلسوهما في مكانهما وسألها الوليد إذا كانا يؤكدان
مجيء الملك ضاراب إلى مصر أو تبين لهما أنه سيعود إلى بلاده وإذ ذاك نهض الوزير
طيفور وتكلم أمام الحضور فقال لاخفى عليكم أن فيروز شاه ابن الملك ضاراب قد
علق بحب عين الحياة على السباع فطرق ببلادنا وحده لأجل هذه الغاية وكاد يفوز
بنوال مراده من جهة أيها لأنه ساعده بحروبه وقهر له عدوه ورفع عنه أضرارا عظيمة
إلا أنه لم يصبر على نفسه إلى أن يطلبها من أيها أو يسأل أباه أن يخطبها له من أيها
كمادة أبناء الملوك بل تساق السطوح وقصد الدخول إلى قصرها ولا نعلم ما كان في
نيتة إلا أن الصدف لم تخدمه فسكتناه وقد أثر فينا عمله غاية التأثير وقصدنا الانتقام
ولم نكن نعرفه إذ ذاك أنه من سلالة ملكية بل كان يدعى أنه ملوك اشتراه أحد
رجالنا من بلاد اليونان ولما عرفناه أبقينا عليه صيانة للشرف الملكي ولم نرد أن
نسفك دمه في بلادنا وبألقنا كنا قتلناه لسكان سهل علينا من بعده كل صعب ثم
سلمناه إلى الزوج أسيرا فخلص منهم وقتل ما حكمهم واستسلم جميعا فطاعوه طاعة
عمياء وعبدوه عبادة الآلهة وجاء معه إلى بلادنا وكان أبوه قد قصدنا طمعا بخلص
ولده وتزوجه من عين الحياة وهو وحيد وليس له سواء وبعد أن استظهر علينا وأخذ
ببلادنا لا يقبل على نفسه أن يرجع بالحياة ويتخلى عن ولده فيروز شاه ولا ريب أن
ولده سيصر على الاتيان إلى مصر ولا يرعى عن عزمه ولا يترك غيره أن يصل إلى
عين الحياة وسيصير في أثرها أبنيا أخذت ويتبعها أينما أهدت وعمّا قيل ترويه وقد
غشى بحيشه هذه الديار وفي نيتة أن يأخذ عين الحياة ويحرسها للشاه صالح ومن

المقرر أنه ينتقم منه ومن أيهما ومن كل من يرغب في إبعاده عنها ولذلك أرى من المقتضى أن نكون على أبهة القتال وأن لا نتهامل بأمر رجال إيران فانهم جميعا فرسان وأبطال وما فيهم إلا من يلقى الآلاف والالعين وحده إلا فيروز شاه فانه يخاطر بنفسه كثيرا وهو قادر أن يقهر جيشا كبيرا برمته والحق يقال أنه بطل هذا الزمان وسيد فرسانه فحملاته لا تدافع ولا ترد فاذا ضرب حصنا دكة أو جيشا أمله وقد ثبت لدى جميع من شاهد قتاله أنه لا يغلب وأن لا يمكن أن يأتي الزمان بمثله . وكان قصد طيفور بهذا السلام أن يبيح غضب الوليد على فيروز شاه ويؤى من كرهه على هلاكه وأن يأخذ منه حذره ليستدعي بفرسان بلاده وأبطالها . فلما سمع هذا الكلام قال إذن لابد من اتيان الملك ضاراب . قال نعم فانه سيخاطر بنفسه ويأتى إلى هذه البلاد وهو متكل على كثرة عساكره وفرسانه وبالأكثر على ولده وعلى فيلزور حامى بلاده الذى قتل خطيرا ، أحرق قلب أخيه وأولاده عليه .

فقال الوليد انى أزمعت على أن أبعث بالكتب لهماى وأمرهم أن يأتوا إلينا بالرجال والأبطال حتى إذا جاء الملك ضاراب يرانا على استعداد له فنبد بالقتال معه ونعيده على أعقابهم مقهورا ذليلا بعد قتل فرسانه وأحراق كبده على ولده الذى يجهد نفسه برفه على بنت الشاه سرور وهى مخطوبة من ولدى وقد أنعم لى أباهما . ثم انه أمر وزيره أن يبعث بالكتب إلى بر الصعيد وإلى الاسكندرية والقدس والشام وانطاكية وحلب وكل تلك النواحي بأجمعها ويطلب اليهم أن يسرعوا اليه بالعدد ويخبرهم بانه يستعد لقتال الملك ضاراب وابنه فيروز شاه إذ بلغه انه أت إلى بلاده وبعث بالكتب مع الرسل العيارين وأمرهم بالسرعة وان يعودوا إليه على عجل وتفرقوا في جهات المملكة فسر طيفور عند نجاح مسعاه وهنا الشاه سرور بقرب النجاح والظفر وشكروا الوليد على اهتمامه بهم ومدافعتهم عنهم وأقاموا نحوا من اسبوع حتى استراحوا واطمانوا وقد صرفوا أوقاتهم بين افراح وولائم إلى ان كان بعد الاسبوع يوم اجتمع الوليد بوزيره بداندش وقال له هاقد مضى أكثر من ثمانية ايام على قيام الينيين عندنا ونحن لم نبد حركة تتعاق بزواج ولدى ولا ريب انه ينقلب من هواه على نيران الهجر والقتل وهو لا يعرف ماذا يفعل وليس له نصير ينصره غرى واحب أن اسأل الشاه سرور بحضور ولدى ان يهتم أمر الزفاف فان انعم ووافق كان خيرا واقمنا ولائم الزفاف في الحال وإن امتنع الان عن الاجابة فاساله ان يعدنى وعدا صادقا ويشهد عليه انه خطبها من ابنتى وانه برفها عليه عند رواق باله واضمحلال مخاوفه .

قال بيداندش أو سائقى فى الغد منه واطلب إليه ان يحب على سؤالنا واسأل الله

أن يكون ما به الخير والصالح فسر الوليد من كلامه وصبر الى الصباح وهو يريد من كل قلبه إن أمكن اجراء الزفاف بالسرعة الممكنة

وفي اليوم التالي جلس الوليد على كرسي عرشه واحتاط به جماعة الوزراء والاعيان والامراء واذا بالشاه سرور قد جاء وأخذ مكانه مع وزيره طيفور وداريينهم الكلام بخصوص ما كان من أمر الملك ضاراب وما جرى لهم معه وانتقلوا الى حديث طومار وكيف أن فيروز شاه قتله بضربة واحدة نزلت عليه كالصاعقه وقد طال بينهم الحديث في هذا المعنى وإذا بالوزير قد استغنى الجميع فاصغوا اليه ثم قال وقد التفت الى الشاه وقال أعلم أيها الملك المعظم والسيد المفخم صاحب البند والعلم أنه ما كان سبب مجيئك إلى بلادنا وقدمك علينا الا لتبدينتك عين الحياه عن من ابغضته وما رغبت فيه وهو فيروز شاه الفارسي ورغبة منك فينا وفي ازواج بنتك باين ملكها الوليد وحيث الآن قد راق لنا الوقت ولم نعد نرى من مانع يمنع ذلك أريد أن أسألك الابحار بما رغبت فيه ووعدتنا باجرائه وما ذلك الا طمعا بأن يتصل نسبنا بنسبكم فتصبح يد اواحدة وتساعد في السراء والضراء لان هكذا شرط الانساب ولا أظنك ترى عذرا نعتذر به وما أعلمه منك انك تمنى ذلك من كل قلبك ولا نوافق على تأخره فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام وقع عليه أشد من ضرب الحسام وارتاع لسبائه وبجز عن ان يجيب لانه استحي من الوليد ومن الحضور وكان الشاه صالح حاضرا يسمع ويرى وهو لا يبدى اشارة ولا يظهر حركة بل كان مشغول بمسح ما يسيل من أنفه من الخاط بكمه الطويل وأطرق الى الأرض متفكرا فلما رأى طيفور ما حل بسيده من الحياه مع علمه أنه لا يمكن أن يسمح بزواج بنته الا بعد قتل فيروز شاه أجاب بيدانديش على الفور وقال له ان سيدى طالما رغب في اتصال حبل النسب بينه وبينكم ولو كان في فكره غير ذلك لما امتنع عن أن يجريه وهو في بلاده وانما جل ما يريه الآن ويوافق عليه كل الموافقة أنه يعدم بزواج بنته وكما وعدكم بالماضى انما هذا الوعد لا يمكن أن ينتهس الا بعد قتل عدوه والابقاع به وقد اقسم بذلك اليمين والحلف العظيم وهو محروق عليه ومن المقرر أن العروس لا يقم الا بالافراح والولائم وابداه المسمرات ونحوها فكيف يمكن لنا ولسيدى أن نفرح ونسرون نحن في حالة قنوط وبأس نصبح في خوف ونمسي بمثل ولا يفارقنا قط شخص فيروز شاه ولا تزال اذاننا تسمع صوته وهو ينادي بالانتقام فضلا عن أن سيدى لا يود أن يسلم به الا انكم اما شرط عليكم قهر عدوه وراحاه الى ملكه وعرشه واذا ذاك يكون للافراح حرم ولولائم داع فيسر كل منا بصماء وهناك . فقال الوليد

اى وعدتك ولا ازال اكرر وعدى انى لا ارجع عن الحرب ولا افك عن الفارسين
 الا بعد أن اهلك اكبرهم واذلهم مذلة لا يرتفع لهم بعدها رأس وانما اريد منكم أن
 تحبوا بزواج الشاه صالح بعين الحياة واما بالوعد بذلك وأن يشهد أبوها عليه هؤلاء
 الحاضرين بانه انعم بها لابنى وخطبها منه ولا يمكن أن يرجع بوعدة . فقال الشاه
 سرور انى مصر على وعدى لك فى السابق غير أنه لاخفاك ان اولادى الآن اسراء
 فى قبضة الملك ضاراب فاذا بلغه زواج بى انتقم من اولادى بالعذاب وربما بالقتل
 ايضا فليس من الموافق ان اجيب على امر زواج انما اشهد على الله وهؤلاء الحاضرين انى
 لا ارجع بوعدى وانى بعد نهاية الحرب او بالحربى بعد قتل فيروز شاه اذف ابقتى
 بكل قبول ولم يعد اذ ذاك من مانع وعلى كل حال فاقى انا وابنتى الآن فى يدك وتحت
 طاعتك فلو قدمت على اجبارنا رغما عنا واغتصا بالما كان فى وسعنا ان ندفع عن ذلك
 انما معاذ الله ان يفعل من كان مثلك مثال هذه الافعال ويجرى كل ما هو ممنوع دينيا

انتهى الجزء الثانى عشر وسيليه الجزء الثالث عشر

الجزء الثالث عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

قال وفي الحال أشهد الشاه سرور عليه جميع الحاضرين وعاهد الوليد على خطبة
لبنه من بنته وأن يكون الاثنين بدأ واحدة وبعد قطع الرجاء من فيروز شاه وهلاكه
يجرى زفاف عين الحياة باحتفال يليق بها وبه فارتاح لذلك بال الوليد وثبت عنده
أنه سيزوج لبنته بعين الحياة وإن المانع سيزول بهمة وهمة جيشه وكان يرى من
نفسه أنه قادر على كبح عدوه والاضرار به لأن عساكره كثيرة وبلاده حارة ربما
لا يقدر العدو أن يثبت فيها وأعظم شئ كان يريخ له ضميره من هذا القليل هو
وجود عين الحياة عنده وفي يده وضمن قصره قائمة مع بنته ليلا ونهارا لا يمكن
لاحد أن يصل اليها وقد أعهد إلى بنته أمر مرضاتها والاهتمام بها وتحببها بأخيها وإن
تشرح لها دائما عن عظم سلطانه ومقدرة جيوشه واتساع ملكها ولذلك كان الوليد
مرتاح البال مطمئن الخاطر بعد ولده باتتمام مقاصده والوصول إلى محبوبته التي
يصرف ليله ونهاره بالنوح والتعداد من أجلها وهو لا يعرف كيف يجب أن يتصرف
ليدنو منها ويقرب اليها وكلما ذهب إلى أخته وسألها أن تقربه من عين الحياة تقول
له لا يمكن ذلك الآن لأنى أراها بحزن وهم وهي تنشد الأشعار الغرامية الفراقية وما
ذلك الا كرها فبك ورغبة في فيروز شاه ولا بد من أن يزيدا وجودك بنضالك
إذا فكرت أنها أبعدت من بلادها لا جلك فبرجع بالحنية وقطع الرجاء ودام على
حاله وهو يمال نفسه بين مواعيد ابيه وأخبار أخته

كنا قد تركنا عين الحياة عند طوران تحت بنت الوليد أقامت معها في قصرها
وقد صرفت طوران تحت جميع جهودها في مراعاة عين الحياة وجلب مسرتها وعين
الحياة تعلم ذلك وتميل اليها لأنها شاهدت فيها من دلائل اللطافة والانسانية ما لم
تجد في غيرها من عائلتها وكانت طوران تحت بدية في صفاتها وجمالها وهي لا تنقص
بكثير عن عين الحياة الا أنها كانت ضعيفة القلب عديمة الصبر قليلة الاهتمام بأمر
العشق لم تعلق نفسها قط برجل ولا مالت إلى شاب . وعند ما كانت ترى عين الحياة
باكية حزينة كانت تلومها وتقول لها يصعب على أن أراك يا عزيزتى باكية حزينة
لأجل شاب بعيد عنك لا يمكن وصرلك اليه ولا وصرله اليك وما فذلك هذا الا
أشبه بأفعال الخجائين مع أنك من أحكم بنات هذا الزمان وأعظمهن وقد أعطاك الله
من المحاسن ما ندر أن يوجد بفيرك من الشابات ولذلك كان لابد لك من أن تقيه

على كل انسان فن تسهل لك واعجبك تتخذه زوجا لك ومن العجب ان تسلم بنفسك الى واحد وتجلب لقلبك العذاب الاليم وتحرقي وتحرسي على من ليس في يدك ولا تقدرين على أن تتزوجي به . فتهتدين عين الحياة عند سماعها كلامها من فؤاد قد جرحه الغرام وكونه نيران الاشواق وقالت لها لو كان قلبك كقلبي لما لمتني ولا عفتني عن حب من أحبه أو بالحرى لو رأيته وشاهدت ما هو عليه من الحسن الباهر والقدر الفاتك ونظراته وهو فوق جواده يطلعن في صدور الابطال ويفتك بها فك الاسود لحقت أنه وحيد زمانه وانى أبيع اليك بوجودي لعل أنك محبة لى تأخذين على هذا مأخذ البساطة ولا بد أن الزمان يجرى عليك ما أجرى على واذ ذاك اسألك ان تكلمني بهذا اللسان الذى تكلمني به الآن ولا يخفى على شيء من مزاياك الحسنة وميلك الى الحق والانصاف فاذا قدرت الايام وسمحت لك يوماً ما ان ترى فيروز شاه ورأيت فأنصني إذ ذاك بينه وبين أخيك وهل يلقى في أن أبدله بغيره فقالت لها ماذا يفيد حسنه وأبوك لا يرضاه ولا يقبل به وهل أنت إلا مطيعة لأبيك سامعة لأقواله مجبورة الى الانقياد اليه وكيف يمكنك المخالفة والعصيان وان ذلك لا يرضى الله تعالى . قالت انى لو كنت مصرّة على عصيان انى لما بقيت للان دون تزوج بفيروز شاه إنما جل ما ارغبه أن يجبرانى على زواجى فيجيب مرافقا لطلب فيروز شاه واهم شيء نأباه نفسي الاحداث بالودد لاني عاهدته عهداً ثابتاً أن لا أخون له عهداً ولا أطلب سواء ندبلا ولا أرضى أن أكون زوجة لغيره حياً كان أو ميتاً وعاهدنى هو نفس هذا الهدوانى لو أخذت الى داخل جبال قاف لساير الى وازال الصعوبات التى تحول دونى ودونه وسوف تربنه وهو فوق كمينه يطلعن فى رجال أليك فيفرقها ذات البين وذات الشمال ويدك حصون المدينة وينتشانى من بين يديك ويدي أليك إنما أسأل الله أن يجعلك من نصيب رجال الفرس لنقى مع بعضنا وتكونين قرية منى أراك وترينى فى كل وقت فضحكت طوران تحت من كلامها وقالت تطلبين محالا فانك تضمين الفوز للفرس مع أنهم سيقاؤون منا وبالا ويشاهدون من رجالنا الموت الاحمر ولذلك أسألك ترك محبة فيروز شاه وان تناسيها وتناسيه ولا تعبى به ولا يحبه أيضا فنجرح قلبها من كلامها وتهتد وتشتد :

وحق من لا سواهم عندى القدم ومن اموه بالذكري لغيرهم
ومن بغير هوامهم لست اتسم معرضا بسواهم والمراد هم
لهوى جحود الهوى لا يلى ادينه وان اقر به التبريج والسقم
ما كل من صان اجلالا لمالكه غرامه فى صفاء الود متم
استودع الله قوما ما أفارقهم الا وتدنهم الافكار والحده

ومن لكثرة تمثيلي لشخصهم
أظنهم ما داروا بي وقد بعدوا
ساروا وقد تركوا جسدي بلاروق
يا غائبين وما غابت محاسنهم
نتم ولم نعملوا بي في رقادكم
وحق موثق عهد كنت أعهده
ما لذلي العيش مذ غابت محاسنكم
قد كان ليلى نهارا من ضيائكم
لا ذنب لي بوجوب الهجران عندكم
أعطى الزمان نفيسا من وصالكم
إلى من الماشنكي ان عز قربكم
قد كنت أفهر صرف الحيات بكم
كم قد بكيت وقد سادت ركائبكم
ما للدمايح لا نطقي انظي كبدي
وقفت أظهر للعدال معذرة
قالوا قضت عمرها صرعى بحبهم

أظن في كل يوم أنهم قدوموا
ناقه لو علموا حالي بهم رحوموا
عندي ليندبهم والقلب عندهم
ونازحين وأقصى بينهم أمم
ومع سهادي بكم هازلت أحتم
وصحبة خلت حقا أنها رحم
ولا حلت بعد رؤياكم لي النعم
فالיום ضوء نهارى بعدكم ظلم
وهه كان مأين العفو والكرم
فارتده وعراه بعده ندم
عما جنى الدهر وهو الخضم والحكم
فالיום أصبح صرف الدهر ينتقم
فالدع يسبح والاحشاء تضطرم
ويغرق الركب منها سيلها العرم
عنكم وانصح عند الناس مازعروا
واقه يعلم اني مغرم بكم

فعلت طوران تحت أنها لا تروى عن حبة فيروز شاه وأنها مغرمة به ولا يمكن
أن تترك حبه إلا إذا جدد من الحوادث ما غير قلبها وذلك سكت عنها ذلك
الوقت ولم ترد أن تكلمها بما يكدر شعارها . وأما عين الحياة فكانت كما تقدم في
مزيد كدر وأعظم كدرها من أن يتفق أباءها والوليد ويعتمدان على قيام الزفاف
ولإجراء العرس وإجبارها على الطاعة مع أن خنجرها لا يزال عندها وقد وطدت
عزمها أن تقتل نفسها إذا أجبرت إلى الاتقياد والزفاف ولذلك كانت عديمة الصبر
ضائقة العقل حرصا على حياتها وحياة فيروز شاه وهي تدم لزمان لندي لا يزال
يحاربها ويتقلب بأعماله معها فيربها بعد الخلاوة صبرا وبغيرها من حال إلى حال
ويحاربها بما يلقي عليها من الاحزان والمصائب فكانت تسر عندما تسمع بخبر مفرح
من جهة من أحبت أو من جهة حبه لها إلا أن تلك المسرة لا تلبث أن تنقضي بما
يجد من الحوادث المكدرة فقلب إلى أكدار وغوم ولا زالت في قلق واضطراب
من جرى ما كان يخطر في فكرها إلى أن بلغها من طوران تحت أنها لم يقبل أن
يجري الزفاف في ذلك الوقت ولا قبل أن يسمح بها قبل أن تنقضي الحرب وتقهر
الانجم ويقتل فيروز شاه إنما أشهد عليه بأنه خطبها من الشاه صائح وأنه لا يقبل

بغيره مطلقا وانه صار منذ ذلك الحين صهرا . فوقع هذا الخبر على عين الحياة مسرا بهجا وقالت في نفسها ان كان يقوى إلى حين انقضاء الحرب فان تلك غايتي لاني أعلم أن الملك ضاراب سيغشى هذه البلاد وفروز شاه سيوافني بجيشه ويدافع جيوش الاعداء فيددها إذا علم اني داخلها وهذا الذي أطلبه وظهرت على وجهها بعض الافراح وهذا اضطرابها الظاهري فلاحظت طوران تحت منها ذلك وقالت لها اني اعلم ان هذا الخبر يسرك ولذلك أسرع به اليك ولا بد بعد انقضاء الحرب ان تجلوا لنا الحقيقة وحينئذ يمكنك إذذاك ان تتبعى الجهة الراححة المنتصرة فسكتت عين الحياة ولم تجبها بشئ لعلها انها غلصة لها حجة لصالحها انما لا تذكره ان تكون زوجة ل أخيها وجل مشهاها ان تقنعها تليل إلى حب الشاه صالح أخيها وأقامت مطمئنة البال مرتاحة تنتظر ورود الاخبار من قبل جيش الملك ضاراب لتعلم ماجرى على قلب فيروز شاه بسبب غيابها وبعدها وهي في كل يوم تظن انهم وافدون إلى مصرقال وكان عند الوليد عيار من أكبر عيارى ذاك الزمان زنديق عنال إذا قصد انتزاع الكحل من المقل انتزع دون أن يترك صاحبها يشعر به وان عمد إلى إخراج الجنين من بطن امه دون ان تراه او تعلم به اسمه طارق العيار وبالحقيقة انه من طوارق ذاك الزمان دمياطى الاصل مصرى المربي قد شب على هذه الصفة حتى مهربها وساد على سواء وصار له تلامذة وفروع وكان الوليد يركن اليه ويعتمد عليه . فذات يوم كان في حضرة الوليد بين أعيانه إذ سمع الشاه سرور يتألم من قلب مقروح ويقول لوزيره طيقور آه من غدرات الزمان فاني مشتاق إلى أولادى الاسراء ولا سببا للشاه شجاع الذى هو الآن اسير في جيش المعجم مع الأمير قتيل وايضا احب ان اعرف ماذجرى على عيار بلادى فانتنا في حاجة كلية اليه لانه آفة كبرى وبليّة عظمى أمين على صالحنا محب لنا يسعى دائما في خلاصنا فلو كان معنا الآن لكنا بعثناه إلى طريق اليمن يكشف لنا الاخبار وهل ان الملك ضاراب آت إلينا أو رجع عنا الى بلاده وترك هذه الحرب وعلى كل حال فاني أرى لزوما لوجوده معنا وانى أرى بنفسى محاطة بالاكدار والأهوال والخاوف والأوهام الناتجة عن فرقة الأولاد والوطن ومبارحة الملك والسلطة فجازى الله الأيام عني شرا . فدنا منه طارق وقال لانهم ياسيدى الشاه فاني مرهون لامرك طائع لك وانى أعدك الآن بحضرة سيدى الوليدانى لابد ان آتيك بولئك الشاه شجاع والأسرى في أول يوم تحمل به الاعداء في هذه النواحي وانى ان اخلفت بقولى لأدعى بطارق العيار ويحرم على ان اخدم الوليد سيد مصر وعزها . فقال له الشاه سرور ان كان صحيحا ما تقول فاني أعدك أيضا بحضور سيدك بالانعام الزائد

والأموال الكثيرة ولا انسى لك هذا الجليل وفي تلك الساعة أيضا قال الوليد لطارق
أريد منك ان تذهب على طريق اليمن تكشف لنا اخبار القوم لانه مضى الآن أكثر
من شهرين ونصف دون ان تعلم عنهم خبرا وربما لم يكن في نيتهم ان يأتوا إلى بلادنا
او فكروا في حربنا واني اريد ان اعرف الحقيقة لأن الجيوش اخذت ان تتجمع في
بلادنا ولا يمضي هذا الأسبوع إلا ويكون عندنا جيش عظيم كامل كبير من سائر نواحي
بلادى لا ينقص عن ألف ألف واربعمائة ألف فارس ماعد الجيوش اليمن التي ليست بأقل
من نصف هذا العدد ومن الاصابة ان نعرف كي لا نبقي العساكر متجمعة تحت مشيئة
الرحمان دون ان يكون لها نفع وتأتزم للدحابة وإلا فما الفائدة منها فقال طارق سمعا
وطاعة واني سأعود اليك بالخبر الصريح واعلمك ما يكرن من أمرهم .

ثم ان طارق اخذ ما يحتاج اليه من ثياب السفر والاكل اللازم له في طريقه وسار
عن مصر قاصدا اليمن على الطريق المستقيم وهو مسرع في جريه يسير الليل والنهار إلى ان
بعد عن القاهرة نحو عشرة ايام تمام وفي اليوم الحادى عشر اصبح في تل عال مشرف
على سهل واسع فعول ان ينزل من التل ويستلم السهل وإذا به يرى القبار مرتفع الى العنان
والجيوش تزدحم متراكمة صفوفا صفوفا ومن فوقها الاعلام تتحقق وإلرباب تلوح
والأسلحة تلمع وتبرق بوقوع الأشعة عليها وهي قادمة الى جهة فصر الى ان تبين المقدمة
وإذا به ارباب فارسية فعلم حق العلم ان هذا الجيش جيش الملك ضارب وانه أت الى مصر
فكر راجعا وهو من الفرع على جانب عظيم لانه توفى الى قضاء المطلوب حسب مرغبه
وقد كان يشهى وقوع الحرب بين الأعجام والمصريين واليمنيين لأن بذلك يريح الأرباب
العظيمة ويروج سوق بضاعته ولا زال في رجوعه الى ان وقف بين يدي الوليد وهو في
عجله وقال له اعلم ياسيدى انى ما بعدت نحو عشرة ايام عن هذه المدينة إلا ظهرت لى
رايات الفرس تخفق فوق جيوشهم الكثيرة وهم يتدققون آتون إلينا كالبحور الزواجر
وعدهم كثير لم اعرف آخرهم ولا يمضى خمسة ايام إلا يكونون في هذه الديار لاني عجلت المسير
حتى وصلت بعشرة ايام انما هم لا يمكن ان يصلوا بأقل من خمسة عشر يوما فلما سمع
الوليد كلامه علم بأن الحرب قريبة ولذلك اصدر امره بأن تنهأ العساكر للحرب
والطمأن وان تخرج خارج المدينة كلها وان تترتب بحسب فرقة ورتبها وان يستلم كل
فائدة قيادة جيش .

واما الشاه سرور فانه خفق قلبه عند سماعه هذا الكلام على غير رادة منه ودلا
وجوه اصفرار المخاوف الناجم عن الرعب والجبن وشاهد منه طيفور ذلك ولخطاياه

أنه في اضطراب فلم أن فيروز شاه قد زرع في قلبه كثيرا من الخراف والاهوام حتى لم يعد يقدر على الثبات وضبط نفسه عند ما يحظر على باله . وتأكد أنه يخافه جدا ويرتعب منه ولذلك قال له على مسمع من الجميع هو ذا ياسيدي العدو قد جاء في أثرك وفي نيته أن سيدى الوليد يتخلى عنك ولا يعلم أنه قد جمع له من الجيوش والفرسان ما يكفي لإبادته وإبادة جيشه وقتل فيروز شاه بأسبوع واحد أو بالحرى يوم واحد فليكن قلبك ثابتا لأنك طالما طلبت وقوع هذه الحرب وتمنيتها لتتخلص من فيروز شاه وتزف بنتك على الشاه صالح ونعود بد ذلك إلى بلادنا ونحن نرد الشكر لمن سيكون خلاصنا على يده والا لولم يأتنا الملك ضاراب إلى هذه البلاد لبعيت بلادنا بيد العدو لأنه لا يعود بمكنتنا أن نرحل إلى تلك البلاد خوفا من أن يترقبنا هناك فاذا رآنا يفاجئنا ويقتحم منا وأما الآن فسيلاقي شرعله ويقع في قبضة المصريين الذين لا بد من أنهم يحون آثاره ويخربون دياره ويقطعون ذكره من بين الملوك فأظهر الشاه سرور على نفسه الجلد والقوى من قلب الضعف وقال لا بد لنا من انتشاب حرب طويلة تحدث بها بعدنا أهل الاجيال القادمة وإنى أسأل الله أن يكون النصر والفوز لعساكرنا وإبطالنا ثم إن الوليد أمر طارق أن يترقب مع عياريه الأعداء ويعلمهم بحال قدومهم إلى تلك الديار فأجابه إلى أمره وقعد بانتظار الأعجام ولم يكن إلا أيام قليلة حتى بانث طلائع الفرس وظهرت عن بعد راياتهم وأعلامهم وللحال أسرع طارق إلى الوليد فأخبره بقدوم أعدائه وقال له هو ذا قد جاءوا وعما قليل يعسكرون إلى شرقى المدينة وينصبون خيامهم وربما بالقرب من الشعاب . فقال الوليد إنى أحب أن أرى عن مقربة كيف انتظام الأعداء وترتيبهم وكيف يسهرون ومن المتقدم منهم ومن المؤخر . فقال له طارق هيا إلى أعالي بعض الأكف فأقم عليها فترى ما أنت طالبه وترى أن تعرفه وللوقت سار الوليد وسار معه طيفور والشاه سرور ويبدنديش الوزير وجماعة من الأعيان والفرسان وصعدوا ظهر أكمة وأقاموا عليها وقد أحدقوا بأنظارهم إلى البر وقد وقف طيفور أمام الوليد بشرح له عن حالة الفرس إلى أن تتيقنهم وقد ظهر بالاول سيامك سابقا وهو في ضليعة الجبل كأنه الأسد فوق جواده . فسأل الوليد عنه فقبل له خبره وما هو عليه من الشجاعة . ثم ظهر من بعده مصفر شاه بمائة ألف فارس من فوارس طهران وقد رفعت فوق رأسه رايته المخصوصة به وإلى جانبه الأسد الربيعال والفارس المنضال من ساد على أقرانه . وسما بعلو المنزلة ورفعة المسكنة بين أهل زمانه . بهزاد بن فيروز . الديت الجصور . والبطل المشهور . فسأل عنه الوليد فبرحبه إليه أحد . وقد قال له طيفور على ما أذن أنه من ملوك العجم أنساب الملك ضاراب

لأنه لم يكن حين محاربتنا ويظهر أنه قد استنجد به ودعاه إلى معوته وإن صح حذرى
يكون مصفر شاه أو كرمان شاه من أولاد عم الملك خساراب فإن كان مصفر شاه يكون
إلى جانبه بهزاد الطامة الكبرى والآلة العظمى الذى شاع صيت شجاعته في مشرق الأرض
ومغربها . ثم نظر الوليد إلى جيش آخر مثله وهو جيش كرمان شاه ومعه يلينا كالير
الجارج أو الاسد الكاسر . ثم تبين أوليد الجيش العظيم يتقدم تحت الراية الكبيرة
الذهبية فقال على ما أظن أن هذه الراية راية الملك خساراب وهذا الجيش جيشه . قال
طيفور نعم هذا هو ملك القوم الذى اعتاد على التعجرف والبذخ وهو يفاخر فى نفسه
ويتعظم ويقن بنفسه أنه فى أعلى درجة فوق ماوك هذا الزمان ولا سيما قد زاد هذا
التعظم عند ما نظر إلى ولده فيروز شاه نظرا من اعتقد أنه أول فارس يذكرك فى زمانه .
ثم بعد أن تقدم جيش الملك خساراب نظر الوليد إلى ما بعده وإذا بجيش صغير منتشر
فى تلك الأرض طويا وكلهم يرفعون بأعدهم إلى الأعلى وهم طوال القامات سود
اللون وفى وسطهم صاحب هذه السيرة ومرهب الإبطال بأعماله الخطيرة لبث الفلاح
من دامت بساط المجدر جللاه . وتناولت من شاهنشاخ السعد بدور الإقبال يداه . فيروز شاه
حبيب دين الحياة . وفوق رأسه رايتان . باهوا السعادة تحفقان . وإلى جانبه يميمون
فسال الوليد طيفور عنه فأجابه وقد اعترته رجفة دهائية وتحركت منه دواعى بغضه له
وقال له ياسيدى هذا الذى نحن هاربون من وجهه خائفون من حربه ونزاه لا يفارقنا
شخص هيبته هذا الذى أبعدنا عن بلادنا وشتنا فى أقطار الأرض هذا الذى قتل طومار
ويبروز ومدمرة هذا . إذا ذكر اسمه بين جيوش اليمن تطايرت كتطاير الرماد من
قفحات الريح الشديدة هذا الذى أسير جيوش فارس بطل سيفه وتحتى هيبته اسمه
وتدود بقائمهمته وعلا أقدامه ووحدانية مسالته هذا الذى يراحم أشاه صالح دين الحياة
هذا فيروز شاه ابن الملك خساراب من اختص به النصر وخدعته تشجعة حتى اختصت
به وحده . فلما سمع الوليد كلامه لم يزل عليه أريصفه بهذه الأصناف وقال له لقد وصفته
فوق ما هو وسوف ترى بعينيك ما يحل به وداية من أمره وكيف يصح ما كلال اليوم
والغربان تنده أهله وفرسانه انما أسألك عن الرايتين اللتين فوقه بخلاف غيره . قال إن
أحدى ملك الرايتين هى فارسية نسبة له ولدوائه والثانية راية لزوج الذين استولى
عليهم واتخذهم لنفسه جيشا خاصا وهم رجال الملك هورنك وهذا قائدهم يميمون الذى
عاقب فيروز شاه وجاء ينجده فى حروبه بحلول نية وصفاء مودة . وجهل ينظر الوليد إلى
جيش هورنك وإلى راية بعد راية بحسب أقصاهما وزيتها وكل جيش ينخرعه عنه طيفور إلى

أن نظر إلى مؤخرة الجيوش فوجد الراية الأخيرة وهي تخفق فوق رأس حامي الفرس وفارسها فيلزور الهلوان وهو مسن في العمر شيخ هرم فلما رآه سأله فاجابه خاطرا وقال يا سيدي إذا رمت أن تعرف من هذا فهو الذي أحرق قلبي وأشعل نار غضبي وابكائي وما رحمني هذا الذي قتل أخي خطيرا وأثار قلبي عليه سعيافه فيلزور حامي مؤخرة الأعداء وهو في هذا السن إلا أنه شديد الحيل قوى القرائم لا يوجد من يقدر أن يلقاه في الميدان من السكول والشبان . فقال له الوليد لا بد لنا من هلاكه وأخذ النار منه لأنني أعلم عظم الفجعة التي ألجئنا فيها بقتل أخيك فارس بلادي وحاميها . وبعد أن انتهت عساكر الانجم من التقدم أنت مكانا رحيبا في شرقي المدينة بينها وبين جبل مرتفع هناك فضربت خيامها وسرحت أنعامها وقد نظرت إلى أمامها فشاهدت عساكر المصريين متجمعة وهي ضاربة خارج المدينة متجهة انتهى الكامل متظرة قدمهم ولذلك اختار الملك ضاراب مكانا لنزوله موافقا يتسلط به على المدينة وعلى جيوشها المتجمعة

وأما الوليد فإنه بعد أن شاهد ما شاهد من عظم ترتيب الفرس أخذه العجب ونزل بمن معه من ظهر الأكمة وهو يقول للشاه سروراني متعجب غاية العجب من الإيرانيين وعظمتهم ومع كل ذلك فاني لا أحسبهم على جانب من العقل لأن ملكهم قد طرق بلادي وقصد حربي ونزع عين الحياة من يدي بالرغم عن هذا المقدار القليل من العساكر الذي لا يبلغ ربع جيشي فأبى طريقة يفسكرون أنهم يقهرون ملك مصر ويكيدونه وينفذون غاياتهم فيه وما ذلك إلا لسكونهم يظنون أن كل بيضاء شحمة وكل سوداء لحمة وربما قصروا أن رجال مصر كرجال اليمن لا يقدر على الثبات أمامهم والدفاع عن أنفسهم مع أن في بلادي من الفرسان من يقدر على أن يقاوم جيشه برمته فتأثر طيفرور من كلامه وعلم أن ذلك أذورا . بعساكرهم إلا أنه استعمل الخداع في كلامه فقال لا خفاك يا سيدي لأن الملك ضاراب يحاظر كثيرا ويرى بنفسه إلى المهالك على غير تحسب وما ذلك إلا عن جهل منه ولا ريب في أنه بجهل عظم مقدرتك وقوة سلطانك وكثرة إجيوشك ولو عرف ذلك من البداية لما طرق هذه البلاد لا أولا ولا آخرأ فقيح الله الجبل الذي يقود الإنسان إلى انقراضه وخراب بلاده غير أن الذي حمل الملك ضاراب على هذا التهور ركونه إلى أن بين جيشه فرسان لا تهاب الموت ولا يفوتها عن نوال الغرض فوثف في نخبة رجال هذا الزمان فازشئت عددت لك إياهم على أنك رأيتهم واحدا واحدا قال أنه مخطئ في توهمه وسوف تظهر له الحقيقة ما يكون من أمر فرسانه إذا نظروهم مكللا أسيرين المصريين . قال نعم ولا بد في الله . أو ما بعده يظهر الأمر

وتعرف الفرسان قيمة بعضها ولا زالوا في مسيرهم حتى دخلوا المدينة من جهة أخرى وإذ ذاك أصدر الوليد أوامره إلى صوم الجيش أن يكون مراقبا لسلحه وأخرج المؤن والمهمات إلى خارج المدينة لتكون عند العساكر كونها لا تستغنى عنها وأكثر من جمع الملاح والخيول وكل ما يلزم لقيام الحرب كي لا يكون في حاجة إلى شيء عند اشتعال نار المعامع واشتباك أرياح المعارك

قال وكان السبب في وصول الملك ضاراب إلى تلك البلاد هو ما تقدم معنا إيراده فيها مضى وذلك اننا كنا قد تركنا الملك ضاراب في تمزاء الذين عند الشاه سليم مع جميع أبطاله وفرسانه وهم بانتظار مصفر شاه الذي كان قد بعث فاستدعاه إليه فخرج من بلاده طهران بمائة ألف مقاتل ومعه فارس بلاده بهزاد الايراني وسار آت اليه وبانتظار كرامان شاه أيضا الذي خرج مع ييلتا أخى بهزاد بمائة ألف فارس وكلهم ساروا إلى ملكهم ضاراب حيث كان مقبيا بسبب وصولهم اليه ليرحل بهم إلى مصر وكان في هذه المدة فيروز شاه في هم وكدر وهو في كل صباح يخرج إلى البروينظر إلى جهة بلاد الفرس أملا أن ينفذ عليهم الذين هم بانتظارهم لأنه كان على مقالى الجبر بسبب هذا التأخير ويود أن يعرف ماذا جرى على عين الحياة بعد رحيلها وهل أن أباهما أجبرها على زواجها بالشاه صالح أم لا على أنه كان يحق الركون إليها وقلبه يظهر له ما هي عليه من الثبات في الحب وأكثر خوفه كان من أنه إذا دعوها إلى الزفاف وتحققت أن لا رجاء لها بالخلاص من ابن الوليد وانهم سيدعونها اليه بالرغم عنها قتلت نفسها لا محالة بحيث تكون قاطعة الأمل منه لعلها أنه بعيد عنها لا يقدر أن يصل إليها ليخلصها وعندما يحضر في خاطره هذا الوهم كان يضرب برجله إلى الأرض من ضيقة صدره ويتنقى أن يكون ولو وحده في مصر لينتشلها من بين أعدائه المتحكمين فيها وهذه الأفكار طالما تلاعبت فيه فضيعته عن الهدى وهو محصور في نفسه لا يقدر أن يصل إليها ولا يمكنه أن يخالف أباه أو يسبقه إلى حرب المصريين وخطر له كثير المسير فاستأذن من أبيه أن يذهب أمامه فيشير الحرب ويبدء فيها إلى أن يدركه بقية الفرسان ففزع أبوه وقال له ان مسير العساكر أقساما يسهل على المصريين قتالنا والفوز علينا لأنهم يحاربوننا ونحن فرقا فرقا متفرقة وهم متصمون جميعهم إلى بعضهم وليس من الصواب أن نباشر الحرب إلا دفعة واحدة ولا ريب أن الله الذي حفظنا إلى هذا اليوم سيحفظنا في مستقبل حياتنا ويصحبنا بالنصر ولا يأتيك بمكره واثى مطمئن الخاطر من جهة عين الحياة لأن وزيرى طيطلوس قد نظر إلى ذلك بعين بصيرة فهو عاقل خبير بأمور الدهر وأحواله ولا سيما له من كنوز عليه معرفة بما يجد من حوادث وقد قال أنه لا يسمح للشاه سرور ببنته أن

تزوج باحد قط مازال يهرب جانبك ويخافك وهذا مقرر لانه إذا سمح بزواج
 بفته لا يعود للوليد صالح بالمخاطرة ليدافع عنه وعن بلاده ويقاديه بكل قوته ويمسكته
 بحيث يكون قد قضى مصالحته منه وأما إذا منع بفته عن الشاه صالح يلتزم الوليد
 طمعاً بمرضاة الشاه سرور أن يدافع عنه ويمانع عن بفته فلا يترك أحدا يصل اليها .
 وهكذا كان فيروز شاه يسكت فلا يجيب أباه عند ما يبدى له رأيا أو يسأله أمرا
 لانه كان يعتبره الأمر عليه والنهائي به ويرى من فروض الانسانية وواجبات الطبيعة
 أن لا يقبل الا لما يطلبه اليه لانه هو علة وجوده في هذه الدنيا وهو الذي رباها
 وسهل له طرق الحياة فنشأ عزيزا مكرما فضلا عن أن الفروض الدينية تدعوه الى
 ذلك ولهذا كان يفضل الاتقياد الى أبيه ويتحمل مرارة الصبر عن محبته .
 وبالاختصار فإن حالته كانت من أصعب الحالات وأعظمها كدرا وثقاسة وعند حلول
 الليل كان يأتيه طيطلوس فيلازمه ويقم عنده ولا يترك أن ينفرد بنفسه الا دقائق
 قليلة خوفا عليه من ان يصاب بمرض لكثرة البكاء والتعجب بل كان يشغله بالنوادير
 والقصص ويسرد له من تواريخ العالم واخبارهم ما يدهش به افكاره لعله انه يميل
 الى معرفة التاريخ ويرغب في ان يعرف حوادث من تقدمه من الملوك والفرسان
 الذين اشتهر اسمهم في كل مكان وسادوا على اهل زمانهم ورجال عصرهم وكان هذا
 الذي يزرع فيه حب التقدم من جهة والمخاطرة الى ركوب المعالي كما كان من جهة
 ثانية وبقى به حبه لعين الحياة في وعد العذاب وهو يراه قلبه عذبا فيتحمل أصعب
 الصعوبات بالصبر الجليل دون أن يتضجر أو يبدى أدنى كراهة

وبعد أن مضى على الملك ضارب أكثر من شهر ونصف في بلاد اليمن أقبل
 عليه مصفر شاه ابن عمه وبحال وصوله الى المدينة كان فيروز شاه خارجا مع
 طيطلوس وبعض جماعة من رجاله ولما تبينت له أعلامه فرح غاية الفرح وسار بجواده
 الى أن التقى به ولما عرفه مصفر شاه صاح صياح الفرح ونزل عن جواده وفعل مثله
 فيروز شاه وصاحا بعضهم مصالحة الاحباب الغياب ودة أيضا بهزاد فسلم على فيروز شاه
 وطيطلوس وأتوا جميعهم الى المدينة فالتقاهم الملك ضارب والشاه سلم وسلموا على
 بعضهم البعض وقد عينوا لهم مكانا يقيمون فيه الى حين وصول كرمان شاه ورجاله
 واجتمع بهزاد أبيه فقبل يديه وكى على ما أصابه وقال له كفى يا أبي ان تهين نفسك
 الى مبارزة الفرسان فان أولادك قادرون على ان يرفعوا عنك أثمان الملوك
 ويحسونها بهبتك وبعد صيتك . قد لعنت الساة التي كنت بها غائبا عن معسكر
 الفرس حين نجس طومار ان بأمرك ويمد اليك يداي الآن قد حضرت بين
 يديك فأرجوك التنازل عن الحرب وان ترتاح في محرابك . فقبله فيلزيور بدمعة

التشفق والحنو وقال له لا يجب ذلك يا ولدى في مثل هذه الظروف فان الملك ضاراب يحتاج إلى كل الاحتياج والجيش لا يرغب إلا أن أكون فيه على أنى عهد فيك الكفاة فأنت فخر اخوتك وزينتهم وبك يزداد اسمى رفعة وغرًا . وكان فلزور يعلم ان بهزاد أشجع من جميعهم بنية وأقدرهم على الايقاع بالاعداء والثبات بالحرب ولذلك كان يحب أن يكون خليفته في منصبه من بعده وقد شاهده عند إجراء الامتحان بين الفرسان فلم ير من هو أخف منه في الميدان ولا أسبق عند وقوع الضرب والطعان حتى كان يزينه بميزان واحد هو فيروز شاه وعلى هذا كان يسأل دائماً الملك ضاراب ان يعهد اليه بيهلوانية بلاده من بعده وكان الملك ضاراب يحبه أيضا المحبة الأبوية ويسره ما يراه منه من البسالة والاقدام وقوة الجنان والفطنة بالفرسان في حومة الميدان .

وما مضى على ذلك إلا أيام قليلة حتى أقبل كرمان شاه برجاله وفرسانه فخرجوا إليه وسلموا عليه وترحبوا به وقد فرح بقدمه فيروز شاه غاية الفرح وثبت عنده انهم بعد يوم أو يومين سيبرون إلى بلاد مصر وهناك يعرف حق المعرفة ماذا جرى على عين الحياة . وأقام كرمان شاه في المدينة إلى ثلثي الايام وفي اليوم الثاني ضرب الملك ضاراب ديوانا وجمع اليه جميع الفرسان بحضور الشاه سليم وقال لهم أخبركم الآن انى قد عزمتم في صباح الغد على المسير ومبارحة هذه الديار ولذلك اريد أن آمركم بان تبكروا إلى المسير وكل منكم بأمر جيشه أن يكون مستعدا للسفر وخذوا معكم من المؤن والذخائر ما يكفي لاكثر من سنة واصحبوا لديكم الخيول الجنائب وأكثروا من قرب الماء وامشوا بالنظام وترتيب وناموا في هذه الليلة وانتم على هذه النية . ثم التفت إلى سليم وقال انى ابارحك في الغد وانا على يقين من خلوص حبك لدولتنا وارتباطك معنا واتحادك بالشعائر والانسانية في هذه الحرب التى نحن سائرون اليها ولا يبرح عن بالاك اننا في حاجة إلى إمداداتك إذا احتيج الامر اليها فقال له انى لا أزال مشعر بواجباتي لنحوكم ولذلك ترونى في كل دقيقة اميل الى نجاحكم وتوفيقكم وستجولكم لايام عن الحقيقة فتمليون صدق ما اقوله وفوق ذلك ومن ثم انفصلوا ذلك الوقت وبات الجميع في حالة استعدادية ولم كان الصباح هبوا من مراقدهم إلى ظهور خير لهم فاعتلوا بها بعد أن تقلدوا بأسلحتهم ورفعت الاحمال والمؤن على ظهور الجبال وانتشرت الاعلام والبنود فوق الامراء والفرسان وخرجت العساكر أفواجا أفراجا من ابواب المدينة وفي الوسط الملك ضاراب ومن حوله هموم ابطاله وفرسانه وخرج الشاه سليم لوداعهم فسال معهم مسافة كبر من ساعتين ثم ودعهم وودعوه ورجع عنهم مظهرا تأسفا من بعدهم وساروا وهم قد تبطنوا

البرارى والقفار وفيروز شاه مسرور بهذا المسير وهو يعد نفسه بخلع من حيثته من
أمدى المصريين قريبا وقد تذكر وجودها عندهم ورغبة الشاه صالح فيها واهتمام أليه
بأن يزوجه بها ويؤلفه عليها فزار كما تزار الاسود وجاش الشعر في خاطره فباح بما
استمكن في ضماره فأثقت

عين الحياة أبشرى قالبت وافاك
سألتك الجيش في ضرب القنا قترى
أفرق القوم لا شيء يجمعهم
قد أسقم الحب جسمى فارتدبت به
حاشاى من أن أخون العهد مرتضيا
أنا وأنت على عهد الوداد فلا
لا كان غبرى يا عين الحياة قى
أنا ابن ضارب الذى ساد الورى نسا
سلى أباك وقد ولت عساكره
وها جيوشى بهذا اليوم سائرة
وتحت منى جواد قد وجدت به
وفى يدى صارم أن لاح ساطعه
يشد أزرى إذا تحت القبار بدا
عما قليل ترينى كالبراة على
وبح الاعادى إذا أبلت جمعهم
لا أغمد السيف إلا فى رقابهم
أخفوك بعد شروق الوجه عن نظرى
أن كان فى مصر شمس منك ساطعة
عين الحياة أهل بعد البعاد حيا
لولا رجائى بهد منك أهده
لمايك من أن تطيعى المبعضين على
بل فاذا كرى يوم كان القصر يجمعنا
أجرى وحولى صنديد غطارفة

ماضى العزيمة كى يتثال أعداك
ما أفضل اليوم فى الاعداء عينك
إلا اللحد وهذا فعل مضناك
ثوب اصطبار وعينى العمر ترعاك
بالعد أو أن تريدى الهجر حاشاك
حيث أن كنت طول العمر أنساك
بين الخلائق تهويه وهواك
وشاد بيت العلا من فوق أفلاك
منى تلطم راحت بأحنك
تريد من منعوا عنى عيناك
نيل السعادة أن أسعى لآفلاك
بدا كبرق تبدى من ثاباك
سناك أو لاح فى الأفكار ذكراك
جيش العداة فأرمهم بأشراكى
بصارم فى صدور القوم فتاك
أو أن تدوس رؤوس الملك لعلاك
لا كان بالناس من يا بدر أخفاك
قالف شمس بقلبي من مزايك
ة ترتجى بالورى للمفرم الباكي
قديم عهد لما أخرت ملقاك
كيدى فلا كانت لأعداء اباك
وطيب لفظك بطنى لوعة الشاكى
أسود حرب كاة عند إعراك

وكان فيروز شاه ينشد وهو سائر بين الفرس أن كانه القمر بين الكوكب وقد
باح بصره علنا بين الجميع وسمع انشاده كل منهم وقد رثى له الكل ولا سيما أبوه فانه
سر منه لمباهاته بشجاعته وجيشه وتوعده الاعداء بالويل والحرب واقتناره بنسبه

واحتماله شدة المسكاره إلا انه انقطر قلبه عند سماعه شكراهم وتعدادهم لغدوات الزمان وأفعال الاعداء اللثام به وكيف انهم ابعدوا عنه جيئته التي كان تواعدوا بإيها على الحب والوفاء وعدم الخيانة وهول في نفسه انه لا يرجع عن حرب عدوه ولا ينفك عن قتاله إلا بتزويج ابنه بعين الحياة ولو كلفه ذلك إلى هلاك نفسه وجيشه معا أو ألزمه ان يلحق بعدوه إلى ما وراء الشمس أو إلى ماتحت الأرض وكان إلى جانب فيروز شاه بهزاد بن فيلزور وهو على جواده يسير مسير الأسد في الادغال ونفسه تنوق إلى اقترس فريسته وكان يرغب في ان يقاتل بين يدي فيروز شاه ليريه حربه وقتاله ويعرف عظم منزلته أثناء دوران دولاب القتال وتحرك جيشه إلى نظم القريض وتوعدة الاعدام فأشدد وقال :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| نعم أبي فيلزور الفارس البطل | مردى الكفاة هزبر ماله مثل |
| قد جئت شبلا عند الرأي لا أسد | يلوى عتاقى ولا الاسياف والاسل |
| مصلب العزم كسار الرؤوس إذا | ما النقع يوما به الابطال تكتحل |
| أكر بالقوم كالدولاب مستويا | فوق الرقاب وطل الدم ينهمل |
| أجود الطمع في الأكباد عن شغف | إلى الطراد وجمر الزوع يشتعل |
| ويل الوليد إذا ما رحلت أطلبه | بهمة قط لم يلحق بها كال |
| وويل مصر ومن فيها إذا نظروا | لهيب ضرب به الارواح تنقل |
| أو شاهدوا من لظاسيف المنية لا | منها مفر ولا يثنى العمل |
| سأخدم الدهر فيروزا وأبذل في | مرضاته همه من دونها زحل |

ولما انتهى بهزاد من إنشاده طرب له الملك ضاراب وأبوه وفيروز شاه وسرو به وشكروه على بسالته وإقدامه وساروا جميعا سيرا غير مرتب إلى أن قربوا من لندن الطائف وهي المدينة التي فيها فرخوزاد وخورشيد شاه ولاحت لهم عن بعد أعلام الفرس تحف على أسوارها فسر بذلك الملك ضاراب وأرسل خبرا إلى فرخوزاد يخبره بقدمهم وكان إذ ذاك مع خورشيد شاه عند تاج الملوك يتعاطيان الخمر ويتناشدان الاشعار وقد صرفا وقتا من الزمان براحة وهناك لا يكدر صفى عيشهم مكدر ولا يمنع منهما ما منع . فلما بلغتهما قدوم الملك ضاراب نهضا بأعظم سرعة وهما لا يصدقان بذلك وقد نالهما من الفرح ما لا مزيد عليه وخرجا برجال المدينة وأعيانها إلى ملاقاته حتى وقفوا بين يديه وسلموا عليه فسلم عليهم وشكرهم على طاعتهم وانقيادهم وهنا فرخوزاد وابن عمته بالخلاص بعد ذلك الاسر واستعاد منهما الحديث عما كان من سبب أسرهما فحكيا له السبب واجتمع بهزاد بأخيه فسلم عليه وصاحفه وهنأه بالسلامة وكذلك فيروز شاه فانه أظهر مزيد فرحه بملقاه وشكر الله على خلاصه وقد

سلم عليهما جميع فرسان الفرس ثم رجعا جميعا الى المدينة وهم على ما تقدم من
الهاء والمصرة ولما دخل الملك ضاراب وبقية الفرسان والوزراء قصر تاج الملك
ترحت بهم غابة الترحاب وقدمت لهم الشراب وروجت لهم الماكل وهى على
جانب عظيم من الفرح لتقربها منه ووقوفها بين يديه فشكرها على معرفتها واثني عليها
مزيد الثناء ووعدا بكل جميل وخير وانه سيزفها على خورشيد شاه عند رجوعه من
حرب المصريين وعند اتمام غرض ولده وبات الملك ومن معه تلك الليلة فى ذلك
القصر وفى صباح اليوم الثانى نهض من فراشه وامر فرخوزاد وخورشيد شاه ان
يركبا ويسيرا مع الجيش فاجابا بالسمع والطاعة وكذلك بهروز فانه اجتمع بسيد
فيريز شاه وقل يديه فشكره على حسن مساعيه وعاد الى ملازمته منذ ذلك الحين
كما كان فى الاول ولم يتضح نور النهار غاية الوضوح إلا كانت عساكر ايران قد
تحركت من ذلك المكان وهو آخر حدود اليمن وسارت بترتيب وانتظام كل جيش
تحت امرة قائده ورفعت الرايات بحسب ترتيبها كل راية فوق فارس مخصوصة به
وسارت الجيوش فى طريق مصر الى أن دخلت البلاد التى لها تعلق بمصر فكانت
تمر دون التعرض الى احد او تقصد اذى أحد بل كانت تسير متجبة عن العمران
ولا زالت فى هذا التسار الى أن قربت من مصر فخرجت الى جهة الشرق منها
واختارت لها مقاما نزلت فيه كما تقدم معنا الكلام وقد شاهد وصولها الوليد وجماعة
فرسانه والشاه سرور وطيغور وقد عادوا الى المدينة

قال وشاع خبر وصول الايرانيين الى مصر وانتشر بين الخاص والعام حتى انتهى
الى عين الحياة فصفت من الفرح واتسع صدرها وانشرح ولم تخفى مسرتها عن
طوران تحت بل قالت لها اما قلت لك سابقا ان من احبته نفسى صادق الوفاء كريم
العهد فها قد جاء بطاى يجر من خلفه جيوش ابيه برمتها فكيف لا احفظ له عهدا
وادعى له زمانا وهو يقتضى اينما ساروا بي وبلى نفسه فى حفر المالك لاجلى . قالت
هذا دأب كل المحبين كيف لا تنظرين الى حالتنا وقد جمعنا كل هذه الجنود
لاجلك لندافع عنك من يطلبك ونحفظك لآخى قالت ليس ذلك من أخيك وإلا
لو كان كما يزعم وكان فيه الكفاءة لان يكون محبوبا لسبق الجميع الى ورمى نفسه
بين مشبك السيوف ودافع عنى هجمات الزوج الذى راموا أيضا الحصول على الزواج
انما جنبه منه عن أن يقادى بنفسه فى مثل هكذا أخطار وضد عقله عن
أيجاد وسيلة نوصله الى غايته رمته بسهام الجنون فتم جنونه ولا ريب فى أن جنونه
يجب له وتعلق أهله بالوصول الى هر اعظم من جنونه الاخير الذى رماه بالياس
والقنوط . وعما قليل تنظرين الى أفعال فيروز شاه فتعذريننى على حبي له ومتى رأيت

جماله وكمال خصاله وحسن آدابه تصفينى ولا تعودين فتلومينى على تهورى فى عشقه ولا بد من أنه سيدورنى وأنا عندك فى هذا القصر لأن له زمان مديد لم يرنى وكان يعد نفسه بزواجى وهو فى تعزاء الجن ولذلك كان يصبر نفسه على احتمال صعوبة الفراق . فتأملت طوران تحت من كلامها إنما لم ترد أن تظهر لها ما لحق بها لدى ذمها لأخوها بل أجابتها بكل بشاشة ولطف ولة لها انتظنين الى هذا الحدان فيروزشاه بأنى هذا القصر وبخاطر بنفسه لاجلك وهل صور لك حبك الاعمى بانه إذا حركه جنونه إلى ذلك وقصد الدخول الى هذا القصر يقدر أن يخترق عساكر ابى واسواق المدينة دون أن يشعر به احد مع ان عيارى ابى منقشرون فى كل المدينة وضواحيها وبين الجيش والخفر قائم فى كل صوب وعلى كل باب قالت سوف تريك الأيام ماقلته لك فتعلمين أن من أحبه ليس هو من الناس بل ذات قدرة تفوق أعمال البشر ولديه من العيارين مايمرون به من أضيق الثغوب وبعد ذلك طلبت عين الحياة من طوران تحت أن تأتها بصفرة المدام وتأخذ معها على الحظ والانبساط منذ ذلك الحين فأجابتها اليه وهى تظهر لها كل لطف وظرف ولا تريد أن تكسر لها خاطر وقالت فى نفسها ان كان حبها فيروزشاه الآن يحملها على الفرح والمسرّة فلا بد أن يتقلب ذلك إلى قطع الرجا . وخيبة الأمل عندما يصبح قتيلا وإذ ذلك يصف هذا الحب ويضمحل بالتتابع شيئا فشيئا ويذول بزواله وكانت تفكر أيضا أنه ربما فاز الاعجام على أيها واحتاج الأمر إلى التوسط عند فيروزشاه والمالك ضاراب فتتخذ عين الحياة وسيلة لذلك وكان هذا عن تعقل منها وحكمة بنظرها إلى المستقبل وماربما يكون منه وقامت على أطيب عيشة وأنهاها

وفى اليوم الذى وصلت فيه عساكر إيران وضربت أطنابها لاح لطارق العيار أن بنى بوعدة للشاه سرور ويخلص له ولده وعيار بلاده هلال والامير قنيل وقال فى نفسه ان هذه الليلة لابد أن ينام القوم من أول الليل لأنهم تعبانون من مقاساة الاسفار ومعاناة صعوبات الطرق اتى سلكوها أثناء مسيرهم وسفرهم الطويل فلا ينبغي أن أضيع هذه الفرصة وأخسر اكرام الشاه سرور وأحرم نفسى من المال الغزير الذى وعدنى به إذا أتممت له وعده ولا سيما انى أشهدت على نفسى ذلك وأكبر غاية لى فى هذا المعنى أن أسطو على جيش إيران وانتشل من بينهم أسراهم فألبسهم ثوبامن الذل والعار وألقى الحرف والوهم فى قلوب عياريههم وبعد أن لاحت له كل هذه التخييلات وطد نفسه على المسير وغير ملابسه وسار بصفة فقير شحاذ ودخل فيما بين الأعداء وبدأ يطarf من جهة إلى أخرى يمتحن مراكرهم ومواقفهم إلى أن عرف المكان الذى فيه الأسرى ونظر من عليهم من الحراس ولذلك بعد عن ذلك المضرب

واقام هند جماعة الفقراء وهو يخدم في المعسكر الى ان مضى جانب من الليل وترتب الخفر على العسكر من جهة المدينة خوفا من مفاجأة العدو لهم في الليل ونام الباقون اناسا بعد اناس حتى سكنت الغوغاء وهدأت الاصوات فتيقن أن الجميع قد ناموا فنهض من مرقدته وانسحب الى حجرة المكان الذي فيه الشاه شجاع فوجد عند باب المضرب حارس واحد يحرس والباقيون نيام الى جانبه فلم يتحرس لهم ولا ترك الحارس يراه بل جاء من خلف المضرب وتمطى من الوتد بكل قوته فاقتلمه من الارض ورفعته الى جانب ثم رفع طرف المضرب وانسل الى الداخل فوجد الاسرى مستيقظين فلما نظره هلال قال له احسنت يا طارق فاننا الآن بانتظارك فسيب طارق من كلامه من اين عرفه الا انه لم يرد أن يطيل الكلام معه في ذلك المكان بل اخرج المبرد من حردانه وقطع به القيود بسرعة عجيبة وبخفة لم يسبق لها نظير واخذ السكين أيضا فقطع بها الحبال وأشار اليهم يتبعوه من المكان الذي دخل منه فأجابوه وساروا من خلفه حتى صاروا خارج المضرب وعند ذلك أخذ الوتد الذي اقتلمه فربط به الحبل وأنزله في مكانه وشده برجله حتى لم يعد يتحرك وخرجوا جميعا من ظهر جيوش القرس وانسحبوا من بين الخفر واحدا بعد واحد وهم يذبذبون على الأرض دون أن يراهم وأوسعوا في البر وجاؤا من طريق بعيد إلى أن وصلوا إلى معسكر المصريين فدخلوه آمنين وقد عرفهم طارق بنفسه وسأل هلالا وقال له حينما فككت قيودك قلت لي احسنت يا طارق فمن اين يا ترى عرفني مع اني لم ارك قبل الآن ولا رأيته ولا عرف أحدنا الآخر . قال صدقت في ذلك غير اني كنت أسمع عنك بأنك من آفات العيارين قد أتقنت هذه المهنة فتخرجت فيها حتى إذا ذكر عيارو الممالك والملوك كنت تذكر في أولهم ولذلك قلت لسيدى الشاه شجاع وللأمير قتيل انه في هذه الليلة لا بد لطارق العيار أن يزور الاعداء لياقي بهم أثرا وليس أهون عليه وأنت على الفرس من أن يخلصنا ويذهب بنا إلى قومنا ولذلك لا ينبغي أن ننام حتى متى جاء يرانا بيقظ وانتباه فلا نخوجه ان مزيد تعب اختشاء من ان يسمعه الخفر أو يدري به أحد لأننا إذا رأيناك ونحن على غير انتباه نلتبس في أمرك وبحسب الامر إلى الاستفسار وقد جرى ما كنت أظنه وأرى من نفسى أن لا بد من وقوعه . قال حيرا فعلمت ثم قدم لهم الاكل والشراب واكرمهم مزيد الاكرام وقال لهم يجب ان تبقوا عندي هذه الليلة إلى حين الصباح كي اقدمكم للشاه سرور وانالمنه المجازاة والمكافاة التي وعدني بها . فأجابوه إلى سؤاله وناموا عنده تلك الليلة فرحين بجلالهم ونجاتهم .

وفي الصباح نهض الوليد من منامه وقام في مجلسه وتوارد عليه رجاله واعيان

حرم من بعد ذلك جاء الشاه سرور ووزيره طيفور وأخذ كل مركزه فقال له الوليد ان
 الاعداء لم ينووا القتال في هذا اليوم ولا بد أنهم أخرجوا ذلك لما بعد المسكينة ليعرضوا
 علينا مطالبهم واقتراحاتهم وعلى ما أرجح أنهم يطلبون عين الحياة منا قال طيفور ان
 هذا لا بد منه وهو من خصائص الملك ضارب أن يضع للحرب حدا وأن يبدأ
 بالمسكنيات مقترحا شروطا ومدعيا رغبته في الصلح والسلام . على أني أخبرك أمرا
 واحدا قد استحسنه من الاعجام فقط وهو أنهم إذا كان في قصدكم انتشار الحرب
 يبدأون بدق طبول القتال من بزوغ الصباح ليعلم الخصم وينبه اليهم . قال الوليد اني
 كنت أحب أن أعرف ماذا جرى في ليلة أمس بين الاعداء وبماذا يفكرون ولا بد
 بطارق العيار من أن يكون قد دخل بتجسس أحوالهم لأنني منذ أمس لم أراه فانتبه
 الشاه سرور إلى كلامه وخطر في فكره وعد طارق له وقوله بأن في أول يوم من
 وصول الفرس إلى هذه الديار لا بد من خلاص ابنك وعيارك وبيننا هو على مثل هذا
 الفكر وإذا بطارق العيار قد دخل إلى القصر ومن خلفه الشاه شجاع والامير قتيل
 وهلال العيار وقد دنوا من الوليد وقبلوا يديه . فقال طارق للشاه سرور اني وعدتك
 وأجهزت بوعدي فما ولدك قد خلصته لك بالأمس من جيش اعدائك وجنتك به مع
 عيارك الذي أنت في حاجة اليه ولا أقبل أن يقال عني بأنى قاصر عن القيام بوعدي
 وما تركت الليل أن ينقضى إلا اوم نيام عندي ففرح به الشاه سرور وقال له وإنى أفيك
 وعدى وأزيدك شكرا لك ولاهتمامك ولا ريب أن من كان مثلك يعظم ويكرم وقد
 أصاب سيدك الوليد حيث قدمك على سواك من عياريه . ثم ان الشاه سرور أنعم عليه
 بالأموال الكثيرة وأكرمه مزيد الاكرام ومدح الوليد منه ومن عمله وقال له اخبرني
 كيف تسهل لك أن تخلص هؤلاء الاسراء في وقت واحد وأنت لاتعرف الجيش ولا تعلم
 مكان سجنهما . قال اني دخلت قبل أول الليل وأنا بصفة شحاذ حتى عرفت مقرهم
 وفي أى مضرب هم مسجونون . وحكى له كل ماتوقع له . وقال له في آخر كلامه اعلم
 باسبدي أن الاعداء على غير اهتمام بنا وربما ظنوا بنا التمجيز والضعف لانهم بأفراح
 ومسرّة وامانهم إلا من يغني ويخمر وليس عنديا لهم أمرو ولا بهمهمهم وقد نسوا مركزهم
 الصعب فانهم بلاد مصر وأن خصمهم يفوقهم أضعافا عددا وعدا . قال لا بد أن تكشف
 الحقيقة للعيان ندعم بغيبهم يحبون إلا أني أريد منك أن لاتهتمل بأمر الاعداء وأن
 اتنى منهم بالأخبار في كل يوم بحيث نعرف دائما ما يحد بينهم ومنهم أيضا . قال سمعا
 وطاعة وأنت تعلم صدق خدمتي فسوف ترى ما يسرك وأريك كلما تعده في .
 فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك ضارب فانه جلس في صبر

مجلسه في اليوم التالي لوصوله ودعا بأن تجتمع اليه القواد والفرسان ليعقد مجلسا حريا يستطلع به على أفكار الجميع فاخذوا يأتون واحدا بعد واحد ولما انتهوا أو كادوا ينتهون جاء شبرنك العيار ودخل على الملك وقال ياسيدي اني رأيت الخفراء القائمين على الشاه شجاع بحيرة وارتابك فساءلتهم ما الخبر فقالوا لي انهم أصبحوا فلم يروا في المضرب أحدا ولا رأوا فيه منذ ما مع أنهم طول الليل قيام في مرا كرم لم يغفلوا قط عن الحراسة دقيقة واحدة وقد نقشوا فلم يروا أحدا وعلى ما أظن أن الشاه شجاع والأمير قتيل وملال العيار قد تخلصوا وساروا إلى جيشهم ولا ريب أن الذي خلصهم هو طارق العيار لأن سمعت أنه خداع محتمل لا يغفل عن شيء ويجب أن يحذر منه فهو كثير المكر والاحتيايل وأبواب العبارة عنده واسعة جدا . فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام وقع عليه أشد من ضرب الحسام وقال أكان من الأعداء أن يسطروا علينا عياروم وأنتم في غفلة عنهم كيف قدر هذا العيار أن يصل إلى خلاصهم والخفر واقف أكان من الجن الطيارة أم من العفاريفت السيارة ان هذا من أعجب العجائب فقال بهروز لا ريب في أنه اقتلع وتد المضرب وبعد خروجه أعاده إلى أصله . فقال طيطلوس انه من الواجب عليكم أن تنبهوا من عيارى مصر وتحذروا من أن يبدؤوا بكم ولا خفاكم أنكم اذا أردتم أن تعدوا عيارى هذه البلاد تجدون ان كل أهلها من العيارين الماهرين

ثم ان الملك بعد ذلك قال اني ما دعوتكم الا للتدبير في أمر الحرب واستشركم في كل أبدأ بالحرب أو ا كاتب الأعداء فقال طيطلوس ان الحرب لا بد منها إنما يجب . لأن في البداية أن تكتب إلى الوليد وتطلب اليه أن يسلمك الشاه سرور وطيغور وعين الحياة فتعود عنه ولا نقيم عليه حربا ولا بد أنه يمتنع عن الاجابة فيكون هذا كناية عن اشهار حرب اذ تكون بداية الشر منه لانه حتى عدونا عنده ورغب في أن يزع من ولدك من أحبا وأحبته ليزفها على ولده وما ذلك الا من أسباب التعدي والافتراء فوافق الجميع على هذا الرأي وامر الملك في الحال طيطلوس ان يكتب كتابا ويدفعه إلى شبرنك ليوصله إلى الوليد ويأتى منه بالجواب فاخذ قرطاسا ودواة وكتب :

بسم الله الذى اوصلنا إلى مصر بخير ونعمة وأبعد عنا كل مصيبة ونقمة
من الملك ضاراب ملك بلاد فارس بأجمعها وسلطان ملاطين اليجم العادل
المنصف إلى الوليد حاكم مصر وما يلبها الظالم المصروف . اما بعد فاعلم ايها الملك الذى نحن الآن في أرضه وبلاده انك قد تعديت على حقوقنا ووجهت بعملك أسباب العداوة لنا . وذلك لا خفاك ان ولدى فيروز شاه احب بنت الشاه سرور على مجرد

وقياه لها في الحلم وهذا من عجائب الصدف وغرائب الايام لان الله كتب له نصيبا عليها قدس بقلبه دسم هواها وهو حال من كل حب وكان إذ ذاك أول إدراكه فقصد بلاد أيها وفيما هو في طريقه صادف بعض القرصان وقد قصدوا التحدى على مراكب بنه فخلصها منها وجاء إلى القلعة الجبيلة وهي من أعظم قلاع الين كان فيها اثنين حاصيين وهما قاطر وقطير وقد اهلكا قسما كبيرا من عساكر الشاه سرور دون أن يقدر أن يكبهما أو يستأسرهما فسكهما وقادهما أمامه بد أن حاربهما وأرجع القلعة إلى صاحبها أي إليه ثم جاء تعزاء الين فوجد عساكر الشاه روز وعساكر الزوج متجمعة حول المدينة وقد ضايق الجيوش المدينة واهلكوا منها قسما كبيرا وعزموا على أن يدخلوا اليها وليس في الين من قدر أن يقف أمامهم فلما رأى ذلك ولدى استغيم هذه الفرصة ليرى عمله إلى الشاه سرور فنزل بيروز وميسرة فقتلها وبدد جيوشها واجلى العساكر عن المدينة فترحب به الشاه واحبه في أول الامر ثم ظهر حادث في قصره وهو أن إنسانا قتل عبدا كان يفعل الفحشاء مع جارية على السطح انتج ذلك كدره وجمع العساكر حول القصر ووجه من ذلك الحين عداوته نحو ابني وقد نسي كل ما فعله معه من الجبيل والمعروف الذي تقدم ذكره فسكك مع رفيقه فرخوزاد وسلمهما إلى عدوهما هورنك الذي قتل ولده ليخلصا بنته منه إذ ليس من العدل أن تكون زوجة لذلك الهج البربري كما خلاصها من السبي والانتهاك عند مهاجمة الشاه روز الذي كان قد صمم كل النية أن يأخذها سبية دون عقد نكاح والله قد ارجعهما سالمين وكان جل مارغيه ابني من هذا الحزن أن يكافئه على جميله معه بزفاف بنته عين الحياة فامتنع وفضل خراب الديار والتغرب عن الاوطان والعذاب من مكان إلى مكان عن أن يهاجر ابني فيروز شاه وقد عرف كل انسان انه أجل منها وجها وأشرف نسبا وقد كملت مزاياء وانتشر صيت شجاعته بين ملوك الارض وأعنيها وشاهد الشاه سرور شجاعته بعينه حتى أصبح إذا ذكر اسمه عنده يرتجف ويخاف . ولهذا أسألك الآن إذا كنت منصفاً وترغب في أن تحقق دماء العبد فاملبها هذا الخائن لنصالحه ونفيده إلى بلاده فاملبنا أيضا طيفور جبروتة هذا الشر لننتقم منه ونهلسك ونأخذ عين الحياة ونرجع عنك مكتفين بهذا الذي أئيننا بطلبه وتكون أنت قد نظرت نظر العقلاء وحكمت بالعدل حيث قد علمت أن لولدى الحق لا كبير بين الحياة إذ كان علة صونها وصون بلاد أيها وتكون أيضا قد أبطلت حرباً رديئة العواقب ربما قتل فيها أكثر جيشي وجيشك ظلما لأن لا دخل لهما والامر متوقف على ذلك وكرر عليك السؤال بان لا تتخدد بتداسات طيفور ولا تسمع إلى كلامه فهو خادع ماكر ولاخفاك أن الذي يكر بغيرك يكر بك فرداة الطوية لا تحرم

على صاحبها أمرا ولا تحمله على مسألة الغير وإن كان له عظيم صالح فيك إلا أن هذا الصالح لا يلبث أن يزول فيرجع إلى الخبث والخيانة . ولا بد أن تكون قد شاهدت بمينيك عظم سلطان وكثرة فرسان الأشداء وقد فاقوا بعددهم العسكر فانظر نظر الحكيم العاقل وافمل فعل المنصف العادل ولا ترى بنفسك إلى قتالنا فتجلب لنفسك ولبلادك الخراب والويل والدمار وإياك من الممانعة فتندم حيث لا يود ينفع الندم إذا زلت القدم والسلام ختام .

ثم ختم التحرير وعثرته باسم الوليد ودفعه إلى شبرنك العيار وأوصاه أن يدفعه إلى الوليد ويأتى منه بالجواب وينظر بكل دقة إلى نخبة فرسانه ويصلى إلى ما يقوله الشاه سرور وطيغور وإلى كل ما يدور بينهم من الكلام فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ التحرير وانطلق إلى أن وقف أمام الوليد ودفعه إليه فدفعه إلى وزيره يدانديش ليقرأه وكان في ذلك الوقت قد تجمعت عهوم الأمراء والأعيان يتباحثون بأمر القتال . فقرأه الوزير إلى آخره حرفا بحرف إلى أن انتهى منه وقد وقعت الخلة على الشاه سرور وانجم لسانه على الكلام ووقع الرعب في ركابه من عظم ما هو واقع من الخوف في قلبه وأما طيغور فانه كاد ينشق حنقا وقال على الفور إن الملك حصارب دخل باب الكذب وقصد أن يغش سيدى الوليد بأن الشاه سرور خان وعد ابنه فيروزشاه مع انه جاء بلادنا كلص ومحتال ولذلك صار من العيب الكبير أن نزوجه بنت مثل عين الحياة التي رغب فيها أكبر ملوك هذا الزمان كابن سيدى الوليد حاكم مصر وقاهر الأعداء وقد حدثه جهله أن يطلب تسليم وتسليم عين الحياة وما أراد بذلك إلا القاء العار على مصر ورجالها ليقال انهم قد خافوا منه فأجابوا طلبه وليقال أيضا أن الوليد قليل المروءة والذمام لم يحصى نزلاءه من أعدائه ولادافع عنهم يل سلمهم إلى اخصامهم ونكث عهده معهم ويرغب في أن يخسر عين الحياة سالحا ويدفعها إلى ابنه بارادة الوليد وفوق كل ذلك قد يتهدد رجال مصر بجنوده وفرسانه وقد أعمى الله بصيرته عن أن يرى هذه الجيوش المتجمعة وفرسانها المتعددة وإبطائها المتهمة وينسب لنفسه العدل ويحذر سسيدي الوليد من الظلم والتعدي مع انه هو المتعدي لأن أبا البنت ووليها خطبها بارادته إلى الشاه صالح وهو في بلاده وجاءها إليه يزفها عليه وما كان ذلك منه بالرغم أو بالقهر ولما جاء إلى هذه الغاية تبعه هو ينزع منه بنته فأين يا ترى الظلم والغش والخيانة والتعدي . وكان طيغور قادرا تركيب الكلام وسرد الجمل بعبارات مترادفة بما يحرك السامع إلى التأثر والتصديق وكان يشون بالكلام ويقبئه من جنب إلى آخر فزاد كلامه في حق الوليد وقال اني أعرف كل ما ذكرته ولابد لي من أن أهدم عز هذا الملك وأذل ساطانه وأعدمه

ولده المفتخر به واجمل هذه البلاد مدافن لجيشه فلا ينجو أحد منه لأنه متعظم متعجرف لا يقدر نفسه حق قدرها ولا يراعى حرمة الملوك وسلطانهم أينكر أن أسله عين الحياة وقد نويت على أن أبذل أموالى ورجائى فى سبيل الدفاع لأنها صارت من حريم ابنى ومن نساء عائلى الخاصة ثم أمر بيدانديش الوزير أن يكتب كتابا إلى الملك ضاراب بتهدده به ويأمره أن يرحل من بلاده والا لثى شره صبية وأكبر تهلكة فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وأخذ وكتب :

بسم الله الذى علم الانسان طرق العدل والوفاء وحذره من التعدى والافتراء من الوليد حاكم مصر والصعيد والاسكندرية وبر الشام وحلب وما حوالها . إلى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وسلطان العجم وسيدها .

وصلتنى مذكرتكم الحاروة من الوعد والوعيد والمباهاة والتهديد ما لا أظن أنه يصدر عن ملك بدعى العقل والحكمة نظيركم ولذلك قد أثرت فىنا غاية التأثير وكدورتا مزيد الكدر وما زادنا عجا طلبكم اليانا أن نسلحكم طيفور والشاه سرور كأنكم تظنون بنا العجز والضعف أو قللة المروءة والوفاء وعدم مراعاة الزيل مع علمكم حق العلم أننا نحن الذين دعوناها اليانا طعما فى أن يجركم إلى هذه الديار ويرىكم من حربنا خلاف ما تعهدون والاعجب من هذا جميعه طلبكم بأن تأخذوا عين الحياة فترحلون بها من هذه البلاد وتكفونامؤونة حركم والحق يقال أنه صعب عليكم جدا أن تروا بعد تلك الدرة القيمة وأقرب عليكم من أن تشاهدوا بلاد مصر وجميع نواحيها قاعا صافصفا من أن ترونى أسمع بها أو أسلمها لسواى أو أراها ضجيفة لغير ولدى صالح ولهذا صار من الخنون أن تفكروا بها أو تطعموها بخروجها من يدى وكيف يحظر لكم أن تأخذوها بالرغم عن أبيها وتدعو الحق بها وأبوها بمضل الموت على أن يسلمها اليكم ومع ذلك تطلبون الانصاف منا وتعدون ما أثروا لكم وحسنه مع الشاه سرور على أن المذكور لم يدعه إلى معوته بل أوجده هواه فى بلاده ودعته دواعى الفضول إلى أن يحاطر بنفسه لأجل غرامه ولما كنت أعلم أن الشاه المذكور لا يرغب فى أن يزوج بنته باني متمت أن أجبره اليه لعلنى أن كل نفس أحق بالحمامة عن صوالحها وما لأن وقد خطب بنته من أبى وسمع له بها فصارت من نساء قصرى ومن أعز الناس ندى وهل من العدل أن يسلم الرجل الحكيم الخبير كنته لأعدائها عن رضا وقول رعائيه من أنذرهم الآن باني جمعت لكم جيوشا وفرسانا بعدد رمال البحار ولا بد من أن تروا من أنفسكم صعوبة مركزكم وتهوركم إلى المخاطرة بدخولكم بلادى وإخراقكم هبتي فاستعدوا فى صباح الغد إلى قتالى وتهبوا إلى نزال أبطالى ولا تظنوا أنى أغدركم أو أخذكم على غفلة إلا إذا كنتم تعدونى عن صفاء نية وتعهدون لى بأنكم ترحلون من

بلادى وتنازلون عن مطالبكم وترجعون إلى الشاه سرور بلاده وتحصلون على رضائه عنكم وعفوه عن زلاتكم وما أوصلم اليه من الشر والأذى وإذذاك ترونى لكم صديقا صادقا مخلصا أتنازل لكم عن طيبة خاطر وأقبلكم كضيوف فى بلادى قد جئتم لتحضروا زفاف ولدى على عين الحياة وأما ابنكم فليختر له زوجة من بناتنا فلا تمنعنا عنه إكرام لكم ومجبرة له وهذا جل ما أخبركم به وأعرضه عليكم فاختراروا لنفسمك إحدى الحالين إما القتال إذا أصررتم على عزكم وطمعتم بين الحياة وإما السلام إذا تركتموها اننا وتناستيموها وعاهدتمونا على الرجوع إلى بلادكم بعد أن تأخذوا لأنفسكم الراحة ما شئتم من الأيام والسلام .

وبعد أن انتهى من كتابة التحرير بعثه إلى الملك ضاراب مع عياره شبرك فاخذه وسار وقد فرح طيفور والشاه سرور بهذا التهديد وما أدهاء الوليد واطمانت خواطرهما وأملا بالنجاح والفوز وقرب العود إلى الديار وبأقل من ساعة وصل الكتاب إلى الملك ضاراب فاخذه من شبرك وكان بانتظاره ودفعه إلى طيطلوس وقال له اقرأه على رؤوس الأشهاد وكان لا يزال الجميع فى مجلسه فاخذ التحرير وقرأه ففهم الجميع معناه وما منهم إلا من تسكدر خاطره وحركته مروءته إلى سرعة القتال وصاحوا باجمعهم إننا لا نقل صامعا ولا نترك عين الحياة ولو ذهبت نفوسنا وأجسامنا فى سبيل الحصول عليها واستخلاصها من هذا المكابر وأما فيروز شاه فلدى سماعه ما كان من كلام الوليد تحركت الغيرة فى قلبه وفار الغضب فى دماغه وكاد يختنق من الغيظ الذى لحق به وكاد لولاهية أياه أن يركب الكمين ويفتحم جيوش مصر ولا يرجع إلا بحبيته عين الحياة ورأى الجميع منه حالته فخافوا عليه ولذلك قال الملك إننا فى الصباح سنبادر إلى افتتاح الحرب ونرى الوليد من منا الرابع ومن الخاسر إنما أريد منك يا طيطلوس أن نذهب إلى صيوانك وأنينا بما يظهر لك فى تنجيمك عن هذه الحرب وفصل لنا عراقها لنكون على صيرة من حالنا ونعرف كيف نحارب ونقاتل قال سمعنا وطاعة ثم حكى شبرك للملك ضاراب ما سمعه من طيفور والويد فلغنه وقال إذا سمع الزمان ورماء يدي لا بد من قتله وقتل الشاه سرور وقد أقسمت وأقسم وأحتم أن لا بد من قتلها ولو مهما كان وجرى وأما فيروز شاه فدعا إليه شبرك وقال له هل وصل اليك خبر عن عين الحياة أو عرفت عنها شيئا قال نعم استفسرت من بعض خدم الوليد أنها مقيمة فى قصر طوران تحت بنت الوليد على أطيب ما يكون من الصحة وعرفت أن الشاه سرور لم يقبل أن يزف بنته على الشاه صالح بل اعتذر بأنه صدر منه قسم أنه لا يزفها إلا بعد قتل فيروز شاه ولذلك قد اتفق الجميع فى مصر على قتلك وانك متى

وقعت في يده لا يبقى عليك لأن هذه الحرب لا تنتهي إلا بك ولا يضعف جيشنا إلا بهلاكك ولا تجيب عين الحياة الشاه صالح إلا إذا قطعت رجاءها منك . فزاد غضب فيروز شاه وتمنى أن يكون واصلا إلى الشاه سرور لينزل به إلى القبور ويفعل مثله بطيغور وندم غاية الندم كيف كان يراعيهما ولم يقصد هلاكهما ولو قصد ذلك لوصل إليه وهما في جيوشهما عند تعزاء اليمن إنما كان جل ما يرضيه أن لا يفجع عين الحياة بابها ولا يضع لها سببا أى يكون علة كبرى لبكائها ونوحها . ثم أرفض القوم في ذلك النهار على أمل أن يعودوا في المساء إلى عقد المجلس لينظروا في كلام طيطلوس وما يابنهم . قال وقد تقدم معنا أن الوزير طيطلوس كان من حكماء ذلك الزمان وعقلاته قد حنكته الأيام وقلبت أبادى الاختبار وكان عالما فيلسوفا ومنجما وله أكبر معرفة بالتنجيم ينظر إلى عواقب الأمور من حيث صحتها . فذهب بعد أن أعهد الملك ضاراب بأن يختبر أحوال هذه الحرب وما يكون منها قبل وقوعها ودخل صيوانه وأخذ في البحث والتدقيق عن تركيب الانجم وما تنتج وأحضر الرمل فضرب به أشكالا على الطريقة المعروفة عند أرباب هذا الفن فتبين له بعد حقائق أنتجت نبات أمكاره وعلمه وصرف كل بقية ذلك اليوم إلى المساء وبعد العشاء أتى صيوان الملك فوجده محتفيا بالأعيان والأبطال كمصفر شاه وكرمان شاه وفيروز شاه وبهزاد وفيلزور وويلتا وفرخوزاد وبقية الوزراء والقواد وكلهم ينتظرون قدومه فدخل وحياهم فوقوا لإجلاله ولم أكراما لمقامه . ثم جلس على كرسيه إلى يمين الملك فصلى القوم إلى استماع حديثه وقوله الملك صجل فباذا جئت وماذا تبين لك قال وقد أظهرت لى العناية الإلهية من غامض الأسرار ما يجد علينا وأخفت عني ما يجب معرفته إذ ليس من وظيفة الإنسان الخلق الضعيف أن يعرف ما يقصده الله بل أعطيت معرفة الاستقبال إليه تعالى وأن مآلته والله أعلم أن نهاية هذه الحرب تكون حسنة العقبى علينا وخيمة على المصريين وأشاد سرور إيتا ذلك بعد صعوبات كلية وعذابات وأحوال لا بد منها تلقيناها تحت أثقل صعبة الحزن وجل ما قدرت أن أعرفه وكدرنى جدا هو أنه ظهر لى أثناء تنجيمى أنه سيقتل من بين عساكرنا بطل مقدم كبير الشأن رفيع المقام على الأهمية يضطرب له الجيش وتهتز له الأبدال وتأثر لموته عواصم العجم ومدنها ويحزن كل من عرفه أو سمع بصيته فاستدعا هذا القول انقباء الجميع وقال له الملك ضاراب وقد خفق قلبه وشعلت به نيران الحُوف على ولده وقال له أهل تقدر أن تعرف من يكون هذا الذى يفقد من بيننا ويقتل بيد الأعداء تل إن معرفة اسمه من خصائص الله سبحانه وتعالى لأنه كما تقدم منع عن الإنسان أن

يعرف كل أسرارهم إنما سمع له بعقل ينظر إلى العواقب بصيرة وأن يفهم من طلائع الأمور بعض ما يمكنه عقله القاصر الضعيف أن يدركه .

والحال نزل الملك عن كرسيه إلى الأرض حزينا كئيبا وأخذت السكتة جميع السامعين وماتهم بالإمن وقعت عليه الخلة وانتفل باله وكان بعضهم يظن أن هذا الرجل العظيم الذي سيقتل هو الملك ضاراب والبعض كان يفكر أنه فيروز شاه والاكثر قد ظنوا أنه فيروز شاه لأن الملك ضاراب لا يباشر حربا إلا بعد قطع اليأس والدفاع عن نفسه ورأيت أنه وأما فيروز شاه فإنه يحاطر بنفسه كل المخاطرة ولذلك نهض فيلزور واقفا ودنا من الملك وقال له لا يجب يا سيدي أن ترتاح لمثل هذا الخبر فإن الحرب نار تحرق من تصل إليه ولا ينجو منها إلا من طال عمره وكتب الله له السلامة ولا يفقد منا إلا الذي انتهى عمره ودنا أجله ولا من مكدر يكدرنا إلا أن لا يصاب برأسنا وما نحن آمنون منه إذ أنك لا تدخل الحرب ولا تتنازل لقتال الفرسان ومعاذ الله أن نحتاج إلى قتالك ما زال بين يديك ألف من الفرسان والابطال يدفعون عنك الروبلات ويحملون الانقال ولا أظن أنك تحرق ناموس المملكة وتخرج من تحت الأعلام فتقاتل للدفاع عنها . فهض الملك رأسه وقال إني لم أكن في خوف على نفسي فإني لا أبخل بحياتي إن كنت أهدمها فدية عن جيشي ووطني لا سيما وإني قد اكتفيت من العمر ولم أعد في حاجة إلى لذاتها إنما جل خوفي على شبان فرساني ولا سيما على ولدي فيروز شاه لأن إشارات بطولوس تعني وتدل عليه فهو الذي يضطرب الشرق والغرب تخبر مصرعه وبهم جميع مدن فارس أمره فهو ولي عهدهم وقد ينتظرون به أقبالا وسعادة للمملكة والبلاد فقال فيلزور إني أسأل سيدي ابنك أو لا يباشر حربا وأن يقتنى إلى ناحية عز الحرب ويقيم كستفرج مع فرخوزاد وبذلك يكون بالي قد ارتاح نوعا واطمأن خاطرى وأطلب من الله تعالى أن لا يخرجنا إليه ولا إلى مساعدته وفي الحال روى فيروز شاه بنفسه على مدى أيه يقبلها وقال له لا تدع يا أباي الخوف يتسلط عليك فلا خوف على قط ولا تحرمني من أن أشفي قوادى من أعدائى ولا تمنعني من أن أقاتل أمام جيشي فأحرزه النصر والفوز وكيف يطار عنى قلبي أو تساعدنى حاسنى أن أرى نيران الحرب تشتعل دون أن أكون من وقاديتها ودون أن أحرق فيها فرسان القوم وأبطالهم فقال له أبوه عبثا ترجو يا ولدى فإني لا أسمح لك قط أن تدخل الآن معنا الحرب أو تقاات بين جيوشنا وأطلب اليك أن تنزل شيتى بحزن إلى القبر فإن فى فرساننا الكفاة على القوم بالقتال وإن كان خوفك على جيشك فاعهد بجمايته إلى بهزاد

وأكرر عليك بطلي وأزيدك من الرضى والبركة ولا أريد منك أن تعصى لأمور
تخالف لي قولاً فأثر كلامه في قلب فيروز شاه فبكى بالرغم عنه إلا أنه أجاب بالطاعة
وقال له معاذ الله أن لا أسرع إلى الانقياد إليك وإلى طلبك وإلى أعدك بحضور هؤلاء
الفرسان أن لا أباشر الحرب من تلقاء نفسي دون أن تدعوني إليه وإلى أتحمّل الآن
ثقل هذا المنع بقبول وأفخر بنفوذ أمرك في لتعلم جميع الفرسان وجوب الطاعة إلى
الآباء إنما ليكن مؤكداً عندك وعند عموم رجال فارس إلى حزين إذا لم أتمكن
سبقي من دماء الأعداء الذين يسرهم هذا المنع ويفرحون بسبيهم إذ أنهم يتخلصون من
الكسر بسرعة ويثبتون أمامكم ثباتاً لا علم لهائته . ثم كلفت إلى جهة سزاد وقال له
ها إلى أتجنب الحرب إلى حين صدور أمر إلى إنما أهددك أن تكون أنت
بهزاد وفيروز شاه بوقت واحد وأن تقا تل قتال الاثنين فنادى تارة باسمك وتارة
باسمى ولا تقصر في الطعان وإياك أن ثبت في جهة بل قلب الحيش يمينا وشمالا كنى
يشمر جميع الفرسان والعساكر بقرب وصولك منهم ودنوك إليهم فتشدد بك قلوب
قومنا وتضعف عزائم أعدائنا . فقال بهزاد سوف ترى منى مايسهك وبرضيك وتعلم
أنك لست بغائب عن الجيش بل تقا تل فيه . وبعد ذلك أرفض المجلس وتفرق القوم
كل إلى صيوانه . وذهب فيروز شاه وهو في غضب لا مزيد عليه وحزن ليس بعده
حزن وكان يخطر له أن عين الحياة إذا عرفت بتخليه عن الحرب ماذا ياترى تقول
عنه مع أنها تنتظر منه نصراً مجيداً وتطلب خلاصها على يديه وأن يكون له الذكر الآله
بين الجيوش المتقاتلة ومن وجه آخر كان يتكدر عندما يتذكر أنه ربما لحق ضرر بأبيه
أو ربما كسرت عساكره وتفرقت فيكون امتناعه عن القتال شراو وبالاً وصرف ذلك
الليلة دون أن يأخذه نوم أو يطيب له خاطر وأخيراً قال في نفسه إن كل هذه الأمور
التي تقلقني لا تحسب شيئاً في جنب طاعته لأبيه وأنه لا يضل له أن يتد إلى أبيه ولو
خسر عين الحياة وخسر كل اعتبار العالم ومجده حتى ولو خسر نفسه أيضاً .

وقبل صباح اليوم التالي سمعت طبول 'الارانيين' الحرب قد نزلت منها ملك
الجبال والوديان واضطرب من كان داخل المدينة واستيقظوا من نومهم ولا سيما
عين الحياة فإنها سمعت أصوات الطول فعلمت أنها طبول الملك ضرر فتعشمت إليها
وقامت قبل طلوع النهار ودخلت غرفة طور بن تحت فأيقظتها وقالت لها ديا بن إلى
غرفة الشراب ففي مثل هذا الوقت يطيب الخمر وذلك على طبول لأحباب ولا خمر
أن الخيل تشرب بالصغير كما يقال . فقالت لها طالبين منى أن أسر أسروك فبول
الأعداء قالت إلى أسر لما في ضييري فسرى أنت بما شئت إنما اجاسى معى وانسرى

وعالبي فان الاصطباح يجلولي مثل هذا اليوم وباليقنى كنت قرية من ساحة القتال
أرى بطل الفرس وهو يصول على فرسان أبيك فيطردها بين يديه كما يطرده الليث
الأروع أضعف الخراف فقالت لها انى أجيبك إلى سؤالك حبا بشخصك وإكراما
لك لا رغبة في أن أسمع أصوات أعداء أبى بسرور وأطرب بهم إلى الشرب وصف
بواطى المدام

وعند شروق شمس النهار نهضت عموم العساكر فركبت خيولها بعد أن تقلدت
بعضها ونصروها واصطفت ذات اليمين وذات الشمال . وتقدمت بترتيب إلى أطراف
المحال وقام كل أمير وقائد على تنظيم عساكره وخطب عليهم وحرصهم على الدفاع
والثبات فى القتال وركب فى وسط الايرانيين الملك ضاراب كأنه فرخ العقاب وعلا
فوق رأسه عليه الكبير وضربت أمامه البرقات والدفوف ورددت طبول الحرب بين
أنواع الآلات الموسيقية تستدعى القوم لترقص بسلحها على نغماتها وتهايل بشوق
إلى خطف الأرواح فى قصبواتها وكذلك خرج الوليد من المدينة إلى ما بين الصفوف
واعلى فوق جواده وركب فى وسط عسكره وانتشرت رايته فوقه وضربت طبوله
ترعد بعظم أصواتها حتى كان يخيل للراى والسامع ان القيامة أخذت فى أن تقوم أو
أن الملائكة السعد قد سكبت بجواماتها على الأرض بأمر الجالس على العرش كما هو
مكتوب فى سفر الرؤيا فحدثت أصوات وعود وبروق كل هذا يجرى من العساكر
وهى فى تأهب واستعداد فذاك غاد وذاك رائع وذاك يشهر سيفه وذاك يرفع عمده
يفقد سرجه وذاك مستو فى سرجه ينتظر بتحرق الهجوم وإيقاع القتال وفيروز شاه
واقف على قدمه بالقرب من فرخوزاد وهو يذرف دمع التأسف على بعده عن تلك
الحالة لأنه نهض فى الصباح فتقلد سيفه وركب جواده وغير ملائمه حتى لم يعد معروفا
وإذا بفرخوزاد قد جاء اليه وقد فعل كفعله لأن الملك أذنه أن يبقى معه ولا يفارقه
فسار أناهما إلى أن اختار تلك الأكمة وهى قرية من مرقع القتال دون أن يعلم
بهما أحد وأماما متفرجين ينظران ولا ينظران ولما رأى فرخوزاد بكاء فيروز شاه
قال له لا تحزن يا سيدى على عدم دخولك الحرب فى هذا اليوم فان الجيش فرسان
وأبطال لا يخطأ مثلهم الزمان ولا أظهم يفلبون ولا بد من انتصارهم على الأعداء
ومن الواجب أن لا تحزن أباك فانه هكذا أراد . قال لولا خوفى من الخروج عن
طاعة أبى وأن يقال بين الجيش انى حالفك له أمر ألما صبرت دقيقة عن أن أخوض
بغسمى هذا القتال بل كنت ترائى بين جيش المصريين أنزل به الوبلات والضربات ولا
خذلك أن هذه الحرب لا بد من أن تحتاج إلى كما انى أحتاج إليها لتعجيل مدتها لأنى
أحاف من التطويل فيضيق صدرى عن الحياة وهى لا بد الآن أن تكون

منتظرة قدوى اليها لارتفاعها من بين القوم في كل صباح ومساء أو ربما تكون منتظرة أن تسمع ماذا أفعل في جيش مصر فإذا بلغها أنى لم أكن بالجيش تحزن وتكدو أو ربما يبلغها أنى تنجيت عن القتال فتخاف من أن تكون قد تغيرت أطوارى فجنبت وخفت الأعداء مع أنها تعلم أنى لا أقدر العواقب وأنى أرمى بنفسى دائماً بين مشتبك القنا ولا فرق عندى كثرة الفرسان أو قلتها فكيف يسعنى أن أصبر عن أن أروى سبى من دماء أعدائها الخبيثاء الذين حالوا بينى وبينها فجعل فرخوزاد يلايه بالكلام ويطمنه بأنه سيعود إلى الحرب بأمر أبيه إذا نظر أن الجيش فى تأخير :

وفى تلك الساعة هزت العساكر يارقها وهجمت هجمات الفهود وقومت أسلحتها وزئرت زئير الأسود . ونادت بالحرب والقتال . وصاغت بعضها مصالحة الوبال وقبلت الخدود بأفواه النصال وطأطأة الرؤوس لأقدام الأعمدة الطوال واستراحت الأرواح مروحة بارياح الأهوال . ودامت الادمية كالديم تسال . ودارت بدوره دوائر الدمار على الأبطال . وطال طالب الطمان واستطال . وخير بخير الفخر فاختر أخبار الخير فى المجال . فطال ومال وجال وصال . واكتال كواسر الكبر بأكبر مكبال . واقتحم يحصم أسود الدحال . وكر يكسر بكره الكتاف بلاكلال . وهم يهمهم مهمة الفهود فى الأدغال . ليصطاد صيده بصرامة صارمه الفصال وجد وأجد جمده بتعجيل الآجال وعلى مثل هذه الحال دار دولاب الأشمال وكثر القيل والقال وبان الصحيح من المحال وزادت نار الوغا فى الاشتعال فاستصلت الأرواح من الصدور أى استئصال واحرقت بسعير هاميج الرجال دودتهم على بساط الرمال وابعثتهم عن هذه الدنيا وهى دنيا الزوال وأما بهزاد الفارس الريال فانه حارب دون كل ولا لال ولا أخذه فتور ولا انحلال بل كله اشتدت نار الروع زال فى الحرب وصال ومال . واشتدت به العزائم والأرواح حتى أرعب القوم بقتاله وحير بعجيب فعاله ولم يكن يهدأ فى مكان أو يأخذه هدوء أو توان أو يتمكن احد من أن يصل إليه أو يقدر فارس أن يقف بين يديه حتى توهمه كل من رآه انه لاشك فيروز شاه ولذلك كانت تفر الأعداء من أمامه . طالبة الخلاص من منابا حسامه . وقد شاهدت العجم أعماله . ومدحت حربه و قتاله . واشتدت أعصابها به ورجحت انصر عند مشاهدة حربه وما تناصف النهار إلا وكان خرق عساكر المصرين عده مرار وقسمها إلى فرق وأقسام . وضع ما كانت عليه من الترتيب والانتظام وقد سال عليه من الدماء ما غير حاله فلم تعد تعرفه الأصحاب ولا الأعداء . ولولا مناداته بأسم فيروز شاه . واكثاره من اقتناره وناداه لما ميزته أبطال العجم من بين تلك الأمم ومن بعد نصف النهار عاد نفطس بين

المصريين وجعل يضرب فيهم بعزم وقد اشتبكت من حوله الفرسان ومالت اليه من كل مكان قاصدة له الهلاك والقلعان حتى اختفى عن العيان وغاص بين الأبطال والشجعان وهو مسرور فرحان بتكسير الرؤوس وإخماد النفوس . لأنه ما ضرب ضربة رخابت ولا طعن طعنة إلا وصابت . وكلما قربت أن تدنو منه الرجال . صاح فيها ومال عليها بالصارم الفصال فتفر من بين يديه كالحجل ثم يصبر عليها أن تدود ناعمة البال فيرجع إلى تفريقها على تلك الحال وبينما هو باشد نزال يقاتل ويصادم ويدافع ويهاجم لاحت منه التفاتة إلى الأكمة التي عليها فيروز شاه وفرخوزاد فلم يعرفهما وظن أنهما من الأعداء فحدثته نفسه بأن يسرع اليهما ويعدمهما الحياة ولذلك صاح في من أمامه من أبطال الكفاح ومال فيهم يضرب الصارم الذباح حتى فتحوا له طريقا ففرقهم وخرج من عن يمينهم وهو مغموس بالدم من رأسه إلى قدمه لم يبن منه إلا إنسان عيذه وقبل أن يقرب منهما نظر اليه فيروز شاه وقال لفرخوزاد إن أعجب من هذا الفارس فإنه يقصدنا وقد يظهر لي أنه من جهة الأعداء وهو يروم أن يوصل شره إلينا ولا ريب في أنه مبعوث لقتلنا فأنزل اليه وأرجعه بالحربة وأرقتله وأعدمه الحياة ولا تدعى أن أقاتله فأحرق وصية أبي قال سمعا وطاعة وفي الحال أشهر فرخوزاد سيفه وتقدم نحوه فوجده آت على نية القتال فصبر إلى أن وصل فرفع يده بسيفه وضربه به وقد ظن أنها تكون القاضية عليه ففضيعها بهزاد بمعرفته ولم يردان يطيل معه القتال بل تناول مضارب سيفه بدرقته في يده الشمال وأرسل يده اليمين إلى جلاب درعه فأقتلته من بحرسه وهو كالصفور في يده ثم رمى نفسه إلى الأرض فكاد يدخل بعضه ببعض وعزم على أن يتناول السيف ويضربه به وإذا فيروز شاه قد أخذته السرعة واشتد به الغضب وتعجب من عظم مقدرة ذلك الفارس الذي فعل بأخيه فرخوزاد ما فعل مع أنه من الأبطال الأشداء ولم يأخذه صبر من الانتظار له وتخليصه من يده قبل أن يعجل عليه لذلك اطلق عنان الكمين فخرج من تحته كالسم الطيار وقبل أن يصل سيف بهزاد إلى فرخوزاد صاح فيروز شاه صيحات الغضب وقال ويلك أيها الجسور أرمع يدك فقد جاك فيروز شاه بن الملك ضارب فارتعب بهزاد عند سماعه هذا الكلام ورفع يده الحسام وهو يحير وأرجعه عن أخيه ونظر إلى فيروز شاه فوجده قد أحر وأزرق وخرجت الزبد على أشداقه وتنجرت عيناه وظهرت عليه علامة الغضب والانتقام فخاف من أن يوصل اليه شرا فقال له أرفق يا سيدي فانا بهزاد لا بل فيروز شاه وقد ظننكما من الأعداء ولم يكن في عهدي أنكما تكونان في هذا المكان واتما بغير ملايكما المعتادة فلما سمع

فيروز شاه كلامه وتحقق انه بهزاد دنا منه وقبله وقال له لم يكن في عهدي بين جموح
 الاعداء من يقدر أن يفعل مثل هذه الفعّال أو يلقي فرخوزاد في قتال إلا أن كان أنت
 يا بهزاد قال لم أكن من الاعداء ياسيدي إنما خرجت من بينهم وقد فرقتهم في هذا النهار
 عدة مرات وغاب الأخ عن أخيه ولم يعد يعرف القائد أي فرقة يقود ولا بأي جهة
 هو ولولم يكن بين رجال مصر فرسان وأبطال لما ثبتوا كل هذا الثبات إنما الكثرة
 تثبت أمام الشجاعة إذا لم أقل انها تتغلب عليها والآن فاني لأحب أن أطيل المقام في
 هذا المكان فليس هو مقام مقال ثم نزل إل أخيه فرمعه وكان قد تأثر ورض جسمه
 من عظم الضربة وتكدر من أخيه وظنه قصد بذلك أن يظهر له شجاعته وبسالته ليعلمه
 انه أبسل منه فأخفى ذلك في قلبه وشكره على بسالته فانتذر اليه بهزاد وقبله ثم ركب
 جواده وعاد إلى ساحة القتال وفيروز شاه مسرور بعمله فرح بقناله فنظره قد عاد من
 المكان الذي خرج منه فصاح واقتحم معركة الكفاح وعاد إلى عمله الأول من الأصول
 والجلول الى ان مالت الشمس إلى الغروب واحجبت عن الأبصار وإذا ذلك دقت طبول
 الانفصال تشير إلى الفرسان والأبطال ان ترجع عن الحرب والقتال وكانت نار الحرب
 عظيمة الاشتعال . وهي في تسعير والتهاب واشتداد مصائب وصعاب فلم تقبل عساكر
 لإبران ان ترجع عن الطعان والضرب . بل ثبتت في مراكزها ودامت في أعمالها لأنها
 كانت فرحة بأعمال بهزاد مسرورة القلب والفؤاد ولما رأت رجال مصر أن الأعجام
 يرغبون في اتصال الحرب والصدام تحت اعتكار الظلام التزمت أن تجاريها على أعمالها
 وان لا ترجع من أمامها فتنبعها إلى خيامها وعلى هذه الحال اتصلت نار الوغى من النهار
 إلى الليل وجلبت على القوم مصائب الاكدار والويل ورجع عن ساحة الميدان كل
 ذليل جبان ونزل مهان . وقصد الاختفاء في الظلام عن العيان . ليكن في مؤنة الضراب
 والطعان . ويصون نفسه من المذلة والهوان . والهلاك والقلعان . وثبتت الصناديد
 الشجعان . ترجو لنفسها الفخر وعلو الشأن . فقه در بهزاد الثمار اليان وما فعل في
 ذلك الليل الكثير الهوان ودر فيلزور الهوان فانه سطا على الاعداء بقوة قلب وجنان
 وأجرى الله . كالغديران . ومثل ذلك فعل مصفر شاه وكرمان شاه الاسدين . وقد
 عجزت عن أن تفعل كأفعالها الجان أو عماريت سليمان . وأما بلتا فلم يأخذه هذو
 ولا توان . بل جال بين المصريين أي جولان . وفعل فيهم فعلا يذكرك إلى آخر الزمان
 كأنه عترة عبس وعدنان وكانت الحرب ترسل من جوف جهنمها ألسنة من الذيران
 قتلهم الرجال وتخرج الارواح من الأبدان . وتدفع اندهاء من الأوداج بعد
 الاحتفال . فتسيل في أفنية الأرض كمسيل الغدران . وكان الليل قد بعث باشتداد

نوره على ذلك المكان وغاب عنهم من الحق نور يدره وما بان وتفرق عن بعضهما لكثرة تجمع المتقاتلين الفرقدان ومالت من ثقل عيار صعوبة الوغى كفة الميزان . وأدبر اليهم بظهره إعراضا عن قباحة تلك المناظر الديران . وبعث اليهم زحل بأكرام النخس أى بمئان واختار سعد ذابح وسعد بلع وبقية السعود الاختفاء وعدم البيان . إذ لم يكن لها عند أولئك القتلة مقام ولا امتنان . واستوى المشتري وأظهر ماله من العظمة وقرة السلطان . وأسل سهام غضبه فالبست الارض ثياب الارجران واعتري الزهرة المخول والذبول لجفاف الوجوه الحسان . ورش عليهم الدلو من ماء غضب المربخ بأشكال وألوان وقد حنق على القوم من عظم ما جرى وما كان ووقفت الكرة مضطربة على الدوران وأمرت الصبح أن يعجل بالاتبان فلم يجب بل تظاهر بالاعراض والنسيان . ولم يقبل أن يرى ما يفعله المتقاتلان إذ لم يكن يسمع إلا البكاء وصرير الاسنان واحتدم الاقذعة بالغليظ والقلبان وامتلات من جثث القتلى تلك البرارى والقيمان وحامت فوق الرؤوس كواسر العقبان وكان يظهر للقوم أن يوم الحشر قد آن وجاءت الساعة وأن الآوان وقام مخائيل وجبرائيل وإسرافيل وعزرائيل يقدمون النفوس للحسبان . قال وكان الليل ليل حالكة . كثرت فيه المصائب والمهالك ولم يعد يعرف الصديق من الصاحب ولا الأعداء من الأقارب . بل كانت الاصوات . تظهر العلامات . فيعرف الرجل الاخصام . معرفه الظن والايهام . وكثيرا ما قتل المصرى مصرىا واليمنى يمنيا . والابراىى إبراىيا والشامى شاميا . وامتزج الجميع وأى امتزاج . وعالجوا انفسهم بالصبر من داء البلايا فلم ينجع العلاج .

هذا وبينما كانت الحرب قائمة بقيامها المتقدم ذكرها كان فيروز شاه قد انحدر عن الأكمة وهو فى ضيق صدر ووقف بالقرب من أبيه وهو يزأر زئير الاسود ويلطم على الحدود ويتحرق ويعض على أسنانه من ألم الامتناع عن الحرب وهو تارة ينظر إلى نار تلك المعركة المتسعة بزناد فرسانه وطورا يصبح بدون وعى كأنه ضمن القتال يقاتل ويناضل ويطن في صدور الفرسان فأدرك أبوه منه ذلك وعرف أنه إذا بقى بعيدا عن الحرب يخسر عقله ويمتل فلزم أن يعهد بأمره إلى بطيلوس فى اللغد فاما أن يمنعه عن القتال بحكمته وإما أن يعود فيأذن له فيقاتل مع الفرسان وقد تحقق عند كل من رآه أنه لا يتروى إلا بالقتال وشرب دماء الابطال والخوض تحت الغبار المتسردق فوق الرؤوس .

قال وما جاء صباح اليوم التالى وفى المتحاربين بقية رمق من عظم ما نالهم من هول ذلك الليل الكثير المصائب والاختار والمملوء بالاحتفال والويلات ولذلك

شعروا بضرورة احتياجهم الى الراحة والعود الى الخيام وترك الحرب والقتال فضربت
 طبول الانفصال واخذ العسكر بالرجوع وهم في فرح لا يوصف وقد فرشت فسحات
 تلك الارض من جثث الرجال المقتولة والحيل الماتية وقد تقدم أن فيلزور قاتل في
 تلك الليلة قتالا لم يسبق له أن قاتل مثله فقد أشفى الغليل وبدد جموع الاعداء وأهلك
 منهم جانبا عظيما حتى كادت تكل يداؤه وفي الصباح سمع نفير الملك ضاربا بأمر بمنع
 العساكر وأن تعود عن الحرب فعاد مسرورا فعمل في النهار الماضي والليل الذي أعقبه
 وقد اقتصر بنفسه فانشد .

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| يحمد الدهر في عزى وفي همى | ويرفع السيف في شاق وفي عظمى |
| أنا أنا فيلزور الفرس ان رفعت | سراقد النقع أجلتها يدا هرمى |
| ولى فؤاد وان خط المشيب على | رأسى سطورا يرى العلياء بالهمم |
| ارعبت جيش العدا من بعد أمنهم | وراح يرجف منى حامل العلم |
| أنزلت بينهم الويلات فاندثروا | وشدت للفرس بيتا غير منهمد |
| فخرت بالسيف حيث المجد كان به | والفخر للسيف ليس الفخر للقلم |
| وما برحت بطول العمر اقلك في | مدا بصمصامة من صنعة المعجم |
| وكم هوى من هوا عزى غطارفة | تقبل النعل قبل الرجل والقدم |
| وكم ذلك مليكا لى وكم بطلا | اقمته صاغرا قد قاد فى لحمى |
| حتى غدت ترجف الابطال ان ذكروا | اسمى ويرهب شخصى سائر الامم |

وكان فيلزور يندد أثناء عودته وهو آمن طوارق الدهر وحدثانه يفخر بأعماله
 وما أعطاه الله من القوة والبطش وإذا بخورشيد شاه يتأديه عن مقربة منه بصوت
 الرعدة والاضطراب ويقول له احذر نفسك يا فارس بلاد فارس فقد غدرت بك
 أبدى اللثام فالتفت بسرعة إلى ورائه وإذا بسيف خطير يهوى كالتقصاء المنزل فلم
 يتمكن من التحذر منه قبل أن أصاب رأسه فشجه ووقع على كتفه فاز الحاقاب وعية ومال
 عن جواده إلى الارض يخطئ بدماه . وكان السبب في ذلك أن خطيرا كان لا يزال
 محروق الفؤاد على أخيه خاطر وهو يترصده الفرص ليأخذ لنفسه بالنار ويقتل فارسا
 عوضا عن أخيه أما فيروز شاه وأما قاتله أو احد أولاده فلم يتمكن إلى ان كانت تلك
 الليلة فقال في نفسه ان هذا الليل ستار ولا بد لي من أن أخذ لنفسي بالشار فقصده
 جهة بهزاد وكان قد شاهده ونظر منه الاحوال فحاول القرب اليه فلم يقدر لأنه كان
 يدور كالولب وينقل من جهة إلى أخرى وهو يصيح وينادى ويكرس الابطال
 فوق بعضها وتجنل من يديه الفرسان وكلما تجاول وإياه يرى نفسه مغلوا معه فيفر من
 أمامه ويستره الليل فيلتقي بهزاد بغيره وهو غير حاسب له حساب حتى احترق قلبه

وتألم من مجزئه عنه وعول على الغدر به على غير انتباه منه فترقب ذلك إلا أنه وجده متحذرا لنفسه لا يففل عن أن يدور بجواده من الامام إلى الورا في كل دقيقة وثانية ودام كذلك إلى أن اختفى عنه بهزاد بدخوله في عباب ذلك الجيش الكشيبي الذي كان يضل فيه كما تفعل النار العديدة الالتهابي القش اليابس فمال إلى غير جهة وهو يحاول أن يرى من يأخذ منه بثأره فلم يتوفى إلى ذلك إلى أن قرب الفجر فسمع صوت فيلزور يطعن في الأبطال ففرح بذلك ودنا منه ولم يحسر أن يقاتله لعله أنه ليس من رجاله فدار من حواله ينتظر اغتنام الفرصة لقضاء غرضه إلى أن ضربت طبول الانفصال واخذ المتحاربون في الرجوع ورجع فيلزور وهو آمن من العدو إذ شاهد أن الأعداء قد عادوا نحو خيامهم ولم يخطر له أن خطا يترصده وأنه رأى رجوعه فسار في أثره بسرعة كلية وانقض عليه بعد فراغه من إنشاده وضربه بالسيف فاصابه وكان خورشيد شاه كما تقدم نظره حين رفع يده بالحسام فلم يتمكن من أن يدركه فصاح فيلزور على رجاه أن يميل عن الضربة غير أن فراغ أجله جعله بالاصابة قبل ذلك ولما نظر خطير أنه تمكن من صدوه أطلق لفرسه العنان وكر راجعا حتى اختلط بين قومه وأدرك رجال جيشه واختفى بينهم وإذا ذلك علت الضججات ودنا من فيلزور فوجده يحتبط بدمه فرفعه إلى صدره وقد احتاطت به رجال العجم من كل ناح فنظر اليهم نظرا المودع وقال لهم عند شعوره بارتياح الموت أهدوا ردا عني إلى الملك ضاراب وإلى ولده فيروز شاه وأخبروهما أن يعاملا أولادى كما كانا يعاملاننى وقولوا لولدى بهزاد انى عهدت اليه بأخذ الثأر من خطير الغدار . ثم أغرب عينيه راسل الروح فرمت الرجال بقبائنها إلى الأرض وحنث التتر على رؤوسها ومزقت ثيابها وتفتت لحاها واكثرت من بكائها وعويلها وصراخها وتالت خبر موته الرجال حتى انتهت إلى الملك ضاراب فصاح من شدة التأثر والالم وتأسف على قلبه وحزن مزيد الحزن وكذلك طيطلوس وفرخوزاد وفيروز شاه وما منهم إلا من ناح نوح الذكى وبكا بكاء النادبات وقد تنفطرت المراتر وشقت الكبود وأمر الملك أن تحمل جثته إلى صيواته ففعلوا وأتوا بها مرفوعة على أعناء الأمراء والقواد والصراخ قائم من ورائها ومن امامها كان ييلتا أيضا يندب ويصيح من نواذ محروق وابناه ، احرقه كبداه قد أحرمتنا لذيق الهناء وأذقتنا لوعة العزاء فلا كان من أوصل اليك الاذى وارقع فيك غدرا وعدوانا فقد نفذت فيك سهام العدو ونحن بعيدون عنك لم نر خيامة الغادر الناكث . قال وبينما كان القوم يزدحمن أفواجا أفواجا وهم ما بين باك ونائح ومكشوف الرأس وعزق اللباس وإذا بهزاد قد أقبل وهو يخضب بجواده كأنه السهم الطيار فتفتح له طريق فدخل بجواده وعده في بده مرفوع

قال وكان هزاد في أطراف الجيش يطاعن ويقاقل وما انفك عن كانوا أمامه إلى أن أدخلهم الخيام وعاد وهو فرح بالنصر الذي أحرزه والفخر الذي ناله بقواته سيفه وما تقدم إلا القليل حتى سمع أصوات رجال إيران تصيح وتنادى وتندب وتبكي عن بعد أكثر من ربع ساعة ورأى الذين أمامه في اضطراب وانشغال فحقق قلبه هلما ودنا من بعض الفرسان فسأله عن السبب فلم يجسر أن يجيبه بل نظر إليه نظرة اليأس ورفع صوته بالبكاء والتعداد فعناق صدر هزاد وسأل الآخر ففعل كالاول فقامت عيناه في أم رأسه واحمر وجهه من صعود الدم اليه حتى كاد يخنق وصاح فيمن أمامه بصوت كالرعد القاصف وقال له ويلك أخبرني ما سبب هذا الاضطراب وهذا النوح ولا تخش غائلة فإنا ممن يؤخذ بضربات المصائب ولا تضف همته الثائبات فكبي وحث التراب على رأسه وقال له اعلم يا سيدي ان الأعداء قد غدروا بنا وأوقعوا بسيدنا وأصابوا بسهام خيانتهم مقتل حامينا وفارسنا قد قتل أبوك سيد فرسان إيران واستأذاها خليفة جدك صاحب السلايم البلوانية وفارس الأقطار الإيرانية . فلما سمع هذا الكلام وقع في قلبه أشد من وقوع السهام إلا انه أخفى كدره ولم يصدر من عينيه دمعة بل سار بجواده كما تقدم حتى انتهى إلى مكان المأتم فشاهد العزاء قائم الأركان والجميع يلطمون وينوحون حول أبيه ولما رأوه بعدوا له وقد غلظوا أنه يرى بنفسه على أبيه أو يحول عن جواده ليكي عليه فلم يفعل بل وقف مطرقا له وقد وضع برأسه على عنقه والقاه إلى الأرض وبقي مطرقا نحو من عشرة دقائق والكل ينظرون اليه وقد تعجبوا من عمله ولا سيما آخرته والمالك ضاراب وقد تركوا البكاء منتظرين نهاية عمله وإذا به قد رفع رأسه وقال قد وقع القدر فلا مرد انما أريد أن أسأل من كان حاضرا عند قتل أبي فاجابه خورشيد شاه وحكى له كل ما شاهده فتنهد من فؤاد محروق ثم التفت إلى المالك ضاراب وقال له وعلى م عولت الآن وماذا فكرت أن تجري بجثة أبي قال ان حرقنا عليه عظمة فها قد تمت تنبيها طيلوس فبالحقيقة انه ركن عظيم وحمود ثقيل وكان في نيتي أن تحمل جثة أليك إلى إيران لو كانت البلاد قريبة غير أنه يلزمننا الصبر لانا بين أعداء يسهرون مصائبنا ويفرحون بكائنا كما يكبرهم هنانا ويكدرهم فرحنا ولذلك عزمت على أن تدفن جثة أليك الآن وفي الغد نعود إلى القتال ونأخذ له بالثار وننتقم من عدوه خطير الذي غدر به . فقال ابي أسألك بما لأبي عندك من الحب وما كان له من المراعاة أن لا تدفنه قبل أن آخذ له بالثار ثم مال بوجهه إلى عموم الفرسان والأمراء وقال ابي اتمس منكم أن لا أحد منكم يبكي ابي قبل أن تزني قد بكيت فإنحن بنساء ولا يليق بنا أن نبكي قتلنا والأعداء يفرحون لموته فلا تقيم

البكاء بينما ما لم نقيم البكاء على خطير الذى غدر به لكزجواده فخرج من تحته كالبرق فى السرعة وقد رفع عنده يده ولعب به بالهواء وهو مشعل بالنفضب والحق حتى وصل إلى خيام الاعداء وأقام الضرب فى فرسان مصر وعسكرها وهو يادى ويلكم أبناء الحرام وأولاد اللثم أسرعوا إلى حاكمكم ودعوه أن يأمر خطير أن ينزل إلى لآخذ بنار أبى ولا رجعتنا معكم إلى الحرب والطعان وانزلنا بكم الذل والهوان وأذقناكم الموت الذى لا يفوتكم منه فوت فجعلت من يديه الفرسان وقد خاتته كل الخوف وأسرع أكثرهم إلى حضرة الوليد يعلمونه بطلب بهزاد وانهم شاهدوا الاعداء يتحركون إلى العود إلى القتال وفى نيتهم تجديدده إلى حين استيفاء الثأر من خطير

قال وكان الوليد قد رجع من مركزه إلى صيوانه وهو مكدر من فعل الأعجام لأنه كان يظن أنهم لا يثبتون أمام رجاله أكثر من يوم دون أن يلحق بهم التعب ويعتبرهم الملل وتأخذ قوتهم فى الاضمحلال فلما رأى ما رأى فى ذلك اليوم ونظر فى المساء أنهم لم يوافقوا على ترك الحرب بل أجهدوا أنفسهم فيها وأبلاوا رجاله بالويل حتى كادت قوته تضعف لولا كثرة جموعه وكان أكثر المقتولين من المصريين ومن الجنيين قال لوزيره بيدانديش انى كنت أنظر إلى الشاه سرور بازرء وانصب إليه الجبن وضف القلب إلى أن شاهدت أعمال الفرس فاذا هم بالحققة رجال الحرب واسود الطعن والضرب وآفات القضاء وويلات البلاء فانظر إلى فعلهم فى يوم أمس وليله فقد أنجعونا بكثير من أبطالنا وعمد بلادنا فاذا دام علينا الأمر هذا الخوال عشرة أيام يمترينا الانقراض وتفرق عساكرنا وأبطالنا ويقع بنا الخسران وأبى خسران فقال له الوزير لقد عرفت كل ما عرته والحق أولى أن يقال بأن رجال فارس وفرسانهم من أشد رجال هذا العالم وأبسلهم فقد قاتلوا قتالاً لم أر ولا سمعت بمثله قط وما كان يحكيه لنا طيفور عن فعلهم طومار والزنج قد رايت به بالعيان . وبينما هما على مثل ذلك الشار وإذا بالأمير خطير قد أدركهما وهو من الفرح والمرور على جانب عظيم وكان الوليد قد وصل إلى صيوانه فدخله وجلس . وجلس من كان معه وجلس الشاه سرور وطيفور وإذا بخطير قد دنامن الوليد وقبل يديه وقال له هناك يا سيدى كبح أعدائك والابقاع بهم فقد قلعت من بينهم درسا متينا وقتلت منهم فارسا خطيرا وقد خدمتى السعادة ورميتى إلى أعلى متون الحظ والفرح لاني أخذت بنارى من عدوى الذى قتل أخى خاطرا وأحرق قلبى وقلب أولاده عليه ، فقال له الوليد ماذا أهل قتلتي فيلزور قال نعم قتلته بصارمى هذا الذى لا يزال ينقط من دمه وقد مال إلى الأرض جديلا مفارقا دنياه وهو يفاخر ويباهى بفتكه فينا ولو لم نرجع عن القتال لقتلت منهم مقلة عظيمة لاني لم أكن موجها باهتامي إلى عامة

العساكر بل كنت أقصد الفرسان والأمرأء حتى التقيت بفيلزور فأزلت عليه قضاة المقذور وما ذلك إلا لعلمي أن الجيش لا يثبت إلا برؤسائه وفي الغد إن شاء الله لا بد من قتل بهزاد وفيروز شاه أو الاثنين معا ومتى قتل مالك جيوش فارس وأدبرت عن هذه البلاد وهي خاسرة حاسرة ففرح الوليد بكلامه وشكره عليه وأمر له في الحال أن يلبس حلة مزركشة من الديباج الفاخر وأن يزدله في معينه وأما الشاه سرور فانه شعر من نفسه بالنجاح والتفت إلى طيفور وقال له هوذا قد هدر ركن عظيم من أركان الفرس ولا بد أنه يضعف لموته جيش فارس سيما بعد أن يقتل فيروز شاه وقد تعهد خطير بقتله في الغد وهو قادر على ما يقول قال أنه عاجز عن قتل فيروز شاه إلا أني أعرف أن السعادة إذا خدعت انسانا ساعدته على نوال غاياته فإذا قصد إزالة الجبال أزالتها وعندى أن يحوس الفرس ستقبل عليهم ومن المقرر أنهم قد استخدموا السعادة أعواما وقد أنةضت مدتها فلا بد من إبدالها بعكسها وقد يرجح أن خطيرا يقتل فيروز شاه ويعمد به الحياة وليس على الله من أمر عسير ثم ألفت طيفور إلى خطير وقال له قد وجب لك علينا الأكرام الزائد وأنا نرجوك أن لا تنسى هذا الوعد الذي وعدت به سيدك وإني أشهد على هؤلاء الجماعة وسيدى الوليد أنك ارتقتا فيروز شاه وبهزاد دعت إليك بأموالي وتركت سيدى الوليد أن يبعث إليك بخزائنه مملوءة من الذهب ولا يخاف من هذا الأمر ومن مارزة هذين الفارسين فإذا كان قد قضى الله لهما أمران شكرنا سخر الملة من وجه الأرض فتؤذيها وتيمتها وكل من هلم مات بفعل أصغر الحشرات وأحقرها فكلم بالحرى وأنت من فرسان مصر الأشداء وأمرتها المقدمين وليس من يقدر بين عموم رجال الأعجام بقدر أن يلقاك إلا أن كان هذان الفرسان وإثالث قد قتلته والذي عانك على قتله هو قادر أن يعينك على الاثنين المذكورين فترك هذا الكلام شجاعة خطير وقال سوف تنظرون منى ما يسركم ويرضيك وقد طمع بالمال الذي وعده به طيفور ووطد عزمه على أن يفعل بهما كما فعل بفيلزور فيستغمر الفرصة ويقدرهم وأقدم مسرورا بالخلعة التي وصلت إليه ويمدح الوليد له لأنه أبدل له حزنه بمسرة .

قال وبينما الوليد في مجلسه وهو مع بضائنه ولذين داخل صيوانه في فرح بوصفون شجاعة خطير وهو يفاخر بنفسه وإذا بالصيحات قد قامت من كل ناحية واضطربت جموع المصريين وأسرعوا يركضون إلى الوليد وهم في خوف ورعب فسأل ما الخبر وما السبب الموجب لذلك الاضطراب فادخلوا إليه أحد الفرسان فقال له أعلم يا سيدى أننا بينما كنا قد حولنا عن خيولنا وفككتنا لها لجهها ودخلنا الخيام نرتاح من التعب الذى ألم بنا من جرى الحرب التى أقامها نحوها من ٢٤ ساعة ولذا بهزاد

الفارسي ابن فيلزور المقتول قد هجم على الخيام وأخذ في أن يقتل في فرساننا وهو ينادى أمرعوا إلى حاكمكم الوليد واسألوه أن يبعث إلى بقاتل أبي قاما أن يقتلني ويقرني إليه وأما أن أقتله وأسلمه الحياة وأخذ بتأري منه في نفس هذا الصباح وقد آليت على نفسي أن لا أنزل عن جوادى ولا أنزع عدتي ولا أدفن أبى إلا بعد أن أقاتله ويكون الفاضل بيننا هذا الوقت لا غير وإذا أبى وامتنع عن أن يلقاني في الميدان سرت إليه إلى وسط ديوان الوليد وقتلته هناك وفعلت بجميع من فيه مثله وأعدت الحرب هذا النهار وهذا الليل ولا أترك راحة لمرتاح ثم نظرنا يا سيدي إلى جهة الايرانيين فوجدنا عساكرهم على أهبة الاستعداد وخيلهم ما برحت مسرجة ملجمة وعددهم لا تزال عليهم فاضطرب عسكرنا لذلك وخاف الكلبة وحلة الأعداء ونحن على غير استعداد إذا امتنع خطير عن مناخلة ومقاتلة بهزاد . وكان هذا الفارس يتكلم ومطير يخفق قلبه من الخوف لأنه شاهد قتاله وعرف عظم بسائه فخالطه حزن عظيم ولم يعد يعرف بماذا يجب أن ماذا يكون منه وقد سال العرق باردًا على جبينه وحديثه نفسه بقرب أجله وبينما هو على مثل ذلك وإذا بأحد الفرسان الموجودين قد وقف وسأل الوليد أن يسمح له في أن ينزل إلى بهزاد ويعده الحياة ويلحقه بأييه وكان هذا الفارس من بلاد الغرب واسمه نصر المغربي وكان من الطماعين الحاسدين وقد شاهد الوليد أنهم على خطير وسمع طيفور بعده بالانعام والاکرام لحسدة على تلك النعمة وحديثه نفسه أن يبارز بهزاد فيقتله ويكسب فخرا فوق الفخر الذي ناله خطير . فلما سمع الوليد كلامه قال له سر إليه وافض أجله ولك مني كل ما تطلبه وفوق ذلك أني أنعم عليك بزواج بنتي وأجعلك مهلوان تحتي وأقدمك على كل فرسان بلادى فسر عند سماعه هذا الكلام وتكسر منه خطير لأنه خاف أن يقتله فيرتفع مقامه عليه إلا أنه تركه يفعل غايته حرصا على حياته من الهلاك وفي الحال خرج نصر المغربي فركب جواده واعتد بعده وسار إلى ناحية بهزاد حتى قرب منه فوجده يضرب بعنده الخيام فيطيرها إلى الجو الأعلى فتقع على رؤس الفرسان فتهرسها وتذهب بأرواح أصحابها إلى الهلاك ويصيب بضرائه الرجال فيمددها على بساط الرمال فلما رآه نصر على هذه الحالة صاح وقال له ارجع إلى عملك والقاتني في ساحة المضاد لأذيقك من الموت أمره فقد بعثني سيدي الوليد إليك لأخطف روحك من جسديك فضحك منه بهزاد وقال له من أنت ومن تدعى من الفرسان وأين الأمير خطير ولما لم يبرز إلى الميدان . قال أنا الأمير نصر المغربي من بلاد الغرب وقد جئت بصرة للوليد لأقاتل بين يديه وأنقم له من أعدائه وكان يحكر الأمير خطير أن يبرز بك ويلحقك بأيك فمنعته من ذلك وأخذت الهدية على نفسي أني أجعلك عبيرة

لقومك وأحرمك من لذات هذه الدنيا وببما كان الأمير نصر يتكلم وينهدد بهزاد كان بهزاد يتحرق ويتألم وقد ضاق صدره وعيل صبره فصاح به وقال له وبلك خذ لنفسك الحذر واثبت في ما أفلتك فليس الآن وقت مباهاة وبأسرع من لمح البصر التعم الاثنان وجالا في ساحة الجبال واختلف بينهم الضراب والطمان والمراوعة والجولان . مقدار ربع ساعة من الزمان . وبعد ذلك ضاق بهزاد خصمه ولاصقه وصاح فيه فخبله وطعمته بالعمد على صدره ، فألقاه إلى الأرض قتيلًا وانخطف روحه من عظم الضربة فبركه إلى الأرض ولم يعبأ به وصاح فيمن حوله ويلكم أبناء الثام اذهبوا إلى الوليد وقولوا له أن يرسل خطيرا وإلا سرت إليه في صيوانه وقتلته فيه وخرقت حرمة السيادة ولا أعود بعد أبقى على أحد منكم ثم لاح بعمده وأقام الضرب في الخيام والرجال فجفلوا من بين يديه وتطايروا إلى الوليد ونعوا له نصرًا المغربي وقالوا له إنه لا يزال على حاله وهو يتهدد ويفضح فينا ويذم حاكنا ولم يعد لنا قدرة على ملاقاته فاما أن تضرب طبول الحرب فتعود الرجال إلى القتال وامادع خطيراً ببرزاليه ويخطف لنا روحه ويقصف عمره ويرد كيده في نحره فغضب الوليد عند سماعه كلامهم وقد حزن على الأمير نصر حزنا شديداً والتفت إلى الأمير خطير فوجده مطرقاً إلى الأرض ينتظر جواب الوليد فقال له قم إلى هذا المكابر واعدمه نفسه لأنك قتلت الحية وأبقيت رأسها وإذا وفقك الله إلى ذلك كان من حسن حظك ونجاحك فقام خطير في الحال وهو يعلم من نفسه أنه ذاهب إلى الموت وقد هزنت عليه منيته ملاقاته بهزاد وخرج إلى خارج الصيوز وركب جواده وسار إلى أن وصل أمام بهزاد وهو على تلك الحالة يرغى ويزبد ويبرق ويرعد فقدمه وصاح فيه فالتقاء بهزاد وهو في فرح يوصف لأنه أمل بنوال مراده وأخذ ثأره من قاتل أبيه وأخذ معه في الكر والفر والقرب والبعد .

قال وكان فيروز شاه قد خاف من أن يغدر أحد ببهزاد فاستأذن من أمه أن يركب مع بعض الفرسان ويقف بالمرصاد حرصاً على حياته فقال أبوه اني كنت أخاف أن تكون أنت المقصود بكلام طيطلوس فأصاب التنجم سواك ، مضى الخطر الذي كنا نخشاه فافعل الآن ما بدالك ليفعل الله ما كان مقدوراً وركب فرحوزد ومصفر شاه وكرمان شاه وبيلتا وسيامك سياقيا وبهمزارة وبهمزارة وجميع الأبطال وفي مقدمتهم فيروز شاه تحسباً من نكبات العدو وشدته وتحذرت رحل مصر أنفسهم وهي كارهة الرجوع إلى القتال وعالمة أن القصد خطيراً وأنه ليس من لنية أن يصاب غيره إلا إذا قتل بهزاد . ولا زالت احب عاقدة بين لاثين وبنائهما تتقد بحطب الين وهما في أشد طعان وضراب وحرب محلة للاملاك والعدو

مقدار ساعة أو أكثر وإذ ذاك وقع التهب في الأمير خطير وضعفت يده ورأى الموت نصب عينيه ولم ير له طريقا للخلاص والحرب ولا وجده بأيا يسلم به نفسه إلى خصمه لانه عرف انه ان سلم نفسه أسيراً يقتله لا محالة لأخذ منه ثاره وعلم بهزاد بارتكابه واضطرابه وقد تذكر فعله بأبيه وغدره به فهاج كما تهيج لحرل الجبال وخرج الزبد على اشتداده وقام في عزم ركابه وقد رفع السيف بيده وصاح صيحة ادوت لها تلك البراري والقيعان ونزل بالسيف على خطير فوقع على ام رأسه فتطاير الشرار والتهب من حرى تصادمه على الخوذة ثم سقط السيف جالسا على مرفقه فنزل يهوى في جسمه واندفعت انابيب الدماء منه فأتى السيف في بدنه ولم يرفعه خوفاً من أن يقع إلى الأرض ولذلك اسرع فسكه بيده ورفعته عن جواده وكر راجعا حتى انتهى إلى مكان العزاء حيث ملق أبوه فرماه إلى جانبه وقد اضطربت فرسان مصر - لقتل خطير وبلغ الخبر الوليد فبكى ونوح عليه ووقعت الحلة على طيفور والشاء سرور لانهما كانا يؤملان نجاحاً على يده وقد ظننا انه يوفق إلى ما وعد ولذلك صار ايلومان الزمان ويشكيان من فعل الأيام ونكباتها وسأل الوليد عن جثة خطير فقالوا له أخذها بهزاد فزاد حزنه لانه لم يقدر ان يحتفل بدفنه ولم يرى سيلاً يكافئه به بعد ماته إلا ترقية اولاده وكان لخطير ولد اسمه خطر فدعا اليه وهو في بكاء ونواح على ما أصاب ابيه بالبسه خلعة فاخرة وشده فارساً على جيش من جيوشه وعزاه بأبيه ورتب له المرتبات وعين له العلوفات وامره ان يحضر إلى ديوانه في كل صباح اكراماً لأبيه ولعمله فقبل خطر يده وشكره على جميله . معروفة معه وقيامه في منصب ابيه واما بهزاد فانه بعد ان رمى بخطير إلى الأرض أخذ سيفه بيده وأمر أخوته أن تقطعه بسيفها ففعلوا حتى لم يعد يظهر له رسم وانحى أثره واشفى كل منهم فؤاده من قاتل أبيهم وإذ ذاك قال بهزاد لأخوته وللفرسان الأريصح الكافا بكوا ونوحوا وأندبوا مهما قدرتم فان من كان كافي لا يجب أن يبكي قبل أخذ ثاره ثم رفع صوته بالبكاء ورمى بنفسه على ابيه يقبل يديه وينوح عليه وقد مزق ثيابه وكشف رأسه وحث التراب عليه وفعلت أخوته كفعله ودارت عجوم الفرسان من حواله وكلهم في صياح وبكاء وقد أشمروا سيرفهم بأيديهم وأخذوا يدورون ويندون ويكون محبوب بهزاد وهو على تلك الحالة باكي العين حزين القلب كئيبه وأشار برثي أباه

تبكى الحكمة عليه والدموع دما بأعين لقيت يوم العزاء عني
دعاه داعي المنايا فاستجاب وما أعاقه عائق لما اليه ومي
تحرك الكون من هذا المصاب على محاور الحزن واهتز الملا لما
أفلزور أبي اتى ماسد كركم ما دامت الخيل تحثى تلك الألقما

مادامت الخيل يوم الروح مطلقة
 فيلزور أبي هل عودة لكم
 وتظرون خطيرا والصوارم قد
 لا أغفل الدهر عن كيد العداة ولا
 سامسك الشرق في يوم الوغى وعلى
 ويمسك الغرب فيروز وفي يده
 تثيرها نار حرب كلما ازدحم
 تفرق الجيش حتى النصف يجمعنا
 خيولنا إذ علمت للتبرين غدت
 أبي تركت لنا الاحزان نخزنها
 من كان مثلك يبكي المجد مصرعه
 نحو الاعادى وسبقى بلفظ النقا
 فتنتظرون العدا قسمهم قسما
 عته والجسم منه ذاب وانهدما
 أسلم القوم حتى يصبحوا رما
 زندي مخرق أبدا تسيل دما
 مهتد لو رآه الطود لانهدما
 خيولنا تحتها زدنا لها الضرما
 أو ان يزيد ونفري فيهم العدما
 عليهم وغدونا نعتلى النجما
 مدى الزمان وان علمتنا الهما
 ويلهم العز من أحزانه القدما

ولما انتهى بهزاد من الشاهد عاد فرمى بنفسه على أبيه وزاد في بكائه وارتحابه حتى
 أبكى كل من كان حاضرا من الكبير إلى الصغير وتقدم اليه فيروز شاه فرفعه وعزاه
 على فقد أبيه ثم تقدم أخوه ييلتا وتدده ورائه وناح على فقدته وصرف ذلك النهار
 وتلك الليلة ورجال فارس في بكاء وعويل وقد وضعت جثة فيلزور في صيوانه
 وسكبت عليه الروائح العطرية ورفعت فوقها الازهار الزكية وأخذت عموم عساكر
 ايران تاتي اليه وتبكي عنده وتقل يديه وتديه كل فئة بفيتها وكل فرقة بفرقتها
 وكان ذلك المشهد المحزن من أصعب المشاهد وفي صباح اليوم الثاني دنا بهزاد وقبل
 يدي الملك ضاراب ودعا له بدوام العز والبقاء وقال له اني لنس منك ياسيدي ان
 تأمر بأن تحيط جثة أبي وترسل إلى تعزاه اليمن ومنها إلى ايران ليدفن في مقبرة أبيه
 وأجداده وينضم إلى من سبقه من عائلتنا لانه إذا دفن في هذه الارض اندثر ذكره
 وحضانت حسناته وهذا مما لا ترضاه عدالتكم وحكيم لانه خدم دولتكم منذ أكثر من
 خمسين سنة وكان أوكم يعزه ويمهد اليه بحماية البلاد كما نعمت اليه عظمتمكم ولا
 خفاكم ان عموم فرساننا تذكر أنها نشأته وأنه عليها طرق الحرب والقتال وخرجها
 ابطلا غطارفة فكيف ينكر فضله . فلما سمع الملك ضاراب كلامه رآه عين
 الصواب وقال لقد أجبتك إلى طلبك واني عن يجب أن يجنب لأبيك تمثال يزاو
 ويكرم وقد تسألني ذمى الى ذلك وتدعوني واجبات حتى اليه ثم اتفت إلى
 طيطلوس وأمره أن يعتنى بتحيطه وأن يكفنه بالحبر والصلندل وأن يرسله مع مائة
 فارس إلى ايران ليدفن في مقبرة أجداده وعند عودهم إلى انبار يستنون بأقامة
 تمثال له فأجاب طيطلوس وأخذ جثة فيلزور وفعل ما أمره الملك ضاراب وبعث بها

إلى إيران محفوظة في صندوق من الرصاص مصفحا من دائره وأمر أن يعتنى به في الطريق ولا تهان الجنة

قال وبعد ذلك تقدم فيروز شاه إلى أبيه وقبل يديه وقال له انى أسالك يا ابي ان تاذن لى أن أدخلك هذه الحرب فان صبرى قد فرغ وأخاف من أن تصطاد الفرسان واحداً بعد واحد وأن تطول الحرب بيننا وبين المصريين وأنا واقف انظر واتحسر وقلبي يحترق ثم بكى بدمعة سخية وأظهر لآبيه انه إذا منعه عن القتال يعتل جسمه ويمرض من عظم ما يلحق به فكدر هذا الامر أباه وشفق على حاله وقال لطيطالوس أنرى أيها الوزير العاقل الخبير أن من الحكمة والاصابة ان اسمح لابنى بالمحاربة وهل من خطر عليه بعد . فقال الوزير ان ما كنا نخشاه قد مضى وانقضى فان الرجل العظيم الذى كان ظهر لى أنه سيفقد من جيشنا قد فقد وأحرمتنا الاقدار من مساعدته والنفع به ولم يعد من خطر على سيدى فيروز شاه ولا سيما أن هذه الحرب تحتاج اليه ولا نصبر لنا إلا به لأن نجم الاقبال معقود على جبينه وهو يقاتل بهمة تفوق كل همة لأن قتاله للدفاع عن عين الحياة ومحو اثار الاعداء واستخلاصها منهم وليس لاحد صالح كصالحه . وإذ ذاك قبل الملك ولده وقال له انى أذنت لك أن تقاتل يا ولدى واسأل العناية الالهية أن تحفظك وتساعدك وان لا توقع بك ضررا وقد سلمتك ليد الحق سبحانه وتعالى فهو لا يقبل أن يفجئنى فيك لعلمه بأنك وحيد لى وبلداد فارس بأجمعها . فها صدق أن سمع هذا الكلام حتى امتلأ قلبه من الفرح والسرور ورمى نفسه على صدر أبيه يقبل يديه ويذرف دموع الحب والطاعة

وكانت عين الحياة كل هذه المدة عند طوران تخت وهى فى حاله ماثلة لى المسره لانها علمت أن حبيبها على مقربة منها بين الجيش يقاتل لاجلها وكانت ضامنة النصر للعاجم مؤكدة انهم سيقهرون أعداءهم ولا يكرهها ولم يكن لها شئ تهتم به إلا أنها كانت تخاف من ان يلحق ضرر بأبيها أر ان تؤخذ سبية وتلتزم أن تنزوج على هذه الحالة وذات يوم بينما كانت الحرب قائمة بين المصريين والاييرانيين جلست طوران تخت وعين الحياة على سفرة المدام ينتظران وصول خبر اليهما عن ذلك النهار وقد دار بينهما الحديث بهذا الشأن فقالت طوران تخت لا بد أن تصل الينا الاخبار فى هذا اليوم فاما أن تكون مكدره لك واما أن تكون مفرحة قالت انى أعرف حق المعرفة ان فيروز شاه سيعزز النصر على ابيك فهو يقاتل لاجلى وقاتله لا تخمّل ثقله الجبال وصناديد الاطغال إنما لا شئ يكدرنى إلا إذا لم يفرقه تفارق بين ابي واياه وهذا الفكر الوحيد الذى يشغلنى وهو موضوع امكارى واهتمامى . قالت

إذا كانت غايتك الزواج بفيروزشاه والقرب منه وهو كاتر عمن قادر على استخلاصك والحصول عليك فإذا يهلك إذا اتفق مع أبيك أو لم يتفق . قالت نعم أنى أعرف أنه سيصل إلى وقلبي يحدثنى أن أبى يهرب منى أو يهرب وحده إذا وقع بمصر التأخير واعتري عساكركم التفريق فإذا هرب أبى منى تكون المصيبة عظيمة لأن الملك ضاراب يلتزم أن يبقعه أينما سار برجاله وفرسانه وأن ابقى فستولى على الفرس ويأخذنى بفيروزشاه من وسط المدينة عند فتحها ويكون أخذه لى كسيدة نعم انه لا يرضى لى بذلك وكما أن هذا الفكر الذى يشغلنى هو يشغله ايضا إنما للضرورة احكام فيعد حصوله على لايهه ان يتأثر أبى إنما يكون الكدر واقع على بحيث يقال بين العالم قاطبة انى تزوجت بفيروزشاه على غير الطرق المتفق عليها بين ملوك هذا الهنت — ولا ريب انه لو كان أبى من الذين ينظرون فى صالح نفسه وبرى الحماق من حيث هى لما سمح بزواجى بفيروزشاه وكان باجابه على طلبه يكتسب طاعته ويحرم احتفالى زفاف لا اذن يجرى مثله لاحدى بنات ملوك الأرض قبل وبعد . فقامت طوران تحت أن الاحتفالات تزول وتنقضى بوقت قرب مها كانت عظيمة وكلام العالم مها كان لا يكون اعظم مما ان يقال بأنك تخالفين اباك حبا بان ملك افرس وان هذه الحروب العظيمة كلها بسببك وقد سحبتنا من خلفك فاهلكت لونا ومات الوف من الناس وجز الغاية ان يكون بفيروزشاه ضجبعك وهذه غايتك ردى حصلت عليها فلا يعود يهلك شىء غيرها . وكان كلام طوران تحت الاخير ضحك وتسمك صادرين عن مزح ولعب . فاجابتها انك تجهلين حتى الان حقيقة الحب و"مشق الفاضح ولا يزال قلبك خاليا منه اما قلت لك ولا ازل اقول ان الدهر لا يسل معك بهذه العزلة عن المشق لاسما وانك جميلة الوجه . زمان شوبيتك اخذ فى الحو والاتساع وريمان صباح سيرميك بحلة أعظم من احواله انما فيها لآ وتونك انى جررت خافى هذه الحرب واعطيتك سبى كثير من "نا وفقدت هذه الناة واقعة على طيفور وزير اى اكثر ما هى واقعة على وان كانت الغاية كما قرأنا لخصم على من أحب إلا انه من الواجب ان لاتنقص هذه الغاية شىء من الشرف والاعزاز . فارجوها ولا ازال ارجوها فاجابت طوران تحت انك تتوهمين انى سافعتى واستر الشاب الذى تميل اليه النفس انما هذا الوهم لا ريب انه يخطئ من كانت مثلك فتوة من مشق القاتل وتحين ان تدفى لومى عنك وان لا تترفين بحضرتك وانك لا تحكمين ان تسلم واخبرك الان ان لى ابن عم اسمه لاهير زبان وقد علمنى منى و غب فى زواجى فرفضت طلبه وقلت لاسى انى غير راغبة الان فى الزواج وربى فبا بدى ايضا واحمد ان ابقى عنده فى بيته وتحت حمايته وهذا خبر لى من ان اكون بما كنت يدعيه . على انه لو كان

ورغبة بما تزعمين لمكنت اجبت وقبلت بزواج ابن عمي وهو احق من جميع الناس في وقد كرر طلبه هذا مرارا دون حصوله على جواب موافق قالت ان الحب لا يتأتى عن ورغبة الفتاة في القران انما يقع بداعي وحدانية الصفات في المحبوب بالرغم عن الخاب فلو كان ابن عمك ممن يحب لوقع في قلبك موقع الاستحسان وعشقه بالرغم عنك وأجبتة الى طلبه مع اني رفضت طالب كثيرين من الذين طلبوا القراني ولم يكن بينهم من هو كفيروز شاه اجمل اهل الارض وجها وابها منظرًا واشدهم بأسًا واحسنهم اخلاقًا وآدابًا وحكمة وقد خصص الله رجال الفرس بهذه الاخلاق الحسنة فكل ما فيهم جميل ومحبوب ولا سيما الامراء ورجال العائلة الملكية ومتى رأيت احدا منهم عذرتني ودامت على مثل هذا الحديث الى ان انقضى ذلك النهار وجاء الليل دون ان يصل اليهما خبر عن نتيجة حرب ذلك النهار وكاتتا لا تزالان تسمعان اصوات المتحاربين وغوغاء الحرب قائمة وصليل السيوف ورعيد الأعمدة وصهيل الخيول والصياح من كل ناح . فقالت عين الحياة ووجهها يطفح بالمسرة والابتهاج الا رأيت يا طوران تحت كيف ان الحرب لا تزال الى الآن وقد اختلط الليل بالنهار واتصلت نار الوغى وما ذلك الا من عمل مسعرها ومثيرها وهو فيروز شاه ولا ريب في انه عند المساء لم يقبل في ان يرجع عن ساحة القتال بل دام في عمله لانه شديد الميل والقوى لا يأخذه تعب ولا ملال لاسيما وهو يرغب في تمجيل الوقت والسرعة للوصول الى هذا القصر ويجهد نفسه في إزالة الموانع المانعة من وصوله . قالت طوران تحت إن من كان عاشقا كفيروز شاه لا يبعد أن يخاطر بنفسه ويرى بها في نار مثل نار هذه الحرب إنما هذه المخاطرة ربما كانت وخيمة العقبى وقد صدق من قال إن الشجاعة والعقل لا يجتمعان بانسان فلو كان فيروز شاه كائز عمن عاقلا لاخترنوال مراده بالصبر ولا حاطر بنفسه بين أسنة الرماح ومضارب السيف فقالت عين الحياة إن الشجاعة والعقل لا يجتمعان في غير فيروز شاه وأما فيه فقد اجتمعا ولذلك حسب من أفراد هذا العصر ولولم يكن يعلم من نفسه بأنه قادر على الثبات ورفع الاخطار مهما كانت صعبة لما أقام على إزالتها إنما عقله وحكمته جعلاه أن يسلك سبيلا يقدّر أن يسلكها ويتم غايته وهو طيب النفس كريمها كامل الفكرة حكيمها .

ونامتا تلك الليلة وكل منهما ترغب أن تعرف ماذا جرى على قومها ومن به اهتمامها وكانت أشدهما رغبة في الاطلاع على الحقيقة عين الحياة وقد ترجع في ذهنها أن فيروز شاه سيكون له المقام الأول في هذه الحرب وسيلقى مزيد الرعدة والخوف في قلب الوليد فيحسب له كبير حساب وصبرت إلى أن أشرقت شمس نهار

اليوم التالي ومضى منه قسم قليل فخرجت من غرفتها بعد أن غسلت وجهها ولبست ثيابها وأتت غرفة طوران تخفى وكانت قد وجهت بأذنانها إلى جهة ساحة القتال فلم تعد تسمع ما كانت تسمعه في الليل فعلمت أن القتال قد انتهى وإن الفريقين قد رجعا إلى الخيام للراحة ودخلت على طوران تحت فوجدتها قد نهضت من نومها وجلست في غرفتها فحيتها وجلست إلى قريبا وقالت لها بلغك خبر عن واقعة الامس . قالت كلا ولذلك ترينني مضطربة الافكار وقد خطر لي أن أبعث بأحد خدمي إلى أبي استخبر منه عما كان وعما جرى بينه وبين أخصامه ثم دعت بخادم من خدم قصرها وأمرته أن يسير إلى أبيها ويقول له أن بنته في قلق واضطراب من جرى حربه بالامس مع الاعداء وأنه لم يبعث لها بخبر صريح وأنها تزوم منه في كل يوم أن يرسل اليها بالآخبار بطمأن بالها فسار الخادم إلى أبيها وكان اذ ذاك بهزاد يحارب خطيرا فوقف الخادم امام الوليد وبلغه رسالة بنته وقال لها أنها في الامس لم تتم ولا أخذت راحة ما وهي مضطربة الفكر من عظم القلق فترجوك أن تديم اتصال الآخبار اليها في كل صباح ومساء بحيث تكون مرآحة الفكر لاجلك . قال أصابت في طلبها هذا فاني اعرف منها ميلها إلى نجاحي ورغبتها في الوقوف على أخباري وكنت فكرت في أن أبعث اليها بتفصيل الآخبار الا ان الظروف لم تساعدني الآن لأن الحرب استقامت بيننا وبين الاعداء نحو من اربع وعشرين ساعة أي النهار والليل بطولها حتى اذا قونا مر عذاب القتال لم يكن في ظني أن يكون من الإيرانيين ما كان ولا يقدرون على الثبات بهذا القدر فأتانا مع كثرتنا كنا لا نقتل واحدا منهم الا بعد أن يقتل خمسة منا لا سيما وأن فرسانهم كثيرون وكلهم ابطال ومقاوير واكثر من ربع المقتولين هلك بسيف بهزاد وفيروز شاه وما رجعنا عن الحرب وفيينا ثمة رفق من التعب والضجر الا اثنائنا رجوعنا اتاني خطير وأخبرني بقتله لفيروز حامى بلاد فارس ورئيس مقدميها واستاذ فرسانها فمررت في هذا الخبر جدا وفرحت به وفي نفس الساعة حمل على اطراف حرسى بهزاد وطلب اخراج خطير اليه ليأخذ منه بثاره فبعث اليه بنصر المغربي فقتله ثم خرج اليه خطير والآن هو في قتاله والأمل انه يمد له الحياة ويتبعه بابيه ويبيها كان الوليد يخبر الخادم باخبار الحرب ليوصلها الى بنته واذا بالفارسان قد دخلت عليه واخبرته بقتل خطير فغضب وكان منه ما كان وقد سمع الخادم كل ما وقع فرجع الى مولاته واخبرها بما سمعه وراه وقال لها ان اباك بمزيد كدر واضطراب وقد خاف انه اذا دامت الحرب على هذا المنوال عدة أيام يفقد عسكره كله ويتأخر حاله وتخرج عين الحياة من يده ويخسر بلاده وأنه يرجو من الله أن يرجع بطور الع السعد اليهم ويسأ لونه تغير الحال بغيرها فلما سمعت طوران تحت

هذا الكلام خفق قلبها وأطرفت إلى الأرض مفكرة نحواً من ربع ساعة ثم نظرت إلى عين الحياة فوجدتها تنظر إليها وعلامم المسرة ظاهرة على وجهها وأمواج الفرح تتقلب على صفحاته فتسكدرت من ذلك إلا أنها عذرتها عليه وقالت في نفسها لا شك في أنها تسر لكدرنا وتسكدر لسرورنا وهي بانتظار نجاح الأعداء علينا وليس من الواجب أن أظهر لها كدرى فاتها وإن كانت مائلة إلى إخصامنا إلا أنها ضيفة عندنا وإنها جفست النساء اللاتي يتغيرون بتغير الأحوال فلو كان النجاح لنا لمكانت تسكدر إنما ربما لا يلبث كدرها أن يزول بزوال رجاءها . ثم قالت طوران تحت للخادم هل قتل خطير وقائله بهزاد وهل هو من رجاله . قال نعم ياسيدتى وقد سألت عن ذلك بعض الفرسان فأخبرنى أن بهزاد يعادل فيروز شاه في ساحة المجال وهو بهلوان تحت مصفر شاه حاكم طهران وملكها ابن عم الملك ضاراب وقد أحكى لى عنه قصصاً وأخباراً تستحق أن تذكر لأن لولاه ولولا فيروز شاه وفيلزور الذى قتل لما ثبت الايرانيين ساعة واحدة . وبعد ذلك صرفت الخادم ونظرت إلى عين الحياة وقالت لها على باعزيزى أن الدهر يخذلك وما الاخبار التى أنت بانتظارها قد ابتدأت في أن تفقد عليك وانى لا أكره لك المسرة والفرح إنما لا أرغب في تأخير أبى وكسر جيوشه ومع كل ذلك فإن الله بفعل بعبده ما يشاء فالصر والكسر بيده وليس هو يبدى ولا يدك فعلينا نحن أن نبقى على حالنا إلى أن تنتهى الحرب ليفعل الله ما يشاء . وكانت تحب أن لا تكسر بخاطر عين الحياة فقالت لها عين الحياة وقد سرت من كلامها ومن حسن مزاجها أنه من حقه أن تسكدرى إذا بلغتك مثل هذه الاخبار غير أنى لا انكسر جيلك معى ومعروفك بالتفانك إلى وان ضميرى يذهبى إلى شيء واحد وهو أنك لا تبقيين في بلاد مصر وانك لا بد أن تقرى بأحد رجال العائلة الملكية الفارسية لتكودى دماً قرى ونكون مع بعضنا فى كل دقيقة ثمانية وقد طلبت من الله هذا الطلب مراراً ولا ريب في أنه يجيب طلبى ويتملى رغائى فضحكت منها وقالت لها تطبين بحالاً كيف تطبع نفسى أن تزوج بأعداء أبى ومن لا رغبة لى فيهم . قالت متى نظرت أحدهم فبعد ذلك امتنعى واحكى ما أنت حاكيتة فالدشق أوله نظرة وكانت طوران تحت مع ما هى عليه من صلابة الرأى لا تكبره أن ترى أمراء الفرس انهم صدق كلام عين الحياة وقد بذرت لها فى قلبها بذور الوساوس والافسكار وجل ما كان تدداً أن يخاطب عقلها وميلها ما تحمقته من شجاعتهم وبسالته وباطع أن يقول النساء مائة للشجاعة ولا سباً في زمان مثل ذلك الزمان كانت ترى كل بنت ملك أو أمير أن من الضرورة أن تكون زوجة لرجل ذى بسالة وأقدام تفتخر به عند غيرها من البنات ويحميها من أعدائها ومن غارات

الطماعين ولذلك كن كثيرا ما يتعلن الحرب ويقاثلن رغبة في الشجعان ولم تكن طوران تحت قد تعلت شيئا من فنون الحرب بل كانت من الجبن على جانب عظيم خلافا لعين الحياة فانها كانت تحسن القتال وقد تعلت من اخوتها وامتازت به وهي متينة العزم قوية القلب وأعظم منها كانت أنوش بنت الشاه سليم صاحب المدينة السليمية خطيبة فرخوزاد لانها كانت تلبس ملابس الأبطال وتقاتل بكل أنواع الحرب وفنونه وتنازل أشد الأبطال بسالة واقداما وكثيرا ما تقود وراها وتحارب به الأعداء وكان يركن لها أبوها كل الركون كما تقدم معنا وسوف يأتي ذكرها في هذه الحرب وما تجرى فيها هذا وأقامت عين الحياة وصاحبها في القصر وهما على سفر المدام والطعام وقد علق كل أملها بقرب وصول فيروز شاه منها ولذلك كانت كيف مالت تلفظ باسمه وكلما شربت كأس حمر تنشد شعرا يبرهن عن عظم شوقها وحباها له وثباتها على ما تواهدا عليه وتلك تسمع منها ذلك ولا تمنعها عنه ولا تلومها عليه

قال وفي صباح اليوم الثالث من الواقعة الأولى استأذن فيروز شاه أباه بأن تضرب طبول الحرب تنبها للقوم ولهم وانه في ذلك النهار سيكون قتال فاجابه وضربت الطبول فاستيقظ لها المصريون وعلوا أن العارسين يطلبون القتال فأجابوهم بالمثل وخرجت الدساكر تتقد خيلها وسلاحها وما يحتاج اليه أثناء القتال وسار كل قائد إلى فرقته يدبر أمرها إلى أن أشرقت الشمس فاعتلت الخيول وتقلدت النصول ورفعت الأعلام وتقدمت الفرسان طالبة القتال من كل جهة وصوب وتقدم فيروز شاه وهو راكب على جواده السمين كاه البرج الحصين ومن عن يمينه ميمون ورجال الزنوج وهم يفتخرون بقائدهم وقد أملوا ذلك اليوم نصرا مجيدا لهم لأنهم يعلمون أن به يرتفع رأس الجيش وتباهى عموم عساكر فارس وفي الحال هزت عساكر المصريين يارقم وحملت قبايلها عساكر ايران بالمثل وحمل في المقدمة فيروز شاه وهو كانه الأسد الكاسر أو الثور الجارح وحمل بهزاد ليث الطراد مع صفر شه وعساكر طهران العجم وحمل کرمان شاه ومعه ييلتا ليث الفلاء وكذلك فرخوزاد حمل بعساكر أبيه وهو يهدير كصفحول الجبال في شهر شباط وحمل بهمزاقبا وسيامك سيافيا وبهمزاقر قلى وشبرين الشبيلي الطلائق ومرادخت الطبرستانى وكل فارس وبطل وبأفق من ساعة اختلطت ببعضها تلك الامم. وأذهرت ما عندها من الهمم. وسلبت ناقصها الى سلطان العدم وهم الشجاع وتقدم. وتأخر الجبان وأهزم. وكانت الحرب حرب يسوسية. مملوءة من الضغائن المنفرة بالبليّة. وقد ارتفع غبارها. وثار شراره. وزاد سعيها واتقدت نارها وغنت سيوف فرسانها وأبطالها ورقصت خيول ساداتها

حورجالها . فساعد الله بهزاد وما فعل في ذلك اليوم الكثير السواد . فانه أطلق احتراق
الفؤاد .

وتذكر أباه وما جرى عليه من الاعداء الاوغاد . فصال صولة الآساد وشك
بقوائم عمده الالكباد . واستخرج الارواح من الاجساد وأجرى الدماء كالانهار من
الاوراد وأما فيروزشاه فلا تقدر على الاتيان بوصف ما فعله وما أجراه فانه سطا
سطوة جبار عنيد وأهلك كل فارس صنيدي وبطل مجيد حتى أبطل ذكر عنتره الفرسان
بما أجراه من الحرب والطمان وضيع صيت الملك سيف ابن زى بزى بما أنزل على أعدائه
من البلايا والمحن ومحي أفعال المهلهل بن ربيعة بما أوقع على المصريين من الويلات
المظيمة فلو وجد في تلك الحرب حمزة العرب لما رأى إلى التباهى بنفسه من سبب ولو -
شاهد حر قتاله البراق لأرعد عاقه من الهلاك والمخاض لو كان في ذلك اليوم ضمير
الجبار لاختر أن يكون من رجاله طمعا بالجمد والافتخار أو لو نظر الملك الظاهر إلى قتاله
وجولانه لقال انه وحيد أطلال الزمان وفرسانه ولو التقاه في ذلك اليوم هاني بن مسعود
لذل بين يديه وهو مقهور ومكمود أو لو نازله همر بن ود لما قدر أن يقف بين يديه
ساعة الفرد أو أبصره ذو الخمار لخدم في ركابه وتمنى أن يكون طول عمره بين يدي جبابه
كيف لا وهو الذي ألبس أهالي مصر ثوب الاذلال وفعل فيهم أي شتم الافعال وأوقع
عليهم البلايا والاهوال وأذاقتهم حربا لم يسمع بمثلا منذ أجيال فما ضرب ضربة إلا
وأهلك ثلاثة أو أربعة ولا صاح صيحة إلا وفعلت في أعداء افعال الصاعقة أو الزوبعة
وكان ينادى ويقول في نداءه أن فيروزشاه حبيب عين الحياة وهو ينتقل من مكان إلى مكان
بأسرع مر وقع العيان حتى توهم القوم أن كل الايرانيين فوازي شاهات فكاوا يطلدون
سرعة انقراض النهار ليرجعوا عن الحرب والطمان نصبروا على ذلك البلاء العظيم وأقاموا
تحت ثقل ذلك الخطب الجسيم إلى أن انقضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فضررت طبول
الانفصال ورجع القوم عن الحرب والقتال وعاد فيروزشاه وعادت من خلفه الفرسان
والابطال وكان الملك ضاربا قد أنذرهم أن يرجعوا في المساء وأن لا يقاوتوا في الظلام
خوفا من أن يفقد أحد منهم تحت الاعتكار ورجع المصريون من ساحة الحرب وهم يشكون
عظم هول ذلك النهار وقد تكدر الوليد والشاه سرور وطفور لما رأوا كثرة النقص
في عساكرهم وكثرة الجراح ولم يكن واحد منهم يقدر أن يتكلم بكلمة وذهب كل إلى صيوانه
يأس وكدر بخلاف الملك ضاربا فانه التقى باتبه فيروزشاه وقبله بين عينيه وشكره على فعله
ومدح سائر الفرسان لانه كان يراهم وهم في وسط المعارك يطردون الاعداء بين أيديهم

ويسدون عليهم فالتقام بمزيد الفرح وقد ترجح له وجه النصر وبانت له علامت الفوز وكان أكبر فرحه من ولده وفعله وبهزاد وعمله .

وبأبوا تلك الليلة في ذلك المكان وفي الصباح جردوا البيض الصفاح وركبوا خيولهم واعتقلوا بنصولهم وتقدموا للقتال . ودار بينهم دائر المصائب والاهوال وتقاتلوا قتالا شديدا وتناضلوا نضالا مجيدا لان المصريين كانوا يفضلون الموت على الحرب ولذلك كانوا يثبتون في القتال ويقدمون نفوسهم ضحايا لسيوف الفرس وما انقضى ذلك النهار حتى كان قتل منهم مقتلة عظيمة ورجعوا رجوع الخيبة وباتوا تلك الليلة في هم ونكد وفي اليوم التالي نهضوا من مراقبهم وعادوا إلى الحرب وأشعلوا نار الوغى واستلم كل فارس جهة من الجهات حتى قامت القيامة واضطربت الاعلام راهزت الارض ومالت الجبال وأظهرت الفرس مزيدا همتها وأبدى المصريون كامل شجاعتهم ودامت الحرب إلى الزوال فدقت طبول الانفصال فرجعت العساكر ورجع فيروز شاه وهو مغموس من دماء الابطال لانه فعل في ذلك اليوم أعظم مما كان قد فعل في الأول وذلك إذ أخذه من التطويل الضجر والملل ومارجع عن الحرب إلا بعد أن حشك الأعداء في خيامهم وأزل عليهم قضاء الله ومصائب الأيام فترحب الملك ضاراب بولده كعادته وقبله بين عينيه واجتمعت من حوله الابطال والفرسان فوقف فيروز شاه بينهم وقال بفضيح لسانه اعدوا أيها القوم الذين خصكم الله بالشجاعة والاقدام وفضلكم على سواكم من الانام أنا ما قدمنا على هذه الحرب إلا ونحن متكئون عليه تعالى ولذلك نراه يأخذ بيدنا ويساعدنا على أعدائنا ويقدم إلينا كلنا نحبه ويبعد عنا كلنا نكرهه ومن منته تعالى لم نر في قتالنا تأخيرا مع المصريين بل نجاحا وتوفيقا ، أنه بحوله تعالى لا يمضي علينا خمسة أيام إلا وندخل المدينة وننال غايتنا منها ولذلك أسألكم أن تدوموا على اهتمامكم وأن تشكروا الله في كل آن فهو الرحيم الديان ينصر خائفيه ويقبى كافرينه وما قصدى الآن إلا أن أشكركم على بسالتكم وأن أسألكم أن تعضدوني لندخل المدينة رغما في هذين اليومين فإذا وافقتموني عليه وساعدتموني إليه أدمنا الحرب في الأعداء إلى أن تتأخروا فنطاردها مطاردة أسود الدحال إلى أن نفوتهم الحيام وتتأثرها إلى أن تسحل المدينة ونحن في ظهورها ولا نتمكنها من قفل الأبواب والمحصرة وإن أوجه بكلامي الآر أخير إلى عياري بلادنا أن يكونوا على انتباه ويقظة لان الأعداء متروا والغلة يلجئون إلى السرقة فيسطروا عيارهم علينا ويحرمونا من لذة هذا النصر العظيم وفي الغد لا نذهب إلى الحرب بل يكون يوم راحة فأجابه من فرد شقة ولسان أنه يفعلون كفعله وأنه يكون والدهم في القتال أما فيروز شاه قد سر منه أبوه كل المسرة وعلم أن ولده لا يغلب ولا يهان .

وأما الوليد فانه عاد ذلك اليوم في مزيد كدر وجمع اليه فرسانه وأبطاله وعاد
الشاه سرور وطيغور وعقد مجلسا سافلا وقال لهم قد نظرتم بأعينكم ما حل بنا في هذين
اليومين وهذا مما لم يكن لنا في بال ولا تصورناه قبل الوقوع فيه وهل يخطر في فكر
إنسان أن خمسة الف فارس تفعل بألني الف فارس هذه الفعال ونحن كنا نظن أننا
نهلكهم ونبيدهم إما بالمطارلة وإما بالقتال فوجدناهم أنهم لا يصبرون عن القتال
وأنهم أشداء فيه لا يفلون ولا يقهرون ولذلك دعوتكم الآن لاستشيركم فيماذا نفعل
ولا خفاكم أن العساكر ترد علينا في كل صباح والتجذات متواصلة اليانا في كل آن إنما
عرفت بالاختبار أن لا فرق عند فرسان إيران إن كثرت الرجال أو قلت ولا سيما عند
فيروز شاه وقد شاهدت من قتاله أنه لا نظير له في هذا الزمان فإذا تقولون وبماذا
تشبهون فقال طيغور لقد أصبت ياسيدي بما أشرت ولا خفاك أنه ما دام في عساكر
الآعداء فيروز شاه فلا تقدر عساكر الدنيا برمتها لو تجمعت إلى بعضها أن تغلب
على جيشه مهما كان قليلا فن الا صابة أن تتخذوا طريقة تبعده عن جوش فارس وإن
أمكن أن نبعده معه هزاد ولذلك يهون الأمر وتغلب على الاعداء وإلا مادام هزاد وفيروز شاه
فلا سبيل إلى النجاح والظفر وكان طارق العيار حاضرا في ذلك المكان فقال في نفسه لقد
صدق طيغور وليس من وسيلة للوصول إلى فيروز شاه إلا في وهذا الوقت وقت إظهار
فضلي واكتساب المال والانعام ولذلك دنا من الوليد وقال له ياسيدي إن كان جل غايتكم
أمر فيروز شاه فاني أعددكم وعدا صادقا وأشهد على هذه الابطال والفرسان اني أوجب
لكم فيروز شاه في هذه الليلة ولا أدع الصباح يبرغ إلا وهو أسير عندكم وبذلك يهون
علينا أمر قومه فقال له الوليد إذا فعلت ذلك يا طارق سمحت لك بالمال الكثير وجملتك
من أحب الناس لدى فقال له طيغور ان ذلك صعب عليك يا طارق لان فيروز شاه محفوظ
عند منامه بهروز العيار بن الغول فهو لا ينام ولا يهدأ بل يقيم لحظة داخل الصيوان
وأخرى يطارف حول مضرب سيده من جهة إلى ثانية فقال طارق اني لا أحسب
حسابا بهروز ولا لغیره مهما كان مستيقظا ولا بد لي من أن أسطر عليه وأخذ
سيده من بين يديه . فقال له الشاه سرور إذا أنفذت ما وعدت به فلك عندى كل ما
تطلبه وأغمرك بالاموال الى ان ترضى فوعدهم بكل جميل وخرج من الصيوان
سرورا بهذه المواعيد متسكلا على نفسه كي الاتسكال وهو لا يعرف فيروز شاه حق
المعرفة وقد شاهده في القتال فلم يتحققه حق التحقيق وكان قد استوصفه من طيغور فوصفه في
كل الوصف فقير ثيابه وقصد جيش الاعداء وتخلل بينهم وسار من مكان إلى ثان حتى
انتهى الى صيران الملك ضارب فوجد الفرسان والامراء عنده فوقعت عينه وهو من

الخارج على مصفر شاه وكان كما تقدم جميل الوجه مهاب كأنه فيروز شاه بالتام فتوهم انه هو نفسه فجعل ينظر اليه ويتأمل فيه وقد طابقت اوصافه الاوصاف الثابتة في ضميره ولم يبق عنده من ريبه انه فيروز شاه وبقي لا ينظر الى غيره خوفا من ان يصيح عنه الى سواء ولا زال صابرا الى ان مضت السهرة وقرب نصف الليل وجعلت تنصرف الفرسان من حضرة الملك ضاراب كل الى صيوانه وهو واقف في مكانه الى ان نهض مصفر شاه فاستأذن في الخروج والانصراف فاذن له الملك ضاراب فخرج وخرج بين يديه عياره الاشوب فزاد ذلك تحقيقاتي ذهن طارق وقال هذا الاشك في انه فيروز شاه والذي بين يديه هو بهروز بن الغول عياره الذي قيل لي انه لا يفارقه ولا يبعد عنه فصار من خلفهما يترقبهما وهو أسرع من الثعلب في الحيلة حتى انتهى مصفر شاه الى صيوانه فدخله ودخل الاشوب من بعده فصبر أكثر من ساعة ثم جاء الى قرب الباب فوجد عنده حركة فقال في نفسه لا ريب أن بهروز لا يزال مستيقظا كما قيل لي عنه فجاء من ظهر الصيوان واخترق فيه خرقا ونظر بعين وصراص الى الداخل فلم ير أحدا بل نظر الى مصفر شاه نائما في فراشه فأسرع الى الوند ففك منه الحبل ورفعته ثم أخذ قطعة من البنج فاحرقها شيئا فشيئا الى الداخل وصبر الى أن أكلتها الباروا متلا الصيوان من دخانها وتأكد أن البنج قد فعل فيمن دخل الصيوان فرفع ذيله ودخل بعد أن وضع في أنفه شيئا من ضد البنج ولما صار ضمن الصيوان نظر الى مصفر شاه فوجده غارق في منامه وقد فعل فيه البنج كل الفعل كما فعل بالاشوب عياره فدنا منه وأخرج من وسطه فريطة وشد كفافه ثم رفعه على أكتافه وسار به من المضرب وانسل من جهة الى جهة وكلما لاح له عن بعد شخص مال عنه وتحذرنه ولا زال الى أن خرج عن المضارب والخيام وجاء معسكر المصر بين فاحتله وسار الى مضربه فوضع فيه مصفر شاه وقد أعطاه شيئا من ضد البنج فاستيقظ كالسكران ونظر الى نفسه فوجد حاله موثقا وفوق رأسه طارق فعلم أنه أسر بالحيلة وأن طارق العيار سطا عليه . فقال له من أنت ولاي سبب فعلت معي هذا وأين أنا الآن . قال أنت الآن في معسكر مصر في بيت طارق العيار الذي أخذك من نصف صيوانك من أمام عيني عيارك بهروز وهو لا يقدر ولا قدر أن يحملك مني ويمتلك مني ولا بد أني سأصير غنيا إذا قدمتك في الصباح الى سيدى الوابد لانه وعدني إن أتيتك أغنائى وأزواني ومثل ذلك تدهلى الشاه سرور وأحمد لله قد وقعت الى نزل المراد وأتيت بك بالرغم عن الله وتبقت بهروز . فلما سمع مصفر شاه كلامه ثبت عنده أنه ضلطان وأنه قصد فيروز شاه فجاء به وبذلك لم يرد أن يرجعه عن غلطه بل قال له إن كنت ترجعني في طارق تركت أن أن

ينزرك العطاء. ويجعلك من أكبر عياري بلاده . قال محالا ترجو وما كان طارق ليقول شيئا ويرجع عنه وإي شيء أحب على رجال مصر بأجمعها من أن يروا فيروز شاه بأيديهم وبذلك يتخلصون من نار حرب دائرة بها الدوائر عليهم ولولاك لفاز رجالنا على رجالكم وأنزلوا بهم الولايات والعبر فسكت مصفر شاه ولم يبد خطابا ونام طارق إلى حين الصباح فاستيقظ من نومه وهو بمزيد فرح لا يوصف وخرج من الصيوان وجاء إلى صيوان الوليد وصبر ريثما اجتمع عنده الوزراء والأعيان والأمراء والقواد وجاءه الشاه سرور ووزيره طيفور وأخذوا يفكرون كيف أن الأعداء لم يخرجوا إلى الحرب ذلك النهار وكيف لم يضربوا طبولهم كجاري عادتهم للحرب والقتال . فأجاب طيفور وقال لا ريب أن ذلك بسبب حادث جديد أو أنهم طلبوا لأنفسهم الراحة في هذا اليوم لأنهم في حاجة إليها كما أننا أيضا نحن في حاجة إليها يوماً بل يومين بل عدة أيام . وإذا ذلك دخل طارق مسرور فرحان ودنا من الوليد فقبل يديه وقال له قد توفى عندك ياسيدي إلى نوال المطلوب فقد أسرت لك فيروز شاه وجئت به وهو موثوق الأيدي وما هو الآن في صيواني وإني أنتظر أمرك لآتيك به فلما سمع الوليد هذا الخبر طفح قلبه بالمسرة وأمل الفوز والنجاح وقال اصحبه ما تقول يا طارق قال إذا امر سیدی آتیت به فیراه بعینه ومثل ذلك فعل الشاه سرور فانه كاد يطير من الفرح وقال ان صح قول طارق فقد زالت العوائق وحصلنا على النصر المرغوب وكذنا الانعام وهلماسم مرادنا اما طيفور فقال اني لا اصدق ذلك ولو نظرتنه عيانا فذلك بعيد عن طارق ار تقدر عليه ويتأني له ان يسطو على فيروز شاه وهو تحت حراسة بهروز العيار شيطان العارین وغفرتهم . فقال طارق كيف لاتصدق وهو في يدي وداخل بيتي وهذه الساعة تراه بعينك . فقال الوليد آتتا به على عجل واستهدف لوقوع عطايانا وإنعاماتنا فخرج طارق وبقي طيفور والشاه سرور وجميع الحضور في ارتباك وقد تأكد الجميع ان فيروز شاه الا طموه ، فانه بقي في رية واحنى ظهره مادا برأسه وموجهها بانتظاره الى جهة الباب وهو ينتظر ان يرى طارق العيار معه اسيره ليري من هو وهل حقيق ما يزعمه وما استقام الا القتل حتى نظر الى طارق وقد جاء يقوده مصفر شاه فلم انه ليس بفروز شاه فاستوى جالسا وهو مراسه ومال بانتظاره وقال لا وليد ان اسيرك ليس بفروز شاه وقد يبعد على من كان مثل طارق العيار ان يصل اليه وكان طارق قد دخل وسمع ما قاله طيفور فارتبك في سره وعرف من نفسه انه اخطأ وقال على ما اظن ياسيدي انه فيروز شاه وهو لم يقل لي انه ليس بفروز شاه قال اني اعرف ذلك حتى المعرفة نعم ان هذا اشبه الناس به انما ليس هو فزاد كدر طارق واحترق قلبه واشتاق ان يعرف من يكون اسيره ثم ان

الوليد سأل مصفر شاه عن نفسه وقال له من أنت من أمراء فارس فقد ظن أنك ابن ملكهم حتى أتى بك أسيرا لأن غايتنا فيروز شاه . قال ياسيدي إن ذلك ليس في وسع أعظم عياري هذه الايام فلا يمكن أن يصل اليه أحد ما دام عنده بهروز بن الغول سيد العيارين وهو متيقظ عليه كل التيقظ وهل بلغ من قدر طارق عيارك أن يصل اليه أو غيره من عياري هذه البلاد فلا تطمعن في المحال فزاد كلامه هذا في كدر طارق ونمى أنه لا كان خلق كيف أنه طرق جيش الاعداء ورجع بغير ما وعد وقال في نفسه إذا سمحت لي الايام لا بد لي من أن آتي بفيزوز شاه على رغم أنف بهروز . ثم ان الوليد استعاد من مصفر شاه عن اسمه ومن يكون فقال له أنا سليل المجد والفخر أنا ابن عم الملك ضاراب صاحب طهران العجم فلا تأسفون على فوات فيروز شاه فان أسيركم هو من رجال فارس العظام فيقتضى مراعاة جانب الملك وشرفه ولو كنت في حرب أو طلعن لما قدر أحد منكم أن يصل إلى أولو كنت مستيقظا لما وصلت اليكم وما أسرتوني إلا سرقة وما ذلك إلا فعل العاجزين الضعفاء فقال له الوليد كيف كان الحال فأنت أسيرنا الآن واني لا أرغب في إهانتك وسأرسلك إلى سجن قصر الاحكام تقيم فيه الى أن نحتاج اليك وننظر ماذا يكون لما مملك فيما بعد ومن ثم أنعم موليد على طارق وقال له لا أضج لك تعب ولا ريب في أنك إن أخطأت هذه المرة لا تخطئ في غيرها على ان الذي أتيت به ليس هو دون المطلوب وكذلك الشاه سرور أنعم عليه ترغيبا له في ان يقصد الاعداء مرة ثانية ويأتى بمن يرغبون في أسره ثم ان الوليد دعا بأحد اتباعه وقال له سر إلى بني واخبرها بأننا اسرنا احد فرسان العجم وملوكها وهو ابن عم الملك ضاراب وحاكم طهران وسأبعثه إلى قصرى يقيم فيه عدد السجنان محفوظا إلى حين نهاية الحرب وقد اسره لسا طارق العيار لانه لما رأينا الفناء قد أخذ يأكل من جيشنا وقد تأخرنا غاية التأخر وضعفت قوتنا ضعفا عظيما من فعل فيروز شاه بن الملك ضاراب ضربت مجلسا وسألت الجميع عن ابداء رأيهم فيما منهم إلا من قال ألا نجاح لنا مادام فيروز شاه بين جيوشه لانه عند القتال لا يظهر بصمة إنسان بل بصمة عمرت أو مارد يحرق الجيش في جولانه وهو يحنل الابطال ويطعن في صدور الرجال وكان إذ ذاك طارق العيار حاضرا فتعهد لنا بأنه يسطو على الاعداء وهم في غفلة منه رأينا بفيزوز شاه وسار على هذه النية إلا أنه كان لا يعرفه حق المعرفة فضاغ عنه وجاءنا بمصفر شاه وهو يظنه نفس ابن الملك ضاراب وها هو مرسل إلى السجن فترينه مار من تحت قهصرك فدعى عين الحياة تنظر اليه واخبرها أنه في الغنوم بعده يكون فيروز شاه أسيرا في المدينة فترى بعينها الذل والاهانة التي تلحق به وبعد أن عث لبنته بهند

الخبر أرسل مصفر شاه مع عشرة من الفرسان وأمرهم أن يطوفوا به في المدينة ويمروا به من تحت قصر طوران تحت ثم يسلموه إلى السجن ويوصروه بالمحافظة عليه والتمسك منه فأخذ الرجال ودخلوا يطوفون به من مكان إلى مكان والناس تتجمع أفواجا أفواجا كبارا وصغارا من حوله . وهويكاد ينشق من عظم الإهانة التي لحقت به ولا زالوا على هذا للتطواف إلى أن دنوا من قصر بنت ملكهم .

وكانت في ذلك الوقت عين الحياة في غرفتها وطوران تحت في غرفتها وكل واحدة تميل إلى أن تعرف شيئا عن أحوال القتال وبينهما على مثل ذلك دخل مبعوث الوليد على طوران تحت وبلغها رسالة أبيها حرفا بحرف دون زيادة ولا نقصان وقال لها في آخر كلامه أن مصفر شاه يطاف به الآن في المدينة وعما قليل يمرون به من هنا فسرهما ذلك وقالت في نفسها لا بد لي من أن أرى هذا الإيراني لأعلم صدق ما نقوله عين الحياة إن كان صحيحا على أني لأظن ذلك إلا ما لغة منها ومارجال الفرس إلا كيفية الرجال إنما عين المحبة غشاشة ترى بغير الحقيقة فترفع الحبيب على سواء مهما كان فيجها سيء الخلق وفيها هي على مثل ذلك أنماها الخادم وأخبرها بمرور الأسير من تحت قصرها فقامت تميل كأنها غصن بان حركته الريح وأنت إلى النافذة وألقت بنظرها إلى الأسفل وجعلت تتأمل في مصفر شاه فرفع رأسه إلى فرق ونظر إليها وقد عجب من حسنها وبهاها التنادري المثال كاشغلت هي بشاغل حبه الناتج عن جمال وجهه الفاتك الفاضح ولا زالت تنظر إليه حتى غاب عنها وبعد به القوم يقصدون السجن فنمت في قلبها نواحي القرام وجعل فؤادها يخفق فوضعت يدها عليه فشمعت منه بدقات عشقية قلبتها بالرغم عنها على صفحاته اللذيذة وأخذت تردد في عقلها كلام عين الحياة وأن الحب أوله نظرة وأنها من نظرة واحدة مالت إلى مصفر شاه وأخذت جميع قلبها وكلما تصورت في ذهنها جماله يزداد غرامها ويتضاعف حتى ضاقت صدرها وعيل صبرها وغاب وعيها ولم يعد في إمكانها كتم سرها ولم تعرف كيف يجب أن تتصرف وخطر لها أن تطلع على مصابها الفرامي عين الحياة فخافت من أن تشمت فيها ولم تريد أن تطلع قهرمانتها على ما أصابها فعدتها إليها وكان اسمها هند وقالت لها حتى الساعة وأنت في خدمتي وأنا أزيد في إكرامك وأرفع منزلتك دون أن أحملك أمراهما أو أسألك قضاء حاجة أرى لابد من قضاءها فثبتت إني أود ذلك وأرغب أن تسأليني قضاء حاجة فأقرب بها رغبة في رضاك مني رغبة. فكنتك إلى فرني بما تشاين عسائي أكون قادرة على إتمامه . فتهدت طوران تحت برهة من الصبر وقالت لها إن الأمر الذي دعوتك إليه ورجرت أن أستشيرك . وأسألك السعي فيه هو خطير جدا في بدايته أنما ربما لا يكون صعب عليك .

فتدري بالاقدام والبسالة عند قضائه عسى الله يتم لي رغائتي ولا خفاك اني كنته
 قبل اليوم خالية البال ناعته من قبيل الحب ولم يكن يحطر لي ان احب قتي مصر يا أو
 غير مصرى الى ان كان هذا اليوم وقد نظرت الى مصفر شاه وهو الاسير الذى بعته
 انى الى السجن فعلق قلبي بحبه ورغما عني وحاولت كثيرا ان أبعد عن ذهني هذا التصور
 الخولم فلم أقدر حتى تمكنت جرثومة الغرام منى غاية التمكن ولم يعد في وسعي أن أصبر
 دقيقة عن مصفر شاه وأريد أن يكون عندي في هذا القصر لأشاهد بدر جماله المسفر
 وأنا من مسامرته ومخاطرته ورشف طلاوة حديثه ما يبرد به غليل قلبي وتنتهى به
 سعادتى. ثم سقطت الدموع من عينيها بالرغم عن تجلدها وضبط نفسها وأشدت

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| وصالك أهى عطالي ومرادى | وحسبك أهى مرتعى ومرادى |
| ودرنك لو وايت ربك زائرا | خطاب جدال في خطوط جلادى |
| حبلى لقد رويت عيني بدمعها | وغادرت قلبي للتصبر صادى |
| ونقصت في حظي كازدت في الهوى | صدودى يا كل المنى وبعادى |
| فواقه لم أطق لفيرك مهجتي | غراما ولم أمنح سواك ودادى |
| بعيشك به ناظريك لعلها | ترد على طريقي لذيد رقادى |
| الى الله أشكو في الغرام عجبا | بقلبي فلا ترضاه عيني بادى |
| أحاذر طولاً من ذؤابة شعره | فقد وصلت من فده لفؤادى |

وأشدت أيضا

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ونار ظلي النقا ان ملتفتا | يانزهة العين لولا الدمع والسهير |
| انى أبثك من شرح الهوى طرفا | فبعض أيسره عندي له سير |
| سهل وقوع الفتى لكن تحلصه | صعب المرام بظلي سيره غير |
| انى وان كنت أهى الناس عن كلف | فان لى في الهوى شانا له خبر |
| وناظرا بت في تسهده قلنا | أنومه ثم استحي فاعتذر |
| يا حبذا معهد للحسن ما درست | رسومه وسقاء الدل والخفر |
| فالقد فالجيد فالخذ المورد فال | أصدخ فالغرم فالاجفان فالخور |
| وأهيف كل قلب في محبه | عان وكل دم في حبه هدر |
| ثلا الهوى وظنون الكاشحين بنا | لكان ورد الهوى ماعنى صدر |

وشاهدت قبر ماتتها منها حالتها وما هى عليه من شدة التوحد والهمام فأخذتها
 خبرة مع أنها كانت تذكره ذلك وتلوم كل فتاة تسلم ببقية نعمة هذا السلطان العظيم
 وقالت لها انى لأعجب من هذا التغيير الذى كان منك على غير استعداد وضابط
 ٨ - فيروز دنى ؟

سألتك أن لا تحتذى على نفسك بكرة القرآن والدخول في ملك هذا العالم المرتب بعناية
الله القديروما زاد في عجبى أيضا تعلقك بأمر فارسي عدو مملكتنا وخصم أهلك وأسره
ومن الصعب أن تحصل عليه وإى شئ أصعب على الفتاة من أن تحصل على عدوها
تتزوج به وهل تظنين أن الذى تهوينه يقبل أن يقاسمك هذا الحب ويشاركك فيه مازال
أبوك يصلى نار الحرب بينه وبين قومه ويتعمد أذاه وإهاناته وما ذلك إلا من غرائب
الأمور وعجائبها . فقالت لها وقد امتلأت عيظا من كلامها وملك يا هند هل يصعب
على أن أحصل على أمير هو بالقرب منى وفى حوزة يد أنى وهل تظنين أنه يتمتع عن
أن يكون موافقا لى إذا علم أنى سهلت له طرق الراحة فى أثناء سجنه وبدلت أهائه
بشرف المعيشة وإطلاق الحرية وتملك النفس فدبرى ما تريته حسنا لتفكر من أسره
وتأتى به قصرى . قالت وهل فى نيتك أيضا أن تخلفه من الأسر وتجلى على نفسك
كدر أهلك منك وغضبه عليك وتجعلين نفسك معيرة عند جميع المصريين ومظنة للفحشاء
والفاحشة . قالت ماذا يكدرنى ذلك إذا كان محبوبى يبدى وهل يخطر فى ذهنك أنى
أرضى أن أحصل على مصفر شاه بطريقا علنية وأفكر من سجنه على مرأى من الناس
أقرده عيانا يانا وما سألتك تدبير أمرى إلا وأنا متقنة أنك تأتبنى به تحت جحج لل
لا يطلع أحد على أمره وهذا سرا لا يمكن أن يظهر خبره على أحد مطلقا . قالت القهر مائة
على ما أظن أنى لا أتوفق الى مطلوبك كونى أرى من نفسى ضدك القلب والرأى فى
قضاء هكذا مصلحة ولك أشور عليك أن تظهرى أمرك لى الحياة وتسألها مساعدتك
فهى أوسع منى رأيا بتدبير هكذا أمر وأقدر تدبيرا لوصولك الى من أحبه نفسك
فأطرقت طوران تحت عند سماعها كلامها وثبت لديها ان لا هندوحة لها من مساعدة
عين الحياة وطلب اغاثتها وقد عظم عليها الأمر وصعب عندها ان تشرح لها ما أصابها
بعد ان كانت قد أظهرت لها كرمها فى العشق ولا ممتها عليه كثيرا فانطبق صدرها من
اضطرابها وبعد الفكرة وجدت ان تعرض عليها أمرها وتلقى باتكالمها على مساعدتها
وترجو منها السماح والمغفرة عن لومها لها فى السابق وقد هور عليها الحب ركوب أعظم
المخاطر وخطرها ولاح لها شخص مصفر شاه بالهيئة التى رأتها فيها وهو بشرق بجمال
وجهه فى ظلام الايام وعذاب القيود فسكدرت واذرفت دموعا سخية وابت عين
الحياة فوجدتها قائمة فى غرفتها على حالها وهى تتذكر فيروز شاه وتشد علنا وهى
تعرض باسمه وتذكر بسلاته

اعيدت بمسراك الشمس الغوارب وهشت لمراك النجوم الثواقب
قدمت قدوم الليث والليث باسل وجئت بحى السبل والسبل خاطب
فلا ترفع الأيام ما انت خافض ولا تجزم الأقوال ما انت ناصب

ولا تسلب الأموال ما أنت مانع
ومن ذا يلاقي الليث والليث كاسر
فانت كلاء الدهر لا القلب غافل
وأولى عباد الله بالملك منصبا
وأنبتهم جأشا إذا صال صائل
وأطعمهم نخرا إذا خاب طاعن
فما كل من لاقى الحكمة مصادم
ولا تمنع الأقبال ما أنت طالب
ومن ذا يناوى الحق والحق غالب
ولا الطرف مغشوش ولا الأراى غائب
إذا انتصبت للملك تلك المناصب
وأجودم كفا إذا جاد واهب
وأضربهم للهام أن ذل ضارب
ولا كل من سل السيوف مضارب
وكانت عين الحياة مفردة بنفسها إذ ذاك لتتمكن من كثرة ذكر حبيبها وتبيح
للوحدة بقرامها وتشكو لعدم السلوة من عظم شوقها وتطلب من الصدق أن تقر بها
منه لأنها في نار وجد ملتية من عظم رغبته إلى النظر إليه وكثيرا ما كانت تبتدى مثل
ذلك محضور طوران تحت وتنشد أشعار هواها إلا أنها كانت تسمع منها لوما وتندبدا
وتسكتها ولذلك سئمت نفسها فأقامت ذلك النهار على تلك الحالة في غرفتها ولم تشعر
إلا وطوران تحت عندها فنظرت إلى وجهها فوجدت على صفحاته تتسوج أمواج
السلام الحبية التي لا يمكن أن تخفى عن ذى بصيرة فانتبهت إليها وأى انتباه ووقفت
لها ودنت منها وهي لا تبدر كلمة ولا تنطق بحرف فتشغل بالها وسألته عن السبب فلم
تجبها في الحال بل اندفعت بأجر الدموع من أعينها فأظهر مكنون ضميرها وأشار لسانها
بترجم عن أسرار قلبها هذه الآيات :

رشق الفؤاد بأسهم لم تخطفه
ريم يشوق الريم مهوى فرحه
من ذا يجيرى في حبة شادن
قد راح يمزح لى رضاه بدخطفه
أعطيته قلبي وقلت يصونه
فأضاعه يا ليتنى لم أعظه
كيف الخلاص ركبته بحرام من هوى
شوقا إليه فشط به عن شطاه
علقته ريان من ماء الصبا
كالروض أخضله النعام نفضاه
غض الشباب وهذه وجناته
قد كاد يقطر مأوذه من فرجه
يجلو عليك صحافقا وردية
رقم الجلال بها بدائع خصه
وتربك هاتيك المعاطف بانه
تهزل لنا في منمنم مرصه

فراود تعجب عين الحياة منها وأخذتها الدهشة والحيرة والتبسست في أمره وقالت
لها ما هذه الحالة التي أنت فيها فاني تركتك في الأمس على غير ما تذكرين الآن
وأنت خالية من كل عشق وغرام ولو لم تظهر لى حالك صدق فواك لما تبتنت
أنك تتكلمين صدقا . ففي عينك تفرح المعرم اليك وفي وجهك أثر العاشق لشاكي
ولو لا ذلك لظننتك تهزئين بي فأخبريني في أية ساعة غير الله حالك وبذل سنك

تلك الاطوار الصعبة على جمهور العشاق بهذه الحالة المحبوبة منهم فانها وان كانت
 حالة عذاب وكدر وقلق واضطراب وبكاء وانتحاب اما هي لذينة في عين كل حبيب
 وعجب صادقين وهي بدون شك افضل جدا من غيرها فابدى لى رايك وفصلى لى
 حالة محبك واحكى لى جميع ما كان من الاسباب الموجبة لهذا التغير الذى اظن أن
 العناية قد دبرته اجابة لسؤالى لتعرفى من نفسك عظم المحب الصادق وما يلاقى من
 الصعوبة والبلايا المعزوجة بضربات الزمان وامتناع الحبيب بفعلها عن التقرب من
 حبيبها ولا ريب ان لومك الآن قد انقضى ومضى ودخلت سلك عين الحياء التى
 كنت تهكمين عليها وتلومينها وتهزئين بها . قالت ارجوك المذرة فلا تزيدنى في
 عذابي وقد كنت مخجولة من نغصى عند تذكرى قولى لك واما الآن فقد مضى كل شيء
 وصرت محتاجة إلى مساعدتك او امدادى برايك وتديرك فان من أحبته نفسى ليس
 هو الآن فى بدى ولا تجمار الحصول عليه من صعوبة كلية ولذلك جئتك

اتهى الجزء الثالث عشر وسيله الجزء الرابع عشر

الجزء الرابع عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

معتذرة مستقيمة فلا تعامليني بغير حيك وانظري في أمري بعين حكمتك وادراكك ولا تتركيني اموت هوى ولوعة . قالت اجلسي واشرحي لي ماترومين فسوف تربتي موصلة اليك الطرق التي تزيل الموانع من طريق مرادك فتتوقفين الى الحصول على محك مهما كان غنوعا وبعيدا عنك .

قال فسكن جاش طور ان تخت قليلا عند سماعها كلام عين الحياة . وقد عاقت آمالها بمساعدتها واخذت في ان تشرح لها كل ما كان من امر ايها وكيف بهت لها بالوسول واخبرها بعمل فيروز شاه في جيوش مصر حتى كاد يهاكم عن آخرهم ولهذا السبب عقدوا مجلسا وتعهد لهم طارق العيار بأن يأتيهم به من نفس صبوا طمعا بأرتحول خسارتهم الى ربح ويحل بالأعداء من بعده الويل والدمار فسار طارق ولم يكن يعرف فيروز شاه حق المعرفة فوقع على مصفر شاه وأسرته وجاء به تحت ظلام الليل دون ان يراه احد ولما عرضه على طيفور عرف أنه مصفر شاه فمته الى المدينة وهو يود ان يبقه في السجن الى نهاية الحرب وقد بعث يقول لي انه سيعر من تحت قسرك فترين بعينك هذا الأمير وتسرين لأسره ولما رأيته عيني لم يعد في أمكاني ان أسسك قلبي فكان سهما اوترته لحاظه شك في فؤادي فجرحه جرح حبب لم الله متى يكون شدة قوة في الحب بالحقيقة الاعذاب اليم ولا سيما اذا كان المحبوب مثل من احبته فهو جميل الوجه مع دل القوام عريض الجبهة لامعها طويل العنق واسع الصدر والاكتاف لشوش لوجه وترينه وهو مأسور ومقيد وهأخذ الى السجن بشر شايته اسم النساء طبعه ولارب ان تلك المباسم مطبوعة على التيسم فلا تفارقها قط فهذا الذي كنت ترجينه لي وتوأمين لا بد من ان الله يذيبك عذاب حب رجل الفرس في حقيقة أنهم جديون للقول آخذون القلوب فتاكون فيها وهانذا قد عرضت عليك حالي واشهرتك بما جرى لي وباني عشقت مصفر شاه احد امراء فارس وان عم حبيك وهو ابن وحيه : أنهم بين الخراس وليس من سبيل الى خلاصه لا موجه الحيلة والخدعة وقد عرفت - همد في التبرص دون الحصول على نتيجة كالة المقصود موصلة الى الغاية . ركمت تنك وتبين الحاجة سامعة لها متعجبة من فعل لذه ز وغرائب التصادف وقد مرت زيدا امير ور بما اخبرتها به من ان فيروز شاه قد قتل في المصريين فتكاد ريعا والبسمه ثوب الخوف واقطع في حاء من النجاش وما زلدها فرحا عليها بان طارق قصد ان يسرق فيروز شاه اغلظ وجاء

بمصر شاه وحدث الله على نجاته من الوقوع في يد عدوه . ولما انتهت من حديثها صرخت عين الحياة منها وقالت لها حتى الساعة لا تجدن سيلا لقضاء مصلحتك قالت كلا ولا أعرف ماذا أعمل مدبني برأيك وأوصيني إلى حبيبي أوصلك الله إلى حبيبي قالت ألم يكن عندك من المال ما يكفي لقضاء غرضك . قالت عندي من المال شيء كثير وكذلك من الجواهر إنما لا أرى طريقة لاستخدامها في مثل هذا الطريق . قالت ابغني فاستحضري رئيس السجن وقولي له ان مصفر شاه رجل إيراني وإني أريد منك أن تسلمني إياه بضعة ساعات حيث مراد عين الحياة أن تسأله بعض مسائل عن جيش الفرس وإني لا أرغب في خلافها ويكون ذلك في الليل ثم تعود قبل الصباح فتأخذه فإذا امتنع اقضى له قبضة من الدراهم وادفعها له وأكون إذذاك حاضرة فتهن عليه الأمرومي جاءنا به أول مرة لا يصعب عليه أن يأتينا به في الليلة الثانية طمعا بالمال حيث يكون قد اعتاد على ذلك وهان عليه ما كان يستصعبه فيمكن أن يقيم الليل عندك والنهار في السجن فلا يعرف أحد به إلى حين اقضاء الحرب التي لا أطى أهدأ تمتدأ أكثر من أربعة أو خمسة أيام على الأكثر وما بشارت النجاح تبشر بنصر الإيرانيين ولا ريب في أنهم يفنصرون ويملكون المدينة ويكون لك إذذاك مزيد احتفال واحترام وينقضى غرضك وتزوجين بمصفر شاه ومنى جاء إلى هنا ونظرك لا ريب أنه ينمطف اليك إذا رأى منك هذه المؤانسة وعرف معروفك معه ولا سيما أن بين الفرس لا توجد من هي أجمل منك وأكمل خصالا من خصالك .

فظهر لطوران تحت وجه النجاح وأملت نوال مقاصدها ونزل كلام عين الحياة على قلبها ألد من الماء الزلال على قلب المعافي السليم وفي الحال دعت بقهر ما انتهاهت وسألته أن تدع لها السجن بكل لطف وكرامة فسارت هند حتى اجتمعت بالسجان وهو قائم للمحافظة على المسجونين من الأمراء والأعيان الذين ارتكبوا الجرائم وحكم عليهم بالجزاء على أفعالهم وكان مصفر شاه عنده في غرفة خصوصية مفتاحها بيده يقدم له الأكل وكل احتياجه من يده وبعد أن سلمت عليه قالت له إن سيدني طوران تحت تدعوك الآن لحاجة مهمة وهي بانتظارك وقد أرسلتني هذه الساعة وأوصتني أن أطلب اليك ذلك . قال وماذا تريد مني ولم يسبق لها أن تدعيني وقد شغل باله ولعبت به الوسوس فقات لا شيء سوى أنها ترغب أن تسألك سؤالا واحدا لا أعرفه وربما كان يتعلق بالأسير الإيراني فاطمأن باله وقفل باب السجن وسار من ساعته حتى انتهى إلى قصر طوران تحت وطلب الأذن بالدخول فأذنت له . ولما وقف بين يديها سألتها عن مرادها والسبب الذي دعت اليه وكانت أرائتد عين الحياة بالقرب منها .

فقلت له انى دعوتك لامر قليل الاهمية اتكلت فيه على عنايتك وغيرتك قال اسألىنى مهما شئت فما أنا الا خادم عندكم رحت امركم قالت لاختك ان هذه الحاضرة عندنا هي عين الحياة وانها ترغب في ان تعرف ماذا جرى على جماعة الفرس وعلى فيروز شاه ولى زمان وانا ارجب في ان ابعتها عن ذلك فلم اقدر الى ان عرفت ان بعض امراء ايران امير عندك فوقعت على وطلبت منى مواجهته فحاولت ان اتزع هذا الفكر من رأسها فلم اقدر ولا طوعنى قلبى الرقيق وكراهة أخلاقى أن أمنعها من طلبها فوعدها بذلك وأقسمت لها بحياة أبى إنما بشرط أن يكون ذلك فى هذا القصر ولذلك دعوتك لأعرض عليك هذا الأمر وأسألك أن تأتينا بالأسير المذكور إلى هنا . قال إن ذلك ليس فى رسمى ياسيدتى فان أباك منعنى منه وأرسل قائدا وصانى أن لا أدعه ينظر إلى أحد أو أدع أحدا يصل إليه ولذلك صار من المستحيل إخراجهم إلا بأمر أليك فبكنت عين الحياة عند سماعها كلامه وقالت له بالله عليك ياسيدى لا تحرمنى من أن أسأله بعض سؤالات وأنتم المصريون تعودتم الرحمة والشفقة وماذا يصير عليك إذا جئت به فى المساء وقبل الصباح أتيت فاخذته وهو مقيد الأرجل لا يقدر على الحرب لاسيما وهو داخل المدينة ولا يعلم بذلك أحد ولا ريب أن سيدى طوران تخت لا تخبر أحدا به ولا تدع هذا السر يظهر بين احد وما إلا ساعات قليلة فتقضى وتكسب أجرى ودعاه ورضاه بنت سيدى طوران تخت ولو لم اك ان اسيرة هنا خالية من المال لكنت كافا لك عن معروفك هذا بنزير المكافأة فباقة عليك كن رحوما ولا تصعب امراسهلا لاصعوبة فيه فقالت طوران تخت إن كان لا مال لك هنا فكل اموالنا هي لك وانى سأجزيه عنك سلما بكثير من المال ثم اخذت قبضة من الذهب كانت استحضرت عليها قبل مجيئه ودفعها له وقالت خذ هذه الآن ولا بد انى اكون موجهة بالتفانى اليك ولا اقطع العطاء عنك فلما شاهد السجان الذهب مالت نفسه اليه وهان عليه كل صعب ونظر إلى طلبها فوجده سهلا جدا وقال فى نفسه ماذا يجرى إذا أتيت به فى هذا المساء وسلمته إلى طوران تخت وفى الصباح اخذته وارجمته إلى مكانه واذا امتنعت خسرت هذا الذهب على انى لو صرفت كل حياتى فى خطئى لا احصل على جزء منه ولذلك قال لطوران تخت قد اجبت ياسيدتى طلبك بشرط ان لا تدعى احدا يعرف به انه جاء هنا ولا تذكرى عملى هذا عند احد خوفا من ان يصل فيما بعد الى ابيك فيا مربيقتى ويحرمنى مرده الحياة وتكونين انت السبب فى هلاكى وانى اكل فى هذا الامر عليك . قالت لا تخف سوءا وانى أعاهدك بالله العظيم وبحياة أبى انى لو ذمحت ما فئت الى احد بانك أتيت بمصفر شاه ورو قصد أبى لك شرا منعتك عنه وانت تعلم حبه لى واجباته الى كل ما أسأله فيه

قاطمًا ن باله وخرج من عندها بعد أن وعدما أنه في الساعة الثانية من الليل يأتي به فيسلبه إلى قهرماتها وفي الصباح يعود فيأخذه وبعد ذهابه قالت عين الحياة لطوران تحت يجب أن تستحضرى مبردا حادا تقطعين به قبود مصفر شاه لأنه لا يتم لك سرورك مادام مقيدا أمامك ولا يطيب له الهناء ما لم تطلق له الحرية ويقدر على أن يعد نفسه حابا ومحبوبا لا أسيرا ومملوكا قالت أصبت في ذلك ثم سألت هند أن تنزل المدينة وتشتري لها المبارد الحادة لقطع قيد مصفر شاه وأقامتا بعد ذلك تتعاطيان كؤوس الفرح والمسرة وقد قالت لها عين الحياة الآن قد صرت تحسبين من العالم الحساس ذات الشعائر الجميلة وقد ابعدت عنك تلك الحالة الحيوانية القديمة وصار من الواجب عليك أن تحافظي على عهد مصفر شاه وتذكره كل دقيقة لتجري اللذة العظيمة التي يجدها العاشقون عند ذكر محبيهم وتعداد أوصافهم وشرح محاسنهم . قالت كيف يمكنني أن أتترك ذلك أو أنساه وقد تدعوني إليه فواعل قلبي الملتهب ثم تنهدت وأذرفت دموعا مزجت بماء الهيام وأنشدت :

| | |
|-------------------|-------------------|
| خففص عليك مفندي | أنا عبد ذاك السيد |
| ملك رعيته القلو | بغدت له طوع البد |
| أصمى وأصح في هوا | ه بحيرة ونهد |
| رقدت عيون النيرا | ن ولوعنى لم ترقد |
| أفدى ياحنا ساطعا | من برديته بأسود |
| وأنا الشبيدة لحظه | جاني على ولا يد |
| قسما بنرجس مقلتي | ه وخذه المتورد |
| وبنصن قامت الرطية | ب وعطفه المتأود |
| وبها حواه ثفره | من أوأق متنفذ |
| وبسحر ناظره الذى | هاروت عنه بمصد |
| وبليل مرسل فرعه | الفاحم المتجمد |
| إن المحاسن كلها | جمعت بذاك المفرد |

فأهاج كلامها من عين الحياة غرامها وتذكرت محبوها فيروز شاه وما كان منه عند زيارته لقصرها فلم تر بدا من الشكوى ومناشدة الأشعار وأنشدت :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| أك ليت شعى هل تعود لقبضتى | ليال بها الممشوق غير مخالف |
| وهل يرجعن عيشى كما كان أرغدا | وأخلو كما كنا بتلك اللطائف |
| بكيت دما إن لم أرق ماء مهجتي | دموعا على تلك الليالى السوالف |
| تذكرت أياما مضت ومآلها | وعادة من يهوى وذكر المآلف |

وقفت ودمعي قاذف سر مهجتي اليه وما دمعي بأول قاذف
وتمكنت حبة طوران تحت من قلب عين الحياة كما تمكنت حبة عين الحياة من
قلبا لأنها كانتا عاشقتان والعاشق للعاشق يميل وكانت كل منهما تشكو وتبكي فتجيبها
على شكواها وبكاها بمثله وهكذا قد صرفنا ذلك النهار إلى أن قرب المساء فأمرت
طوران تحت قهرمانتها أن تهيئ في غرفتها المآكل الفاخرة والمشارب اللذيذة والنقولات
المتعددة والزهور الزكية ففعلت وأقامت مع عين الحياة في غرفتها تنتظر قدوم بدر تلك
الليلة وهي لاتصدق أن تمضي تلك الساعات والدقائق القليلة التي كانت عليها أطول من
شهر الصوم ولما كان المساء نزلت القهرمانة ووقفت عند الباب تنتظر السجان ومالبت
أن رأيته قد أتى ومعه مصفر شاه يحجل في قيوده فدفعه إليها وكر راجعا وهو ينظر
مينا وشيلا خوفا من أن يراه أحد وقد أوصى القهرمانة أن تسأل سيدتها بالانتباه اليه
والحفاظة عليه إلى حين الصباح فوعده بكل خير ودخلت به وهي فرحة بقضاء غرض
سيدتها ومرورة لبرورها وانيساطها ولما وصلت من غرفة مولاتها وجدتها جالسة
بانتظارها وقد تزينت بأحمر ملاسها وزينت رأسها بالزهور وأفرغت عليها من الحلوى
والجواهر ما جعلها أن تزهج وتبرق كالنكوكب الواضاح في الظلام المدهم وقد زاد
ذلك في حسنها وبهاها وهي جالسة إلى جانب عين الحياة تسمع منها كلامها وأعينها موجهة
إلى الخارج لاتصدق أن ترى مصفر شاه داخل عليها إلى أن شعرت به وهو أتى فأسردت
إلى الباب ولاقت إلى الخارج وترحبت به وكان السجان قد حكى له السبب قال إلى مواجعة
عين الحياة والوقوف بين يديها ولما دخل الغرفة قامت له عين الحياة وولمت عليه وجلس
قرب طوران تحت وقد نظر إلى ما هي عليه من المحاسن التي خصصتها به الطبيعة فأنهر
وضاع عقله كما أنهر من جمال عين الحياة أيضا واعتدال قوامها ورقة كلامها وفي نفسه
لاتصلح هذه الغير فيروز شاه وكانت حركات طوران تحت ونظرها اليه وكلامها
معه ودلالها عليه ثبت عنده أنها مغرمة به عاشقة له لاسيما وقد شاهد تلك
الاستعدادات والنبیثات المصرة . وفي الحال أمرت قهرمانتها هدى وقهرمانة عين الحياة
شريفة أن تقطعا قيوده فأخذتا المبارد وجعلتا تقضمان بها الحديد إلى أن فرغت من
ذلك وأصبح مصفر شاه مطلق الأرجل والحرية فعظم فرحه وزال كدره تماما وجعل
يخبر عين الحياة بأعمال فيروز شاه في جيوش مصر وقال يهاك يا سيدتي بهذا البهل البهل
لا يمكن أن يأتي الزمان بمثله فهو الذي ألبس الإيرانيين حُلل الفخر والشرف وهو لذى
تشدت به ظهورهم وترتفع رؤوسهم فقيح الله طيفور لمعين على عناده له فهو أصل كل
الحررب والويلات فقالت له إني عالمة كل العلم بغلط أبي ورداءة طيفور إنما لاس أن الله

سبحانه وتعالى يزِيل هذه الأسباب جميعها ويَقرب أيام راحة فيروز شاه لأنه متى انتهت هذه الحرب انتهى شقاؤه وعذابه ويلزم أن يمجاراه ولا بد إذ وقع طيفور في يده يقتله انتقاما له ورغبة في خلاصه من تدبيراته الوحشية وعناده ثم إن عين الحياة قامت وودعت مصفر شاه واعتذرت بالذهاب إلى غرفتها للنوم وقصدت بذلك إخلاء المكان لطوران تحت وله بحيث لا يكون بينهما ثالث وبعد أن ذهبت دنت طوران تحت منه وأخذت تشرح له ما كان من حبا ووقوعها بفراشه من ساعة نظرت فيه وانها سبت خلاصه لتعرض عليه حبا وتقيم عندها إلى حين الفرج فأخذ كلامها بله وأجابها الله وقال لها اني أعدك بدوام الحب والوفاء فأنا بمن يقابل الحسنة السيئة وأريد أن أنقذ الدهر عندك والقرب منك إنما لا بد لي من الذهاب إلى جيشي قبل الرجوع إلى الحرب لنهاية هذه المصائب فإن عسكري أصبح بلا رأس وعلي فإخ وحن الملك صاراب وابنه على لا ينتهي إلا بالاطمئنان على وإذا عرفا أني أطلقت الحرية وأنا بين الكأس والرياحين لا أمكر في قومي ماذا يا نرى . لان عني وهل من المروية أن أكون أنا في هناء وهم في حروب وأهوال . قالت لا تحسب نفسك الآن مطلق الإرادة بل أحسب أنك لا تزال أسيرا في السجن ولو بقيت هناك ماذا ياترى كان يجرى على قومك فأكد أني لا أدعك تذهب من عندي وتخلف الروحشة والمصائب وأنا لأصدق أنك عندي إلا كيف أقبل بفراشك فقم بنا إلى مائدة الأكل فقاما وهي إلى جانبه ملصقة جنبها إلى جنبه وأخذت في أن تطعمه يدها من كفها بفعل هو أيضا كذلك إلى أن فرغا من الأكل ورفعت مائدة الطعام وجلسا على سفرة المدام وأخذنا يتعاطيان الكؤوس بأكف من المسرة والفرح وكل منهما فرحان بما هو فيه من لذيذ الوقت وطيب الهناء وكانت تسكب الخمر وتسقيه والقدرح في يدها وتشرب أيضا من يده وهما يشهدان الأشعار ويشاكيان الغرام ويبثان ما بقلبيهما ومن بعض ما أنشدته طوران تحت هو

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| في فؤادي من الحدود لهيب | جنة طاب لي بها التعذيب |
| صحوتي من هوى الحسان خمار | وشباب بلا تصاب مشيب |
| داوني باللحاظ قالحب فينا | دار بلوى بها الدنو طيب |
| هكذا حاكم الهوى فلهيب | من ذنوب الهوى تعد القلوب |
| في لحاظ الهوى أية سحر | قد تلاها على العقول الحبيب |
| رشا أخجل البدور إذا ما | شوشب خاطر العذار الجنوب |
| مارأيتنا من قبل وجهك أن قد | حل البدر في الزمان قضيب |
| قاتلي في الهوى اللحاط وهذا | شاهد الحد من دمي مخضوب |

قد رمانى بأسهم الجور عددا وسوى القلاب سهمه إلا يصيب
ليت أأما لم يخلق الحسن فينا ليت أو لم يكن فؤاد طروب
يا أخا الوجد هل رأيت قتلا وهو ظلما بنفسه مطلوب
يا لقلب أظعته وعصاني فهو إلا الهوى لا يجيب
خبرى يا صبا رياض الصحابي فبذكر الهوى فؤادى بطيب
عرف القلب فيكى رائحة الحب ويدرى بسمه المسلوب
وبما أنشد مصفر شاه وذكر به وجده وغرامه هذا :

بهوى جد بقلبي طامعا في لفتانك
وفؤاد ضل في حبه رقيق من صفاتك
ويطرف لم يمتنع نظرة من نظراتك
غافلا عن ذنبه إذ هو من بعض هباتك
يا غزألا خاطر القفا ب برؤيا خطر انك
آه ما أعجزنى عن حل ماضى عزمانك
بالخمر ترتع والآس د ثوب فى عرصاتك
كف يرجوك فؤاد والحنى بعض حاناتك
بأبى حبك مسك نقلت فى وجناتك
بل سويداء قلوب أحرقت فى جراتك
أتردى يادهر هل فى لحظة من لحظاتك
يفغل الواشون كى أحسبها من حسناتك

وكانت طوران تحت غرقى يبحر هواه تائهة فى برارى عشقه لا تعرف ماذا
تتكلم أو بماذا تجيبه وهى تود أن تقدم له روحها مكافأة له على قبوله إياها محبوبة له
وهو إن كان عنده من هواها مثل ما عندها إلا أنه كان يحمل فى نفسه ذلك على
جميلها معه وتخليصها إياه من السجن ويود أنه إذا سمح له الزمان يكافأها على ذلك
ولا يتركها أن تكون أكرم منه خلقا وأجود مروءة وأكثر وقاء إنما جل ما يرغب
أنه يبقى عندها ذلك اليوم حبا بها وإجابة لتطلبات قلبها كى لا تعدم صبرها لأجله
ولا تنسب إليه الغدر والخيانة والظلم وفى مساء الغد يذهب إلى جيشه لأنه كان
يمزىد قلق عليه وقد كان يعلم أن بهزاد قادر على حفظه وانضمام شمله ومعظم خوفه كان
من أن يلحقه الإبطال والفرسان ولا سيما الملك ضاراب فى هم وكدر ولا يعرفون أين
مقره فيبعثون بالعبارين ويحاطرون بأنفسهم لأجله إذ لا تطاوعهم مروءتهم وشروط
النسابة أن ينسوه ويتهاملوا بأمره ولا زالت الكاس دائرة بينهم والخمر تلعب بعقولهم

حتى غابوا عن الهدى وأخذت تلاعب بهم فواعل الثول . وعلمت قهرمانه طوران تخت منها حالتها فدنت منها وسألته أن تذهب إلى مرتبتها فقد أعدتها لها وهيئتها لمناهما . فقالت يجب أن تلصق بها مرتبة مصفر شاه فاني لأحب أن يبعد عني لاليل ولا نهارا فظن أنها تكلمت ذلك لداعى شر بها الخنز وضياح عقلها به فقال لها ليس من اللائق الآن أنام إلى قربك وحاشاى من ذلك وإلى ساصبر إلى أن يسمح الزمان فاتزوج بك ولإذ ذلك تكونين لى حلالا فأنا نيك على رغم كل حسود وعذول قالت إن الغاية الوحيدة أن تبقى بقربي وما أنت الآن الا خطيى ووحيدى ولا أطبق فراقك مستيقظة كنت أو نائمة وإن لصقنا ببعضنا عدة سنين وأيام تبقى محافظين على الطهارة والعفة فليس قربك منى مما يضيع في مروءتك ولا يقلل في شرفى وناموسى فلا بد من ذلك ثم أمرت القهرمانه أن تسرع إلى مادعتها إلى الاسراع به فسارت هندوربت مرتبة ثانية لصقتها إلى جنب مرتبة طوران تخت ودعتها فقاما من الشراب ودخلا غرفة النوم ونزعا عنهما ثياب النهار وناما في ثياب الليل وما لحقت رؤوسهما الوسادات حتى استغرقا في بحور النوم العميق لانهما كانا في حالة نهائية من السكر وأغلقت عليهما هندالباب وسارت إلى فراشها وقد سكنت حركات القصر وهذا منه أصوات سكانه .

ولترك الآن هذين المحبين على فراش الراحة بضع ساعات ولتقدم في حديثنا إلى ابن عم طوران تخت وهو الأمير زيان الذى تقدم معنا أنها كانت قالت لعين الحياة أنه خطبها من أيها عدة مرات وأنها كانت تمتنع ولا تقبل . فكان هذا الأمير ليس من رجال الحرب ولا من فرسان الطعان بل كان غنيا جدا مسرفا في كل أعماله وقد اتخذ له جماعة من الاصحاب يبلغ عددهم ١٢ نفسا اختصهم للسكر والتزده وصرف السهرات بالفواحش ولعب القمار وغير ذلك على أنه كان جميل الخلقة معتدل القوام خلافا للشاه صالح وكان عمه الوليد يعلم منه حالته وما هو عليه غير أنه كان يقول في نفسه أن هذه الحالة لا تدوم ولا يمكن أن يثبت عليها ومهما صرف وبذر من أمواله فهي كثيرة وافرة ولذلك كان يرغب في أن يزوجه له على أمل أن يتحسن أمره ويترك الطرق السالك فيها ويرجع عن معاشره أصحابه فكلهم بذلك فواقفه عليه ورغب فيه غاية الرغبة لأنه كان يعلم أن بنت عمه من أجل نساء المدينة وأشرفها ولا يمكنه أن يتزوج بفتاة أجل منها يصرف رفته معها بالمسرة والانشراح ويلتذ بثمره جمالها الباضجة فسألها أبوها فيه وقال لها إني أرغب في أن أزفك على ابن عمك الأمير زيان فهو أحق بك من غيرك ولا سيما أن أخاك لا يحسن التصرف في مهام الملك فيكون مساعداً له ويكون لك نصيب في الملك من بعدى فرفضت طلبه وقالت له إني أسألك بالإي بحرمه

آبائك وأجدادك أن تعفني الآن في مثل هذا الطلب لاني لا أرغب بزواج ولا أرضى أن أكون زوجة لرجل قط وإني أرجوك أن تترك لي ذلك إلى وقت آخر فما أما من يعصى لك أمرا ولا أنت ممن يجب أن يظلمني ويقودني إلى زواج أكرهه ولا أرضيه فيه فتركها إذ ذاك أبوها وأخبر ابن أخيه بجوابها وقال له من الواجب أن نأخر ذلك إلى حين فلا بد من أنها تجيب ذات مرة وتقبل أن تقترن بك فأقام زيان على عمله الأول وهو غير مكترث بينت عمه في بادئ الأمر وقد ظن أنه لابد أن يتزوج بها حتى قبلت الزواج ولم يكن خطره أنها امتنعت عن الزواج كرها بخصاله وأعماله التي كان من الواجب أن يتركها ويعرض عنها ويرجع عن معاشرته الأروياء وفي السنة الثانية جال في فكره أن يسأل عمه في إتمام وعده وأن يعجل بقرانه بينت عمه فأعاد أبوها عليها القصة فامتنعت وقالت له أتريد أن تزوجني برجل ملو من المعاصي والمنكرات وتجعلني عرضة لمولات سوء أخلاقه وآدابه ومعرضة للظنون والأفكار الرديئة فما أنعمن يرغب الآن في القران وإذا رغبت فيه فيما بعد أي بعد أن يتسهل لأخى زواجه فلا تكون رغبتي في ابن عمي فان نفسي لا تميل إلى من كان مثله ولا تقبل أنت أن تقودني العذاب يدك وتزمني بهكذا حفرة جهنمية . قال إني أعرف منه خصاله وأطواره إنما هو شاب فاذا عاد عن معاصيه وقبائحها لا تعود فتعيه وبصرف وقته عندك وتكونين أنت المالكه عليه فترجعينه بالرغم عن أمياله . قالت إن مثل هذه الآمال لا تقوى في رأسي ولا تسلم معي نفسي بأنها تكون ولا أرى من ذاتي أني مكلفة لارجاعه عن خطئه الخبيثة ولو كان ممن يرجعون عن شرورهم لرجع حالما رغب في أن يقترن مني وليست رغبته في عن حب منه أو ميل إلى تكريس حياته في سبيل القيام بشراكة كلا الزوجين المسؤولين فيها ديننا فلا كان الزواج يمنع شريرا عن شروره بل يزيد في معاصيه ولو كان ممن يرجعون لشدة أو يسألون لدفع ملته لكان في رأسه من النخوة والمروءة ما ربما يجعلني أن أرغب في الزواج به كي لا أحالف لك قولا ولا أمتنع عن أن أقاد إليك صاغرة بالرغم عن أنني لداعي ما لك على من حق السلطة والسيادة المعطاهما من لدنه تعالى وأخيرا أسألك بحبك أن لا تعود فتعلق أملا على رغبتي في ابن عمي بل أطلب إليك بحق ما لك على من السلطة أن تمنعه وتظلمه على كل ما كان يفتن فيرجع عن ميله ولا يعود فيما بعد فكفر في هذا الأمر فأطرق أبوها إلى الأرض وقد رأى من كلامها ما به الصواب وعرف أنها لا ترضى به مطلقا وأنه ليس من العدل أن يحرمه عليه ولم يكن ابن عمها أهلا لأن يكون بعلاها وهي على جانب من الحكمة والتعقل وعاد القصة على الأمير زيان وقال له كنت أود أن تقبل بك وترغب في الاقتران منك

وقد صرفت الجهد إلى اتقاءها فلم تقبل وحتمت أخيراً أنها لا ميل لها لأحد وإنما تكره الزواج وترغب في البقاء على الحالة التي هي عليها الآن ولذلك لم يعد من سبيل إلى إنعام هذا الأمر فتكدر الأمير زيان في نفسه ولهب به الغضب وعزم على الانتقام منها وحدثته ظنونة أنها ربما تكون عاشقة لأحد الأمراء على غير علم من أيها وقد ترجع عنده ذلك وقال في نفسه لم ترفض طلبى إلا وفي قلبها من حب أحد شيء لأن للنساء لا يركن لهن وكيف تمتنع عن أن تتزوج بي مع أنى ابن عمها وأجل رجل في المدينة وأبوها يرغب في فلا ريب أنها متواعدة مع أحد وأراد الاستطلاع على الحقيقة وأن يعرف من الذى نجه وكانت رداة أفكاره تصور له أموراً وأحوالاً غير ممكن وقوعها وقد أقام عدة أشهر على تلك الحالة يبحث عن الطريقة الموصلة إلى إتمام رغائبه والانتقام منها وبعد صرف الجهد توفى له أن استمال أحد خدم قصر عين الحياة وهو عبد أسود طماع خيبت ردىه الأفعال اسمه سبيل بواب للقصر فلما صار يركن إليه وبأتمته سره قال له أريد منك قضاء مصلحة لا أرغب في أن أسأل غيرك فيها ولك منى الأكرام الزائد والمال الغزير إذا قضيتها لى قال أمرنى ياسيدى بما تروم فأتى عبدك وعبد عبدك وأطيعك في كل ما من شأنى أن أقدر أفعله فلو كلفتنى إلى أى مصلحة وكان يكلفنى لقضائها المخاطرة بنفسى فلا أناخر عن القيام بها فسر من كلامه وأخذ عشرة دنائير فدفعها له فأنهر منها وتاه عقله لأنه لم يكن وصل يده مثلاً في كل زمانه. ثم قال زيان اعلم ما سبيل أنى أخبرت أن بنت عمى طوران تحت تعشق لأحد الأمراء وأنى أجهل من هو ولذلك قصدت الاستطلاع عنه والاستكشاف عن خبره ولم أر وسيلة إلى ذلك إلا أنت فهل تعرف شيئاً مما ذكرت. فقال انى لا أعرف شيئاً من هذا ياسيدى. قال انى أعرف أنك لا تعرفه لأنه لا يمكن أن تجرى أمراً مثل هذا بمعرفتك فهى كثيرة الخداع والحيل لا تظهر أمرها لأحد إلا ربما كان لغير ما انتها فقط غير أنى اطلب منك السهر على هذه القضية المهمة وأن تستيقظ الليل والنهار في البحث وأنى أعدك متى أتيتى بالعلم اليقين أكثر لك العطاء وأغنيك وجعلتك من بهن صحافى وأوصات إليك الخلع الفاخرة ولا تعود إذ ذاك تقيم عند طوران تحت بل تدخل في جوق. يكون لك عظم شأن عندى. فسر العبد من كلامه وقال له قد سأصرف الجهد إلى الوقوف على هذا الأمر ومتى تبينت شيئاً بما ذكر أتيتك به حالاً وأعلمتك عنه

وأخذ العبد سبيل من ذلك اليوم في البحث على غرض زيان دون الوقوف على نتيجة فكان يصبر في كل ليلة إلى أن نصير الساعة الرابعة من الليل فيكن في زوايا القصر ويصعد إلى السطح ويدخل دهليز القصر واحداً واحداً عليه يعثر على أحد

فلم يتسنى له إذ لم تكن طوران تحت تميل إذ ذاك إلى أحد وكلما أعاد الخبر إلى زيان.
يقول له لا تصجر ولا تمل بل داوم التفتيش فلا بد من النجاح فهي خبيثة وقد يمكن
أن يكون عندهما في القصر وقد أخفته في غرفتها فتصبر إلى أن ينام كل من في القصر
فتجلس معه في غرفتها تصرف وقتها وتنام معه وكانت مزاياء الخبيثة تبين له أن حالة
ابنة عمه كحالته من الشر والرداءة وعلى هذا لم يفتر العبد عن عمله وهو يعد نفسه بالمال
الجزيل والخبر الكثير إلى أن كانت تلك الليلة جاءت هند بمصفر شاه وأدخلته القصر
فصبر سنبل ثم صعد إلى الدار وأكن في بعض زواياها فسمع صوت رجل وقهقهة
ومناشدة أشعار ومعاطة خمر تخفق قلبه وتؤكد الحقيقة وعلم أن عند طوران تحت
عشيها الذي أخبره عنه الأمير زيان وصار يعد نفسه بالخير والقناء وصبر ليعلم الحقيقة
ومن هو ذاك الأمير وخاف إذا ذهب ليعلم زيان لا يبقى الرجل هناك وقال في نفسه
لا بد أن أصبر لأراه وأنحققه وأعرف أين مقامه ومن أين يدخل القصر لأنه إن كان
هذه المرة قد دخل من الباب فلا بد أن يكون قد دخل قبل هذه المرة مرات كثيرة
دون أن أراه وأقام في مكانه ملتصقا وكانت طوران تحت مع مصفر شاه حيث
على سفرة المدام وهما بأمان من رقيب أو عدو وقد هان عندهما كل صعب كما تقدم
معنا وفي ظنهما أن لا أحد يعرف أمرهما ولا مطلع على خبرهما إلا القهرمانه هند وعين
الحياة وقهرمانتها شريفة. ولما فرغا من الشراب ودخلا غرفة المنام ونظروهما وقد
هيات لهما المراتب القهرمانه وناما إلى جانب بعضهما وأغلق الباب عليهما كاد يطير من
الفرح وانسل كالافى وهو لا يصدق أن يصل إلى زيان حتى وقف بين يديه وهو
مع أصحابه في مكان معرّف بالفحش والقبائح ودنا منه وهو يصفق بالأيدي ويظهر
فرحه وسروره فأيقن الأمير بنجاح مسعاه وقال له ما وراءك يا سنبل قال يا سيدي
قد كشفت الحقيقة وتبين لنا وجه الصحيح فالأمر كما قلت فيها اتبعني الآن خوفا من
ضباغ الوقت فقام في الحال وخرج معه إلى الخارج واستعاد منه القصة خشى له كل
ما رأى وقال له وقد رأيت أن الذي دخل معنا إلى الغرفة هو ليس من بلادنا وهو
مصفر شاه الذي جىء به هذا اليوم إلى السجن ولا أعلم كيف وصل إليها قال أخطأت
فلا ريب أن يكون غيره ثم سار إلى يته بعد أن طلب إلى أصحابه أن ينتظروه وأنه
سيعود إليهم بعد قليل فلبس سلاحه وأخذ يده سيفا وهو يود أن يصل إلى القصر
وبرى طوران تحت قباحتها وبعد ذلك يقتلها ويقتل الذي معها بحيث تكون خيانتها
إذ ذاك ظاهرة للعيان وقد هون عليه السكر هذا الأمر فسار حتى تسق المدرج وأوصى
سنبل العبد أن يبقى عند الباب ينتظره إلى حين رجوعه وأن لا يدع أحدا يخرج من
القصر ولما صار في الدار دنا من غرفة طوران تحت فدفعها يده شيئا فشيئا ودخل

وهو مشير السيف في يده ونظر إلى طوران تحت رهي نائمة إلى جنب مصفر شاه وقد
تكلل وجهها بالبهاء والجلال فعزم أن يضربها بسيفه فجعل قلبه يخفق ورجلاه ترجف
ويدها ترتعد وفي تلك الدقيقة تحرك طوران تحت واستيقظت من نومها فنظرت فوق
وأبسا ابن عمها والسيف في يدها كالصم جامد لا يتحرك فارتعدت فرائصها وخافت
كل الخوف ورأى أمار قد نظرته فقال لها ما هذه الحالة هل تقبلين أن يقال عنك عاشقة فاسقة
ولا تقبلين أن تقترني بي وأنا ابن عمك وأحق بك من غيري فأخذ الله الذي لم يتم اقتراني
بك وإلى الآن قاتلك وقتل هذا الغريب الذي جاء في هذا اليوم إلى البلد فأصطدته
من السجن وهذا عمل النساء العاجرات فلم تجبه بكلمة بل كانت في رجفة عصبية متحيرة
من حضوره في مثل هذا الوقت ولم تقدر أن تبدى حركة إلا أنها مدت يدها من تحت
الغطاء ولكرت مصفر شاه فانتبه وشاهد تلك الحالة وذلك واقف مشير السيف في
يده وهو يتهدد طوران تحت بالقتل ولا يقدر على إجراء تهديده فارتاع في أول الأمر
وعاف أن قصد الوقوف بادره بضربة كانت القاضية عليه وبعد ذلك يقضى على محبوبته
إلا أنه خطر له استعمال الحيلة فقال له من أنت يا سيدي فأرتق بي وانظر إلى فأنا الآن
إلا غريب ولا ذنب لي قال أنعرف من أنا فأنا زيان ابن عم هذه التي أنت إلى جانبها
وقد طلبت إليها ورغبت في زواجها فامتنعت ولم تقبل لأنها تعرف من نفسها عظم ضرورها
المسترة فلا تليق أن تكون زوجة لي وقد أرقعها الله تحت يدي الآن لا تنقم منها وأظهر
للناس أجمع ضرورها قال وأى ذنب على في ذلك فاني لم أعرف بنت عمك إلا في هذه الليلة
وأنا كنت في السجن أسيرا بعثني الوليد لأقم فيه إلى حين نهاية الحرب وقد رغبت في إبقائي
لنأية له مع أخصامه فأتوا بي إلى هذا المكان وأقامت كما ترائي فبالله عليك دعني فإن قتلي
بفضض الوليد وإن ساعدت إلى السجن قال نعم إنى لا أريد أن أقتلك بل مرادى أن
أقتل هذه الخائنة الخبيثة وأنا أعلم أن لا ذنب عليك إنما أريد منك متى عرف عى
فنى قتلت بنته وسألى عن السبب أحكى له بغياتها واحك لى إذ أنت له واقعة الحال ليعلم إنى
ما ظلمتها بقتلها قال متى سألتنى إلى ذلك دعوتنى إليه لا أخفى شيئاً عنه فقال له قم أنت الآن
من أمامها ودعنى أغمد هذا السيف في صدرها وكان يتهدد ويتوعد وجهه لا يبطؤه
عنى قضاء غايته ولم سمعت طوران تحت كلام مصفر شاه زاد كدورها وتمنت الموت
من يد ابن عمها وقالت في نفسها قد يقول إن الفرس أهل مروءة ووفاء فكذب من
سب إليه ذنوب وسودت الدنيا في عينيها وعادت تنظر بقبول الموت وإن يضربها
بذو السيف وضرت إلى مصفر شاه وقد نهض من الفراش وهو مظهر الخوف

من الموت والفرح بالخلاص منه ولما صار إلى جنب زيان رفع يده بقوة عظيمة ولطمه بها على رأسه ودفعه برجله في خاصرته فوقع إلى الأرض طائشا فبرك فوقه ونزع السيف من يده وقال له هكذا تفعل الرجال ثم ضربه بالسيف فجاء على وسطه وقطعه إلى نصفين واندفق الدم يجرى إلى الأرض كالأنابيب من الميازيب ثم قال لطوران تحت انفضي الآن ولا تلومني على قولي فاني لولم أستعمل الحيلة لما مجونا ولا بد أن تكوني قلت في نفسك إنى خائن العهد قليل المروءة فواقه لست أنا كذلك وسوف تجمعني وإياك الأيام تدرين إذ ذاك صدق رجال فارس وأما متهم ووفاءهم وأستودعك الله الآن . ثم أخذ الطارقة من الأرض والسيف في يده ونزل من السلم فطار عقلها عند نظرها لإصراره على الرحيل وقد نزل بالرغم عنها فأسرعت خلفه وفي نيتها أن تمنعه عن مبارحتها فلم تصل إلى نصف السلم حتى رآه عند الباب وقرب منه العبد سنبل وهو لم يعرفه لكثرة الظلام وقد ظنه الأمير زيان وقال له أهل قضيت الغرض يا سيدي وتأكدت ما قلته لك وأن الذي عند بنت عمك هو الأسير . فتأكد مصفر شاه أن هذا بالفعل فعله وأنه هو الذي جاء . باين عم محبوبته فرفع يده بالسيف وضربه به فأرماء قتيلًا وقال قد لقيت شر فعلك وانطلق من وراء الباب منهفما إلى السوق وقد وقعت طوران تحت باكية العين نائحة بعده وهي مضطربة من الأحوال الحاضرة مرتبكة في داخلها لا تعرف كيف تتصرف ولا ماذا تعمل وقد صار في قصرها قتيلا ن ابن عمها والعدو ولم يخطر في ذهنها كيف تقدر أن تخفي أمرها وبعد الوقوف نحوًا من نصف ساعة خطر لها أن تدخل على عين الحياة وهي في فراشها فتستيقظها وتخبرها بكل ما جرى وتسألها المساعدة على هذه الحال وللوقت أسرع حتى أتت إلى فراش عين الحياة فاستنمضتها وقالت لها أدركيني يا سيدي قل إنان النهار وإلا انفضحنا وظهر أمرنا فاستيقظت عين الحياة ووجدتها على تلك الحالة وهي في بكاء واضطراب فاستعادت منها الخبر فأخبرتها بكل ما كان وما جرى وكيف أن مصفر شاه قتل ابن عمها والعبد الذي أرسل إليه خبرهما وأنه سار من القصر لا تعرف إلى أي جهة سار . وقالت لها في آخر الكلام أريد منك الآن أن تشورى على ماذا أفعل في هذين القتيلين لانه في الصباح لا بد أن يظهر أمرهما فان أحدهما عند الباب والآخر في غرقي وقد امتلأت الأرض من الدماء وتلطخت الحيطان .

قال فلما سمعت عين الحياة كلامها ضحككت منه وقالت لها من اضطرابي لأحل قتيلين وقعا عندك ولا تحسنين إخفاءهما وتدير أمرهما فيما تعجب . أتى فقهر ماتك هند ثم سارت إلى غرفتها فرفعت قطعة من جثة زيان وألصقت بهمة تهاشرفة أن تحمل القطعة الثانية وصعدت على سطوح القصر ومشت إلى آخره إلى جهة ظهره .

ورمت بالقطعة التي معها إلى بعيد ثم عادت فأخذت العبد وفعلت به مثل ذلك وقد قدّته من على السطوح ورجعت إلى هند فقالت لها اغسلي أنت وسيدتك أرض غرفتها ولا تبقى اثرا للدماء فيها وأنا وشريفة نفضل الباب والأرض فلا يظهر اثر هنالك للدماء ثم اخذنا المصباح وجعلنا نفضلان أرض الباب وكل مكان تلوث من دم سنبلى حتى لم يبق أثر للدماء وافلقت الباب وعادتا إلى غرفة طوران تحت فوجدتاها مع قهرمانتها قد انتهت العمل واذا ذلك جلست عين الحياة كأنها ما فعلت شيئا وكأن لم يدخل القصر احد فقالت لطوران تحت ما قد قضى الامر ولم يعد من سيل للظن في ان المقتولين قتلا هنا بل لا بد ان يخطر لا ييك ان ابن عمك قصدك شر او عزم على الدخول عليك فقتله سبيل البواب اذ لم يتمتع عن الرجوع فقتلت جماعته سنبلا وهكذا تكونين قد تخلصت من هذا الامر وانت سيه واذا سؤلت فانكرى واجعلى نفسك كأن لا علم لك قالت انى اشكر فضلك على اهتمامك بي وتديرك امرى انما لا يزال الامر خطيرا فان مصفر شاه قد بعد عني بعد ان عودنى على القرب منه واذا قى لذة عيش اخضر ولا اعرف كيف اعمل لأرجعه إلى وقد ذهب عني فالت يجب ان تصبرى على امرك لانه يكون قد سار إلى جيشه ولا سيل إلى رجوعه الآن ولك أسوة في فان فيروز شاه الآن بعيد عني في الجيش غير انى مطمئنة الفكر إلى انه متى انتهى الحرب يأتى إلى وما زلت موقنة انه لا يرضى زوجة سواى فانا في امان من نتائج بعده لانه مهبطا طالع بعده لا بد من ان يأتى إلى عند سروح الفرص عليك ان تثبى على حبه وتراعى عهده فيكون لك من نفسك ارتياح عظيم ما زلت عالمة بانه مرتاح . قلت اخاف انه يعود فيقبض عليه وهو سائر في المدينة لا يعرف طرق الخروج منها وفى كل ممر المدينة حراس يحرسون فرما وقع فيه الحرس فيصل اليه اذاه قالت دعى عنك هذه الاوهام وفى الغد نعلم ماذا يكون من امره واذا شئت ان تكوئى عاشقة يجب ان تاخذى لك قلبا من حديد تدفعى فيه بالصبر الجليل كل ما يقع عليك من التويلات والمصائب ولا اذا لم تتدعى بالصبر وتقابى بكل جهدك الاخبار المكندرة وتحملى صعوبة الفراق ثنتين حولا وانت بعيدة عنه فلا تيقين له ولا تحصلين عليه .

واما مصفر شاه فانه بعد ان فارق القصر سار وهو فرح بنجاحه يؤمل الوصول إلى خارج المدينة ومن هناك يسير إلى المعسكر ولا زال سائرا في شوارع المدينة وكن موقنت ذلك عند آخر اثنين حتى انتهى إلى دهليز مر فيه وانتهى إلى فسحة فمر فيها وهو يحسن في نفسه . انتهى من بعدها إلى ضواحي المدينة ولما قطعها وصل إلى جماعة من حرس دقيمين هناك فوقف أن يرجع عنهم ويسير إلى غير جهة فشعروا

به وصاحوا عليه وأمروه أن يقف ليروا في أمره فلم يجب فأسرعوا إليه وقصدوا مسكه فلم يتمكنهم بل أخذ الطارقة في يده اليسار وأشر سيفه وابتدروهم بالقتال وصاح فيهم بأصوات التهديد والتوعيد فاشهروا سلاحهم واحتاطوا به وأخذ معهم في الضرب والمحاربة وهو يقتل فيهم ويددشملهم حتى تعجوا منه وعلوا أنه من الأعداء فأسرع بعضهم إلى من جاورهم من العسكر المتخلف في المدينة للمحافظة وجاءوا بهم وقامت نار الحرب على قدم وأحرقت أولئك القوم أي إحراق لأن مصفر شاه سطا عليهم سطوة جبار وأنزل بهم الذل والشنار وكلما تجمعوا عليه فرقمهم وكلما قصد الخلاص من بينهم أخرج إلى الخارج تازروه وأسرعوا حلفه وصاحرا به وهجموا عليه وهم خائفون من نجاته وأن يتوهم فلا يتألون منه مرادا وربما عرف الوليد بذلك فيلومهم ويقاصهم ودام الحال على هذا المنوال نحو ساعة من الزمان والقوم في ازدياد وتجمع حتى كثروا على مصفر شاه فضايقه وسدوا عليه الطرق بلاجن فالحق بجسمه بعض جراح وفي النهاية تجمعوا عليه ورموا بأنفسهم في طريقه وقد وقع السيف من يده فسكوه وأرقوه كتافا وسألوه عن نفسه فلم يجهم فاحتاروا منه وصبروا إلى أن يشرق النهار فيذهبون به إلى حاكمهم .

فهذا ما كان من مصفر شاه وأما السجان فانه سمع عند الصباح بذكر ما وقع للحراس مع مصفر شاه فأسرع وهو مضطرب القلب مزيج الخاطر إلى قصر طوران تخت وسأل هناك القهرمانه عنه فقالت أنه فر في الليل بيما كنا نيام ولانعلم أين ذهب ومن الواجب أن تكتم أمره ولا تظهر ما كان من سبب بل ادعى أنه فر من السجن وإذا أراد لك أبوها سوءا سألت فيك فرجع إلى السجن وهو بمزيد خوف وكدر لا يؤمن على نفسه من غضب الوليد وفي الحال فتح مقبا في حائط السجرات الخارجى دون أن يراه أحد وأسرع إلى خارج المدينة وهو يلطم على خدوده ، يكي حتى وثق بين يدي الوليد وكان لم يأت به بعد خبر مصفر شاه وقال له ياسيدي دخلت قبل الصبح لا تفقد الأسير الا براى فلم أره في حجرة سجنه ورأيت الخط مقبأ ولا أعلم من فقده وأخرجه منه فا سمع الوليد كلامه لعب به الغضب وتكدر مزيج الكدروكادت تقوم عليه قيده قوة الرينك أيفقد من السجن وعندك من الحرام جماعة وثقب الحائط ولا أحد يسمع صوت منه ان ذلك خيانة كبرى فلا بد لي من أعدائك ودلائك تبهره اغيبت ثم أمر في حبس أن يقتل وينشر أمر قتله فوق على أقدامه يقيها وهو قسم اعظم لا اسم له دمه دمه فسحق الوزير بيدانديش عليه وقال ما هذا بصواب ياسيدي ولا تخف من العديين يسبون من أعرق من هذه السجون ويتشلون منها المسجونين وليس من العديين من يشن السجون

على أن الملك ضاراب لم يتتل عبار مصفر شاه عند ما نزل طابق عليه وأنى به من نصف المعسكر ولاقتل السجان الذى كان يحافظ على الأمير قتيل والشاه شجاع وانى أرى من الصواب أن تترك السجان وتحرره من الرتبة ونجرده من الوظيفة فأجابه الوليد بلى كلامه وطرد السجان فصار وهو لا يصدق بالنجاة وأنى قصر طوران تخت وأخبر ما كان من أمر أيها ن أنه طرده وقطع معينه فقالت له لا بأس فانى أعوضك عن ذلك بالخشب الوضاح ثم أعطته قبضة كبيرة وقالت له استعن بها على حياتك وعيالك فشكر فضلها وخرج من قصرها وهو بمزيد فرح غير ما سوف على تركه السجن وإبعاده عن مأموريته .

وكان بعد أن خرج السجان من حضرة الوليد جماعة من الحرس الذين يطوفون الأسواق وهم يحملون زيان وسنبل مقتولين مقطعين إلى أربع قطع وقال له يا سيدنا أينما كنا تطير في اجراء مأموريتنا وجدنا هذه الجثث مقطعة ملقاة إلى الأرض تبعدها فإلّا عن قصر سيدتنا طوران تخت وقد سالنا كثيرا لنعلم السبب فلم نقدر أن نعلمه وسالنا جماعة الأمير زيان فلم يعرف أحد بقتله بل قالوا لنا أنهم بينما كانوا مجتمعين معه أنه العبد سنبل وهمس بأذنه بمض كلام وسار معه وقد وعدنا أنه يعود إلينا قريبا وحتى الساعة لم يعد فتعجبنا من أمره وبعثنا من سال في قصر سيدتنا طوران تخت فلم يكن أحد يعلم به . فلما رأى ذلك الوليد تكدر مزيد الكدر وكادت تنشق مرارته على ابن أخيه وبكى عليه فقال له يبداندبش ليس الآن وقت بكاء وما ابن أخيك بمظلوم ولا ريب أنه قصد إيصال أذاه إلى بعض الناس فقتله أو أن يكون في المسألة سر عظيم نترك البحث عليه الآن إلى ما بعد هذه الحرب فإن أمورا مهمة أعظم من يلزم النظر فيها . فأمر الوليد في الحال أن يدفع ابن أخيه والعبد في التراب فأخذتهما ودفعتهما وما بعدوا إلا قليلا حتى دخل على الوليد جماعة الحرس الذين اسروا مصفر شاه وهم يقودنه ووثقا مبروطا بالحبال فلما وقفوا بين يديه قالوا له اعلم يا سيدنا أننا كنا في الليل نحرس دُخْل أبواب البلد وإذا هذا الرجل ينزل من تحت اعتسكار الظلام مستترا بهماحه فلاجئنا لرسمه وخفي علينا أمره وأردنا أن نقف على أمره فقصدناه فإلّا كان ألا أنه بادرنا . فقتلنا حتى تغلب علينا فاستعنا عليه بالعسكر فقتل نحوا من خمسين نفسا والنتية قد قبضا عليه ونحن لا نعلم من هو إلى أن سمعنا في المدينة أن الأمير لايرانى في فر من لسكر فتأكدنا أنه هو فأيننا به إليك نعرضه عليك لتنظر في أمره .

وكان الوليد لايزن مكسر الحائط من حادث ابن أخيه والسجان فزال بعض ما لحق به من الغصب عند رؤياه عادة مصفر شاه إلى الأمير وقصد أن يعرف كيف

كان فراره فقال له انتا بعثناك إلى السجن وأوصيت أن لا تكون مهاتنا فيه فقررت منه طمعاً بالخلاص والدود إلى قومك فأعادك القضاء والقدر إلى أيدينا أسيراً ولهذا أطلب اليك أن تشرح لي بالتفصيل كيف كان خلاصك لا تتناكنا ظننا أن العيارين قد نقبوا السجن ودخلوا فأخرجوك والآن قد تبين أنك كنت وحدك عند معارضة الحرس لك فاحك لنا ما كان من أمر خلاصك وكيف أمكنك أن تنجو من السجن مع أنك لم تعرف من قبل مخارجه ومعاربه وكأول دخولك إليه يوم فرارك منه قال لأفـه أن أعرف كيف فررت ولا أريد أن أعرف الآن إلا أي واقف في صوان الوليد عمرك من حرسه ولا تطمع في أن تعرف مني غير ذلك حتى ولو أنك أرسلتني لأي سجن كان فلا بد من أن تخدمني الصدق وتساعدني الاقدار بأخلص منه . فلما سمع الوليد هذا الكلام لعب به الغيظ كل ملعب وامتلأ من الحنق وقال لمن جاءوا به خذوه إلى سجن العفاريت وألقوه فيه يلقى العذاب الاليم ويرى من نفسه ان كان يقدر على الخلاص منه أو يقدر أحداً أن يخلصه منه وفي الحال أخذه الرجال وساروا به بحسب أمر سيدهم إلى أن وصلوا إلى سجن العفاريت فقرعوا الباب فخرج اليهم السجنان وفتح الباب فسلوه مصفر شاه وبلغوه أمر الوليد وأوصوه بالحفظ عليه

قال وكان هذا سجن العفاريت من أعظم سجون تلك الايام يقال انه كان في القديم مسكناً للعفاريت يتحصنون به حتى ان طغيات منهم كانوا لا يقدرّون على قتل باهـه لانه كان أشبه بسور عال سميك للغاية مسقف بحجر واحد صلب لا يقدرّ أن تقطع فيه الصواعق المتتابعة وليس له نافذة قط سوى باب من الحديد يبلغ ارتفاعه ذراع ونصف ذراع وسمكه ١٤ قيراطاً وله نحو عشرة أقفال حتى إذا قفل هذا الباب كان قطعة واحدة من السور الصخري فلا يقدر أحد حتى فتحه وكان الذين داخله لا يروون النور قط لانه لا يسمح لهم أن يخرجوا الى الخارج ولا يبعث النور الى الداخل ولذلك كانت المناسبات الضيقة النور دائماً موقدة فيه وخص بذلك السجن المحكوم عليهم بالقلة مؤبد والمحكوم عليهم بالاعدام وأقاموا مؤبداً بينما يصير إعدامهم ومن سجنه في ذلك المكان يكون مسجوناً بالموت لا يرتكبه جريمة من أقيح الجرائم ولما دخل مصفر شاه إلى ذلك السجن وجدّه أمر من مرارة الموت لانه لم يكن معتاداً على التعذيب والاهانة إلى حد هذه الدرجة غير أنه صبر على هذه الحال وقال في نفسه لا بد أن يأتي الفرج عن قريب لا راقه سبحانه وتعالى لا يتركني أقاسى العذاب الاليم ولا بد من أن يكون النصر لقومي ويسره في خلاصى ويخرجونى من هذا المكان الجهنمى وأقام مسجوناً بأمره لله تعالى .

قال وشاع خبر بعث مصفر شاه إلى سجن البغاريات وتناقلته الأسن داخل المدينة وتأكدوا أن في نية الوليد اعدامه أو أن يمته داخله كغيره من الذين يموتون يوميا من عظم كراهة المناخ والتن وبالتصادف كانت هند قهرمانة طوران تخت في الاسواق فسمعت بهذا الخبر ودلت من أحد الناس واستفسرت منه عن الحقيقة فقال لها ان الأسير الذي كان في السجن تخلص في الليل الماضي وفر طالبا الخروج إلى بين العسكر لأنه من الأعداء فصادف الحرس وجرى بينه وبينهم قتال عظيم أهلك فيه أكثر من مائة نفس وبعد الجهد ألغوا القبض عليه وأخذوه إلى الوليد فسأله عن سب مهربه فلم يجب فأمر أن يوضع في سجن البغاريات والآن رأيناهم آخذه إلى ذلك السجن ومن المقرر أنه لم يعد يقدر أن يخرج منه حيا وهكذا قد انتهت حياته فيهللنا رجاء منه تعالى أن يكون هذا نصيب جميع الإبرانيين أعداء ملكنا قالت وكيف فر هذا الأسير من السجن ومن ياترى ساعده على الفرار وكانت تحب ان كان توجه فكر أحد إلى مولاتها وماذا تقول الناس في أمر خلاصه فقال لها الذي كان يخالطها ان جميع البلد تلهج بهذه القضية ولا أحد يعرف كيف كان تخلصه وما زاد الناس تمجدا أن زيان وجد في هذا الصباح مائتا مقطعا إلى قطعتين ومثل ذلك سدل بواب بيت الملك وحتى الساعة لا يعرف أحد من أمرهما شيئا . فعرفت هند ان لا أحد يعرف شيئا مما تقدم لمولاتها مع مصفر شاه إلا أنها تكذرت مزيد الكدر ولحق بها الهم والنكد من جرى مارق على مصفر شاه لأنها كانت تعلم أن طوران تخت إذا عرفت بذلك تجن وتعدم عقلها لأنها تعلم أنه سيوت فيه وربما لا يقدر ان يقم فيه عدة أيام دون أن يمرض ويسقم ولذلك نويت على إخفاء الآلام عنها وجاءت القصر ودخلت على عين الحياة فوجدتها جالسة لوحدها في غرفتها فحكّت لها كل ما سمعته في السوق عن مصفر شاه وأنه ألقي في سجن البغاريات وشرحت لها حالة ذلك السجن وماذا يقال عنه ولاى شيء . تحصر جزئت لهذا الخبر وتأسفت على مصفر شاه وقالت في نفسها أن نصيب هذه الفتاة كصبي يملوء بالكدار والمعائب غير أن طالب الشهد لا ينبغي أن يخاف من إر التحل وأرادت أن تسلي طوران تخت وتلازمها كل الملازمة هذه المدة إلى حين تنقضي الحال . ونرغ القوم من القتال . فبعثت بهند اليها وأمرتها أن تسارع بالحضور إلى غرفتها فأجابت وأتت طوران تخت إلى غرفة عين الحياة فترجبت بها كل الترحيب وقالت لها لا حق لك الآن في الحزن فإنه قد قضى عليك بالحب كما قضى على وفي حشر الفرس الآن حبيبي وحبيبك وهما يقاتلان لأجل الوصول اليانا . قالت ان حبيبي في قره وأما مصفر شاه فلا أعرف عنه خبرا قالت لو لم يكن في

الجيش لجأنا منه الخبر أو عرفنا من أحد ماذا جرى عليه ولا يخفاك أن الله سبحانه
وتعالى مع رجال الفرس فلا خوف عليهم ولو قيل لك أنهم داخل سد من حديد
فاعلى أن الله يساعدهم إلى أن يخرقوه ويخرجوا منه ومامنهم إلا من فيه الكفاءة
لعمل أكبر من ذلك ثم أمرت قهرمانتها أن تحضر لها بالشراب لتشربا معا فسارت
هند وأتت بالشراب وصفته أمامهما وجلسنا إلى جانب بعضهما البعض وكان الوقت
إذذاك عند غياب الشمس فلا ت عين الحياة كاسا ونارلها إلى طوران نخت وقالت لها
اشربي هذه الكاس وانشدنا شيئا بحبيك فان الوقت يحتاج إلى الذكري واني سأفعل
كذلك فنشرب على ذكر المحبين فتناوت الكاس منها وتذكرت محاسن من أحبه
نفسها وبها طلعت وأشدت

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| لو يكون اللقاء باستحقاق | ما قضى الدهر يفتنا بفراق |
| جل عن وصف واصف غير دمع | ما أقسى من الهوى والألق |
| لا تلنى في الحب وانظر إلى آ | ثار فعل البعاد والافتراق |
| بدن صيغ من سقام وقلب | صيغ من حرقة ومن أشواق |
| فسقى الله طيب عهد تلاق | نا وحيا الإله عهد التلاق |
| رب ليل زارنى وسوارى الشم | ب جدى تهم فى الآفاق |
| وبمين الصباح عن معطف الجور | راء كادت تحمل عقد النطاق |
| بدر ثم كاله يوقع البد | ر حياء وغيرة فى المحاق |
| يحسد الطرف ثغره ويحيا | ه بفرط الابراق والانلاق |
| منطق يقتل العموم ويحيى | داعبات السرور للعشاق |
| وحدث يجرى على كل قلب | كالزلال المسلسل الرقاق |
| وعيون قد استباححت حتى الفة | ك فليست تقى على الارماق |
| كنت والروح فى التراق من الوج | د ودمنى خبولة فى استباق |
| أشكى منك أم إليك اشتياق | ما لمثلى من جور مثلك راق |
| أحجاب البعاد والهجر أشكو | أم حجاب الصدود والاطراق |
| ورقى أم الرشاة أم الا | ام أشكو إليك أم اشتياق |
| نظرة منك يا سيدى تنشر المو | تى بأذن الميمن الخلاق |
| ثم بدا فى ياقوت وجهه الشف | اف ماء كالتؤلؤ البراق |
| ثم عاطيه من العتب كاسا | شب معسولها بدمع مراق |
| فتناهى عن لثمه غيرتى منه | ى ولم يسمح التقي لعناق |
| هكذا الحب عندما يتناهى | ما به غير لوعة واحتراق |

عجلى يا يد العصرام حمى فغذاب الاشواق حال السباق
 واستعار بالحلب عن جفوني بعدى عهد النى بمك الدفاق
 والنفى قاتلى برفق سلامى ثم حى عنى وجوه الرقاق
 وبعد أن شربت الكأس على ما تقدم من ذكر انشادها اخذت فسكبت قدحاً من الخمر
 وناولته إلى عين الحياة وسألها ان تنشد شيئاً من الشعر فى وصف شوقها وحالها
 وكانت عين الحياة تنظر اليها متأملّة فيها تفكر فى ما اصابها وهى تقول فى نفسها أنها
 عاشقة مثلى مفرمة بحبيب لا تقدر ان تصل اليه كحبيبي انما الفرق أنها هى لا تزال فى
 اول العشق ولم يمر عليها من المصاعب المكدرّة ما مر على وهى لا تزال فى بيتها ولم
 يفارقها حبيبها أكثر من نهار على اى انا اسيره مسجونة لا أقدر على الخروج ولا اعرّف
 الحالة التى انتهى اليها وقد تجمعت مئات من الألوف فى سبيل منى عن حبيبي ومنعه
 عنى واهتمام أكبر ملوك الأرض فى فيمضهم يرعب فى ان يقربنى من أحب والبعض
 يرغب فى أن يقربنى من غيره وكانت هذه الافكار تتعاطم عليها وتتسع فى وجهها بينما
 كانت تسمع لانشاد طوران تحت ولما أعطتها القدح أخذته منها وتذكرت حالتها فكادت
 تنصب ميازيب آدمعها لولا إمساكها نفسها واظهار تجمدها وشدة احتماها للكاره التى
 اعتادت عليها منذ أكثر من ثلاث سنوات أى منذ أخذت صور فبروز شاه الى تلك
 الساعة ولدى تذكرها عشيقها هانت عليها المصائب فاخذت القدح وأنشدت :

| | |
|-----------------------|------------------------|
| انا والحمام مع الصباح | فرسا رهان فى النواح |
| حتى إذا حان الغرو | ب صحى وقلبي غير صاحى |
| هيمات ما لسواى وجد | مثل وجدى والنياحى |
| ند حار فى دنى الطيب | ب و حار فى كفى اللواحى |
| ويست من برق كيا | يس الضير من الصباح |
| تشتاق نفسى النيا | ة كلما سالت جراحي |
| ما لاح برق مشم | للا هج لى اربياحى |
| لألا وكدت أطير من | شوق الديار مع الرياح |
| لكسها الأيام قد | قصت حوادثها جناحى |
| أشتاق أحاسى وما | لى عن مكانى من براح |
| فأسبق ماء مـ معى | وأغص بالماء القراح |
| قد صاوق سجن الهمو | م فبلى لاسرى من سراح |
| يارب ضقت بغربى | ذرعاً وبالكرب المتاح |
| فاكشف كروب النفس أو | وأذن لروحي بالرواحى |

وبعد إنشادها شربت بذكر فيروز شاه وهي تسأل الله أن يجعل اليها اقراء لآلها .
 ذابت شوقا اليه ولوعة على بعده وحرقة على فراقه وأصاب فؤادها من الشوق والوجد
 ما لم يصاب به قيس ليل ولا كثير عزة ولا جميل بثينة لآلها كانت سلطان عشاق ذاك
 الزمان وكانت ترغب من إكثار شرب الخمر لتغيب به عن الهوى فقد يكثر عليها
 الذكرى ويزيد من شوقها إلى حبيبها . ودامت مع طوران تحت على تلك الحالة وقد
 اعتاضتا عن الطعام بالخمر والنقل لذت لهما تلك الحالة وتمتا أن تكونا على ذلك إلى
 الصباح وبينما كانت الساعة الثالثة أخذت عين الحياة كأسا من الخمر ووضعتها على شفتها
 وأرادت أن تتجرعها وقد مالت برأسها إلى الوراء . ووجهت بوجهها إلى فوق فوق
 نظرها على نافذة من الزجاج لاح لها من وراءها شخص واقف ينظر اليهما من سطح
 مقابل للنافذة وانتبهت إلى حركة في الخارج وللحال أرجعت الكأس عن فمها وامتلأت
 من الغضب وقالت لطوران تحت ألا علمت أن بعض الناس ينظر إلينا فإني أرى رجلا
 على السطح يلاحظ أعمالنا ويسرق علينا كل شيء فهل يكون كهذا قصر بنات الملوك وهل
 بلغ من قدر الرجال أن يطلعوا على أحوال البنات بالحيل والخداع فنظرت طوران تحت
 إلى النافذة فلاح لها الشخص المذكور وهو يرقيهما فغضبت وقالت كيف العمل لمعرفة
 هذا الرجل . فقالت عين الحياة إن في نيتي أن أصعد على السطوح وأنظر في أمره وإني
 لا بد من أن أعدمه الحياة فقالت شريفة لا تزديني نفسك يا سيدتي فإني أصعد عليك
 وأقضي هذه المهمة ولا بد من قتله أيا كان ثم امتلت خنجرا وتسلفت السلم حتى
 انتهت إلى السطوح فسارت عليها إلى أن قربت من ذاك الشخص فنظرت بالقرب
 منه شخصا آخر وهما واقفان ينظران إلى الأسفل من النافذة ويتشاوران مع بعضهما
 فدنست منهما وصاحت فيهما وبلغا أيها الوقوحان أنظنان أن قصور بنات الملوك
 ملاعب للرجل فستلاقيان شر عملكما وكانت شريفة قوية القلب ودهدا طرف من
 الشجاعة فأرسلت خنجرها ضاربة به للرجل الأول وفي نفسها أنها تقضي عليه فله
 يمكنها بل ضيع ضربتها وأسرع فقبض يدها وشد عليها بعض قوته وقال لها مهلا
 يا شريفة أما كفى أن سيدتك جرحتنا بسيف لحاظها وضعت برمح قوامها وتركنت
 صرعى جمالها حتى بعثتك تقضي علينا أنت أيضا بهذا الخنجر . لم يكن لها من الشفقة
 والرحمة فينا ما يمنعها عن أذاها . فلما سمعت شريفة صوته عرفت أنه فيروز شاه
 وللوقت دعت إلى الزور فقال لها إني كنت أمتعت وترددت لما شاهدت عند
 مولائك اثنتان غريبتان . قالت لا مانع منهما فانهما مساعدتان لمولاتي وهما بنت
 الوليد وقهرمانتها وستعلم من أمرهما ما يرفع التحذرون ضميرك وذلك مقوصات إلى

سيدتي وما أنا سائرة أمامك لأعلمها بقدمك وتدرجت السلم حتى أتت الفرقة فتأدت بها عين الحياة وقالت لها ماذا رأيت ومن المتجاسر على الاكتشاف علينا قالت لها نعم اني عرفت الرجل فوجدته انه ذر حق بالاطلاع على أسرارك والاكتشاف على أخارك لانه ما خاطر بنفسه إلا لهذه الغاية أى لأجل الوقوف على حقيقة أمرك فهذا هو صاحب السيف والقلم والبند والعلم فارس المشارق والمغرب ومبيد الكائنات والمواكب هذا هو حبيبك فيروز شاه وقد دعاه حبه وهواه إلى الوصول إلى هذه السطوح والمخاطرة بنفسه على غير علم بمكان إقامتك فلما سمعت عين الحياة كلامها نهضت واقفة وأسرت بالتقدم للمنتقاء وهي من القرح في برج حديد وتحركت فيها كل دواعي الحب وحسدت نفسها أنها دخلت روض سعادة جديدة

قال وكان السبب في مجيء فيروز شاه هو انه في صباح اليوم الذي فقد فيه مصفر شاه نهض الملك ضاراب من رقادته وجلس في صيوانه وكان ذلك اليوم يوم راحة لم يقصدوا فيه حربا واجتمع بحسب العادة من حواليه عموم الفرسان والابطال وجلس كل بحسب ديجانه إلا أن مصفر شاه وهزاد لم يحضرا فسأل الملك عنهما فتقدم منه شياغوس وقال له ياسيدي اني مررت من هنالك هذه الساعة فوجدت الاشوب في ارتباك وجماعة مصفر شاه في اضطراب فقبل لي انه فقد من الصيوان هذه اللبلة وفي الصباح وجدوا الصيوان خال ليس فيه سوى فراشه وقد تأكدوا أنه سرق في الليل وان سارقه أحد عياري مصر وقد استدلوا من ذلك آثار أقدام من ظهر الصيوان فلما سمع الملك هذا الكلام وقعت عليه حبال الاكدار وغضب مزبد الغضب وقال أيسرق ملك من بيتنا وعيارونا نخافلون لا يمهرون على أمراتهم ولا ينتهبون إلى لصوص الأعداء وعياريهم وفي تلك الساعة دخل هزاد وأعاد الأمر على الملك وقال له اني أظن ولا أخطئ بظني أن الذي سرق مصفر شاه هو طارق العيار وكما انه سطا علينا وانتشل من بيتنا الأمير قتيل والشاه شجاع قد نزل علينا هذه المرة فأصاب مصفر شاه فأخذه بطريقة ولا بد أنه بعيد عمله ويرجع ثانيا رثلا . ثم اقتعد الملك ضاراب شبرنك العيار فلم يقف له على خبر ودار الكلام بين القوم بشأن فقد مصفر شاه وقد كدروهم جدا و قامت بينهم الفرجاء والملك ضاراب في هـ ونكدركاد خيب عن الوحود مقدار ساعة من الزمان وإذا بشبرنك قد دخل الصيوان ووقف بين يدي سيده . فقال له أين كنت يا شبرنك قال كنت يا سيدي بين خدم الوليد وأما نصفه واحد منهم قال وماذا عرفت وأنت هناك . قال اني كنت مختلطا بينهم وأنا دائما أختبئ من وجه هلال العيار لاني أعلم أنه زنديق إذا رأي عرقني لا وقصدت الرجوع عند الصباح فلم أقدر لانه كان يطوف خارج الحيام فانزويت

في إحدى الزوايا وإذا بطارق قد عرض على الوليد عملا عمله في هذا الليل وهو أنه قال له اني سرت في هذه الليلة وأتيت بفيروز شاه ابن الملك ضاراب فأظهر كل الحضور فرحهم ووعده بمزيد الغنى وقد صدقوه إلا طيفور فقال له ان ذلك بعيد عنك يا طارق لأنه من المحال أن تصل إلى فيروز شاه وعنده بهروز العيار فقال هو عندي الآن في البيت فأمره الوليد أن يحضره فأتى به وإذاهو مصفر شاه ابن عمك فأظهر خطاه وغلظه لأنه كان جاء على نية أخذ سيدي فيروز شاه وفي الحال أمر الوليد أن يؤخذ إلى السجن فأخذ وإذا ذلك رأيت طريقا للرجوع فابتعدت عن الصيوان وأوسعت في البر إلى ان جئت اليكم وهذا الذي رأيته وعرفته فزاد كدر الملك ضاراب من عمل طارق وقد شكر الله الذي لم يؤخذ ولده وقال ان المصيبة الآن أهون من مصيبة فقد ولدي لأننا في حاجة اليه والنصر قائم على الابواب فلا بد لنا من خلاص مصفر شاه وفي تلك الساعة أتاه كتاب من الوليد يقول له فيه بما ان الحرب قد اتصلت بيننا إلى حد عظيم بهذا المقدار وقد امتلأت الأرض من جثث القتلى والاموات ومن واجبات الانسانية والعدل الالهي أن تدفن هذه الجثث وتنظف الأرض منها ومن الادمية دفعا للأمراض التي تنشأ عنها إذا تركت فيصاب بها جيشنا وجيشك . فمن الواجب أن تنفق على هدنة تكون ثلاثين يوما طعاما براحة عباد الله ورغبة في كرامة الجثث الملقاة إلى الأرض . وكان السبب في بحث هذا التحرير أن الوليد أقام مجلسا دعا إليه الشاه سرور وطيفور ووزرائه وعرض لهم الحالة التي وصلوا اليها وقال لهم قد خطر في بالي أن أبعث إلى بلاد النمسا فاستنجد قيصرا يبعث لي بالعساكر ويرسل فارسي بلاده وهما تمر تاس وتمرتاش وهذان المارسان على ما أعرف أنهما أشد رجال العالم في هذا الزمان ولا ريب في كل واحد منهما كاف للقيام بمحاربة كل جيش إيران وعندي أحماهما اللذان يقتلان فيروز شاه وربحانتا من شره إنما يقتضى لذلك أكثر من ثلاثين يوما لأن ملاطبة قاعدة بلاد النمسا بعيدة من هنا فإذا بعث بالرسل لا يمكن أن تصل قبل عشرة أيام ومسير العساكر إلى لا يكون بأقل من عشرين يوما وهذه المدة يكون الايرانيين قد تآزروا علينا تمام الفوز واتصروا على جيشنا ودخلوا بلادنا فلا نعود ننتفع من هذه النجدة فقال له طيفور اني أعلمك أن الملك ضاراب رجل يرغب جدا في الانصاف ولا يرد طلب ملك مثلك فابعث اليه واسأله الهدنة والرجوع عن القتال ثلاثين يوما واحتج بذلك أنك تريد دفن موتاك وهو أيضا لا بد أن يكون راغبا في دفن من قتل من جيشه فاستصوب الجميع هذا الرأي وكتب الوليد الكتاب وأرسله كما تقدم إلى الملك ضاراب فأخذه وأعرضه على أعيانه فاخثاروه وقالوا ان الهدنة ضرورية لراحة

الجيش ولدفن موتانا ولدناواة الجرحي منا على أن هذا النصر لا يفوتنا أولا وآخرنا
سبنا وأنت الآن في اضطراب من جهة مصفر شاه فيمكن العيارين أن ينزلوا المدينة
ويتسبوا في خلاصه فوافق الملك ضاراب على ذلك وبعث إلى الوليد بموافاقته على هذه
الهدنة وقال له أعلم أن عارف حق المعرفة أن الهدنة الآن تضربني لأنني على شفير الانتصار
وأنت على شفير الخراب والانكسار فأكون بذلك قد رددت إليك بعضنا من قوتك
التي أخذت في أن تحل إنما كي لا يقال عني أنني عجب للقتال ولسفك الدماء أجبتك إلى
عقد الراحة إلى ما شئت ولا بد لي بعد ذلك من الدخول إلى البلد لا طمعا فيها بل لأخذ
عين الحياة لأن رغبت الوحيدة فيها فقط ومن ثم أعود عنك وعن بلادك فأى وقت
أردت أن تتخلص من وبال هذه الحرب فأبعت إلى بها لأزفها على ولدي وأبعت إلى
بطيفور لاتقم منه لأنني قاسم بذلك أير الأقسام

وكانت هذه الهدنة من أكر المصائب على فيروز شاه لأنه رأى ما طرأ عليه جدا وعرف
أن ذلك من تصعبات الأيام لأنه كلما ود قرب الوصول إلى محبته ووعده نفسه بمشاهدتها
تحول دون ذلك المصائب والمصاعب وييمده الدهر عن اتمام رغائبه فاقام متكدرا
الخطر مبلبل البال ورأى من نفسه أنه لا بد له في هذه المدة أن ينزل المدينة في الظلام
ويدخل على عين الحياة أين كانت ومهما كانت الموانع العائقة لذلك يزيلها بهتة ولو حمله
هذا إلى أن يرمى بنفسه في أكبر الأخطار . وأما الوليد فانه عند ما وصل إليه كتاب
الملك ضاراب بأجابته إلى طلبه وموافقته إلى الامتناع عن الحرب فرح غاية الفرح وفي
الحال أمر وزيره بيدانديش أن يكتب كتابا إلى قيصر ملاطية يستنجد به بأن يبعث إليه
بالعساكر والفرسان فكتب الوزير ما يأتي :

بسم الله الحى الرحيم الرحمن

من الوليد حاكم مدينة مصر ونواحيها إلى صديقه الملك قيصر ملك بلاد آسيا
وحاكما أعلم انه قد جاء إلى بلادى ملك التين الشاه سرور واستجار بي من عدو
قصد بلاده وتسلط عليها طمعا في أن يقتصب بنته وذلك العدو هو الملك ضاراب ابن الملك
بهم من ملك "قرمس" والمعجم ومراده أن يزوجه عين الحياة بنت الشاه سرور ولده فيروز شاه
بالرغم عن "بها" وذلك من "كبرطوق" انظم لاسيا وان اها قد خطبها من ولدى الشاه صالح
وهرب فيها من بلاده إلى بلادى املا ويتخلص من ذلك العدو الا انه بعد ان استولى
على جميع بلاد "تين" جاء بعسكره ورجاله إلى بلادنا وطمع في ان يأخذها من نصف
قصرى فحمت العساكر والابطال بما يضاعف اربع مرات عسكره وكنت اظن انى
افتك به وارجه بأخية فكان بعكس ما ظننت لأر عنده فرسان وابطال لم ينج مثلهم
الزمان ولم يكر بين كل هذه الجيوش التي جمعها فارس يقدر ان يقاوم فرسانهم

ولاسيا فيروز شاه ولد الملك ضاراب فانه قتلك في جيوشنا كل الفتك وأهلك أباطنا وهو يقاتل قتال الأسود طمعا بالحصول على عين الحياة ولما شاهدت نفسى مغلوبا معهم وانى إذا داومت القتال ثلاثة أيام آخر أفقد كل قوتى عقدت هدنة مع الايرانين إلى مدة ثلاثين يوما على أمل أن أبعث اليك أسالك معوتى كوتى متأكد أنك لا ترغب فى أن تسطر الأعداء على بلادى ويذلونى ولا تدعوك الصداقة المثينة التى هى بيننا من زمان قديم أن تأخر عن إجابة سؤالى فأرجوك أن توجه إلى بفارسى بلادك تمرناس وتمرناش لأنى مؤكد كل التأكد أنهما قادران على قتل فيروز شاه وملاقاة فرسان فارس وإذا تهملت عنى فصيح مصر بيد العدو وتحترق حرمة الملك وربما قتلتى أيضا وأكرر رجائى بالسرعة والسلام ختام .

ثم ختم الكتاب ودفعه إلى أحد العيارين وأوصاه أن يأخذه معه جماعة من الفرسان ويسير إلى الاسكندرية ومنها ينزل البحر ويسير إلى ملاطبة وأقام الوليد على حاله وهو فرحان يتمكن من الوقت اللازم لانفاذ قصد وأقام بانتظار هذه النجدة وبعث برجاله تفتش على جثث المقتولين من المصريين فتحفر لها القبور وتأويها فيها على عيني الملك ضاراب وكذلك الملك ضاراب عين أناسا لنفس هذه الغاية وأما فيروز شاه فصبر كل ذلك اليوم وهو فى صبرانه لم يخرج منه والمساء أيضا وكل اليوم الثانى فعرف أبوه أنه متأكد لأجل هذه الهدنة وأنه يرغب العزلة والانفراد فتركه على حاله فى مساء اليوم الثانى دعا فيروز شاه هرور العيار وقال له كن على أهبة السير معى فأتى حتمت على نفسى أتى فى هذه الليلة لابلدى من الدخول إلى المدينة والاجتماع حين الحياة فقال له لا تخاطر بنفسك يا سيدى فان ذلك من أشد الصعوبات لأنى سمعت أن عين الحياة هى مقيمة عند طوران تحت بذت الوليد وليست هى فى قصر لوحدها فإذا علت تلك بقدمونا تظهر أمرنا ولا تخفيه فنقع فى مصائب جديدة نحن فى غنى عنها الآن ولا بد من ان تنفج علينا الحال ونكشف عن عين الحياة ما هى به فى غير هذا الوقت وأما الآن فلا يمكننا ان نكشف عنها هما ولا غما وائس فى وسعنا إخراجها من مكان وجودها قال ليس فى نيتى أن أخرجها ولا تطلو عنى على ذلك أفكارى حفظا لشرفها وشرفى لإنما جل ما أطلبه الاجتماع هما ولو نصف ساعة وانى مشتاق كل الشئ إلى أن أراها وأعلم هل هى بصحة جيدة أو لا وإذا اجتمعت بها لا بد من ان اطمنها وأربح أفكارها من جهة نتيجة هذه الحرب لأنى أخاف أن تكون حزينه كئيبة وربما لا يبلغها ما نحن فيه من الضفر والنجاح فإذا عرفت ذلك تسر وتعد نفسها يزوال الكروب وتتحمل ثقل الموانع يصير جميل وشكر

للسبيل فلا تطمع نفسك في أن تقتني أن أعدل عن عزمي أو أرجع عن أمر نويته
 فيما سمي الآن ولا يمضي إلا القليل إن شاء الله إلا وتكون داخل المدينة ومن
 هناك لا يصعب علينا أمر الوقوف على قصر طوران تحت . فلما سمع بهروز كلام سيده
 عرف أنه أصر كل الإصرار على مواجهة عين الحياة وأن لا شيء يمنعه عن إصراره
 هذا فبما نفسه وليس أخف لبس وأخذ خنجره وكمنده وما يحتاج إليه لتسلق
 السطوح وكذلك الآخر تقلد بسلاحه وخرجا من المعسكر وكان معسكره في أطراف
 الجيش وأتيا حبة الليل فنزل بهروز وقطع فيه بعد أن نزع ثيابه ووضعها في الجهة
 الثالثة وعاد فأخذ ثياب سيده وقطع فير . وشاء بعده ودخلا المدينة من جهة بعيدة
 كان النيل يحاط بها وليس عليها من حارس هناك وكانت بهروز قد عرف تلك
 الجهة قبل ذلك اليوم لأنه كان عند مفارقتها سيده يقصد الوقوف على مثل هكذا
 أمر وغيره احتراسا من أن يحتاج إليه وعرف أن المدينة خالية من جهة النيل ولما
 حاصوا داخل البلد انسحبوا من جهة إلى ثانية حتى سمعا رجلين يتكلمان بأمر زيان
 وسفل وانهما وجدا قتيلان بالقرب من قصر بنت الملك فدنا منهما بهروز وأظهر على
 نفسه أنه من أهل الأرياف وتكلم بلغة أهل مصر وقال لهما ماذا تعنيان هل قتل
 الأمير زيان قالا نعم وجد في هذا الصباح عند قصر طوران تحت قال وهل ذلك
 بعيد من هنا قالا كلا فان القصر قريب وهل لم يهلكك الخبر قال سمعت طرفا من
 مثل هذا الحديث في هذا اليوم غير أني لما كنت تبعد حيث وصلت مع رفيقي
 من الأرياف في هذا اليوم لم أزد أن أقف على الحقيقة سيما وإن أمرا مثل هذا
 لا يهمني مع أني كنت أعرف الأمير زيان وكان ينعم على كثير من الآمن سمعنا تكلمان
 فقصدت لدول عن ذلك ، إن كان على سبيل الفضول مني إلا أني أريد أن أعرف
 السبب وو أي مكار قتل وما ذلك إلا على نوع التسلي قال رجل من الاثنين إننا
 سائر من جهة قصر بنت الملك فإذا شئت سر معنا فذلك على المكان الذي قتل فيه
 وأما السبب فحتى الساعة جميع من في المدينة يجهلون وعلى ما يظن أنه تنازع
 وجماعته مع سبيل أو مع خديم "قصر فقتل سبيل الأمير وقتلت جماعة الأمير سبلا
 وقد ضل قوم خبر ذلك أي أن الأسير الأيراني الذي قرب بالأمس قتلها حيث ربما
 كانوا قد اعترضوا فسار بهروز معهم وقد أضر عن ذكر الفارس الأيراني وخاف أن
 أكثر سؤا ل عنه لاحظن عليه فعاد إلى ذكر الأمير زيان وقال هل من سبب موجب
 نأخذ في أن . . . قتل الأمير قول أن الذي حمل الناس على هذا الظن هو أنهم
 يعلون أن الأميرين قد عاتب من عمه أن يزفه عن بنته فامتنعت ولم تقبله وبما أنه
 مشهور به زهوة وحبث ستعظم هذه الفرصة أي فرصة غيابة عمه عن المدينة

وانشغاله بالحرب وقصد الدخول إلى ابنته خُبت كان في فكره فعارضه سذبل ووقع القتال بينهم وهذا لا بد أن يظهر بعد فراغ عمه من الحرب والبحث عن سبب قتله ولا زال بهروز سائرا معهما ومن خلفهم فيروز شاه حتى وصلوا إلى القصر فقال الرجلان لبهروز هذا قصر بنت الملك وهنا وجد القتيلان مائتان فقال ربما يكونان قد قُتلا في غير هذا المكان واتى بهما إلى هنا قال لا يظن ذلك لأن البواب يقيم دائما عند الباب ولا يفارقه الا نادرا ولهذا ترجح هذا الظن

ثم ودع بهروز الرجلين وأظهر على نفسه أنه يريد الرجوع من حيث أتى وسار الرجلان في طريقهما ولما بعدا اجتمع بسيدته وقال قد اوصلنا الله من أقرب طريق إلى قصر بنت الملك أي القصر الذي فيه عين الحياة ولم يبق علينا الا أن نتظر من اين يسهل علينا تسلفه وقد سمعت أن الأسير الابراني تخلص وليس من أسير ابراني هنا الا مصفر شاه ويمكن أن يكون قد بما من السجن واحتفى في بعض بيوت المدينة لأنه لم يصل إلى الجيش ولو وصل لكننا نظرناه قبل مجيئنا اما احتفى ليذهب في هذه الليلة أو ربما يكون قد وقع في أيديهم ثانية فأعدوه إلى سجنه . ثم ان بهروز طاف حول القصر إلى أن تبين له وجه النجاح فرمى بكمنده على سطح طابق سفلي موصل إلى الطابق العلوي فسكت كلاليه فتساق الحائط ومسك بالحبل بما تعلم من الخفة في مهنته وبأسرع من ملح البصر صار فوق السطح وطلب إلى فيروز شاه أن يفعل كفعله ففعل وساعده هو بان سحبه من فوق إلى أن صار عنده ثم فعلا ذلك إلى أن صاروا على اعلى السطوح فاخذ يبحثان لريان منفذا وصلهما إلى داخل القصر وبينما هما يطوفان فوق السطوح وقعت أعينهما على نافذة الرجاء المتقدم ذكرها فتدلى فيروز شاه قليلا إلى أن صار بالقرب منها ونظر إلى الأسفل فوجد عين الحياة وطوران تحت يشربان الخمر ويتناشدان الأشعار فزاد وجده إلى أن يكون قريب منهما إلا أنه خشى أن تراه طوران تحت ولا تكتم أمره وتفصح به وتنمعه من لذة الاجتماع بحبيبه واستشار بهروز في ذلك فقال له ليس من الصواب أن ننبهما الأمر بقدمونا بل يجب أن نصبر إلى أن تنفضي أسهرة ونفترق عن بعضهما وبذلك يمكن أن نرى إن كان في وسعنا النزول من هذه النافذة أو من غيرها وبينما هما على مثل ذلك أنت شريفة وجرى لها ما جرى معه وعرفته فأخذته في مولاها

قال ولما رآته عين الحياة كادت تخسر قلبها من غبطة الفرح وصحة خسته وسألت عنه وأذرفت دموع الفرح والمسرة وفعل هو كفعلهما وبعد أن جلس تقههت ما طرأت تحت وسلمت عليه وأظهرت له مزيد الترحيب ولا كره فاضمر به ووسى شيعه وفهموا بينهما به وبعين الحياة وبعد أن استقر به لقمته نهضت صورا تحت وصبت

الذهاب إلى غرفةها وكان قصدها أن تبعد عنهما وتركما وحدهما يتشاكيان لوعة الفراق
هلى خلا. بحيث لا يكون بينهما قريب بينهما فودعتهما وسارت وهي متحيرة من جمال
فيروز شاه وفصاحته وقد قالت في نفسها معذرة عين الحياة لحما مثل هذا الأمير الذي
نادر وجود مثله وكيف يمكن أن تتناض عنه بأخى وبين ذا وذاك فرق لا يدركه لعقول
ودخلت غرفتها ورمت بنفسها على فراش الاشواق وقد حسدت عين الحياة على
اجتماعها بجديها مع أنها بعيدة عن محبها وأخذت تتقلب كل تلك الليلة دون أن يأخذها
نوم وهي تفكر كيف أن محبوب عين الحياة مطلق الحرية والتصرف وذاك لا تعرف له
مكان. ثم إن عين الحياة جلست بجانب حديقها على مائدة المدام وأخذت يتعاطيان
ويتشاكيان الغرام وما لافيا من الوجد والهام في كل تلك المدة التي مضت وبشكر أن فضل
العناية التي سهلت لها الاجتماع بعضهما وتذكرا أن تلك الليلة هي أشبه بليلتي القصر الماضية
في نزهة ليلين وداما دلي ذلك نحواً من ساعتين أى إلى أن قرب وقت نصف الليل وكان
هررز قبل ذلك بعيد عنهما في غير غرفة فخاف من أن يبقى سيده كل تلك الليلة فلا
يمود يتسمر له أن يصل إلى جيشه إلا في الليل القادم إذا لم يظهر أمره فأتى إليه وطلب
عنه أن يرجع إلى مكاهما فامتنع وقال له إن الهدنة الآن راقمة بيننا وبين القوم فيمكننا
أن نبقى هنا إلى الغد أو ما بعد الغد فلا حاجة لنا في الجيش قال إن ذلك لا يمكن الآن
لأن أباك إذا افتقدك وما وجدك يقع في هم عظيم ورعنا إذا أصبحت طوران تحت
أظهرت أمرنا وأعلنت به أحدا فقالت عين الحياة أن ذلك لا يمكن قط لأنها واقعة مثلي
يحب رجل أيراني وهو مصفر شاه صاحب طهران وإن عم الملك ضاراب فتعجب
فيروز شاه من هذا الكلام واستعاد منها الخبر فأعاده عليه من الأول وكيف أنها
أُنت به إلى القصر وفي الليل خرج وجرى ما جرى من حادث زبان وسنبل وكيف
قتلها عندما أطلعا على أمره. فقال فيروز والآن مصفر شاه مطلق وليس بأسير قالت
بلى هو أسير في سجن العفاريث لأنه قبض عليه في نفس الليلة وجرى له وقعة عظيمة
رعلية فقد سمعت أنه اغضب الوليد فألقاه في ذاك المكان وفي نيته أنه يمته فيه وحتى الساعة
لا تعلم محبته به وبأنه أعيد إلى ذاك السجن وإلا كانت اماتت نفسها لأنهم لم يكن لها من
أصبر ما كان لي أثناء تبكي عني وه. فوعك في المصائب

فلما سمع فيروز شاه بما وقع على مصفر شاه كاد يطير الشرا من عينيه ورى
نكاس من يده وانقلب صفاته إلى كدر واضطرب وكاد يبق على ما أصابه والتفت
د. فيروز شاه إلى سرته إلى سجن العفاريث النسي في خلاص ابن عمي فأتى في
شرفه إليه ولا يبق في أن اصرف الوقت في راحة وهو في عذاب ولا بدلي من الأمان به إلى هنا
يديم هو مع محبته. اجمع محبتي رذالك يطيب لي الوقت فلما سمعت عين الحياة كلامه

خفق قلبها وخافت عليه من أن يقع في حادث جديد وقالت له ليس الآن وقت خلاصه ولا يمكنك ذلك فقد عرفت أن هذا السجن لا يمكن أن تخترقه العفاريات ولا كبراء الجنان وملوكها فلا تخاطر بنفسك وترمى بها في هاوية العذاب وأنت في غنى عن ذلك لأنه حتى انقضى الحرب تسترجع منه من الوليد رغم عنه ولا سيما إذا تسلمت المدينة وطردتموه عنهاراما الآن فانك ترجو محالا وهذا العمل عمل العيارين وليس عمل الملوك . قال لا أندو أراصب بعد على ما يقاسيه من العذاب إلى نهاية القتال فإليته هذه يكون معنا في هذا القصر مجتمعنا بمحبوبته يشرب معها الخمر ويفعل نفس ما أفعل أنا فنكون كلانا متفاسمين الراحة والهناء وإلا فنتقاسم العذاب والشقاء فقال له بهروز ياسيدي أنك لا تقدر أن تحدد الصعوبة التي تحول دون مطلوبك فأنت وإن تكرر أقدر مني في فنون الحرب والجلولان على الأبطال والفرسان إنما لاتحسن فن العيارة ولا تعرف طرقها وأبوها باقى أنت في هناك وراحتك وأنا أنظر في ذلك . قال لا بد لي من أسير هذه الساعة إلى سجن العفاريات وتكون أنت معي وتخلص مصفر شاه وغير ذلك لا أريد . ثم نهض وأخذ سيفه فعلم بهروز أن لا بد له من اتقاذ قوله فنهض معه وودع عين الحياة ووعدها بالعود إليها في نهاية عمله فبكك لفرقة وقد حدثتها نفسها بأنه سيقا في طريقه مصائب وأمرالا ربما تمنعه من العود إليها وقد عرفت حق المعرفة أنه لا يرعى عن عزمه لأنه ثابت فيه ومهما كان يحبها ويرغب في القرب منها والقيام معها والاصفاء إليها إنما ذلك لا يقف في طريق صوالحه الشخصية ومراعاة جانب أقربائه وأنسابه لاسيما وهو يعرف أن مصفر شاه أمر بسببه حتى أنه ماجاء من بلاده وخاطر بحياته إلا لأجلها ولاجله وبعد أن خرج من القصر دخل في الأسواق وهو لا يعرف إلى أى جهة ينتهى بهما السير وهل يتوفق لهما الوصول إلى سجن العفاريات أم لا وسار نحواً من ربع ساعة حتى انتهيا إلى دهلين واسع فساروا فيه حتى انتهيا منه إلى فسحة واسعة ووصلا إلى المكان الذى صادف فيه مصفر شاه الحرس فصادفاه فاعترضهما ودنا منهما مستعلما عن حالتها فلم يجيبا فقصدا إلقاء القبض عليهما إلى حين الصباح وفي الحال جرد فيروز شاه سيفه دون أن يلفظ كلمة والتقى أولئك القوم واعمل الضرب فيهم ودار بينه وبينهم دولا بالقتال فأشغلوا النفر واستجاروا بمن حولهم وقد ظنوا أنه نفس مصفر شاه فبعثوا من أتى بفرق من العساكر والمضاطة من دوائر الحكومة وأقامواهم بطاولون فيروز شاه يحاولونه وهو يلتقيهم بقلب أقوى من الصوزة بصرب فيهم من حربة قلب وقوة جنان وكلما قتل فيئة وكاد يشقتها تنحصر فيه فيتنان حتى مثلت تلك الأرض بالعساكر وهو يهجم عليهم هجمات الأسد ويخرج لرووس من على الهامات كمن حرج الأكر في أيدي الصغار وبهروز يساعده في ذلك وهو

[١٥ - فيروز شاه]

يعلن الصدور بالخنجر ويقمز قمزات الخزال لا يهدأ في مكان، لا يقرر له قرار وكان فيروز شاه يتأخر إلى الراء لكثرة الجوع وهو لا يعرف إلى أي جهة يميل مع مقابليه وقد أحذقوا به من كل جهة وهو يضرب ويتستر منهم ولا يرى وقوع ضرباتهم بالتمام فكانت تقع عليه ضربات كثيرة من سيوف الاعداء فتفعل بجسمه وقد تألم مزيد الألم وهو يظهر الصبر والجلد وفي نيته أن يختفي في الدهليز الذي خرجا منه ولا زال يهاجمهم ويطاردونهم حتى فوتوه الدهليز ودخل بين الاسواق وقد خرجت الناس من بيوتها لاستماع الاصوات وكثرة الصياح ونظر بهروز إلى نفسه فوجد داته قد أثنى بالجرأح أيضا وافترق عن فيروز شاه وعلم انه ان اقام بهن دقاق اخر وقع في يد الاعداء فقال في نفسه الا وبق ان افترق من انقوم فاذا ونع سيدى بيديهم سمعت في خلاصه وإلا إذا وقت أنا وهو فمن ياترى يقدر أن يخلصنا ولذلك انسحب من بينهم بكل خسة ورعى بكسندة إلى السطح وكان واطنا فصار عليه في الحال وتبين على نور الكواكب فعل فيروز شاه بالقوم وفعلمهم به وكان قد تضايق غاية الضيق ورأس من الحياة وفضل الموت على التسليم فتأخر إلى أن جمعهم أمامه وصاح بصوت ارتجت له مدينة مصر وارتجت منه قلوب مقاتليه وأسرع يده يضرب فيهم ضرب من استقتل وغاب عن الهدى فجعلوا من أمامه وكروا إلى الراء وما فيهم إلا كل مجروح ومقتول وبالقضاء والقدر وقعت رجله على بلاصة بهم دهليز تحت الطريق تسرى فيه الماء وكانت ضعيفة البناء فهبطت من تحت رجله إلى أسفل الدهليز واخفى به عن العيان ونظر الرجال إلى ورائهم فلم يروه أنه متأثرهم فعادوا إلى مطاردته وصادف مرورهم قرب باب رجل كاد واقف عنده لينظر إلى القتال فسألوه عنه فقال لهم نظرتهم ركض من هنا طالبا لنفسه الخلاص فأسرعوا يركضون خلفه وهم لا يعلمون أي جهة قصد وبعد أن فرغ السوق منهم سقط بهروز وكان قد شاهد سيدة وقع إلى الدهليز فتاداه فرد عليه وطلب منه أن يخرج به فأخرجه وقال له هيا بنا يا سيدى نرى لنا مكانا يحمينا هذه الليلة أريد بنا من جهة النهر إلى معسكرنا فاني أكاد لا أقدر على حمل نفسى من عظم الجرح فقال له واني أنا كذلك ولا يمكننى أن أسير فان الدماء تتدفق من جسمى وقد أصبت بضربات كثيرة وحينئذ تقدم منهما الرجل وقال لهما اسرعا إلى بيتي وأدخلاه فهو يحميك من كل عدو لا تخشوا والكا منى عهد الله انى لا أخونكما ولا أضركم أمركما لخدمكما بكل قوتي ولا أنصر في كل ما تسألاننى عنه . فقال له فيروز شاه من أنت وكيف تكلمت أن تدين لك . قل ادخلا يا سيدى فاني أقسم انك بعه العظم انى أحاط عبيك ومتى دخلت الباب وقلته أخبركما من أنا وإلا ربما عادت "عساكرى هنا فيرونكما وتعودن معهم الى القتال وأتيا على هذه الحالة فوثق

فيروز شاه بايمانه ودخل مع بهروز إلى الداخل وأقل الرجل الباب وراءهما وجاء بهما
 إلى زوجته وأمرها أن تسخن لها الماء حالا فعملت ففصل لها جراحهما وأنى بالخرق
 فضمدها وقال لفيروز شاه اعلم ياسيدي أنى أنا رجل فارسى الأصل أنى إلى هذه
 المدينة وأنا صغير فسكن فيها وكانت مهنته جزار فأقام إلى أن مات فأقمت أنا من بعده
 على مهنته وقد صار لنا معرفة بجميع أهل البلاد وأحدونا جدا فى هذه الليلة وأنا
 نائم سمعت الصباح فخرجت وإذا بك وأنت تطارد العسكر فرققت أنظر وأنا أعلم أنك
 فارسى لأن هجاءك هجاء الفرس وثبت عندى ذلك لعلنى أن لا أحد يقا تل شرطة
 مصر إلا أعداؤهم فتفطرت مرارتى عليك ولم يكن فى وسعنى أن أمنهم ولا أقدر
 أن أحامى عنك لأنى لست من رجال القتال إلى أن أعدتني العناية ورأيتك وقدمت
 بالاعداء لك الميلة قفروا من أمامك ووقعت فى حفرة الماء وهم لا يرونك وسألوني
 عنك عندما تأكدوا رجوعك عنهم فقلت لهم انى رأيتك منزما راكضا فأسرعوا
 خطمك وقصدت بذلك إبعادهم عنك لاخرجك إلى بيتى واخفيك فيه وأنا حتى الساعة لا أعلم
 من أنت . فقال له حسنا فعلت وقد سمعتك تقول لهم انى هربت فسرني ذلك وأريد أن
 تعلمنى عن اسمك فسوف أكافئك ان شاء الله . قال انى لا أفعل الجليل ياسيدي لأجل
 المكافأة ولا سيما مع رجل هو من جنسى ووطى وأما اسمى فهو ابو الخير . قالوا
 صدقت فأنت ابو الخير بالحقيقة ومأمروك هذا الا مع اشرف رجال وطنك وابن
 ملك جنسك فلما تأكد ابو الخير انه فيروز شاه رمى بنفسه على اقدامه يقبلها وقال له
 لا كان عبدك ياسيدي فأنت فخر الفرس وشرفهم ولم ترد العناية ان تلقى بك فى
 ايدى الاعداء ولذلك سخرت لك واحدا من بعض عبيدك ليقوم كل القيام بخدمتك
 وانى ادخلكما ياسيدي إلى داخل بيتى فتقيما مع حريمى واتينكما بطبيب صديق لى من
 زمن طويل وإلى متزوج ببنته فهو بكنتم امرى وامركا ولا يمكننى أن ابقىكما هنا فى
 الخارج لان طارق العيار هو صدى ايضا وفى اكثر الاحيان أى إلى واحاف ان
 يزورنى فى هذه الاثناء فبرا كما فقال له فيروز شاه 'فعل ما بدا لك والوقت سار بهما'
 إلى داخل داره واوصى زوجته ان تعتنى بهما وفرتا لهما الافرشة الناعمة واخذ
 فيروز شاه وبهروز يشعرا بألم الجراح عند ارتياح جسميهما فظانما اليه ان يأتى بالضميب
 لمدائتهما وان يدفع له الدراهم فان معهما درهم كثيرة فقال له لا يحتاج الامر
 ياسيدي الى دراهم إلا بعد ان تتلا الشفاء وسار فى أخل إلى ان زوجته وضرب
 عليه الباب وكان اسمه فتوح فتخبر من اتيانه فى مثل ذلك الوقت وقل له ما الداعى
 أهل مرض عندك احد قال كلا بل أتيت عليك لاخبرك بأمرى وسألتك كتم سرى
 وأطلب منك المساعدة فاذا وعدتني بالاجابة عرضت عليك حالى قل كيف لا أقدم

لك المساعدة وأنت صهرى وحافظ بئى وعدا ذلك فأنك صديق منذ زمان وأحبك كولدى قال اعلم أن الله قد ساق إلى السعادة وأنا قائم فى بيتى وذلك أنى أرفعك إلى قطيب فيروز شاه ابن الملك ضاراب وعيابه بهروز وهما فى بيتى لا يعلم أحد بهما إلا الله وأنت . ثم عرض عليه كل ما توقع له وقال أخيرا اعلم أن فيروز شاه هو وحيد فرسان هذا الزمان وسيد قوم من أكرم رجال هذا العالم وأفضلهم ولاد بعد بجاته أن يكافئنى بأعظم المكافأة ويرفع منزلتى ويقربنى منه لاسيما وهو يعلم يقينا أنى سبب حياته ومثل ذلك يكون لك أيضا ومن المقرر والمؤكد أن الملك ضاراب لا بد من أن يفوز على الوليد ويدخل المدينة ويستولى على مصر ويحكم فيها فتكون العناية قد أوصلت إلى السعادة من حيث لا ندرى ولولم يطلب الوليد إلى الملك ضاراب أن يعطيه هدنة وراحة عن القتال لكان دخل المدينة وأسر الوليد ونجاحه ظاهر ثابت فقال له قروح أصبت يا صهرى فهذه فرصة لا يجب أن نضيعها ويقتضى مزيد العناية فى إخفاء أمره وإلا إذا عرف الوليد أخذهما وجازانا على فعلنا قال لا أحد يعرف بأمره إلا أنا وبتك زوجتى وأبى من الممكن أن يبيع أحدا بهذا الأمر أو يظهره لأحد .

وفى الحال نهض فتوح فأخذ معه المرامم اللازمة وما يحتاج إليه لتطبيب جراح المجرحين وسار مع صهره حتى دخل بيته قبل الصباح وأنى إلى المكان الذى فيه فيروز شاه فوجده فى مزيد ألم وتعجب لما شاهد عظم تلك الجراح فدنا منه وقبل يده وقال له لا كان يصل إليك سوء يا سيدى قال اصرف الجهد الآن إلى مداواتى وإنى لا أنسى لك هذا الجليل لعلى أملك وأبر الخبير مصدر حياتى . قال سترى منى ما يسرك والأزمك حتى تشفى من جراحك هذه وأكل ذلك على الله فهو يساعدى على شفايتها ثم أعاد عايبا الضماد وأنزل بها القتائل ووضع عليها المرامم وفعل ذلك مع بهروز وأوصى صهره بمداداتهما وأن يطعما لحم المرامم ومرقها وكان هو يأتى فى كل يوم ثلاث مرات أو أربع فى النهار وفى الليل ينام هناك حرصا على حياتهما وخوفا من أن يلحق بهما أذى من جرحى الجروح إذا أهمل أمرهما ودما على مثل ذلك عدة أيام ولم يعلم أحد بخبر فيروز شاه ابن هو لا أبوه ولا غيره . هذا وأن المساكين الذين كانوا يقاتلون فيروز شاه طافوا المدينة دون أن يبقوا له على خبر وفى اليوم الثانى شاع هذا الخبر فى المدينة وكانت الناس ترى القتلى مطروحين فى الأسواق فيسألون عن خبر فيخبرون أن كل ذلك فعل رجل من أهالى إيران كان ليلة أمس فى المدينة فاعتزمه الحرس ففعل كل هذه الأفعال ففخفت أهل المدينة وقالوا إن كان ذلك فعل فارم واحد فإذن ترى يكون من الجميع وعرف الوليد بهذا الخبر فدعا إليه الحرس

فخضروا بين يديه فسألم عن هذا الأمر فقالوا له إنا وقفنا بالأمس على اثنين من
الاعداء فقصصنا مسكهما فلم يسلبا نفسيهما بل قاتلانا قتالا عظيما وقد اجتمع عليهما أكبر
من ثلاثة آلاف نفس من العساكر ورجال الشرط دون أن نبأخ غاية منهما ولا سيما
أحدهما صاحب السيف فإنه كان يفعل في العساكر أشم الأفعال حتى أملاك نحو خمسمائة
واحد منها وفي النهاية اختفى ولم يقع له أحد على خبر وفشنا المدينة كلها فلم نعرف أن
مقره أهل خرج من المدينة مع رفيقه أو لا يزال مختفيا في بعض البيوت فلما سمع الوليد
هذا الخبر وقع عليه أشد من وقع السيوف وقال أظن هذا مصفر شاه وقد هرب من
السجن . فقال طيفور كلا ياسيدي فإن صدقت ظني يكون فيروز شاه ومعه عياله وقد
قصد للنزول إلى المدينة ليجتمع بهن الحياة لجرى له ماجرى وعلى ما أظن حتى الساعة
لا يزال في المدينة ولم يخرج منها فمن الواجب إجراء التفتيش عليه فلما سمع الوليد ذلك
قال صدقت فلا يقدر أحد غير فيروز شاه بفعل هذه الأفعال وإنيؤكد كل التأكد
أن مصفر شاه لا وسيلة لخروجه من ذلك السجن ولا يقدر أحد أن ينشله منه وإني
كما أشرت سأبعث أئمنش في بيروت مصر واحدا واحدا رجالا ونساء على أقدرا أن أكشف
خبره وهذه فرصة لا يجب أن اضيعها ومن المقرر أني أحب أن أخسر خزانتي وقسم
من بلادي في سبيل مسك فيروز شاه وإنما غاياتي فيه فاما أرجئه بترك عين الحياة
ويرجع إلى بلاده ولما أن أعده وأميته ولم يعد بعد ذلك من خوف علينا من رجال
الفرس إذا فقد منهم مثل هذا الأسد الفاتك . فسمع بيدندش الوزير هذا الكلام
فلم يمن عليه ولا سيما عدا مارأي الوليد قد وافق رأي طيفور دون استئصال منه ومشورته
وعليه فقال ليس هذا بالحسن ياسيدي مالك إذا فعلت ما قلته وفشنت بؤس الناس
جعلت المدينة بأجمعها في اضطراب وقلق فتتقمع الأهالي وتظارئك فتتغيرت بسبب
هذه الحرب وتبدلت الرحمة منك بالظلم ومدينة كمدينة مصر كثيرة السككن والأهالي
لا يجرى فيها مثل هذا العمل إلا بعد قطع الأيأس واستطاف خيل أربعة لاسيما نحن
الآن في احتياج إلى منعهم من أن يميلوا إلى عدونا أو يميل بعضهم وقبل أن نزعج
كحول البس وشيوخها ونملق نساءها وبناتها ونبكي أطفالها ولادد نمت من يكشف
لنا الخبر بين عساكر الاعداء فإذا كان خبره شاه هناك يكون قد تخلى عن المدينة
وجاء جيشه أو يكون ذلك غيره وبهذه الطريقة يتوفر علينا قتل هذه الاعمال ورفع
ملامة الأهالي وندفع ضجرهم فقد أصبت وصوابا أتيت فعلتك قبل كوشى . ننظر
إذا كان في جيشه فإن كان غائبا ومفقودا يكون داخل المدينة لأرب وخذ ذلك عود
إلى مسكه بأى طريقة كانت .

ثم ان الوليد دعا اليه طارقا وقال له اريدك هذه الليلة ان تجسلى معسكر الاعداء ونكشف لي خبر ابن ملكهم فان كان فيه عدت الى بالخبر الصريح وكذلك اذا كان غائبا . قال سمعا وطاعة ففي هذه الليلة آتيك بعلم اليقين واذ انيسرلى وساعدتني الصدف اسرته واتيبت به فقالوا له جميعهم وفقك الله الى نوال مرادك فخرج مسرورا فرحا وصبر لي ان اسود الليل فلبس ثياب درويش شامى وعول على الخروج من صيوانه واذا بالامير حطار قد دخل عليه وبعد ان حياه قال له انك الآن سائر الى جيش العجم و بما لا تيسر لك ان تذهب اليه مرة ثانية ولذلك اتيت اسالك امر او احدا فاذا قضيت شأرك نصف مالى واصبح مديون لك الى انقضاء العمر قال اسأل غرضك فاني في عجة للذهاب فن اريد منك ان تأتيني برأس بهزاد الابرار ابن فيلزور قاتل ابي وتأخذني بالثار . قال على الله توفيق فاني سأحاول كل المحاولة قتله فاذا تسهل لي ذلك قضيت قبل غرض الوليد . ثم ودته وخرج وجاء جيش الاعداء وهو يعد نفسه بانه اذا قتل بهزاد يحصل على اكبر قسم من المال وقد هان عليه الامراذ انه نوى على قتله واحضار رأسه فقط معه وليس احضاره كله وكان الوقت اذ ذاك يساعده على اخفاء امره لان الملك ضارب وجميع جيوش فارس في اضطراب من اجل فيروز شاه .

قال وذلك انه في صباح الليل الذي سار فيه بعث ابيه من بتفقد فلم ير له اثرا فخطق قواده وسأل عنه فقبل له انه سار مع بهروز من اول الليل الى داخل مصر وانه يعود منها بعد مواجهته لعين الحياة وذلك ان فيروز شاه خاف من ان يشغل بال ييه عليه فيضن ان عبارى مصر قد سطت عليه وسرقته اخبر من الخدم من يوصل له الخبر في الصباح اذا لم يرجع فيه . فلما سمع الملك ضارب هذا الكلام لم يخجل باله من الامور الاضطراب ل و ترجع عنده ان امرائه لابد ان يظهر في المدينة واقام على حالته وه . بين الرجاء و"ياس لا يعلم عن ولده امرا الى ان انقضى النهار وجاء الليل ولم يسمع عنه شيء جديد و"جتمع قوم حسب العادة عند الملك ضارب لصرف السهرة وبعدها تمرق كل واحد في حمة جيشه وكان طارق قد علم حق العلم ان فيروز شاه غائب وانه في المدينة ففرح غاية "ففرح بقضاء مهمته وقال في نفسه لا بد لي قبل الرجوع الى سيدي و اعلامه هذا الخبر ان اقضى مهمة ثانية وهي ان اقتل بهزاد الابرار وبقته اذل الاموال الغزيرة من خطار وأرضى الوليد به وناال انعاماته ايضا لانه اذا قتل هذا وقبض على فيروز شاه من يترى مود فيجى جيوش الفرس من سيوف المصريين وهجمات جيوشهم الغبر محساة وصبر لي ان رأى بهزاد قد خرج من بين يدي الملك ضارب وقصد الذهاب الى صبراه فشره من خلته دون ان يراه الى ان دخل وهو مضطرب البال على غياب

فيروز شاه ومصفر شاه وبعد أن دخل الصيوان نزع ثيابه ونزل في فراشه وقصد أن
 ينام فلم يأخذه نوم ولا قدر على الثبات بل تراكت عليه الافكار وقال في نفسه كيف
 الآن أنا مقيم هنا في راحة ومصفر شاه في عذاب بين الأعداء يقاسى آلام السجن وتهكمات
 أعدائه فكان من الواجب أن أسعر الحرب وأحرق المدينة وإلا كيف نجيبهم إلى
 المدينة وعندما أعظم رجل منا أسير فلا يطلقونه ولو فرض أني تسببت بإعادة الحرب
 فلا بد أن يغضب الملك ضاراب ويتكدر لا خراق هيئته لا سيما وهو يكره القتال
 الآن لا تشغال باله على ولده ولا يريد أن يقع قتال وابنه داخل المدينة وكانت هذه
 الأفكار تنمو به وتزايد حتى طار النوم من عينه ولم يعد في وسعه أن يغمض
 جفنيه وبينما هو على مثل ذلك وإذا به سمع صوت وقع أقدام خلف صيوانه فصنى
 بكل سمعه حتى تأكد أن رجلا يقطع وتد الخيمة فعلم أن مكيدة تنصب له فحمد الله
 الذي لم يكن نائما إذ ذك وصبر ليرى النهاية وهو على غاية ما يكون من الاستعداد
 واليقظ ثم شعرا أن رجلا دخل الصيوان وتقدم منه حتى وقف فوق رأسه وقد أخذ
 يده خنجرا وأتى إلى جبهته وللحال صاح به فأرعبه ونهض من فراشه بأسرع من لحظة
 عين وقبض عليه ورماه إلى الأرض فصاح الرجل مستغيثا وقال له لا تظلمني
 ياسيدى ولا تفعل بي شرا فاست أقصد لك أذى . قال من أنت . قال أنا
 درويش ياسيدى أقصد الأجاري وأعيش من إمامهم وقد سمعت أنك تحب رجال
 الله وتطعمهم وتلبسهم إحسانا . فقال له بهزاد وبلك ما هذا العذر القبيح أيا
 للدرويش في نصف الليل والناس نيام ويدخلون من ظهور الصواريين وبأيديهم
 الخناجر فما ذلك مما يصدق فاصدق أمرك وإلا أهلكتك في هذه الساعة لأنى
 تريد النوم ولا أرغب في التطويل وما أنت إلا من عياري مصر قصدت قتلى فلم
 تساعدك الأقدار فلا بد إذا متعت عن إظهار الحقيقة أن تلاقى شر عمالك ثم
 نزع منه الخنجر وجرده من ثوب الدرويش فدين من تحته أنه عيار لا شبهة فيه
 فقال له هل من رية الآن فاستعد للوثة ثم قصص أن يضربه بالخنجر الذى اغتنصه منه
 فصاح مستغيثا به وقال له اصبر على ياسيدى فاني أضلك على الحقيقة لا أخفي
 عنك حرفا واحدا وافعل ما شئت فاني أسلم بأمرى إليك . قال قل
 من أنت ولماذا أتيت . قال أنا طارق العيار قد بعثني أوليد لا تكشف له خبر
 فيروز شاه إن كان في الجيش أم لا حيث في ليل أمس بينما كان الحرس في تطوافه
 صادف رجلا ومعه عيار في نفس المدينة فوقع بينهم قتال عظيم واجتمع عليهم خاق
 كثير من المدينة ففعل الرجل والعيار أفعال الجان وقتلا قتلا ذريما في رجال

المدينة حتى خلاصا ولم يعد يعلم أحد لما خبرا ولما بلغ الخبر الوليد قصد أن يفتش البلد
 بيتا بيتا لأنه تأكد من أقوال طيفور أنه هو فيروز شاه لأن هذه الأعمال أعماله وغيره
 لا يقدر على النزول إلى البلد والايقاع بساكر المدينة ويقدم على مثل هذا الأمر
 الخطير وقد زاد برهانه أنه لا ريب يقصد الوصول إلى عين الحياة ولما رأى الوزير
 يدانديش عظم تلك الثقة التي طلب الوليد اجراما مانعه عنها وقال من الأوفى أن
 نبعث من يكشف لنا من الخبر عن فيروز شاه فإن كان داخل جيشه فلا تتبع أنفسنا
 حيث يكون قد خلاص ورجع إلى معسكره وأن كان غائبا يكون في المدينة فنعود إلى
 تدبير ما يمكننا تدبيره حيثئذ من لقاء القبض عليه ومسكه فبعثوني لا كشف الخبر
 وبينما أما مزيج على الاتيان جاءني خطار بن خطير الذي قتلته وقال لي اني أشاطرك
 نصف مالى ان قتلت لي بهزاد قاتل أبى ولهذا بعد أن تأكدت غياب فيروز شاه قصدك
 لأقضى أمرك فلم يساعدن الله على أذاك وقد حبطت أعمالى ووقعت في يديك الآن
 فافعل بي ماأنت فاعله فانى اسلتك أمرى ولا بد أن الله يلهمك إلى بقائى . فلما سمع
 بهزاد كلامه استعاذ من أعماله وشكر الله الذى كان إذ ذاك مستيقظا فى فراشه وإلا لو
 كان نائما لأقضى عليه فى الحال وقال لطارق أن ترجو البقاء بعد اعترافك بأنك أنيت لأعدامى
 وهلاكى ولتأخذ رأسى إلى عدوى فتبيعه بالمال على انى لو كنت نائما لسهل عليك حننا
 قضاء مهمتك ورجعت فائزا قال ان العناية لم تساعدنى ياسيدى ولا أنكر انى جئت
 لأجل هذه الغاية وكان فى نيتى ان أرمى بالنج قبل دخولى إلى الصيوان غير ان سعادتك
 وطول عمرى منعانى عنه وقلت فى نفسى لا لزوم لذلك لانه نائم وغائبا فقلت لا يحتاج
 الأمر أكثر من ضربة واحدة وكون فى نيتى أسرك لفعات ولهذا كانت حياتك من
 الله واما انا فانى سأل الله ان يهزمك إلى ان يحفظ لى حياتى كما حفظ لك حياتك .
 قال لا بد من أخذك إلى بين يدى الملك ضارب ينظر فى أمرك ويفعل بك ما يختاره
 ثم عد بهزاد إلى نس ملبسه ودعا بالأسوب فأمره ان يحافظ على طارق وان
 يسير به امامه إلى صيوان المذبح ففعل وسار من ساعته إلى الملك ضارب حتى وصل
 إلى صيوانه فوجده لا يزال قائما وعندده طيغلولس الوزير وهما يتخاران فى امر
 فيروز شاه وكيف تكون لوسينة إلى الوقوف على امره وكان الملك أيضا لم يأخذه
 نوم فى تلك الليلة فصار طيغلولس ومه دحس . رد تعجب من دخوله عليه بعد ذهابه
 فى مثل هذا الوقت ونظر إلى ضارب معه وهو مقاد فقال إلى معرفة الحقيقة كل الميل
 وقل ما يدرك من الاخبار ومن هذا لاسير نيتى تقوده . قل هذا طارق الذى
 حرق جيشا عدة مرات وأرسل به البلاى والطارق هو عيار الوليد وقد جاء

وفى نيته ان يأخذ برأسى معه فأوقعه الله فى يدى وقد فرح الملك ضاراب كل الفرح بخلص هزاد من شر هذا العيار الذى يحسب فى الدرجة الاولى بين ذاك الزمان وبوقوعه فى أسره وقال انحسب يا طارق ان كل مرة تسلم الجفرة فلا بد من الانتقام منك جزاء على فعلك وما كفاك كل ما فعلته فى المدة الماضية حتى عدت الليلة إلى قتل هزاد . قال عفوا يا سيدى فاني لا انكر انى جئت للايقاع بكم ولكل ما قدرت عليه فان فى ذلك شرط وفاء الخدمة ومن كان مثلى عليه المعول من كل هذه الجيوش المتجمعة فى مصر لا يتقاعد عن نصرتها بالعمل ، ثم حكى ما كان من سيده الوالد ومن أمر الفارس وقد تأكد عندهم انه فيروز شاه لأن لا احد غيره يجسر على القدوم على هكذا امر فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام عرف ان ولده دون ريب وخاف ان يلحق به اذى ووضع عنده انه لم يقع فى ايديهم وقد ثبت فى فكره انه عندعين الحياة على حسب قوله وقال فى نفسه لا بد من رجوعه فى هذين اليومين وأشكر الله الذى لم يقع فى يد الوليد وانى مطمئن على حياته لأن الله معه ثم قال لطارق وهل تعلم شيئا عن مصفر شاه قال انه الآن فى سجن العفاريث وحكى له كل ما كان من امره ووصف له ذاك السجن وصعوبته فتكدر الملك عند سماعه هذا الخبر وقال لا بد ان الله يساعده فى مدة اقامته فى حبسه وندم على موافقة الوليد على تلك الهدنة لانها أضرت به غاية الضرر ودعا بشرتك عيابه وقال له ابى طارق عندك إلى حين الصباح لتنظر فى امره وماذا تفعل به لأنى لا بد من ان انتقم منه .

فأخذ شركك طارقا وعاد هزاد وسار طيولوس ومضى ذلك الليل وجاء الصباح زائرا وعليه حلة بيضاء من الديباج اللامع ومضى من كان راقدا من اولئك القوم وجلس الملك فى صيوانه مستوفدا وزراءه وامرأه ورجال دولته واحدا بعد واحد حتى اكتمل الديوان وغص بالاعيان وإذ ذاك امر شركك ان يأتى بهارق العيار فجاء به مقيدا وهو ذليل مهان فاستعاد منه القصة على مسمع من الجميع فاعادها وقد تعجب الجميع من اعترافه بانه جاء لقتل هزاد فقال لهم الملك ضاراب فمل لا يستحق القتل فقال جميعهم كيف لا وقد غدر بنا عدة مرات وسفاهل في وقت سلام ونحن تحت راية الهدنة آمنين من مثل هذه الافعال . فقال طارق لا انكر يا سيدى انى مستحق هذا الجزاء بالنظر اليكم لا بالنظر إلى مولاي وانى لا رش فى ان يتمنى خائنا فى خدمتى والآن اطرح لديكم امرا واحدا وهو انى صرفت عمرى فى خدمة الوليد إلى حين الساعة وانا حافظ عليها حتى المحافظة حتى حكمتم على الاعداء باكون قد اعدمت ومتى نفذ حكمكم فى بالطبع افصل عن خدمتى ولا يعود ينتفع منى بشيء قط فاحسب يا سيدى انكم تفتنونى كما حسبت انار قد انتفيت من خدمة الوليد ورجعت

خولدت ثانية ودخلت في خدمتك مجددا وبهذا لا أكون خائنا لسيدى الذى ربيت عنده فأرجوك أن تقبلنى خادما صافا آمينا . قال كيف أصدق منك ذلك وما أنت إلا عيار عتال تستعمل هذه الوسطة لخلاصك من أيدينا ثم تعود إلى خدمة سيدك وقد فعل ذلك قلبك هلال عيار الشاه سرور ولم يكفه أنه نجا من الموت وغشنا ثم رجع إلى جيشه بل نصب لنا شركا بمكره ودهاءه وعزم على أسر ولدى فلم يتيسر له فكان من نتيجة عمله أنه أوقع فرخوزاد وخورشيدشاه في قبضة عدونا الشاه سرور ولم تساعدهما العناية لكانا هلكا . قال ما كل الناس هلال ياسيدى ولا كلهم طارق وأنا ما تكلمت هذا الكلام وفى نيتي القدر والمكر وأنى أفضل الموت عليهما وليس رجال البن كرجال مصر مزينة ومروءة وأنى أقدم لك بالله العظيم خالق السماء والأرض أنى لك كل الوفاء وأكون آمينا على خدمتك حريصا على السعى فى نجاح مصالحك ولا أكون بذلك خائنا لسيدى لأنى كما قدمت أكون قد وجدت بعمر جديد وخدمة جديدة وزوال القديم يمرض زوال عمرى الذى هو الآن بأيديكم فان أحييتنى تكون قد أحييتنى لك وان أمتنى تكون أمتنى لك وعنك فاختر لى أى الحالين وكان يظهر من كلام طارق الصدق والامانة حتى ثبت عند الملك وعند الحضور أجمعهم انه صادق فى كلامه ولذلك قال طيطلوس للملك ضارب انى أرجوك ياسيدى ان تغفو عن طارق فان كلامه صدق لارتياب فيه ولاخراع وانى اضمن لك صدق قوله فقال انى اجبته إلى سؤاله وما كنت لأمنع مستجيما بى وازيده الانعام والاكرام ثم امر ان يؤتى ببذلة مطرزة بالذهب فألبسه إياها وعين له العلوفات وخصه بخدمة صوانه بين عياريه واقام منذ الحير فى خدمة الملك ضارب على الصدق والامانة بكل همة ونشاط :

قال وبعد ذلك دنا طارق من الملك ضارب وقال له أرجوك ياسيدى ان تسمح لى «لرجوع إلى «وليد لاه» يتنظار الخبر عن ابنتك ولا بد إذا استبطأنى يرسل غيرى فيسألهم انه بعيد عنكم فيفتش فى المدينة ولذلك عزمت على أن اذهب اليه واعلمه انه قائم بينكم فيضرب عن السؤال عنه . قال اصبت فافعل ما بدالك وفى الحال سار طارق حتى دخل جيوش مصر ودنا من صيوان الوليد فوجده غاصا فى الرجال والمقدمين وكل يتنظاره وقد استبطئوه واقامرا فى قلق لاجله وإذا به قد دخل قفرح «وليد» وجميع وقالوا له ماوراك من الاخبار ابده . قال لاشئ فان فبروزشاه قائم فى معسكر «فارس» وقد رتبته ليل امس جالسا فى ديوان ابيه وهم يتشاورون فى مسألة هذه الحرب وسمعتهم يقول لايه مر ياسيدى الجيش بالهلة فان

الوقت طويل ولا صبر لنا على حمل ثقل هذه الهدنة فانها توافق الاعداء وتمكنهم من
 لم جمعهم وارجاع قوتهم ونحن غرباء لا نقدر على القيام في هذه البلاد فقال له أبوه ان
 ذلك لا يمكن لان الوليد سأتى أمرا فأجبتة اليه ولا أحت بقولى ولا أرد سؤال ملك
 خطير كالوليد وان النصر لابد ان يكون لنا وهذا دأب المنصف الحكيم . وأقمت بعد
 ذلك بامسدى وفي نيتى أن أتوصل إلى بهزاد فأتى به أسيرا أرقبلا فلم أقدر ذلك لأخذ
 منه بثأر الأمير خطير ولما قرب الصباح لم يبق لى إقامة فخرجت من ظهر جيوشهم
 وأوسعت في الفلاكي لاراني أحد وجئت لأطلعكم على الحقيقة . فقال بيدانديش
 الوزير هكذا كان يحول في فكرى وهذا خبر مسر من جهة الملك ضاراب ولا بد في
 هذه المدة من أن تصل اليانا نجدة قيصر وغيرها من النجدة التي نحن بانتظارها فيزيد
 عدد جيشنا ويأتينا تمرناس وتمرناش فيقتلنا فيروز شاه وغيره من فرسان الفرس
 الأشداء وياتوا في فرح واطمئنان لا طيفور فانه كان في قلق واضطراب كل ذلك النهار
 وفي المساء اجتمع بالشاه سرور وقال له إذا صدق ظلى يكور فيروز شاه لأن في المدينة
 وأنه لم يخرج منها حتى الساعة والذي رآه طارق ليس هذا بفروز شاه لأن رجال
 الفرس أكثرهم بصفة واحدة . قال ماذا يمكننا أن نفعل والوليد لا يرغب وان يفتش
 عليه إجابة لطلب وزيره واني أعلم من تنبيهات ضميري ان هذه الحرب لابد أن تكون
 ودبة العواقب على المصريين فيأخذ فيروز شاه بثق بالرغم عني ولو كنت أظن اني
 سأصل إلى هذه الصعوبات لأجبتة من البداية وزوجتهم وأوقيت في ملكي . قال وأى
 صعوبات هنا وسيختلط بهذه الحرب ملكان الآن من أكبر ملوك العالم وعماء قليل
 تكون عساكر الملك قيصر الأكبر وهذا لابد من انه يبدر رجال الفرس أجمعهم كبيرا
 وصغيرا فكن براحة ومهما جرى يجرى ونحن لابد لنا من أن نسير الى بلادنا إذا
 انتصر المصريون وإذا كسروا سارنا الى بلاد قيصر واقعة هناك فان الفرس لا طقة لهم على لحقا
 زهل لا يتعبهم الزمان وتهلكهم الايام فكن مطمئنا ولا نرجع عن الفرس بعد أن فعلوا
 بنا ما فعلوا ولو وقعنا الآن بأيديهم يقتلونا لا محالة وقدنا كعدونا ان ملك ضاراب
 أقسم بالله العظيم انه لابد من أن يقتلنا إذا وقعنا . يده فكيف يقصد قتلنا وتبيل اليه
 وهو عدو أند لا سيما وهو مزعع عني أخذ بترك كسبية ولم يراع حرمة ناموس الملوك
 ثابت العزم على عداوته راتكل عني فاننا لابد لنا في النهاية على هلاككم والزمن الامر
 أن نسحب إلى أطراف الدنيا فانه مصراته لا يرجع الا بعين الحياة وبحمص وزنا لا نسله
 اياها ولذلك ايتنازله وغلبنا رحتنا فنجده خلقنا وفي النهاية لابد أن يترك مع جبره شيئا لهم
 التعب والاسفار وتفنيهم الاوصاب والمشاق والحروب ومن ثم نودى بلادنا ونرجع

براية النصر والظفر . فسلم الشاه سرور بما كان من كلام وزيره ورأى فيه وجها كبيرا للصواب وطهر له من كلامه الحالة التي يصل اليها عدوه إذا فعلوا بذلك وأخفى عنه جهله العذاب والويل الذي يلحق به إذا داموا على المسير وبعثوا عن بلادهم كل هذا البعد .

ولما اسود الليل وحلك ظلامه نهض طارق الى المدينة فأخذ ما له فيها وجاء بكل احتياجاته وخرج دون معارض لأنهم يعلمون منزلته ويعرفونه وبعد نصف الليل جاء إلى جيش إيران وأقام فيه إلى الصباح وفي الصباح دخل على الملك ضاراب وأخبره بما كان من أمره وأن الوليد اطمئن باله من جهة فيروز شاه . وأقام طارق بين الاعجام عدة أيام حتى بلغ خبره الوليد بأنه خدم عند الملك ضاراب ووعدته على الموائمة وصدق الخدمة فغضب الوليد مزيد الغضب وتكدر من حمله وقال كيف يكون قد خدم عندى كل هذه السنين وغائى طمعا بخدمة ملك مثل الملك ضاراب فلا بد إذا وقع يدي أن أهلكه وأعدمه وإنى أعد عهومي فرسان وأبطال وعياري بلادى أن كل من جاءنى به حيا أو ميتا أغنيته وأعطيت كل ما يطلب منى حتى ولو بئى يعلم كل واحد أنى لأصبر على خيانة خائن مثل هذا أكل علوقاى عدة سنين وجمد جملى وخان نعمتى حبا بعدوى فوقف هلال عيار الشاه سرور وقال له إنى أعدك ياسيدى باتيانه أسير لى يديك تفعل به ما شئت قال إنى أعدك بالثروة العظيمة وبالوفاء عن كل ما تطلبه وإنى من هذه الساعة أقبلك عبارا على عاصمة الجيش عوضا منه وتكون لك علوقاته ومعيناته ولا بد من أنك ترى منى فوق ذلك كل ما يسرك فسر هلال بهذا التعيين وكان أعظم منه سرورا طيفور والشاه سرور وقد ظنا أنهما يسلان أكبر غاية بواسطة دلال وأقام هلال من تلك الساعة فى خطة ضاروق وقد اجتمع طيفور فقال له أريد منك يا هلال أن لا تتهامل فى أمر فيروز شاه وأحب أن تدخل المدينة فى كل يوم وتطوف فى الأسواق وتتخلل الأحياء عند كل فرصة وترسل عيوك إلى المدينة كلما علمت أنك تعرف خبرا عن فيروز شاه فأتى موقن كل البقين أنه ضمن المدينة وإن كان خارجها فلا بد أن يأتيها أملا منه بان يرى عين الحية لأن عياره هم وز شيطان يقدر أن يخترق به أسماك سد ويمر به من أضيق ثقب دون أن يلحق به ضير أو يراه أحد فوعده بالاستقصاء والتفتيش من تلك الساعة وصار منذ ذلك اليوم ينزل فى النهار فيصحب معه جماعة من العيارين والفرسان إلى أسواق المدينة فيطوف فيها كل مكان ويرجع فى السيل إلى حراسة الجيش وخدمة الوليد وقد صرف الجهد إلى الاستقصاء والسؤال من كل جهة وناحية .

فهذا ما كان من أمر الوليد وهلال والشاه سرور وطيغور وأما ما كان من أمر الملك
ضاراب فانه في كل صباح يظن أنه باقى ولده فلا يأتى وقد صرف أكثر من نصف
شهر وهو في ويل وكدر وهم وفي كل يوم يزيد قلقه واضطرابه وارتبائه كره قد نبت لديه
أن ولده إما أن يكون هلك وإما أن يكون بضيقه لا يقدر على الخروج من مكانه ومثله
عياره بهروز وإلا لو كان مطلق الحرية فلا بد من رجوعه في مثل هذه المدة لعله أن
عموم الجيش يضطرب لغيابه وبعده عنه كل هذه الايام أو أرسل عياره فاعلم أباه وطمنه
عن حاله ولذلك جمع الملك ضاراب العيارين وقال لهم الا يقدر أحدكم أن يكتشف
لى على خبر ولدى فاني في ارتياب وقلق ولا أعرف في أى حال هرا في ههنا أو في كدر
أنى راحة أو في عذاب ولم يكن منكم من يستقصى لى خبره ويأتى به فها هذا التقاعد
والإهمال فاني مشغل البال جدا مكدر الخاطر ولا أظن يرتاح بالى ما لم أفق له على
خبر صريح فمن منكم يتعهد لى بالاطلاع على أمره فقال له طارق انى أعدك يا سيدى
وعدا ثابتا ان لا أحد يأنيك بخبره غيرى ومن هذه الساعة أسير لى المدينة وأدخل
على بيوت أصحابي الامناء وأجعلهم يفتشون معى على خبره ولا أعود اليك إلا بما
يربح لك فكرك ويعلمن بالك قال ان فعلت ذلك عددناها لك من أكبر الحسنات
ووفيتك حق تعبك قال سوف ترى ما يسرك . فقال شبرنك لا تخاطر بنفسك باطارق
فانك ان وقعت بيد الوليد انتقم منك قال انى لا ادعه يعرف بى وانى أدخل المدينة
وهو في الجيش قال ان هلالا يدخل في كل يوم المدينة وانه إذ رآك يقض عليك
ولا تظن انك تخفى بنفسك عليه فلو تزيت بأف زى ولبست الف لبس لا بد من
أن يعرفك ولا تخفى عنه حالتك فهو خبيث لا يخفى عليه أمر ولا يقوته عدو ولا يعلم
عليه عيار في هذا الزمان إلا ان كان سهروز بن الغول . فقال ليس هو إلا حمار وليس
كما تزعم وسرف ترى ما يكون من أمرى وتعلم من منا أقدر وأحيل بمحقلى أبادى الملك
ضاراب وخرج إلى صباه فغير ملابسه كليا ولم يبق عليه من ملابس العيادة شيئا وركب
على وجهه خيئة أشبه بلحة رجل يسقى الماء في المدينة يدعى قوشن عيد السقا وكان
هذا الرجل من نحر أكثر من عشرين سنة يطوف في المدينة يسقى الماء فيأتى إلى النيل
بماء قرته ويصرف في الاسواق إلى أن تمسح وكـ هذا عمله دائما تقريبا طارق هبته
وكـ يقدر على تنبيه صوتيه التقيـ وبعد أن فرغ من عمله جاء إلى أطراف النيل
على مكان يسمى لى قريش يزد منه قرته وأقام فيه لى أن رآه وقد جاء ليلـ
القربة فقرب من الهر فدفقه بيديه إلى النهر فرماه حتى اختفى ومات فترى إليه
ونزع عنه ثيابه وأخذ القربة فملأها وسار إلى عبر جهة فلان ملابـ قوشن بعد أن

جفت وحمل القرية وأخذ يديه طاسات الماء وانحدر إلى البلد ينادى بصوته والعالم تأتى مثل عاداتها تشرب منه وتذهب إلى حال سيلها ولا أحدها أو ميره عن قنوش السقاء ودام على هذه الحالة إلى أن توسط الأسواق وكادت تفرغ القرية وإذا به قد صادف هلالا مع جماعته يطوفون الأسواق فارتاع من ذلك وحاف من أنه يعرفه فأسرع في الجرى على أمل أنه يفوته إلا أن هلالا لم تخف عليه حالته بل عرفه حق المعرفة فدنا منه وطلب إليه أن يسقيه شربة ماء فصب له في الطاسة وناولوه وهو يحاول أن يميل بوجهه عنه حتى تأكد هلال غايته التأكد وكاد يطير من الفرح وحدثته نفسه بالنجح والثروة وفي الحال أمر الذين معه أن يقبضوا عليه فقبضوا ومسكوه فجعل يصيح ويقول لهم ماذا تريدون منى وما عايتكم في قاتى رجل فقير سقاء لادخل لى مع أحد وكل أهل المدينة تعرفى فقال له هلال وإنى أنا أعرفك أيضا وهل يخفى على حالك فانت طارق العيار الخائن الناكث فصاح واكثر من البكا. وقال ماهذه التهمة يا جماعة أين أنا وأين طارق تعالوا اسمعوا يا ناس هذا الظالم ذابقول عى فاجتمعوا ويراكوا من حواله أفواجا وقد نظروا قنوش مقيدا والرجال تسحب فدنا من هلال وسالوه فيه وقالوا له لما هذا الظالم فأن هذا الرجل لا يضر بأحد وليس من يتمدى على أحدوله في هذه المهنة أكثر من عشرين سنة حتى أصبحت كل أهل البلد تعرفه فدعه لحاله ولا تظلمه . فقال لهم ليس هذا بالرجل الذى نعنونه فهذا طارق العيار الذى خان سيده الوليد وأقام عند عدوه وقد أمرت من جانبه لقبض عليه أيزوجده . فتعجب الناس منه وقالوا له ما هذا الذى تقوله فكيف يكون هذا طارق وجميع أهل المدينة تعرف أنه قنوش بن عبد السقاء وهذه المهنة ورثها من أبيه وانك غلطان كل الغلط فقال لهم لا يمكن أن أكون غلطانا فهذا هو طارق بعينه ولا يمكن إطلاقه قط ولابد من أخذه إلى حضرة الوليد بفعل به غايته ويجازيه على خيانه

ولا زالت الشحنة واقعة بين هلال ورجال المدينة وكذا جاء قوم يقفون ويتحزبون ويطلقون إطلاق سيل قنوش وهو يمتنع لى أن قال لهم أخبر انى لا أطلقه ولا بد من أخذه إلى الوليد فان كان الرجل الذى تزعمونه أطلقوه والا قضى عليه فانه متحرق على القبض عليه فقالوا لهم بنا إلى الوليد ولا نظن أنه يظلم هذا الرجل الفقير وبحرمه عياله ولا يمكن أن نتخلى عنه وسار هلال وبين يديه طارق محفوظا من رجاله وأهل المدينة يسرون من ورائه جماهير جماهير وكلهم يتقدمون ويتذمرون ويصيحون ما هذا الظلم تاتى رجال الجب فلتحكم فينا وتظلم الالهالى كما كانوا يظلمون في بلادهم ويخربون بيوت الفقراء أما كفى أن بسبهم كادت تخرب بلادنا وتهلك

عساكرنا . ولا زالت هذه الحالة حالتهم حتى اتوا الى الوليد فسمع الصباح وغوغام
القوم فاستفسر عن الامر فحكى له عن ما هو واقع بين رجال المدينة وبين هلال العيار
فأمر الوليد ان يدخل الجميع فدخل هلال ومعه طارق ودخل بعض أعيان المدينة الذين
جاءوا للجهاد عن طارق

ولما وقف هلال بين يدي الوليد قال له يا سيدى بيما كنت أطوف هذا اليوم في
المدينة رأيت هذا الرجل فدنوت منه ولم تخف على حاله لاني بعد ان تأكدت انه طارق
عيارك الذى خان بك القيت القبض عليه فنجع رجال المدينة وقصدوا - لاصه مى
زاعمين انه قنوش بن عبيد السقاء فحاولت اقناعهم فلم يقنوا فالتزمت أن أرفع هذا
الامر اليك لتبعدم عن مرادهم لأن هذا الرجل هو طارق لا محالة وهو لابس هذه
الملابس خوفا من أن يراه أحد فيعلم به ولا بد لدخوله المدينة من سبب . فقال الرجال
كذب هذا اليتيم فما هذا بطارق بل هو قنوش ونحن نعرفه من نحو اكثر من عشرين
سنة وهذه القرية قربته وله زمان طويل يحملها ونحن نراها ومثلها طاسته وماذا يوصل
طارق الى أن يتهم بهيته ويوصل الى أمته مع اننا في الامس وأول امس شاهدناه
وفي كل يوم وكل ساعة تراه رجال المدينة ونساقها واطفالها يستقون منه الماء ويكاملوه
ويعاملونه وما غاية هذا التهمي الا القاء المفاصد في المدينة والشغب بين اهلها واننا لا
تقبل قط بظلم هذا الرجل الفقير الضعيف الذى لا ناصر له الا مرحتكم وغيره اناء وطنه
فخطر الوليد الى طارق فاحفى عليه امره ولم يقدر ان يميز بينه وبين ذلك قصصان يعرف
ذلك من صوته فكلمه فاجابه وقد غير بصوته وقال له يا سيدى من اين يكون لى ان
اكون طارق العيار وانا فقير اتعيش على ابواب الاجاريد واهل الاحسان . فزاد
ارتباك الوليد وكان يسمع اصوات الناس من الخارج واضطرهم وقال لهم فقص حسم
المسألة . فقال لوزيره بيداءيش انى ارى اشكالا عظميا في هذا الامر لانه لاهلال يصبر
كر الاصرار على انه طارق واذي مع عموم الاهل ارجح انه قنوش فليس حل هذا المشكر
الآن فقل للوزير لا ريب في انه قنوش السقاء فذهب هلال كلا ياسيدى فهدو لا طارق
عيار سيدنا الوليد فلا تضعيكون هذه الفرصة ولا تركوه يذهب ف يرجع لى - شك وتدمون
فيما بعد على افلاته من ايديكم وانه متقن عمله كما تمزق فقيده صوته وتغيره تغير شفي
على سيده الذى استخدمه عدة سنين . فصاحت من رده لا كذب فزعمه ثم هدو لا
قنوش بن عبيد السقاء وهل نكذب نحن كل هر "بلد مع معرفة به حق معرفة وشهدنا"
له اكثر من عشرين سنة يوميا وصدق هو ولم يشاهد طارق لا يوم قبية نستريحه
اطلاقه

ورأى الوزير كثرة الصعوبة والالتباس الواقع بين كلا الفريقين فقال ان
عندى من يعرف ان كان هذا طارق أو غيره وهو بدر فتات العيار وكان هذا بدر
فتات من تلامذه طارق قد تعلم منه العيارة فخرج مائرا في صناعته وقد استخدمه
الوزير لنفسه واركن له كل الركون حتى كان يسلبه كل أمواله وأشغاله ولا يمنع عنه
شيئا بغير علمه فكان عيابه وأهيمته وكاتم أسرارهم ووكيل أشغاله وذلك لما يهوده
فيه من الامانة والاستقامة والحب لصالحه إلا أنه كان يميل جدا لطارق ويحبه لأنه
أستاذة وقد صرف عليه كل قوته وأعظم وقته . ولما قال ذلك الوزير أجابه الوليد اليه
وقال له ادع لنا بدر فتات عساه يحل هذا المشكل وفي الحال بعثوا من أتى به فلما
حضر قال له الرايد أريد منك أن تعرف لنا هذا الرجل وأشار إلى طارق هل هو
طارق أم فوس السقاء فأدق به وعرفه حق المعرفة وقال في نفسه ان أظهرت أمره
لابدان ينقم منه الوليد ما كونه قد سببت في هلاكه وجلبت له الشر يدي وكافأته عن
جميله بالقبيح ولا سيما ينفذ قول هذا اليمى وينال انعام الوليد فلا بد من إحباط مساعيهم
وأما طارق فانه رجف قلبه عندما شاهد بدر فتات وخاف من أن يظهر أمره ويضع
سلته فيصدق الجميع فأقام ينتظره إذ يقول وهو يعلم أن موته وحياته بين شفتيه إلى
أن قال إني لا أرى في هذا الرجل صفة من صفات طارق فالفرق عظيم بينهما .
قال هلال لا بل هو طارق قال بدر فتات إذا شاء سيدي الوليد أبقاء هذه
الليلة تحت الحفظ والترسيم إلى أن أذهب إلى معسكر الأعداء وأنظر في صيوان ملكهم
فإذا كان طارق هناك أعود اليكم بعم اليقين عنه وإذا كان غائبا نرجع إلى الفحص عن
عذ السقي ونحضر زوجته وأولاده وبكرن ما يكون . فقال الوليد لقد أصدت في ذلك
فقرأت في هذا الموضع إلى البحث وفي الغد نعود إلى النظر فيه
ثم أمر الرايد أن يوضع طارق في الحفظ عند بعض قواده وصرف الناس إلى
الغد وقد أعجبهم كلام بدر فتات وما أشربه عليهم وأصحوها ينتظرون نهاية هذا
المشكر وكان بعضهم يرغب في أن يعرف صديق هلال دون أن كانت تحركه دواعي
التمادة وبعضهم يرغب في كبح هلال وبعضهم يتشفق عليه من أن يموت ظلما . وفي
المساء س بدر فتات ملابس المدرويش وغير زيه وودع سيده يدياندش وخرج
يعصد معسكر الفرس من جهة الحرس ولا رائ حتى دخل بينهم وكان العيارون قد
رأوه وشبهوا في أمره ولم تحف بتليم حالته فمكوه وسأوه فقال لهم اني رجل
غير أيت قصدت ضرب لاجل لاحسان قبل ليكن ان توصلوني اليه او تدعوني
صل من يسمى فقه ولا ريب في لك عبرة أيت الحبة او مكيدة . ثم س روا به إلى

الملك فأوقوه أمامه وقالوا له انه كان آت من جهة المصريين فألقوا القبض عليه فادعى
 العاقبة مع أنه عيار لاربيب فيه . فسأله الملك عن نفسه وهل إذا كان كما يزعمون . قال
 نعم فانهم لم يخطئوا في ذلك فأتى من عيارى مصر وقد أتيت لقضاء مهمة به الحكم الصالح
 الأكبر . قال وما هي هذه المهمة قال اعلم ياسيدى أن طارق العيار الذى خدم عندكم وترك
 خدمة سيده قد دخل المدينة وهو لا بس كلبس رجل من أهاليها يسقى الماء يقال له قنوش
 ابن عبيد السقاء فأنتقم صنته حتى خفى حاله على كل أهل المدينة ولا أعلم ماذا فعل بقنوش
 لأن الثياب ثيابه والقربة قربته وإذ كان يطوف فى الاسواق نظره هلال قبض عليه
 وعرفه حتى المعرفة فنادى مستجيها فاجتمعت الناس ومالوا إلى خلاصه فأفصى الأمر
 إلى حكم الوليد فجاء اليه الناس مئات والوف وكلهم يتادون هذا ابن عبيد السقاء ونحن
 نعرفه أكثر من عشرين سنة وهلال يقول كلا بل هذا طارق العيار فلم بقدر الوليد أن
 يفصل هذا المشكل لأنه لم بقدر أن يعرفه وقد أخفى عليه أمره فطلب إلى ييدانديش
 والآخر اشتبه فيه بين طارق والسقاء حتى آل الأمر أن يسألوني ولما كنت من تلامذته
 وقد وضعت عنده الوزير منذ الصغر لا تعلم منه فن العيارة والحيل وكنت أعرف كل
 أصواته وحركاته ظهري امرأة وتأكده أنه طارق إلا أنى أثبت قول الناس وقلت إن
 هذا ليس بطارق . فلم يقنع هلال بكلامي بل أصر على أنه نفس طارق تخفت من أن
 يصير التفتيش فى المدينة على قنوش أو يأتى هلال نفسه إلى هنا أو يأتى غيرى فتظهر
 الحقيقة فقلت للوليد على الفور إن كان لا يزال الأمر مشكلا فابقوا هذا لرجل إلى الغد
 تحت الحفظ وإن فى هذه الليلة أسهر إلى معسكر إيران فانظروا بينهم فإن كان طارق هناك
 يكون هذا قنوش وإلا فيكون مشتبها فى أمره فنفعل إذ ذاك ما يمكن فعله فأجابني الجميع
 إلى ذلك وأبقوا طارقا محظوظا ولما كان أول هذه الليلة خرجت وجئت من وجه الجيش
 على أمل أن أعود وأقول للوليد إنى رأيت فى خدمة الملك ضاراب وذلك حجاب أن أكون
 دائما مع أستاذى فى خدمتكم ورغبة فى أن أخلصه من هلال الحثيث الذى صرف الجهد
 فى إظهار أمره وقد دعيتى الضرورة إلى هذا العمل لعلنى أن سعد المصريين قد فرغ
 وأنهم على شفير الحراب والدمار وسوف تنقضى مدة عظمتهم سببا وأن الذى ربانى
 وعلمنى وهذبني له على فروض وواجبات لا يمكننى أن أجدها أو أوصل اليه بدلا من
 إحساناته إساءة . فتعجب الملك من عمل طارق وكيف قدر أن يشكر أمره على سيده
 ووزراء مملكته مع أنه أقام بين أيديهم عدة سنين وقد تعجب أيضا من هذا العمل جميع
 الحضور ولا سيما شبرنك وشياغوس وبقية العيارين وقال طيطلوس انه لاربيب صادق
 خدمة إنما لا تعرف إن كان كلام بسر فئات صدقا أو يقصد خداعا لينجوه من أيدينا .

قال حاشاي ياسيدى من ذلك فاني ما أتيت من صدور الجيش الا وفي نيتي أن أعرض عليك خدمتي وأطلعك على طارق وأزيدك فوق ذلك الأقسام العظيمة أنى لا أنكر عليك خبرا ولا أخون لك خدمة وسوف تبدى لك الايام صدق ما تسمعه الآن فانحن بمن يقسم ويحنث في أقسامه على أنى أرى في نفسي اذا سمحت لى أن أنق بين المصريين في خدمتي عند الوزير فاسترق لكم الاخبار وأنبكم بها سرا فلا يراى أحد وبهذه الوسطة أقدر أن أنعمكم أكثر من أن أكون بينكم فقال الملك ضارب ان كنت صادقا في قولك تصادف منى مزيد الالتفات والاهتمام وانى عن يثق بالايامن ويأتمن بالأقوال فافعل ما أنت فاعل ومن هذه الساعة قد عينت لك العلوقات والمعينات فتقبضها في كل شهر كواحد من عياري ملادى الكبار .

فلما سمع بدر فئات كلام الملك ضارب قبل يديه وشكره واستأذن منه بالرجوع فاذن له بعد أن أوصاه مزيد الوصية بان ياتيه دائما باخبار أعدائه فوعده وأقسم له وسار من حضرته الى جيش سيده وهو يعسكر بجلاص طارق . وأقام الى الصباح وفي الصباح نهض وسار الى ديوان الوليد فوجده محتبكا كالسبعة فدخله وقد اخترق جمهير الناس الذين أصبحوا الى الصبوان ينظرون ما يكون من أمر قوش بن عبيد السقاء . ولما صار في نصف الديوان وجد هلالا أيضا بالانتظار وقد أحضروا طارق وهو مقيد وعند ما نظره الوليد قال له بما أتيت يا بدر فئات فهل جئت تعلم يرتاح اليه الفكر قال نعم ياسيدى فاني عندما صرت بالقرب من صبوان الملك ضارب وقفت أنظر الى داخله فوجدت طارق الحبيث المحتل قائما في خدمته بين العيارين وهو لا بس بصفة عيار من عياريه فصرفت نحو من ساعتين وأنا محقق به وأحرق الى هلاكه غير أنه لم يسمنى ذلك ولا يرب أن من كان مثله ناع سيده بباب الترميع وقبضت الذهب بحب أن يحارى بالاعده مرة لغيره من لدن مثله وقد تأكد عدى الآن أن هذا هو قوش بن عبيد السقاء . وقد صدق هؤلاء الناس وربما كان هذا قريب من طارق بالصفة والهيئة انه لا طن أنه قريب منه بالصوت وكلنا نعرف صوت ذلك فاذا كنا نحن وكل رجال المدينة يعرفون هذا ويعرفون طارق منذ زمن ليس بقليل ووكدود أن هذا هو قوش فكيف يمكن لبال الذي لم ير طارقا الا اياما قليلة أن يغاط الجميع ليصبح زعمه وهو من العدل أن نعلم فقيرا مسكيا بجريمة رجل خائن وقد رأيته عيانا وتأكدته انه في صبوان الملك ضارب . قال هلال كلا ياسيدى فهذا طارق ولا يمكن ان يكون خطئا واذا شئت شخصنا امره من غير وجه . الحق بيدانديش وقال لا يمكن ان يكون هذا طارق فدع عنك هذا الخديان والشقشقة فان الناس في

اضطراب وقلق فهل يمكن ان يغاط الوف من الناس لتصدق انت فهذا لا يمكن ابداء
 فاحترق قلب هلال من كلام الوزير وعلم ان صيدته ستفقد منه واه لا يصدق في مثل
 هذه الظروف فارتبك في امره واراد ان يحاول ويرجع الى قوله بان هذا طارق فنهه
 الوليد ايضا وقال له لقد ثبت عندى انك عطىء كل الخطا وقد اشغلتنا اكثر من يومين
 بسوء فعلك وعدم خبرتك فذع عنك هذا الرجل ولا بد من مراضاته بدلا من الاغاثة
 التي لحقت به لا سيما وقد تيسر له ان يقف بين يدى واماطارق فانه تبدل خوفه بامان
 وسكن خفقان قلبه لانه في البداية كان يخاف من ان يعرفه الوليد او احد من الحضور
 فخفت حالته على الجميع الا انه كان لا يزال خوفه في نومه ان تظهر حالته بالفحص
 والتدقيق لاسيما اذا احضروا عيال قنوش السقاء وسألوه عن امورهم الداخلية فلا ريب
 انه يرتبك ويقع في حيص بيص وزاد خوفه عند ما اهد بالمسألة الى بدر فتات لانه
 كان يعلم ان هذا اخبر به من الجميع ولا يخفى عليه امر فلما نظر اليه عرف من دلائل
 وجهه انه عرفه وتاكده وصار ينتظر ما يقوله عنه الى ان انكرحالته واخبر ادبر طريقة
 خلاصه بوجه حسن اى بأنه قال انه يفتش عليه بين الايرانيين ثم رجع فقال له انه رآه
 فلم انه قصد انتشاله من تلك الصعوبة الواقعة فيها وكبح هلال العيار وارجاعه بالخفية
 ولذلك تأكد عنده اخلاء السيل وما صدق ان سمع كلام الوليد حتى دى نفسه على
 اقدامه يقبلها . فقال له لا تخف بافتوش من سوء وقد صار لك على حق لا كرام والانعام
 ثم امر نيدفع اليه مبلغ من المال مئة ليرة لما وقع عليه . فقال هلال اما كماء انه يخونك
 ويفشك واخيرا يأخذ دراهمك . فتهره الوليد وشمته واهاه وقال له انريد ان تدخل
 بنفسى انى معشوش وتنسب الى البسطة وغموض الدهن الى هذا الحد حتى لم عدا عرف
 عيارى وخادى فما ذلك الا من العجائب . ثم امر السقاء ان يخرج الى المدينة فقبل
 يده وخرج والناس من حوله او اوجا فواجا . وقد قال له هلال عند خروجه اذهب
 يا طارق انما اؤكد انى عرفتك وما خفى على حالك كى لا تقول لك اعبت على منصف او اذ
 لم تسعدنى الظروف في هذه المرة فلا بد ان تسعدنى في غيرهم فسوف نجتمع . وصار يقول
 في قلبه على ان اتخلص الآن ومرة ثانية ان عدت رأيتى فافعل ما انت دى . ولما بعد صارق
 عن الحيام اقبل الناس يستوثونه فسكرهم وقال لهم يا سيدى ليس لي غير ته واتم فلولاكم
 لكان اهلكنى هذا الابن لؤواء واخرام المؤمنين لحكمه وفي زعمه ان يعمل تيارا ويسمى
 طارقا ومراده ان يرفعى بوقت واحد من درجة السقية الى خدمة الموتى ويقلد من نصب
 الديارة فضحكوا منه وجعلوا يتفرقون عنه .

مهم أظهر على نفسه أنه يقصد النيل ليليل قربته وسار حتى بعد عنهم ولم يعد بأحدًا منهم فجعل يقول في نفسه لا يجب الآن أن أرجع عن المدينة ما لم أعرف شيئًا عن فيروز شاه لاسيما قد بان لي وجه النجاح وهذه الحالة أحقتني عن أعين من هم أعرف الناس بي . وبعد التفكير حطّره أن يقصد أبو الخير الجزار وكان صديقه من زمان قديم وقال في نفسه إن هذا الرجل من إيران في الأصل ولا ريب أنه يخفى أمرى لأنه صديق لي ويبنى وبينه مودة مكينة لا يمكن فصلها وهو من الاستقامة وعمل الخير على جانب عظيم حتى دعته الناس بأبي الخير ولما ثبت عنده هذا الظن ارتاح ضميره فطاف يسقي في المدينة من سوق إلى سوق وكان قرب المساء فدخل إلى بيت أبي الخير دون أن يراه أحد ولما دخل الباب أقبله من خلفه فأشكل أمره في الأول على أبي الخير وقد ظن أنه ابن صيد السقاء فقال له ماذا تريد أهل لك من حاجة قال كلا وكان هذا لا يعلم ماذا جرى عليه لأنه كان مشغول بخدمة فيروز شاه وبهروز لا يفارقهما وهو مهم في أمر مداواتهما . فلما عرف طارق أنه لم يعرفه أراد أن يطلعه على أمره . فقال له إنك غلطان يا أبا الخير فهل حتى الساعة لم تعرفني وقد تكلم بصوته المعتاد فعرّفه وقال ماهذه الحالة يا طارق . قال ادخل بي الغرفة لأطلعك على أمرى وأرجوك كتم سرى . فدخل به ولما استقرا أخذ في أن يشرح له كل ما كان من أمره وقال له في آخر الحديث وإنى ما طرقت المدينة إلا لأتقش على فيروز شاه وإنى واقع في حيرة عظيمة لأعرف ابن هو ولا ابن أجد . فلما سمع أبي الخير كلامه خفق قلبه وظن أنه استعمل الحيلة للاكتشاف على فيروز شاه عنده وأنه ربما بلغه خير ذلك وظهر اضطرابه فلم تخف حالته على طارق وقال له لأرب في إنك تتكدر إذا عرفت أني أبحث عن فيروز شاه وإني لم أجد . لأنه ابن ملككم ويحق لكم ذلك لأنى مصرى الأصل وأخلصت لحم الود وعاهدتهم على صدق الخدمة وخاطرت بنفسى . قال يمكنك أن تذهب إلى أبيه وتقول له إنى ما رجذته ولا ريب في أنه يعود إلى الجيش إذا كان قادراً على العود . قال إنى وعدته أنى لأعود إلا به وأريد منك أن تخفى أمرى اليوم وفى الغد فقط وتقبلنى عندك هذين اليومين بينما أكون قد كشفت أمره ولا بد أن أخبره بمجملتك ومعروفك وأعترف جيداً أنه سار إلى جهة القصر الذى فيه عين الحية فربما يكون قد تسرله الدخول إليه واختفى عندها وإنى سأقصد في ليل الغد ذلك القصر وأظن على أن الله يوصلنى إليه ولا أريد منك سرى كتم أمرى وأن لا تصنع أحدًا على وجودى .

وبك يتكلم ويظهر من كلامه الصدق وأجد حتى تأكيد أبو الخير أن ما يقوله هو صحيح وإن لاعلم له بأن فيروز شاه عنده ولذلك عزم أن يخبر فيروز شاه به . قال

له اصبر لي هنا قليلا فان مرادى أدخل لقضاء حاجة بين حريمي وأعود اليك قال لا تبطل على فاني أريد منك اما تعدي بالمعاودة والاختفاء واما تتركني دون أن تظهر أمرى ثم ان أبا الخير دخل إلى فيروز شاه وحكى له كل ما سمعه من طارق العيار وانه بانتظاره في الخارج وسأله إذا كان يرى من الموافق اطلاعه على أمرهما قال بهروز دعه يدخل إلى هنا فاذا رأيته منه عين الغدر قتلناه وإلا يكون صادقا في قوله وأنا في حاجة اليه وفي تلك الساعة طرق الباب ففتحوه وإذا بالطبيب فتوح قد دخل فاعادوا عليه القصة وما كان من أمر طارق العيار واستشاروه في أخباره فقال لهم لا ريب في أنه صادق القول وما حكاه الآن سمعته في المدينة من الناس وكلهم يلهجون بقصته ويتعجبون من خيائته لسيدته وأقامته عند عدوه وعليه فأمر فيروز شاه أبا الخير أن يدخل عليه طارقا فعاد اليه فوجده بانتظاره على مة لي الجمر وحالما رآه قال له كيف لاحت لك يا أبا الخير فاحفظ عهد المودة والصداقة ولا تضع رجلى فيك لاني ما قصدتك إلا وفي بيتي أنك تساعدني على ما ربي وغاياتي وتخفي أمرى ولولا علمي بخلو صاك لما أتيت اليك قال اني لا أضيق لك رجاء ولا أخرج صداقة كانت بيننا منذ قديم الزمان ولهذا قد جئت لأطلعك على خبر فيروز شاه وأعلمك أنه قائم عندي وفي بيتي وان الصدف أوصلتك اليه كما أوصلت إلى لا خدمه مدة مرضه فهو في الداخل بين حريمي ومجروح عده جراح وقد داويتها حتى شفيت أو كادت تشفى فقم الآن وادخل عليه وقد سألته أن يأذن لك فاذن ولولم أعلم انت على صدق من كلما ذكرت لما أخبرتك حرصا على حياته لانه مختلف منذ ليلة القتال في بيتي لا يعلم به أحد غيري وغير متوحط طبيب . قال كيف لا أكون صادقا وبدرهنت نفسي لخدمة الملك ضاراب وأقسمت له أبر الانشاء في لا أخونه قط واني أصرف ما بقي من عمري في قضاء مصالحه وفرح طارق غاية الفرح وهو يصدق انه يرى فيروز شاه وامل نجاح مسعاه ونهض مع ابي الخير ودخلا عليه . ولما صار طارق يبر يديه قبلهما وقال الحمد لله يا سيدي على السلامة فاني ما جئت إلا للبحث عك من نحو ثلاثة ايام الا انه اخبرني هلال العيار وقد جرى لي معهما كذا وكذا . ثم حكى له كل ما كان من أمره وكيف ان بهز دمسكه فاضطر الى مصافاة ابيه وانه اقام في خدمته عدة ايام إلى ان وعد اياه بانه يكشف له الخبر وجاء المدينة فصادف هلالا فتأكد كلامه فيروز شاه وكان بهروز قد هيا خبجيره اللابقع به إذا تبين له من كلامه وجه الغدر فلما رأى منه الصدق عاد عن عزمه وقال اطارق اتي هنا إلى حين نقدر على الذهاب فنعود إلى المعسكر معا اما في الغد او ما بعده . فقال فيروز شاه لا ريب اننا في الغد نقدر على الذهاب انما اريد قبل كل شيء ان أسعى في خلاص مصفر شاد

لأن نوبت هذه النية ولم يعد في خاطري الرجوع عنها واني لا أعود إلى أبي درن أن
أكون قد خلصته فتصحبه معنا وقد فعل الله ما يشاء . فقال بهروز أن هذا شغل
العيارين ياسيدي فانهذه بك أولا إلى أهلك لأن لك أكثر من ثلاثين يوما وأنت
غائب عنه وهو في اضطراب من أهلك قال لا بد لي من ذلك فقال طارق لا بأس
ياسيدي فأتنا في الغد نسعى في خلاصه وقد خطر لي في هذا المعنى خاطر يلوح لي فيه
وجه النجاح ولأرب أننا في الغد أو بعد الغد نذهب سوياً أما وبهروز وأبو الخير قبل
يزوغ الشمس فصل إلى القلعة بعد ذلك أي في أول النهار ومن بعد خلاص مصفر شاه
نأتى إلى هنا ونذهب من هنا إلى الجيش فاستحسن الجميع رأيه وباتوا ينتظرون اليوم
الآتى لفضاء مصلحتهم والمسير إلى سجن العفاريات غير أنه في اليوم الثاني وجد فيروز شاه
نفسه لا يزال مؤلماً من جراحه فأشار عليه فتوح الطبيب أن يبقى إلى ثلاثة أيام آخر
بينما يكون قد تمكن من العافية غاية التمكين فلا يعود عليه خرف .

هذا وليس من العدل أن ننسى هنا عين الحياة وطوران تحت وماهما عليه من
المصائب والاكدار وان عين الحياة بعد ان ذهب عنها فيروز شاه وقعت بالأس
والقنوط واشتعلت بفؤادها نيران الهموم واصبحت تعلق الرجا . بعددته إذا تيسر له
النجاح حالاً بخلاص مصفر شاه ولا زالت طول تلك الليلة وهي بهم وكدر لا بأخذها
قوم ولا يقر لها قرار تنتظر ما يجلو عنها هذه الحالة وأشرق الصباح وهي جالسة على
ما كانت عليه في الليل وعند بزوغ الشمس قطعت الرجا من عودته وزاد اضطرابها
ولم يعد في وسعها الصبر لتعلم ماذا جرى عليه وفي الحال دعت طوران تحت اليها وكانت
هذه استيقظت من رقادها وهي تحمد عين الحياة على قربها من فيروز شاه كل تلك الليلة
دون أن يحصل لها مكدر أو يحول دون هوائها حائل وهي لا تزال تظن أنه باق عندها
على حالته في ليالته الماضية ما بين الزجاجة والظلمة ولما دعته عين الحياة مع خادماتها شريفة
سأت بانتظار الذهاب إليهما وهي تود أن تصريف وقتاً بحضور فيروز شاه لتعلم منه
مقدار حبه لعين الحياة وفي خيال سارت إليها فرجتها جالسة لوحدها وهي على غير
الاستواء لشعبت بذهاب حبيبها فقلت لها لاى أمر دعيتي وأين فيروزك فتهدت من
فؤاد محترق نار الاكدار وما أفعل زمان وقلت لها لم يعد من وسيلة لاختفاء الأمر عنك
بمن الواجب أن تتسبني بأحزاني وأكداري وأن تتعدي على احتمال المكروه واني
أطالعك الآن على أمر مصفر شاه قد قبض عليه بعد خروجه من عندك ووضع أبووك في سجن
العفاريات

ولما استقر فيروز شاه عندى وعرف بخبره نهض مع عياده وسار لخلاصه من ذلك

السجن وحتى الساعة لم أعد أعرف عنه أمرا فاما ان يكون خالص مصفر شاه وسارا معا إلى جيوشهما وإما قبض عليه ووضع معه وعلى كل حال أريد منك أن تبغى بقرماتك هند تكشف لنا الخبر علما نسمع من أحدثينا نقف به على الحقيقة وذلك في أسواق المدينة لانه لا بد من أن يشيع الخبر في البلد ان كان قد تخلص مصفر شاه أو كان وقع على الآخر أمرا مضرا .

ولما سمعت طوران تحت بسجن مصفر شاه كاد يغمى عليها وبكت وناحت فقالت لها عين الحياة لا تقطعي فاهو إلا باق بقيد الحياة وربما يكون قد فاز بالخلاص وعاد إلى قومه فاصبري على هواك تكوني لجوجة عديمة الصبر فلا يحلو الوصل إلا بعد القطع ولا تطيب الراحة إلا بعد العناء ودعينا نسأل عما كان من أمرهما ثم انها أمرت هندان تسير إلى الأسواق تكتشف الاخبار وتفحص عن خبر جديد فيما أجابت وخرجت من النصار وسارت في الطرقات وإذا بها تسمع الناس تتكلم عما كان بالأمن من القتال وكيف أن فيروز شاه قتل في القوم مقتلة عظيمة ثم اختفى ولم يعد يظهر له أمن فأخذت تستعلم حتى وقفت على الحقيقة وتأكدت أنه لم يظهر أمره بل نجا ولا أحد يعلم كيف ذهب فعادت حالا إلى عين الحياة وأخبرتها بما سمعته في الأسواق وأنها نظرت جثث المقتولين وقد ألأت المدينة ترفع لندفن . فسرت عين الحياة بعمله وخلاصه من أعدائه وشكرت الله الذي لم يرمه بأيديهم وتأكد لديها أنه نجا وسارع عياله إلى معسكره وقالت في نفسها لا بد من أن أعلم عنه شيئا في هذين اليومين وانت تنظر فرحا قريبا وكذلك طوران تخفت قائما كانت سم ونكد وعذاب إلا أنها كانت تأمل أنه بعد قليل من الأيام ترفع عنها كل هذه الشدائد ويتخلص حبيبا من سجنه .

ولما تمكن فيروز شاه من القيام والعودة غاية التمكين وعادت إليه قوته وشفت جراحه دعا طارقا وقال له أريد منك أن تنجز بوعدي وتأتي لنا بمصفر شاه لكي نعود في هذا المار إلى قومنا فأنهم لا ريب في كسر زائد من قبلنا . قال لا بد من ذلك في هذا اليوم ثم أمر طارق أبا الخير أن يأتيه بملابس رجال ههنا الشاه ففعل وجاء بثلاث ألبسة فلبس هو واحدة ولبس طارق واحدة ولبس بهروز الثالثة وأخذ كل واحد منهم وعاءا كبيرا من النحاس وضعوا كل الطيبة والخبز والخبز ورفعوا الوعاء على رأسه وساروا جميعا وأقام فيروز شاه بانتظارهم إلى حين عودتهم ولا سائر حتى وصلوا إلى سجن المقاربت وفي مقدمتهم طارق فطرق الباب ودعا السجنان فحضر أمامه وقال ماذا تريدون قالوا نحن تجار من الشام ولنا عدة أشرف في هذه البلاد وبسبب الحرب لم يمكننا مباعها ومن عادتنا في بلادنا أن نأتي دائما للسجناء

بالأكل زكاة عن أموالنا وأنفسنا ولهذا جئنا الآن بالذي معنا لنقدمه إلى الذين في هذا السجن . قال هذا لا يمكن قط هو ممنوع من سيدي الوليد لأن المسجونين هنا هم محرومون من لذات هذه الدنيا فلا يسمح لهم بخلاف الأكل المعين من قبل الوليد قالوا ان هذا عين الظلم فاذا كان الوليد ظالماً كن أنت واحداً وإذا ساعدت من هم في المصائب بيعت الله لك من يساعدك إذا وقعت في مصيبة وانا لا نطلب إلا أمراً لا يكرهه الوليد فافتح الباب وابعت بهذا الأكل إلى المساكين الذين داخله قال إذا عرف الوليد بذلك يقتلني فاذهبوا إلى غير هذا السجن وهناك يمكنكم مواجهة الذين فيه وان تطعموهم هذه المال كل وليس من مانع فيها . قالوا انا نعرف ان تلك السجون سهلة وانا إذا أردنا عمل خير نعمله مع من يستحقه فأولئك لهم في يوم ما يأكلون أشهى من ما كلنا وما أتينا إلى هنا إلا لعلنا أن الحسنة متوجة على من فيه فباقة عليك لا نحرمنها منها وإذا شئت على ذلك أجرة دفعتنا لك ثم أخذ كل واحد منهم قبضة من الدراهم فدفعها إليه وقال هذا قليل في حقك ونحن لا نقيم أثر من ربع ساعة فافتر بالمال وقال اني أفتح لكم السجن فادعوا المحاييس حالا ليأكلوا واني أقف في الخارج أراقب على باب أحد فيراننا ومتى أشرت لكم ان تبعدوا فابعدوا قالوا اتنا لاندع أحد يرانا وانا بكل السرعة نبتعد وما صدقوا ان سمعوا هذا الكلام وهم من الفرح في جانب عظيم . فتفتح لهم الباب ووقف إيراقي بمصلحته وأمرهم بالسرعة وحالاً أنزلوا الأوعية عنهم ووضعوها داخل الباب وقال طارق ليهروز صح بالمحاييس ان يخرجوا فيسمع صوتك مصفر شاه فيأتي حالا فاجابه وصاح فلم أيها المحاييس اخرجوا وكلوا فاتوا وصار يطعم كلامهم نصيبه ويعود حالا وسمع مصفر شاه صوت بهروز فشعر بالحيلة وعلم أنه جاء لخلاصه وفرح غاية الفرح وخرج إلى الباب وشاهده فتأكده ولما قرب منه دفعه إلى الخارج وأغلق الباب وللوقت انحدر طارق على السجن فصر به بالخبر وأرداه قليلاً ونزع منه مفاتيح السجن فأخذله من الخارج ورمى بالمفاتيح وكان بهروز قد أخذ مبرده وباسرع من لمح البصر قطع قيد مصفر شاه وأطلق له السبيل وعولوا على الرجوع فقال طارق ليس من الصواب أن نسير كلنا بطريق واحد فمريا بهروز مع أبي الخير في الطريق التي آتينا منها واني أسير مع مصفر شاه في طريق أخرى خفية ونلتقي في بيت أبي الخير ثم افترقوا وسار كل اثنين من طريق حتى التفتوا في بيت أبي الخير ودخلوا على فيروز شاه فوجدوه بانتظارهم فلم على مصفر شاه وهذه السلامة وقال له ان طارق الذي كان سبب سجنك هو الذي خلصك قالوا اين طارق الآن فاجابه هو امامك وأشار إليه وكان لم يعرفه قبل ان يزم على قتله وقال لا يبلى من أن أتقم من الآن وأخذ يثاري شدة ما أوصل إلى من العذاب فتبعه

فيمرّز شاه وقال له انه الآن صار من عيارينا وأكبر برهان على صدقه سعيه في خلاصك وقد عاهد أبي على الوفاء . ثم أمر طارقاً أن يحكي له كل ما كان من أمره فحكى له وأقاموا على ذلك إلى المساء وعند نصف الليل خرج بهم طارق وانسحب من بين الأسواق وسار بهم إلى الخارج من طريق يعرفها قبلاً فلم يرم أحد ولا زالوا حتى أقبلوا على جيوش الايرانيين فدخلوها وقد اعترضهم الحرس فعرفوه بأنفسهم وتخللوا الخيام إلى أن وقفوا عند صيوان الملك ضاراب وكان ذلك الوقت نائماً وقد تفرقت الفرسان من صرف السهرة فدخل عليه ولده وأيقظه من نومه فاستيقظ حالاً عند سماعه صوته ونظر اليه ملتفتاً وقبله بين عينيه وفي صفحات وجهه علامات الانشراح وقبله مملوء من الفرح وهو لا يصدق بنجاته وعودته اليه لانه كان قد وقع في اليأس وزاد عليه الأمر لاسيما بعد أن طال غياب طارق ولم يأت به عنه خبر وفي كل يوم تنويع قلبه المصائب والاحزان وهو لا يرى وسيلة للوقوف على خبره ودام على مثل ذلك إلى أن انقضت الهدنة ورجع إلى الحرب وفي تلك الاثناء وصلت جيوش قيصر مع غفير بلاده تمر تاس الذي كان الوليد بانتظاره فعظمت عليه الاحوال وتراكت المصائب وحارب نحواً من ثلاثة أيام كما سيأتي بيانه في ليل اليوم الثالث جاء ابنه فكانت مسرته أعظم مسرة وأيقن بزوال الهموم واقبال السعادة

ثم ان الملك ضاراب اجلس ابنه وسأله عن حاله فاخبره بما جرى عليه ودعا مصفر شاه ان يدخل فدخل وقبل أباه الملك فقبله أيضاً لانه كان يحبه وفرح من عمل طارق غاية الفرح وانعم عليه مزيد الانعام وشكره على عمله وقال له بالحقيقة نكأ أمين على قولك واف بعهدك فسوف ترى مني فوق ما وهبتك لأن مزيد العطاء عند العودة إلى الدبار وبعت الملك في الحال فجدد ليله من أوله ودعا فرسانه وسائر الاعيان والوزراء يبشرهم بقدوم ولده ومصفر شاه قاتوا جميعاً وما فيهم إلا من فرح وسر غاية السرور وأمل الخير والنجاح ولا سيما بهزاد فانه فرح كل الفرع بخلاص سيده فسلم عليه سلاماً رافياً وقال لطارق ما ضاعت فيك الصنيعة فانت صادق في قولك وانت خير وصول فيروز شاه في كل العساكر فبهروا من مراقبهم وفرحون مسرورون يعدون أنفسهم بالنصر والظفر على أعدائهم لانه ما دام بينهم توفيقون ويقهرون العدو وإذا غاب عنهم يأخروا ويتوقفون فيقيمهم فكان سعدهم قائم به ذلك اليوم من أريج الاعياد وصارت ترداداً كبراً وصفاراً كل بدوره فقبلون يديه ويسلمون عليه وعلى مصفر شاه فترحب بهم ويثني عليهم وأقام كل على تلك الحالة وهو مسرور الفؤاد يرجوعه إلى أبيه وخلاصه من جراحه وقد أعد على أبيه حديث

وكان متكبرا بعض الكدر من عمل الوليد واثان تمرناس بهلوان قبصر الذي استنصره الوليد وقد تبين له من خلال المستقبل أن الحرب تطول معهم إلى أن يلحق شراها أقاصى الأرض وكما لحقت بمصر لحقت ببلاد الرومان وربما تصلت أيضا إلى ما وراء تلك البلاد ولهذا كان قلبه يشعر بصعوبات وشدائد تكاد ترميه باليأس لولا شدة أمله لأغريب ورجائه بمساعدة العناية وإكالة على قوته وشدة بأسه وعاد ينتظر وقوع الحرب ليعود إلى ما اعتاد عليه من البطش والفتك بالأعداء والانتقام منهم

قال فهنا ما كان من فيروز شاه وأما ما كان من أمر الحارس غفر سجن العفاريات فإنه بقي ملقى على الأرض مائتا نحرًا من خمس ساعات دون أن يراه أحد أو يمر عليه أحد ولما تصف النهار جاء ولده يفتقده وينظر ما بقي عنده من الطعام الذي كان يجمعه من فضلات المسجونين فلما قرب من السجن وجده قتيلًا فصاح بناح ويكئ عليه وعاد في الحال إلى والدته فعناه لها فمروا بتوبح وتصيح وقد تبعها الناس وعرفوا بقتل زوجها وبلغ الخبر ضابطه البلد فأسرعوا يكتشفون الخبر ولما قربوا منه وشاهدوه قتيلًا تحقروا الخبر ونظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا وقد ارتبكوا في أمرهم وتاقروا إلى معرفة القاتل فلم يقدروا والجزوا الباب فلم يمكن فتحه وقد فتشوا المقتول فلم يروا في جيبه سوى الدنانير الذي أخذها من طارق وسروا لحملوها وعادوا مسرعين إلى الوليد وكان الوقت إذ ذاك عند الغروب وعرضوا عليه ما رأوه وقالوا له أخيرا لا ريب أن الأعداء قد احتالوا على السجن فقتلوه والبرهان أن هذا الذهب الذي في جيبه هـ منهم وقد قبضه لقضاء حيلتهم وبعد ذلك قتلوه وإنما لا نعلم هل توصلوا إلى نوال مرادهم أو حطت مساعيهم فغضب الوليد غابة الغضب وقلت الدنيا في عينه ظلاما وأيقن أن مصفر شاه قد فاز بالخلاص فقال لهم وهل لم يمكنكم أن تدخلوا إلى الداخل قالوا كلا يا سيدي وقد عالجت الباب كثيرا فلم نقدر على فتحه ولا يمكننا فعله لأنه متين جدا ولهذا لا يتيسر لنا أن نفعل شيئا عن الداخل فقال لهم سبروا بالحسادين وأصحاب الحرف ونقووا الباب أو اكسروه وانظروا إن كان مصفر شاه قد فاز بالخلاص أو لا يزال أسيرا وما بقي بالحيرة إنما في نصف مدقتنا لا نقدر أن نحافظ على أسير واحد من الأعداء فمنعهم عن الوصول إليه فأسرع الشرطة لانتفاذ أمر الوليد وأخذوا جمعة كثيرة من الحسادين وصرفوا الليل بطوله إلى أن فتحوا الباب لافتحة وعند الصباح دخلوا إلى الداخل فشاهدوا فضلات الطعام والأوعية فاستفسروا من السجناء فحكوا لهم أن ثلاثة رجال جاءوهم بالطعام وفي الحال خرج إليهم مصفر شاه وأقبلت الباب ولم يروه فاجتمعوا فمضوا سراحيلة وعادوا إلى الوليد فعرضوا عليه كل ما

همومه فبما غيظه وقال لقد لقي هذا الخائن جزاءه فارموه إلى الكلاب وتحقق قوة
الايانيين على نوال مرادهم وقال لا بد لي من ارجاع مصفر شاه وغيره من فرسان
الفرس إلى الذل والاسر بعناية تمر تاس الروماني وكان هذا حاضرا فوعده بكل
جميل وقال له لا تأسف على فوات اسير من يدك ولا بد من أن يصبوا بأجمعهم
أسرى وقتل وفي الغد إن شاء الله ترى ما يسرك حيث لم يكن في هذا النهار حرب
وكان قد تقدم معنا أن الوليد كتب إلى الملك قيصر ملك الرومان ورسطن
النصارى وهو ملك عظيم السلطان نافذ الكلمة كثير الاعوان ينقاد إليه كثير من
الممالك الصغيرة البعيدة ولقرية كباد بن مسروق صاحب الشام وسيف الدولة
صاحب ملاطية غيرهما وكان أكثر أصحاب هذه الممالك قد استصرم الوليد فحضر
إليه كراماته إلى أن استصر أخيراً الملك الأكبر ولما وصلت إليه كتابته وعرف ما فعل
الايانيون في بلاده تكدر مزيد الكندر وكانت الصدقة مبنية العرى بينهما فقال لا بد لي
من مساعدته وكبح أعدائه وفي الحال أمر بأر تستعد العساكر للسفر ودعا إليه تمر تاس
بهلوان تحته وكان عنده اثنان من الفرسان الصناديد والابطال الاما جرد يقال لاحدهما
تمر تاش وللآخر تمر تاس كل واحد منهما يلقى جيشاً وحده وقد اشتهرا في بلاد الرومان
حتى لم يكن أحد يقدر على الوقوف أمامهما وكان تمر تاس هذا طويل القامة ذا ركب
الجوار تلحق رجلاه الأرض وإذا ضم رجله على وسطه يقطعه ويلقيه إلى الأرض
فلا يطيق الحرك وكان وزن عنده نحو قطار وأكثر ولما وقف بين يدي قيصر قال له
أريد منك أن تذهب من هاهنا إلى مصر يما تقي ألف فارس من فرسان الرومان لمحاربة
الايانيين فيها فإن الوليد بعث يطلبك للمحاربة عنه وتقهر عدوا له اسمه فيروز شاه
يقولون انه من فرس فرسان هذا الزمان فقال له سمعاً وطاعة وسوف يملكك على
ما أفعل لك بفرسان الفرس وهذا الذي تقول عنه فيروز شاه ومالك برأسه معي
تفتخر به فمن يكون هذا ومن تكون فرسان الفرس لتقف أمام خدمك تمر تاس
فمسحه قيصر على قلبه وأخذ قلماً فكتب إلى الوليد كتابه يقول فيه

بسم الاب والابن والروح القدس "لاله الواحد أمين
من قيصر الروماني ملك الرومان وسلطان بلادهم وأوروبا وأفريقيا إلى
الوليد ملك مصر صدق الأمين وصديقي أوفى

كنت أترقب على جوانح الاستعجال وصول خبر الحرب الواقعة بينك وبين
ملك الفرس طلباً للاطمئنان عكم وكان لا يخفى قط في فكري ولا يبرح في أن من
هو مثل الملك ضارب يقدر أن يغلب عيكم وعلى بلاده حتى تنزل ولودكم تستشير

جنودى إلى مساعدتكم فالتى ذلك وكاد يقضى على لهذا الخبر ودهشت من عظم
وصفكم لفرسانه وتمنيتم أن أكون حاضرا هذه الحرب لأفرج عنكم وأزيع الضيم الواصل
إليكم ولما كنت عارف حق المعرفة أن تمرناس من أعظم فرسان هذا الزمان وأشدّهم
بساله وهو وحده قادر على كبح عموم أبطال القوس لذلك لم أر من اللازم أن أبعث
بأخيه تمرناس إذ لا يحتاج الأمر إلى الاثنين وقد عقدت له على مائتى ألف فارس

اتتهى الجزء الرابع عشر وسيليه الجزء الخامس عشر

الجزء الخامس عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

هغوار و صار من المؤكد من الآن وصاعدا فوزك على يد هذا الجبار العظيم فاشكركه سلفا على ما سينعم به عليك من النصر والظفر الذين أنت بانتظارهما وابدئ لك اخيرا انى سررت جدا باستنصارك بى وذلك يبرهن لى على ثقتكم وحكم وها ان بلادى باجمعها بين يديكم وابوابها مفتوحة لدخولكم اى وقت شتم كما ان جيوشى رهينة لالماعكم والسلام ختام

وبعد ان طوى الكتاب ختمه بختمه ودفعه الى تمرناس وفى الحال ركب هذا ورفع فوق رأسه راية رومانية وضربت بين يديه الموسيقىات وخرج من المدينة بعد ان ودع الملك قيصر وهو بعده بالخير والظفر ونزل البحر الى الامكنديرية ومنها سار والجيوش بين يديه معتزبا الى أن وصل إلى بلاد مصر وكاد يقرب من العاصمة فأرسل رسولا إلى الوليد يعله بقدمه فسر سرورا لاميذ عليه وقال قد جاء النصر وقرب الفرج فهذا الوقت الذى أنا بانتظاره وأمر أن يذهب وزيره بيدانديش إلى ملاقائه ويترحب به غاية الترحيب والاكرام وكذلك الشاه سرور أمر وزيره طيفور أن يرافق بيدانديش للملاقة تمرناس باليابة عنه فخرج الاثنان وسارا عدة ايام ومعهما الموسيقىات تعزف بأصوات الهناء والجيوش رافعة أعلام المسرة ولما قرب القومان من بعضهما ترجلا وسلا على بعضهما البعض والتقى تمرناس بالوزير فصافحه أحب مصافحة ولاقاه أحب ملاقاته وبلغه أشواق الوليد لوصوله وانه بالانتظار وكذلك طيفور قدم بلاغ سيده ورجع الجميع لنحو جيوش مصر وطيفور ينظر إلى تمرناس ويتمجب من عظم خلقته وهول منظره وطول قامته ولازالوا حتى وصلوا إلى المعسكر وهناك التقوا بالوليد والشاه سرور وبقية الاعيان والفرسان فسلموا على بعضهم البعض ودخلوا صيران الوليد وقد أمر أن تضرب العساكر الرومانية سرادقها بالقرب من معسكره وان تقدم لها العلوفات كغيرها من الجيوش المنتحمة فوزاد فى اكرام تمرناس وترحب به جدا وقدم له الشراب وسأله عن سببه فبلغه سلامه ودفع اليه كتبه فتناولته منه ودفعه لوزيره فقراءه عنا وقد سر به وبمودة قيصر الملك لا كبر وشكره على معروفه واهتمامه بالحب الذى بينهما ودارت "مشار" فى الجيش وعمت منه أصوات الامراح ونادوا بالبشائر والاقبال . وكانت "لهدنة" وشكت أن تنقضى ومضت الايام

المضروبة وكان فرح المصريين عظيماً بقدر حزن الإيرانيين لأن الملك ضاراب كان كما تقدم حزينا جدا على غياب ولده وبعده عنه كل هذه المدة دون أن يعرف عنه خبرا وقد ذهب طارق ولم يرجع اليه وكان جميع جيشه مثله في الحزن والسكدر إلى أن نظروا جيوش مصر في فرح واستبشار وشاهدوا عساكر الرومان وقد أقبلت من بعد واضمت اليهم فلم أنها بنجدة عظيمة وفدت عليهم سروا بها وفرحوا لها كل هذا الفرح وأمر شبرنك أن يكشف له الخبر فسار واختلط بين الرومان وكان لأحد منهم يعرفه وأخذ يسأل منهم عن سبب مجيئهم ومن عليهم من الفرسان فحكوا له عن طلب الوليد من ملكهم النجدة والاستغاثة فأجابه في الحل وبعث له بتمرتاس أخى تمرتاس ووصفوه له أعظم وصف وحكوا له عن عظم خلقة نصبر إلى الليل إلى أن يراه وإذا به قد عاد إلى جيشه فتعجب منه وتأكد أنه من الأبطال الأشداء وبعد أن وقف على حقيقة الخبر عاد إلى سيدة فشرحه له وحكى كل ما سمعه ووصف له تمرتاس وما شاهد فيه من الهبة ودلائل الشجاعة فتذكر الملك ضاراب من هذا الخبر غلبة الكدر وزاد همه وقال اتى وإن كنت أعرف وأسمع أن هذا الفارس هو من الطبقة الأولى بين فرسان هذا الزمان وأنه ستتمتع به فرساننا وأبطالنا إلا أنى أرجح خذلانه وكيدته فاما أن يرجع لسيده هبزو ما واما يقتل ويحرم ملك الروم منه وبسببه تتصل العداوة بيننا وبين قيصر فلا تنهى من حرب المصريين إلا ونبتدىء معه في قتال أعظم . قال طبطلوس ان ما قدره الله علينا سيجرى وان حياتنا لا تكون رديئة المعنى وإن كانت كثيرة الصعوبات إنما ينبغي أن تلاقى المصائب بصبر جميل وقبول حسن فما عين الحياة إلا سليل مرسل من قبل الله لنمر هبتنا على مالك كبيرة كبيرة من ملك هذا العالم ويكون لنا بأعما حديث عظيم بذكر جلا بعد جيل ولما فرغ طبطلوس من كلامه قال الملك ضاراب لاشئ أهم لدى الآن إلا أن أرى على حلة ولدى وابن هو وهل هو في قيد الحياة وأحرمتنى إياه الحوادث وأطلب من الله أن يأينى عنه خبر بطمئن لأجله ففكرى ففى فى قلق واضطراب لأجله ولولا شيا لم كان بقلقى بجىء تمرتاس ولا هذا الجيش الى مساعدة المصريين ولا سيما إذا كان هو بين عساكرى يقاتل ويضاضل لانى مؤكدا أن قوة كل جندى من جنود فارس تعادل قوة عشرة من الأعداء إذ لم أقل أكثر وذلك لمدى أن عموم الجيش يحبه ويرغب أن يبع حياته لأجله وفى خدمته . وفى تلك الساعة نهر هزاد وقال للملك ضاراب أرجوك ياسيدى أن تكرم على بمنة واحدة أريدها منك وأسألك فيها . قال اطلب فنى أعدك بالإنجاب إلى كل ما تطلب . قال أريد أن تسمح لى وحدى بمقالة تمرتاس وتعدنى أنك لا تترك أحدا غيرى يبارزه لانى أريد أن

أعرفه بنفسه قيمة الفرسان . وهذا الطلب كان مختص فيما مضى بأبي وأريد الآن بعد فقدانه أن يكون لي بالارث . قال الملك إني أجبتك لي طلبك ولا ريب أنك أنت الآن مقم على جميع فرساني وأبطالى وفيك الكفاءة لأن تقوم مقام أيك أثناء قيام هذه الحرب . فشكره هزاد على قوله وبات ينتظر انتشاب الحرب ليقع بينهما القتال وهو أنه إذا بارز تمرثاس يهلكه ويميته

وأقام القوم إلى ثمانى الأيام فلم يكن حرب ولا قتال وفى اليوم الثالث من وصول عساكر الروم وهو اليوم الاول بعد انقضاء المدة بكر الوليد إلى صيوانه وجلس فى مكانه واجتمع من حوله الوزراء والاعيان وإذذاك أمر وزيره أن يعث بكتاب إلى الملك ضاراب يعلن له فيه إشهار الحرب وأن المدة قد انقضت ولم يبق من هدنة ويتهدده بقدم ما ورد عليه من التجدات . فأخذ الوزير قرطاسا وكتب ما يأتى

من الوليد حاكم مصر وضواحيها إلى الملك ضاراب الفارسى ابن الملك بهمن بعد ذكر الله والاتكال عليه أقول أنه مضى الشهر المضروب بيننا أجالا للهدنة ورفع القتال وقد أخذ كل من عساكرى وعساكرك الراحة لنفسه ودفن أجسام للمقتولين ولم بق مانع يمنع رجوعنا إلى القتال ولذلك كى لا تنسب إلى الظلم والعدو بعث أنذرك أنه فى نهار اليوم القادم يكون يوم حرب وقال إني إذا شئت أن ترحل عن بلادى وتسبل بيننا أسباب السلم والأمان أترك عنك القتال وأعفو عن ثقله ولا يحطرك فى وهمك أنك عدت من الآن وصاعدا تفوز فى حربنا لأن عساكرنا كثيرة المقدار . والمدد لا يزال يتوارد علينا جيشا بعد جيش وعسكرا بعد عسكر ولا سيما أن الملك الرومانى ملك بلاد ليمسا وسيد الرومان وحاكم البصارى قد بعث إلى بفارس بلاده وحاميهما وهيلوان تخذه وهو الأمير تمرثاس ولا ريب أنه يكون قد بلغك طرفا من شجاعته وأقدامه وإن كن لم يملك فى أصفه لك لأن لعمرك أنك إذا طمعت فيما بعد فى حرب تغلب لا محالة فهو يظلم ترعى أعطى منه هبة ووقر ولا أضرب قامه وأوسع صدرا وأعرض أكتافا فلو فقتشت فى جميع عساكرك مارجه من بقدر أن بلغه فى ساحة النزل وسوف ترى بعينيك ما تسمعه منى الآن بأديك إذا حركت الجهل إلى القتال وإني ناصح بك لولئك فيه رشاشا ر يحقر دمه ويتنعم عن عين الحياة ويرجع عن غيه وقد تعدى أنه إذ رآه فى قتال لابد من أن يعدمه الحياة واعم يقينا أنه قادر على كل ما يقول لأن بك لا يقدر جسمه بضخامة يده ولا رقبته بأصبغة ولا هو من رجاله وه . أنا قد أنذرتك فأحذر نفسك واختر لها طرق السلام .

ثم دفع الكتاب إلى بدرقات فأخذه وسار إلى أن وقف بين يدى ملك ضاراب

خضعه اليه فقرأه إلى آخره وتعجب من كلام الوليد وكان أكثر عجبه من قوله ناصح
 تلك ولولذلك فيروز شاه وترجع عنده أن ولده ليس في قبضة الوليد إنما لم يخرج من
 المدينة وربما هو باقى عند عين الحياة إلا أن هذا الأمل كان ضعيفا عنده لأنه كان
 يحظر في فكره انه غير ممكن أن يقيم كل هذه المدة عندها وهو يعلم الشغال بال أيه
 عليه ولا سيما وإن عين الحياة ليست في قصرها الخاص وليست هي وحدها بل أشبه
 بأسيرة عند طوران تحت ولا يمكن أن يقيم عندها كل هذه المدة إلا بإرادتها وإطلاعها
 وبعد أن قرأ الملك ضاراب التحرير أجابه أنه إن كان يقتخر بآرومان فانهم سيقاؤون
 الهلاك والوبال وأما تمر تاس فإهو ممن يقف في وجه رجال إيران ودفع التحرير
 إلى بدر فقات فأخذه منه وقبل يده بعد أن أخبره بكل ما تلزم معرفته وأكد له أن
 طارقا مطلق الحرية وأنه مخفف في المدينة يفتش على ولده إنما لا يعرف في أى جهة
 هو لأن المدينة كبيرة واسعة ولم تساعد خدمته للوزير أن يعرف شيئا عنه . ولما
 دخل على الوليد أعرض عليه كتاب الملك ضاراب . فعرف أنه مصر على الحرب
 وأنه لا يهاب كثرة الفرسان ولا يخاف من شجاعة الإبطال إذ لا يحسب للدهر
 حسابا وبات القومان على نية القتال ينظران أقبال العصاب

وأما الشاه سرور ووزيره طيفور فانهما اجتماعا إلى بعضهما تلك الليلة وهنا الآخر
 الأول وقال بشرك فهذا الأمر قد سهل وتدير وقرب انقضاء المصائب ولم يعد من
 حيدر فيما قبل يتفرق هذا الجيش ويقتل فيروز شاه ويمكن أن نعود إلى بلادنا .
 فتهد الشاه سرور من عظم الأمل وقال له لا تزال تعلق نفسك بالتحال وتعددها
 بالآمال الباطلة أنظر أن تمر تاس يقدر على قهر فيروز شاه والابقاع به وهل يحظر
 ببالك أن الدهر بما يدهم ويصفو لنا ونحن نرى من عناده في كل يوم ما يحملنا على
 قطع الرجاء والأمل . فأظهر الوزير تهجه وقال له وأنت لا تزال والاهوام تلقيك
 بالآمل فما أنت ممن يقف بعزم ثابت في صدر الحوادث ، لا ريب أن أقل شيء
 يصدف عزمك ويرميك في اليأس . فكيف لا ترجع للفوز وتأمل الظفر وقد نظرت
 بعينيك ما هو عليه تمر تاس من الأقدام والاهامة ولولم يكن أشد شجاعة من فيروز شاه
 لما كان متقدما في بلاد قصر على ملايين من الفرسان مع أن في عظم جسته يرهان
 كاف لائقك وتطمئن أفكارك . قال إن ما ضراً على من الحوادث وما لحق في من
 ألا تخط ما صدق لي عزمي إنما أودع لي بجلاء كنه تلك الحوادث وما لا يجدها
 حتى صرت لا أودع بعظم الأشياء وأنى قلت ولا أزال أقول إن لا فارس بين
 نرسن هذا الزمان يقف بين يدي فيروز شاه ولولا إصرارى على عزمي وبخسى له
 الذى وجدته في أعماله ومغائراته لكنت الآن من أقرب الناس اليه واجبه من

ومهما كان تمرناس من الإبطال الأشداء لا يحسب بشيء عند طومار ملك لنوج الذي كما نكفل النصر بوجوده وهل غابت عن ذهنك مغايل تلك الضربة التي قمت عليه من فيروز شاه وان كنت أنت نسيته فاني لا أنساها قط واني مشخص في أذهني على الدوام عظمتها وكيفيتها . فاجاه طومور وابن طومار من تمرناس وهل يعرف عندك أن فيروز شاه بدوم على حالته وتدمر له السعادة والاقبال مع أنك شاهدت بعينك ما لحق به من المصائب وكيف أن المصائب تقلبت عليه أشكالا فاسر مرارا وأمين وأقيد للقتل وحيث لم يات وقته بعد نجح في تلك الايام من غوائل ما وقع عليه إعماليس في كل مرة تسلم الجرة فلا بد من أن تنتهي أيامه وذلك لنوره إلى حد المخاطرة الجنوبية التي لا يمكن أن تخضعه عليها السعادة في كل الاوقات وأخيرا أقول لك ان الحقيقة ستجلى لك في الغد أو ما بعده فتعرف من يكون الرابع ومن الخاسر .

وفي صباح اليوم الثاني نهض القومان على نية القتال فاسرعوا إلى خيلهم فاسرجوها ثم ألقوها وتسبحوا بأسلحتهم واعتلوا ظهورها وتقدموا صفا وصفا فارتفع الريات والاعلام . هم باحسن ترتيب وأرتب نظام وكل فارس تسلم قيادة فرقة وخطب عليها موعزا إليها وجوب الثبات وإظهار الشجاعة وكان هزاد على عساكر طهران وهو يعد نفسه أنه إذا طلب اليه تمرناس البراز لا ينزل اليه أحد غير ولا ريب أنه يقتله أو يأخذه أسيرا فينال المنزلة الرفيعة في قلوب الفرسان ويبعد صيته ويكون له ما كان لآبيه من الشهرة عند ملوك الزمان وبين المشهورين من الفرسان فيقال انه قتل تمرناس . وما التفت العين على العين . وانتهى نظام الفريقين . إلا حلا على بعضهم وقد أطلقنا الأعنة وقروا الاسنة . وارتفع الصباح . من كل ناح . وبطل القبل والقيل وكثر البكاء والعويل . واختلط القبيح بالجميل . والصحيح القلب بالعليل وراج سوق المحتق . ونمقت النفوس أي نفاق ولعب السيف القرضاب . في محكم الرقاب . وكان ذلك اليوم يوما عظيما . وذلك القتال قتالا جسيما . وقامت القيامة ودخنت الساعة . ومادت الكرياء وأقرضت الوداعة . وفاخر كل فارس بقوته واعتز كل بطل بسطوته واخترق تمرناس صفير البرانيين ففعل فيها فعل أبطال الرجال . ورماها بأسوء حال . لأنه كان سريع الجري أثناء القتال . خفيف الضرب وثقمان . لا يأخذه تعب ولا توان . وبالاختصار فانه كان من أشداء فرسان ذلك الزمان وكان يعلم أن المصريين متكئين عليه . وأن الرومان مسلمين أمرهم اليه . وهم في كسوف أن امرس تفر بين يديه . ولذلك رغب في أن يرى كلا منهم ما أعطاه من الفرة والافتداف والرفعة في الحرب والانتصار . فقاتل وناضل بكل جهده . وأظهر في فنون الحرب ما عنده حتى أبهر النواظر وحير الخواطر وفعل أشد من هذه "مما هزاد الاسد" (١٧) - في وثائق

الزئبال فانه قصد الرومان بعزم لم يكن له من ثأن وفكك فيهم فكك الاسود بأضعف الحرفان وأنزل عليه القضاء بأشكال وألوان وصبغ وجهه بالمذلة إلى آخر الزمان وألبسه أثواب العار والهوان لانه فرقه أى تقريبق وضيع كل فارس منه بطريق حتى أمسى المساء وقد اشتقى فؤاده ونال بعض ما يبتغيه وفي الحال حضرت طبول الانفصال ورجع القومان عن الحرب والقتال وهما يسكبان لشدة آلام التعب صيب الدموع ولا يصدقان بالعود والرجوع ورجع تمر تاس مسرورا بعمله فارحا بدخوله بين الأعداء حتى انتهى إلى عند قومه فوجدهم على غير انتظام وهم يلغون من عشرة وعشرين عداءن الذين أصبحوا مجرحين ومقتولين وقد فرشت منهم الارض وتدقت من أدميتهم فوقها الدماء فلعب الغضب به وسأل كيف لحقت بهم هذه الحال ومن فعل بهم تلك الفعل فقالوا فارسا من إيران حل بقومه علينا وهم دوننا في العدد إلا أنه كان كالنار السريعة الاتهاب إذا فعلت بأدق الاخشاب وقصد بأن تقف في وجهه فاقد رنا لان ضرباته كانت كالهوا عاق المنحدر ولا تذهب ضربته بأقل من تسعة أو عشرة ولو عمدنا على الثبات ولم نلتجى إلى الحرب والشمات لانزل بنا للمات وحلنا أنقل الشدات قال انى لم أر هذا الفارس وأظن أنه فيروز شاه وهزاد اللذين وصفوهما لنا ولاجلهما دخلت بين عساكر إيران أهلا أن التقى بالاثنتين معا فانزل بهما الهلاك لاني أوكد لو طلبتهما للبراز لايجسران عليه ولا يترلان إلى وهكنا صار لاني لم أصدق أحدا منهما بل هر باكل منهما في ناح وقد جاء واحد اليكم مغتنيا فرصة بعادى عنكم وأما الآن فاقى عزمت أن لا أبعد فيما بعد عن معسكرى خوفا من أن يقع بكم المحاق ولا بد أن يقصدكم في الغد هذا الفارس فألتقى به وأجازيه على أفعاله .

وأما جيش مصر فقد لحق به بعض الفناء وهلك منه كثيرون حتى لم يعرفوا ماذا يفعلون أو أى طريق يسلكون وفي المساء عقد الوليد مجلسا وقال ان هذه الحرب ستكون علينا وبالا فن الموافق ان ننضم كلنا ضمة واحدة ويكون فارسها تمر تاس وينحصر القتال به لاني قد شاهدته في هذا النهار ودوين الأعداء بفعل أفعال الابطال وقد التهمى عن حياتنا مم دعاه اليه وعرض عليه هذه الحال .

فقال له لا بأس فما من حاجة إلى شيء فاني سأريك ما أفعل في الغد أو ما بعده في الاعداء وئو أنى أعرف ان فرسانهم تبرز إلى في الميدان أو تلقاني في قتال لطلبتهم في نفس هذا النهار إنما لا بد لي من أن ألحق بهم المذلة والعار وأهلكهم عن آخرهم وكان قصدى فيروز شاه ففر من وجهى ولم أره قط إنما أينما سار وأى جهة قصد لا بد أن التقى به فأقتله وأعدمه الحياة وان كان في النهار قد وقع بنا التأخير وقتل من

جيوشنا جانب فمثل ذلك وقع على الايرانيين ولا ريب انه اذا اصابهم يومان أو ثلاثة أيام مثل هذا اليوم يفقدون قوة الثبات إذ أن الجيش الذى يهلك منهم لا سبيل إلى الاتيان بعرضه إنما الخلل الذى يقع فينا فطرق سده واسعة عندنا . فاطمأنوا بكلامه وارتاحوا إلى مواعيده على أمل انهم يكرنون تحت حمايته

وأما الملك ضاراب فانه بعد عودته إلى صيوانه اجتمع اليه جميع وزرائه وأعيانه وحكرا عن واقعة النهار وقدم كل قائد عدد ما وقع في جيشه من النقص والخلل فكان عظيما ولذلك تكدر وقال انى كنت لا أعلن أنه يفقد فارس فارسى إلا بعد أن يفقد خمسون من أعدائه لأن دما غال لا يباع بأبخس الأثمان ولذلك أريد منكم أن تسكونوا على انتباه لاني وان كنت عالما بما وقع في جيش المصريين والرومان في هذا النهار من التأخير وكثرة القتل إنما هذا لا يحسب نصرا إلا إذا حافظنا على دماء أبطالنا وحينئذ من أعدائنا وأوقفنا بهم ولا أريد أن أرجع إلى بلادى إلا برجالى أجمعين ان أمكنى فوعده الجميع بالانتباه وقال له طيطولوس ان ما كان في هذا النهار كان من تمراس ولذلك من الواجب إذا دار القتال أن يتربيه أحدنا فيحاوله كل النهار فاما ان يقتله واما ان يمنع شره عن المساكر وبذلك تسود فرساننا ويكفل النصر لنا فاستصوب الجميع رأيه وقال له بهزاد انى قصدت ان التقى به في هذا النهار فلم يمكنى وقد قصدت جيش الرومان وما رجعت عنه إلا بعد أن فرط انتظامه وتشتت شمله وكان غاب عنه وهو في أمان من أن أحد من فرساننا يقدر أن يحتله إنما في الغد لا بد لي من أن 'ترقبه كل الزقيب وأين التقيت به لا بد من أن أذيقه الهلاك والوبال إن شاء الله

وبات القومان على نية العود إلى القتال في صباح اليوم المتعقب وناموا يتحارثون تحت مشيئة الرحمن . ولما كان الصباح هبوا من مراقدهم واعتلوا على ظهور خيولهم وخرجوا من بين الخيام وتقدموا إلى الأمام وبأقل من ساعة حمل القوم . وكثر العتب واللوم . ودارت رحا الحرب . واختلف الطعن والضرب . والشتم والسب وحيث تلك النار . وانبعث منها الشرار . ودار دولاب المنايا . وقدمت الأرواح ضحايا . وكثرت الزعقات . من كل الجهات . والتقى تمراس بهزاد . وأخذوا في الجولان والطراد . فضاربا بالعمدان حتى كلت منهما اليدان . وخدر الساعدان فالقياها إلى الشناكل وعمدا إلى السيوف . لعلهما أنها أقرب إلى أنزل الختوف . فتقاتلا بها قتال الأسود الكرامر . وتساخلا بابواب أعظم فنون البواتر . فكانا ككفتى ميزان أو يضى قبان . لا ينال أحدهما من الآخر مرار ولا أشفى له فؤادا وداما على هذا المتوال إلى قرب الزوال فرجع القومان عند استماع نفي الانفصال .

يعمل اقبال الظلام . ويأمر بالرجوع إلى الخيام . وبعد أن ائقروا راح كل إلى ناحية مضربه وقد كان ذلك اليوم أشد من الأول قتل به كثيرا من الفريقين وأما تيمور تاس وهزاد . فانهما ائقروا دون نوال مراد . وكل منهما مقهور في نفسه على فوات خصمه وكيف انه مضى ذلك النهار دون أن يقضى عليه أو ينهى الحال ورجع الملك ضاراب إلى خيامه وهو زائد القلق والارتباك لأنه نظر إلى تلك الحرب وهي دائرة بين الفريقين ونظر إلى الفرسان وهي تصول وتجول فتذكر ولده وكيف انه في مثل هذه القتال كان ينخطف كالسهم الطيار من جهة إلى ثنية وكيف انه أبنا حل تنهزم الفرسان من بين يديه وقل في نفسه لو كان ابني هذا اليوم في هذا القتال لكنت أنظره مقدما على الجميع وكنت أكفل النصر لعموم صبا كرى وربما كان مضى الحال وانتهى على أتم منوال وقتل تيمور تاس وأخذ هذا الفكر يقوى في حنى زاد عن حد القياس وتبى اضطرابه كلما تقدم النهار في الزوال . وعند رجوعه إلى الخيام لم يبدأ له بال بل نبلبل بلاله وعظم ارتباك ولاحظ الوزراء منه ذلك فاجتمعوا اليه وجعلوا يطيبون بخاطرهم وكذلك اجتمع الفرسان عموما ونظروا حالة الملك على ولده فما منهم الا من تأثر وحزن على عذاب الملك بنيران بعاد ابنه ردار بينهم الحديث بشأنه فكان البعض يفرض انه قتل في قتاله في الاسواق وانه اختلط بين الاموات ودفن دون أن يراه أحد والبعض يزعم انه عند عين الحياة وقد أصابه بعد دخوله اليها مرض أو أمر آخر منعه عن الرجوع والبعض يقول انه في نهاء وراحة اما أسباب ترقى العادة تحول دين عوده والكل يتمجبون أيضا من غياب طاق العيار وفيما هم على مثل ذلك الحال واذا طارق وفيروز شاه وهروز العيار ومصفر شاه قد وصلوا ودخلوا وجرى ماجرى كما تقدم معنا الكلام . وفرح الجمع به وأملوا قرب النصر وكسر الأعداء

قال وكان الولد تلك الليلة قد لام تيمور تاس على عدم مبارزة الايرانيين وقال له ان أهل ايران كلهم فرسان فاذا شغلت أنت بواحد فعل الباقون بنا أفعال الجان انما ليس فينا من يعمل لان ليس عندنا سواك وفي هذا اليوم قد نقص جانب عظيم من العسكر حتى عمرنا نخشى الانهزام . قال اتى في أرزو وأطيب نزال القوم فنزل إلى قتله فأصطادهم واحد بعد واحد وهذا يفغنا لان المطاطلة تمكنا من الايمان والفرق وجمع الجند وتمكن الحش من الراحة وان لم يبرز الى أحد اختشاه من الموت أحمل إحدى جهة قصبتها أوقع بها فذناه تحملوا لا أظن أن جوعهم تحمل ولذلك كبر نحق الراحون وصبروا إلى أن كان القتال في قادم الايام فخرجت الجيوش إلى الميدان وتقدمت من اثنين والثمان وتبيت للمهجوم كالعادة وكان

فيروز شاه قد ركب جواده السكين وتقدم في جيوش الزنوج وإلى جانبه ميمون . وفي
 الحال سقط تمر تاس وهو كالبرج المشيد فوق جواد عال من خيول الافرنج تخين القوائم
 متينها قصير الرقة كبير الرأس ذيله يكاد يبلغ الارض إلا أنه كان شديد الخيل قويا
 جدا وفي يده سيف عريض من عمل الرومان القدماء متوارثة أبا عن جد وهو مغموس
 بالجواهر وفي سرج جواده عمده الحديدي معلق من وسطه ملقى عليه يحمل من ثقله
 ودفعه سميك إلا أنه قصير من عند رقبته اعتوازا بنفسه وافتخارا بمعرفة فنون القتال
 ولما صار في الوسط صال وجال ولعب بالعمد الواها باشكال . ثم وقف في وسط
 المجال وطلب البراز ونادى في طوائف الفرس أن تخرج عليه فرسانها وتسرع إليه كأنها
 وأبطالها وما انتهى من كلامه إلا صار بهزاد أمامه وفاجته مفاجئة جبار وصدمة صدمة
 تحير الافكار وأخذ معه في الجولان . والحرب والطعان بعد أن عرفه بنفسه أنه بهزاد
 ابن فيل زور الفارس المشهور وارتفع فوقهما الغبار . حتى كاد يحجبهما عن الأصار
 وقدحت حوافر الخيل شرار النار . وأوسعوا في المجال . وانتقلا من البين إلى الشبان
 وكانت الفرسان تنظر اليهما بالعيان . وهي شاخصة ترى ما يفعل الاثنان . وعلى أي
 شيء ينتهي حالهما . وما يفصل قتالهما . وأما فيروز شاه فإنه تقدم إلى الامام خوفا على
 بهزاد من الغدر والخيانة لأنه احتير بمعرفة خصمه تمر تاس وقاس بحسبته معرفته
 بفنون الحرب فوجده على جانب عظيم وتأكد من الأطلال . ير لذين اعد صيتهم
 الزمان . وخصهم بالشجاعة وعلو الشأن وميزم على سواهم من الهرسان . هذا والقتال
 منعقد بين الاثنين . وهما كاسدين زائرين . وهائلين مغوارين . نارية يتقاربان بالهمدان
 حتى تنخدر منهما اليدان . ثم يعمدان إلى السيف الجبار فيتضاربان به شدة مضاربه
 ويتحانان به أشد محاربة . حتى زاد بهما القلق . وسبح من تحتهم . وقوضر تمر تاس
 إلى بهزاد . فوجده من الفرسان الشداد . وتعجب منه مع صغر سنه كبره أعطاه الله
 من القوة والمعرفة ما لم يعطه إلا لقليل من الآمام وكان يضربه "صخرة ويضرب في مسكره
 أنها تكون القاضية فتسحقه ولا يلبث أن يرى ضربه قد ضاقت "ذو" . وأرسل
 إليه بمنحها في عاجل الحار . حتى كاد يقع في التنبؤ . وسلال . وخوف من أن تقع
 معه في التقصير أو يعضى ذلك النهار ولا يزال منه مراد فيفضح من "تؤيد" وقومه
 كيف أنه لم يقدر على ولد أمرد لا نبات بعارضة . ولهذا صاح به وقال له مهلا
 يا بهزاد فان الحرب انصاف والقتال واجب فليضرب كل واحد من حصمه ثلاث
 ضربات على عمده وهكذا تفعل بالذو مرة منك ومرة مني فمن صغفت قودول بعد
 في وسعه أن يلقى ضربات الآخر ولا ساعده زنده على رفع الصخرة لدفع ما يقع عليها

كان مغلوبا فيفعل به الغالب ما اراد وبهذا تظهر قوة كل منا ويعرف القوى من الضعيف .

قال إني منصف في القتال محب للعدل به فافعل ما انت فاعل واضرب انت في الاول فاني لا اريد ان يقال اني كنت البادى وانك السامح لي بذلك فأجابه تمرثاس وفي ظنه انه يتبأ ويضربه بكل عزمه ضربة واحدة فيسحقه مع طارقه ويرتاح منه لحذره ثم جال طويلا ورفع يده العمد ولاح به بالهواء حتى حوى وضربه ضربة مستوية مستقيمة بحسب الاصول فوقع على الطارقة واندفعت إلى الوراء دون ان تؤثر فيه او تزعجه ونظر تمرثاس فوجد بهزاد لا يزال قائما في بحر سرجه غير مهتم بضربه ولا تتعنت منها بل صاح به وقال له هات الثانية في الحال . فرفع عمده وضربه ضربة ثنية اشد من الاولى فكان لوقوعها ما كان للأولى وعاد وصاح به وقال له عجل بالثالثة واستعد لضربي فانك لا محالة هالك في هذه الساعة فلما سمع تمرثاس كلامه زاد به الغضب والتهب فزاده من الغيظ واستصغر نفسه كل الاستصغار وعاد إلى الحياة ولاح في ذهنه ان لا يضرب الضربة على الطارقة بل يميل بها عنها فتقع على فخذه فيتألم فيكمل عليه ويهين امره ولذلك رفع العمد في المرة الثالثة ونزل به بكل عزمه ولما قرب من الطارقة مال به بمعرفة إلى طرفها فاصابت طرفها وهوت إلى فخذه بهزاد وكان مصلبا لعله انه لا يقدر ان يضرب اصولا لا على وسطها فلم يشعر إلا والعمد وقع على فخذه فغيبه عن صوابه ووقع إلى الأرض على غير هدى وقد جرح جرحا بالغا فعلق تمرثاس العمد واسرع إلى السيف وفي نيته ان يكمل عليه وما قبل لاتمام عمله حتى سمع صوتا قويا ارتجت منه تلك الجبال وقال لي يقول له وهو على مقربة منه ويلك يا غادر يا خائن كف عن عزمك واستهدف للملاقاة المنبة فقد وافاك ليث الحروب وضيغما وسيدا وواحدا لقد وافاك الاسد المهاب . وفرخ العقاب . الذي لا يخاف من كثرة الفرسان ولا يهاب . فيروز شاه ابن الملك ضاراب . ولما سمع صياح فيروز شاه وقد قرب منه انكفأ عن عزمه خوفا من أن يسرع إلى ضربه ومفاجئته ولذلك لم ينفسه وتبأ ثقتان ونظرا ايضا إلى عساكر الفرس فوجدها باجمعا قد حملت بأمر الملك ضاراب وهي تصبح مقروحة الفؤاد خوفا على مقتل بهزاد ليث الطراد وحملت ايضا عساكر مصر برمتها للمحاربة عن تمرثاس وهي فرحة به مؤمنة النصر عن يده وكان اعجل الوصول إلى بهزاد بهروز العيار فرفعه قبل ان يدنو احد منه وعاد به مخترقا للجيش حتى اوصله إلى الأحياء وأمر الملك ضاراب طيطلوس ان يعتق به بنفسه ويداويه اهتمام تام .

قال واما الجيوش فانهم التقت بعضها ببعض . كانه قد آن وقت العرض واهتزت من ركض خير لها تلك الأرض وعملت السيوف في الاعناق . عمل المارود في الأحداق

وسحقت الرؤوس . وزهقت النفوس . وقامت القيامة . وسادت الندامة . وكان ذلك اليوم عظيم الشأن . قليل المثال بين أيام ذلك الزمان . لم يكن مثله ولا كان . فيه قصص الأعمار . وعمت الأكدار . وقل من القوم الاصطبار . وسلخوا بأنفسهم إلى مواعيد الأخطار . واستهدفوا للويل والدمار . وشرب كأس البوار . وعلم الفارس المغوار أن النجاة بالثبات والاقتدار . فأبدى غاية الجهد للاستظهار . وتأكد الجبان المهذار . أن الخلاص بالحرب والفرار . فعمد إلى الاختفاء والاستتار عن العيون والأنظار . فاحتجب القومان تحت القبار . وكان كشيئا جدا كحال ذلك الليل الكثير الاعتكار . ولم يكن يرى منه إلا لهبات نار . بتطاير منها الشرار . فنأى بالأضواء والأنوار . وأما فيروز شاه الفارس الجبار . فانه فاجأ تمر تاس الخيبت الغدار وأنزل عليه المصائب والأهوال وانصب عليه كالعارض المطال . وجعل يدور من حواله تارة من اليمين وطورا من الشمال . ويصبح به حتى وقع بالخيال . ولم ير سبيلا للنجاة إلا التأخر إلى الوراء . والاختلاط بقومه والاختفاء فعمد إلى ذلك خوفا من المهلك . غير أن فيروز شاه ما فاته ولا أخطاه بل تمتعه بضر باته . وخيله بصيحاته . وكيفما مال مال في أثره . طامعا بهلاكه وضربه ولولم يجعل ذلك النهار بالانيان بالاعتكار لما نجا قط تمر تاس بل كان ذاق مرارة الموت منه وفي تلك الساعة ضربت طبول الانفصال فتكدرت منها عساكر إيران لأنها كانت أشقت غيلها وروت ظمأ فؤادها من الأعداء وضربت فيهم ضربا موجعا وقتلت قتلا ذريعا حتى حشكتهم إلى الخيام وأنزات عليهم أشد الويل والانتقام وملأت الأرض من موتاهم والباقون كان أكثرهم جرحى لا يطيقون حراكا والذين كانوا سليمين من الموت والجراح ابتلوا بأوجاع التعب حتى أمسوا لا يقدررون على حمل السلاح ورجع رجال الفرس وفرسانهم وهم فرحون بما حل على أعدائهم مكدررون من جرح هزادومالوا بأجمعهم نحو مضربه وكان طيطلوس عنده وقد ضمد جرحه ووضع عليه المرام وغسله بالماء البارد ودخل الملك ضاربا وهو من الغضب في حال صعب جدا وسال عنه فطمته طيطلوس وقال له إن الجرح مؤلم إنما لا خطر عليه من الموت وإني بمنأيتة تعالى أصرف الجهد في مداواته كي لا يقيم أكثر من بضعة أيام وكان الملك ضاربا قد رأى أيضا ما أصاب المصريين من التأخير فثبت عنده أنهم لا يقدررون أن يقتلوا أكثر من يوم أو يومين وبعد يدخلون إلى المدينة ويحاصرون فيها فيلتزم أن يدخلها بوقت واحد ولا يريد أن يحاصر المدينة وهزاد مجروح ولذلك قال لأبطاله وفرسانه إني مؤكد أن الأعداء لم تعد تقم لهم قائمة ولا يقدررون على الثبات طويلا ولذلك أطلب إليكم أن لا تبشروا قتلا قبل شفاها هزاد لأننا نحتاج إليه جدا عند الحصار ومؤكد عندي أنهم إذا لم نطلب قتله لا يخرجون

من خيامهم فليكن كل منكم على أهبة الهجوم لندخل المدينة عند أول يوم يصير فيه القتال فارحوا خيولكم واستعدوا فاجابوه وجميعهم عرفوا وأكيدوا أن القتال لا يحتاج إلى أكثر من يوم ونفروا إلى خيامهم وأقام طيطولوس على مداواة بهزاد وقد لازمه الليل والنهار .

قال فهذا ما كان من الملك ضارب وأما ما كان من الوليد ورجاله فانهم دخلوا الخيام وهم في حالة يأس وقطع رجاء منتبهون من التعب والضنك وما فيهم من رغب أن يجتمع بأخر بل سار كل إلى صيوانه لا يعلون إلى ما تنتهي حالهم وسار تمرناس حزينا على فوات بهزاد وكيف لم يتمكر من قبله وأكثر حزنه على إظهار عجزه وضعفه أمام فيروز شاه وعرف من نفسه أن لا قدرة له على مقاومته لأنه شاهد من حربه في ذلك اليوم المصائب والأحوال ولولا كثرة الازدحام في القتال وتغلغل بين الأبطال والفرسان ومداراته لنفسه كل المدارة لما قدر أن ينفذ أمامه وربما كان قتله لا محالة وقد ثبت عنده أن فيروز شاه أفرس فارس حمل الفنا وضرب بالسيف . وأما الشاه سرور وطيفور فانهما اجتمعا بعضهما على انفراد في صيوان أحدهما وقال الشاه سرور فوزره ما قد جلي لنا الأمر وتبينت الحال ولو كان في تمرناس من القوة ما نزع لموقف هذا النهار في وجه الإيرانيين ومنهم من أن يحشكوا عساكرنا إلى الخيام وقد قلت لك مرارا أنت فيروز شاه أقدر منه وأن السعادة والتوفيق يخدمانه ومن أين لتمرناس أو لغيره أن يثبت أمامه والآن نرى أن جيوش المصربين وجيوشنا في حالة رديئة وبعد قليل من الأيام يكونون المالكين على البلاد وإذا وقعنا في أيديهم ينقمون منا فكيف الطريق للخلاص . قال لاريب أنا إذا وقعنا بأيديهم قتلونا وأهلكونا لأنهم همج الطابع لا يراعون زمام الموك ولا يحترمون الإنسانية ولذلك ترائى مشغل الفسكر في الليل والنهار طلبا للتوصل إلى طريق يصوننا من أعدائنا وقد قصدت أن نجتمع بالوليد وننظر معه في هذا الأمر لأن المذكور أيضا يهيم أن ينظر في خلاص نفسه والقتل كثيره ولترى في الغد ما يكون من أمره لاتفق عليه الآن أنه لا سبيل إلى الاجتماع به كونه طلب الأفراد والعزلة مع وزيره بيدانديش على أمل أن يدبر أمرًا يقيم وجيوشهم من هوائ هذه الحروب . قال لاريب إن في الغد تظهر نتائج أمكاره .

وكان الوليد قد دخل صيوانه ودعا إليه وزيره بيدانديش فحضر بين يديه ثم أمر أن لا يدعو أحد يدخل عليه ولما اجتمعا قال الوليد قد تبين لنا الآن أن تمرناس عاجز عن القيام صد هذه الجيوش وليس له القوة الكافية للدفع عما من حملات فرسان الأعداء ولا سيح حملات فيروز شاه لأنه كاد أن يهلك في هذا النهار

ولو لم يندر بهزاد لما تمكن من جرحه أو ربما كان قتل منه وقد وضع لدينا جليا الآن الحالة التي نحن فيها وثبت أننا لا نقدر أن نقاتل وأن العدو انتصر علينا ولا بد من دخوله المدينة بأي وجه كان ولذلك انقردت بك لاستشيرك في هذا الامر وأظن في رأيك عليك تجد وسيلة تقينا من الاعداء فاطرق الوزير الى الارض رمة وقال بعد أن رفع رأسه قد لاح في فكري خاطر واحد يكفل لنا النجاح والظفر والسعادة وبغيره لا يمكن مطلقا . قال الوليد أبده عاجلا عساه يكون به الخير قال لاشك في ذلك وهو أنه قد خطر في فكري المقنطر الساحر وان نقصده ونلتجىء اليه ونمرض عليه حالا ونشرح له كل ما وقع لنا ولا ريب انه يسارع الى انما اذا ورمع هذه الشدات عنا وبغير هذه الطريقة لا ارى فرجا نط . ففرح الوليد بهذا الرأي وقال له لقد اصبت فيه فانه كان قد غيب عن ذهني والآل لا ارى بدا من المسارعة الى هذا الساحر الذي يرغب في ان يحرس بلاد مصر حراسة الاب للارلد وهو وحده قادر على كبح اخصامنا والايقاع هم ولذلك افوض اليك امر المسير اليه واتنا لانسأله الا مرابيطا وهو اسر فرس ايران الكبار كثير وزشاه رفرخوزاد وسيامك سيافيا وطهمور وغيرهم من القواد ومق كفافا ثم هؤلاء اربعتنا نحر بالباقيين دفعة واحدة فتهجم عليهم فرد هجمة ونيدهم تن آحرهم ولا اظن ان الامر بعد ذلك بطول اكثر من يومين . ثلاثه . وفي ارضبانه كما اكتفينا شر قتال بهزاد المجروح الآن احب ان يكون الباقيين يعيدون عن الجيش اذ لا حيارى اما عندنا واما عند المقنطر فقال الوزير كي مطمئن الخاطر فري الزظر فاني لاد من ان اسير الى روض المقنطر واتوقع عليه واسأله المساعدة والمعاهدة وسأطرح بهيذك ما يحل بجاجة الملك ضاراب ولا سجا فبروزشاه ومن هذه الآلية اسير واتهد الاريف واخذخ على هذا المضد العظيم والسند القوى ففرح الوليد بذلك وافترقا على هذه السية واعتمدا ان يكتما الخبر خوفا من الاشاعة . ان بطاول الوليد في القتال اوهده حتمج الامر يدخل البلد ويحاصر الى حين عودته

قال الراى كان هذا المقنطر من كهاه الرماة الهضمة وسجرحه الكبير ذنقر في البحر . حنف وصار ايسة وانذا . اى الى لجلة . ايت من مر اكروه . وسارت حيث يامرها لا يوجد من هو اشد منه سحر . ولا انقضه كهنة في ذلك زمان وقد تحسنا مقاما بين الاريايف ومصر فاخذارض . كبيرة . صرب عليها . صدا من كم . نه وسجرحه حتى لم يعد يقدر احد ان يتعداه وانتهى قصه . في تلك لارض ضحى لا يصير له . بعد ان فرغ من بناء القصر اخذ فزوع في تلك الارض من حشاش المرة جند كاهصر والخنظل . انقط . زين وغيرها . تكبره نفس . تحمضت ذلك شر . نه فكك يمزجه كل المزج مع سائر انواعه حتى تشتد مرارته وتزيد كراهته وكبر بكر من حله

الحشرات والحيوانات الفاسدة كالجرادين والحراذين والهررة وقد استقل في ذلك المكان ونشر حمايته على كل أهل مصر وطلب في أول قيامه هناك إلى ملك مصر أفي الوليد أن يأتيه صاعرا فاجاب خوفا منه وأظهر له طاعته فسر منه وفعل مثل ذلك مع ابنه الوليد عند توليته وقال له ان أباك كان صديقا محبا طائعا وأنت أريدك أن تكون كذلك فاجابه وجدد الطاعة له وخرج عنه إلا أنه كان في كل مدة يبعث له بالهدايا مع رسله . وكان المقنطر أيضا قد ابقى عند اسفل السد بابا من الحجر الاسود المنيع وأقام عليه بقوة سحره أفعى كبيرا تخينا تنبعث من فيه النار دائما فلا يقدر احد على الدخول إلا بأمر المقنطر لأن الأفعى ينفت ويصح حتى ينتب المقنطر وينظر من الزائر فإذا سمع له ابطل قوة الأفعى وادخل ضيفه وإلا منعه من الدخول وكان متخذاً له اثني عشر تلميذا يتعلمون منه السحر والكهانة ويخدمونه ولا يسوغ لهم بان يخرجوا من تلك الحاضرة المسورة بذاك السد العظيم فلما كان بعد نصف الليل من تلك الليلة التي اعتمد بها بيدانديش على السير اليه دعا عياله بدر فئات وقال له اريد منك ان تسير معي من هذه الساعة إلى جهة الساحر المقنطر فانتا عز منا ان تسير اليه وتعرض حالنا عليه ونطلب مساعدته ومعوته قال سر من هذه الساعة فاني تحت امرك عنقاد اليك . وفي الحال ركب الوزير وسار ومعه بدر فئات ولا زالا ان اصبح الصباح واقبل اليوم الثاني وعند نصف اليوم الثالث وصلوا إلى حظيرة الساحر المقنطر وتبين لهم السد عن بعد مسورا حولها وعند بابه ذلك الأفعى ينفت دائما النار من فيه فتنبعث إلى الامام فوقه ينتظر الدخول وإذا برسول الساحر قد وصل اليه وقال له من اتم ولاي شيء اتيتم فان المقنطر قد سمع صوت الأفعى فعرف ان اناسا يقصدون الدخول عليه فبعثني انظر في امركم واسألهم حاجتكم . فقال له اني انا بيدانديش وزير الوليد ملك مصر وقد اتيت من قبله لعرض مهم عند سيدك المقنطر فأرجوك ان تستأذن لنا بالدخول عليه لأننا مضطرون إلى الرجوع حالا لرفع الاخطار عن مصر فانها في ضيق عظيم فاسرع الرسول وكان من تلاميذ المقنطر اليه وعرض عليه كلام الوزير واستأذن له في الدخول فاذن له وقال له خذ هذه الورقة فالحقها على الأفعى فتبطل حركته ودعه يمر ثم اتى عليه هذه الورقة الثانية فيعود إلى حركته ثم دفع اليه ورقتين كتبهما بالاسماء والطلاسم فصار التلميذ إلى اقرب من الأفعى فابطل حركته واذن لبيدانديش بالدخول فدخل ومعه بدر فئات وبعد دخولهما عاد الأفعى إلى حركته وسار الوزير وهو بين الرياض وهي مديحة بالزهور اشكالا والوانا إلا انه كان يرى الادغال كثير والشوك يخللها كلها ولما انتهى إلى قصر المقنطر نزع حذاه من رجله وفعل كذلك بدر فئات

وكان يربان القصر مفروشا بأمن المفروشات مما يهر التواظر ولا يوجد مثله عند أعظم الملوك . ولما وقف بين يديه سجد له مظهرا طاعته فأمر له بالجلوس فجلس وأمر أن يؤتى له بالشراب الذي يشرب هو منه وكان مركبا من أربعين مادة حنظلية مرة فلما رضع الوزير الشراب على فيه وذاقه لم يقدر أن يشرب منه شيئا فأرجعه واستأذن بأن يعفيه منه فأعفاه وبعد ذلك عرض عليه الوزير حاجته وقال له في آخر كلامه إذا نهاوت أنت عنا ولم تسرع إلى انقاذنا خربت البلاد وخرجت من يد الوليد ودخلت في يد أهالي إيران وتدخل الأجانب مواضعنا وهم غير حاسبين لك حسابا وقد رأى سيدي الوليد هذا الأمر وعرف أنه لم يعد يقدر أن يدفع العدو عن البلاد قال لي اذهب وقبل عني أبدى الاستاذ المقنطر وأخبره بكل ما جرى لأنه مسؤول بحماية أرض مصر باجمعها لأنها وطنه وتحت رعايته فإذا عرف ما حل بأهلها لا يصبر عن عدوهم بل يهاجمه ومن الفرض اللازم اعلامه خوفا من ملامه ولذلك أتيت إليك أطلعك على الواقع وأسألك المساعدة على عدوه وطرده من بلاده بحيث لا يقال بين الملوك اني عاجز عن دفعه مع أن عنده جيوش لا تعد ولا تحصى وبلاده تحت حماية المقنطر الساحر رئيس سحراء هذا الزمان وسيد كهنته . فلما سمع المقنطر هذا الكلام ضحك منه ضحكة النضب وقال له كم مطمئن الببال فان عدوكم هو الآن في يديكم فمهما شئتم أن تفعلوا به فعلت فلا شيء أهون عندي من هلاك الملك ضاراب وولده وفرسانه وتشيت شمل جيوشه فاطلب هلاككم على أي طريق شئت قال انا لا نريد هلاككم إلا بسيف فرساننا وأبطالنا ولذلك نريد منك أن تشئت لنا الفرسان الذين عليهم الاعتماد كفيروز شاه وهزاد وفرخوزاد وبيلا وسيا ملك سياقا وبهمزار قبا وبهمزار قلى وطهمور ومبمون ومصفر شاه وكرمان شاه وخورشيد شاه وجشيد شاه وبقية القواد ومتى بعد هؤلاء عن جيش فارس سهل علينا أخذهم فطاردهم إلى أن نقتبهم عن آخرهم ولذلك تكون أنت قلقت علة قواهم وأضعفتهم ونحن أنهبنا العمل وأحرزنا بسيفك النصر والظفر فقال المقنطر اكتب لي أسماء الذين ترومون إعادهم عن الجيش فاستأثرهم وآتى بهم إلى هنا ومن ثم بعد عذابهم وقهرهم أميته شرميته وأحرقهم بالنار وأفل بهم العجائب فسر الوزير من كلامه وجعل يعد له فرسان واحدا بعد واحد حتى عـ له نحو تسعين أميرا من أمراء العجم الذين عليهم الاعتماد وييدهم قيادة الجيوش الأولية والثوية وبعد أن فرغ من عددهم كتب المقنطر أسماء الجميع كل اسم على رقعة صغيرة وقرأ على الجميع من بحر علمه ودفعه إلى بيداندش وقال له خذ هذه الأوراق بيدك متى وصلت إلى الوليد اعطه إياها وقل له يياشر الحرب ولا ريب أن الفرس يركبون جمية اقتالك فحينئذ يروهم إلى الميدان أذروا

عليهم هذه الاوراق قهروهم يطايرون واحدا بعد واحد إلى وهنا افضل بهم ما أريد فاشجعهم بالقيود واعذبهم امر المذاب إلى ان تنتهوا من هلاك الباقين فتأتى مع الوليد والامراء وتشاهدان موتهم وإذا جد في أثناء ذلك عليكم من الحوادث شئ جديد فعد إلى واطلعتنى عليه فأتى منتفذاً منه وبما أنكم من اعزاء وطنى فلا امنكم من الدخول اى وقت شتم في الصباح او في المساء وما انى ادفع اليكم الآن خاتم لا يبطال السحر فى اى وقت طلبتم الايتان الى يمتكنكم ان تأتوا فتضعوا الخاتم في وجه الافعى فتبطل حركته إلى حين تدخلون وهذا دليل كبير على حبي ورغبتى في صوالحك ففكره الوزير على عمله وأظن في مدحه كثير الاطباب . وبعد ذلك امر المقتدر ان يؤتى لها بالطعام فوضع امامها وهو من الحيوانات الكرمية والخشرات فاعتذر الوزير عن الاكل وقال له ياسيدى اننا لم نعتد على مثل هذه انما كل لاتنا من ضعفاء الناس وما هذا إلا من وحدانية اقتدارك على كيد المكاره وقهرها فانها لا تؤثر فيك كونها تطيعك بخلافنا نحن فقال له لا بأس فلا يأكل من أكلى ويشرب شرابى صلب النفس صبور القلب

وبقى الوزير عند المقتدر مع عياله بدر فئات كل ذلك النهار دون أن يذوق طعاماً أو شرباً وما صدق أن سمح له بالذهاب حتى قبل أياديه وخرج من عنده وقد أخذ منه الخاتم وسار الى أن وصل إلى الافعى فإياه فوقف عن الحركة فر يدايدش مع عياله ولما صاروا في الخارج نظروا وقعداد إلى عمله الاول . فقال لبدر فئات ان المقتدر الساحر هو لاريب من أعظم سحراء هذا الزمان لا يقدر عليه أحد قط ولو جئناه من الاول لتوفر عنا أفعال كثيرة تكبدناها في حرب الابحار ولكن الحمد لله على نوال المراد فهو مخلص لنا كل الخواص ولولا ذلك لما أعطانا هذا الخاتم فهو لا يثمن بثمن وسوف أريه للوليد ليفرح به وبعد ذلك أدفعه اليك لىبقى محفوظاً عندك إلى حين الحاجة اليه لاني أخاف إذا قى عدى أن أسهبى عنه لكثرة اشغالى وأشغال أفكارى فيفقد ولا أدري به . قل له لا بد أن أذكرك لتدفعه الى فأتى أضعه في أحفظ مكان واتى أعلم جيداً اننا في حاجة اليه لانه لا بد من عودتنا مرة ثانية وثالثة إلى المقتدر لقضاء ما يجد من الحوائج ثم ركبوا وساروا كل ذلك اليوم واليوم التالى والثالث حتى دخل الجيش واتيا الوليد عند المساء فدخلا عليه وكان إذ ذاك في صيوانه فسلم عليه الوزير واخبره بنجاح مسعاه وعرض عليه كل ما كان من امرهما مع المقتدر وكيف أنه أعطاه لاوراق مكتوبة باسماء الفرسان والاطال وامره ان يدربها بالمواء عند البداية في القتال فيطايرون اليه في الحال على مرأى من جميع الجيوش وراة الخاتم وحكى له عن فعله وكان الشاه سرور حاضراً ويطيرون فقرحاً غاية

الفرح وسر قلبهما غاية الممرة وأملا بالنجاح وصبرا إلى حين انقضاء النام فصاروا إلى محلها فقال طيغور ألم أقل لك مرارا أن النصر لا يبعد عنا وأنه مهما جرى علينا من المصائب لا بد لنا من أن نصل أخيرا إلى انفاذ غايتنا فماذا ياترى يقدر فيروز شاه والملك ضاراب أن يفعلا في مقارمة هذا الساحر ولا ريب أننا في الغد أو ما بعده نرى جيوش فارس متطائرة في الفضاء واحد بعد واحد وبمذاهب هؤلاء الفرسان يصفى رجاء الملك ضاراب فاما أن يرجع حالا برجاله خوفا من أن يلبق به مالحق قومه واما أن يطعم في القتال فتحاربه ونيدده مع قومه من أول مرة قال لا تعلم بما تأتي الحوادث وماذا يقدر أن يفعل هذا الساحر إذا كانت العناية الالهية تساعد الاربيين وتوفق أعياهم وتقديمهم في هذه الحياة قال وهل أن العناية مخصصة لهم أليس أولئك يعبدون الله ويعترفون بأبيانه ونحن أيضا نعبد المصريون مثلنا فاذا وفقهم يوما وفقنا مثله وإذا نظر اليهم مرة نظر البنا ثانية سيما وأنهم هم الظالمون لأنهم قصدوا أذانا وطلبوا اغتصاب بناتنا وطرودنا من ملكتنا وتأثرونا إلى هذه البلاد ومن أكبر أسباب التوفيق الذي سببه لنا الله وجود هذا الساحر الذي وعد بالاقباج بالاعداء ولا يمضي إلا القليل من الايام حتى ترى ما يسر خاطرك وتتأكد نجاح المساعي .

وبعد أن مضى على ذلك يومان نهض الوليد وأمر العساكر أن تستعد للقتال وأمر أن تضرب طبول الحرب منذرة الاعداء بوجوب الحرب في ذلك التماسع الملك ضاراب طبول المصري فامر أن تضرب طبلوله إجابة للمثل وتهيا العساكران وترتب الفريقان وركب بهزاد أيضا وكان قد ضمد جرحه وخفف وجعه فدمعه فيروز شاه وقال له ان الامر لا يحتاج اليك في هذا النهار وأرى من الموافق أن تبقى في صيوانك إلى الغد وما بعده إلى حين تقوى وتشدد أكثر فأكثر قال لا بد من القتال فاني لأرى مانعا مما حتى وانى ما صدقت أن صرت قادرا على ركوب الجواد لأخذ لنفسى بالكر وأرى تمر تس كيف يكون الغدر والخيانة وتقدمت العساكر صفوفا صفوفا بعد أن اعتنت على خيائها ورفعت أعلامها وراياتها وتهبأت قوادها وأبطالها وكان يلوح للأعجام أن ذلك اليوم بوه "لا انفصال وأهم سيقعون بالاعداء ويشفون منهم الغليل ويشدونهم بالرغم عنهم ولما صار الفريقان قريبان من مباشرة الضرب والطعان أخذ الوزير يداندش الأوراق التي بها الساحر المقطر وأذراها بالهوى فتأثرت من يده وظايرت بقوة ما هو عليها من السحر وأثرت كالنجيم وسارت كل ورقة إلى صاحبها المكتوب اسمه عليها فوقعت على رؤسهم وأسرع من لمح البصر صارت الفرسان ترتفع عن ظهور الخيول وتتصير في الجبال الأعلى ركن فيروز شاه

واكبوا جواده الكمين خالما وقعت الورقة على رأسه انحلت أعصابه وارتخفت مفصلة وارتفع بالرغم عنه عن جواده وقصد الجو الأعلى لجمة المقنطر الساحر وتبعه بهزاد ومن خلفه سيامك سيفابا وخورشيد شاه ومصفر شاه والهلوانية الستة تلامذة فيلزور وجميع القواد الذين يبلغ عددهم نحو تسعين أميرا من الرؤساء حتى انهب الملك ضاراب ووقعت عليه الرعدة والخول وشاهد بعينه تلك الاعمال السحرية التي لم يكن يعلم لها سببا فتحير وارتيك وصاح من ملء رأسه على غير وعى وقال ما هذه الحالة لقد هلكنا ووقفنا في الخطر المبين وجعلت فرسان إيران تصبح وتنادى وتدعو اقه مستغثة من جور تلك الاعمال . وأما المصريون فقد كثرت بينهم الفرحة والسرور وجعلوا يهتفون بعضهم ببعض وتبينوا النصر عيانا بيانا وشاهد الوليد وهو تحت أعلامه ما كان من حاله أعداءه فأوعب قلبه فرحا وسرورا ورأى ما كان حكا له الوزير قد وقع واشتق قلبه ومثله طيفور وانشاء سرور وما منهما إلا من طفع قلبه بالفرح وخاف الوليد من ضياع الوقت فأمر عساكره بالحملة خلعت حملة واحدة وصاحت صياح التهديد وأرمت بانفسها على جموع الايرانيين فالتقتا بقلوب صابرة على الاحوال وقام سوق الحرب واختلف الطعن والضرب وعظمت الاحوال والامور وكثر الوبل والثبور وساد السيف بسلطانه واقتخر بعلو منزلته وشانه وقد أعمد في الصدور والاكباد واستعجل لتفريق الارواح عن الاجساد وإخضاع كل جبار عنيد وقارس صنديد ولم يكن إلا ساعة من الزمان حتى ارتفع الغبار إلى العنان وتسردق فوق تلك الجموع كالرواق المجموع وانبسط على الرؤوس بعد أن تلاعبت به الالهوامور ففته إلى أعلا العلاء ما انغمست تلك الابطال بالدماء واكتحلت المصائب باميال الماء وكان ذلك اليوم على أهالي إيران يوم مصائب وأحزان وقد فتكت بها الاعداء فتكا ذريعا وفعلت بها فعلا شديدا لأن تمرتاس ساد وماد وفعل أفعال الابطال الشداد حتى روى من دماهم ظماء القواد ولم يكن من يقدر أن يلقاه ويمنع شره وأذاه ففضح الجيوش بقوة عزمه وقدرته وفرقا بعظمة شجاعته وبسالته وقد اشتدت به قلوب المصريين وتقوت اقدرة النجيين ففعلوا فعالا الفرسان وقتلوا قتال الشجعان وما جاء آخر النهار إلا كانت الاعجام في حالة ذل وانكسار وقد حُق بها التناخير والدمار وقتل منها عدد كثير المقدار وعند المساء ضربت طول الانفصال ورجع القوام عن الحرب والقتال وما صدق الانجمان وصولوا إلى المضارب والحيام تخلصا من شرب كأس الخام فانهم لا قوا في ذلك اليوم من الاحوال مالم يلاقوا قبل ذلك الآن ونزل الملك ضاراب في صيوانه وهو بحالة هم ونكد لا يعرف يمينه من شماله ولا يفرق بين النور والظلام ولم يطب له قط طعام ولا مسامرة ولا كلام ولم

بعض لإساعة من الزمان حتى جاء طيطلوس ودوش الراى وأقاما عنده وهو لا يقبل أن يكلم أحداً لما حل بقرسانه وأبطاله ولا سيما ولده فيروز شاه وهو لا يعرف إلى أى جهة أخذوا وبقرة أى ساحر رفعوا وهل انهم يذبحون أو يقيمون أحياء إلى أن يسئل الله لهم الخلاص وكان كلما أمعن في الأرض تنموا في رأسه الأفكار وتزيدتفعمالا حتى كاد يطير عقله ويخرج عن الصواب ولما رأى طيطلوس حالته خاف عليه من أن يجن ويحسر عقله . فقال له ثق بالله يا سيدى ولا تقطع رجاءك من رحمة فليس هو بمن يظلم خائفه أو يرضى لهم بالعذاب وإن كان ولدك اليوم مع قبة الفرسان أخذوا ظلماً فليس لاخذهم القوة التى لاهنا سبحانه وتعالى فإذا كان المصريون يتكلمون على السحراء فانتا تتكلم على إله السماء وقد وقع ولدك بمصائب جمة أعظم من هذه فحلصه الله منها ولا بد أن نعلم علم اليقين إلى أين رفعوا وليس لنا إلا بهروز العيار وشبرنك وشياغووس وطارق أن يكشفوا لنا الإخبار ويفحصوا عن السبب الذى أوجب فقدان فرساننا ومن هو الذى أوصل شره إلينا قال بهروز لا بد لى من الاكتشاف والسعى وراء هذا الامر والاطلاع على فاعل هذا الفعل المنكر واوصال الاذى اليه

قال الراوى وما أكل بهروز كلامه حتى وقف بدر فتات العيار في باب الصيوان وحياهم بالتجبات والاكرام فانعطف خاطر الملك اليه وتوجهت أفكار الحضار إلى قدومه وادنوه منهم وقال له الملك ضارب ما ورامك يا بدر فتات من الإخبار وهل عندك علم بأمر فرساننا وأبطالنا وإلى أين جذبوا . قال انى ما أتيت اليكم إلا لهذه الغاية فان عندى من الاخبار صحيحها وقد استغنمت هذه الفرصة لأعرض عليكم ما كان من أمر فيروز شاه وقبة الفرسان . فقال طيطلوس أوجز بله قال فانتا على مقالى النار . قال اعلوا أن فرسانكم بأجمعهم عند المقنطر الساحر في قصره يتسوزن العذاب الأليم . ثم حكى لهم كل ما كان من أمرهم إلى أن انتهى إلى قوله أن المقنطر المذكور دفع إلى بيدانداش الوزير الورق وقال له 'ذرهما في وجوه الفرسان فيقطاريون في الهضاه ويأتون الى وأخير دفع اليه أيضا اخبره يسير في وجهه الدخول وتزول الموانع وتبطل حركات الالهة السحرية . وما وصل الى هذا الكلام تكدر الملك ضارب وقال انى لم أكن أحسب حساً لهذا السحر وكنت على نية الدخول الى المدينة وترجح لدى نهاية هذه الحرب . فمن يا ترى يقدر أن يصل إلى المقنطر الساحر ويخلص لنا فرساننا وكيف تقدر أن نحدد ساحراً مثله يقمعه ويعد كيده الى نحرة ويرد علينا فرساننا انما الله وحده قادر على مساعدتنا . ولم فرغ الملك ضارب من كلامه قال بهروز لسدر فتات أريد منك أن تتبني باحثهم

الذى قلت انه يحل حركة الانفى لاني عزمت على أن أطرق قصر المقنطر الساحر وتكون
أنت رفقتي فتخلص الفرسان باجمعهم قال كيف يمكنك أن تتوصل اليه وإذا وصلت
اليه كيف تقدر على قتله وهو ساحر ما كر بقدر أن يعرف غايتك ومن أنت وإذا عرف
بك اصطادك بكيد سحره والقي عليك شرك مكره فأسرك ويقرنك الى قومك ويفعل
بنا العجائب فنكون قد رمينا بانفسنا الى وهدة الخطر عن جبل وطيش . قال لا تخف
من كل ما ذكرت فانه لا يقدر أن يعرف من نحن وإذا عرف لا يقدر أن يوصل الينا
أذى لان عندي ثلاث الية من حمل صفراء الساحرة تلبسها فتبينان كل ساحر ما كر وقد
علمتني صفراء المذكورة ما أفدر أن أوقع بالسحرة اذا امتنع على قتلهم ولذلك ترائي
قادرا على كبح هذا الساحر ومنع سحره بالحيلة وبالقرة انما اللازم أن تأتيني بهذا
الحتم لترى به الانفى ونبطل حر كته واني بحوله تعالى قادر على أن أكفل نجاح
خطي . قال اني أسير في هذه الليلة الى اوزير واصرف الجهد الى الاستحواذ على
الحثائم وفي الليلة الآتية آتيكم به ومن ثم تنظر الطرق الموصلة الى العاية فاطمأن بال
المملك ضاراب وقال طيطاروس لا خفي أن حالتنا صعبة جداً وان مركزنا صعب جداً
واننا اذا حاربنا الاعداء الى حين عودة فرساننا نصبح مضعة في فم البلاء والعناء
لان فرسان الاعداء كثيرون وقد طمعونا فينا غابة الطمع واستغنوا فرصة غياب
وجالسا ولهذا رأيت من الموافق ان نرجع بالعساكر الى الورا وندخل بين الادغال
والأحراش ونحاصر فيها الى حين رجوع فرساننا وعندي انهم سيتخلصون بعناية الله
تعالى وحسن مساعدته . قال المملك ضاراب ان في ذلك النجاح وحفظ دم العساكر
من الهدر لاننا اذا حاربنا يوما أو يومين نصبح فريسة الخنوع ونفقي عن آخرنا
فهل تعرف من مكان تقدر أن تتحصن به حتى اذا قصد الاعداء قتلنا دافعنا عن
انفسنا الى أن يأتينا الفرج منه تعالى . قال اني أرى الى الورا كما مملوءة من الأحراش
تصلح جدا لقيامنا فيها فمتى جاءنا المصريون حاربناهم بكل طاقتنا فاذا ظهرت الغلبة
علينا رجعنا الى مراكزنا وانهم لا يقدرون أن يتبعونا اليها فاستحسن الجميع هذا
الكرأى وأمر المملك ضاراب أن تستعد العساكر لتفلق بعد نصف الليل الى تلك
الأكام وعاد بدر فقات بعد أن ودعهم وودعهم أن يوافيهم الى محل اقامتهم في الليل
لجأه وأما المملك ضاراب فانه بعد مسير بدر فقات قلع صيوانه ورفع على ظهور
لبغال وجعلت العساكر تتفلق مضاربها وترفعها على خيولها وأقل من ساعة من
الزمن كرت جيوش ايران راجعة الى الورا بحالة الذل والانكسار فسيبحان مذل
الجبارة ومغير الأحوال فهو الحلي الباقي ولا زالت تلك العساكر سائرة دون أن
يبدى أحد منهم حركة أو يفوه بكلمة من الحزن على ما أصابهم الى أن وصلوا الى

تلك الآكام تسلقوها وانزلوا أحلامهم ونصبوا مضاربهم وباتوا ينتظرون الصباح
 النكاشف لكل مستور والمظهر خفايا الليالي السود
 فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الوليد وجماعته فانهم عادوا عند مساء النهار
 الذي حازوا به النصر والظفر وهم بغاية الفرح والمسرّة تكاد الدنيا لا تسمعهم من عظم
 ما نالهم ولما دخلوا الخيام نزلوها واستراحوا فيها وعند بداية السهرة اجتمع على الوليد
 رجاله ومقدموه وهناؤه بالنصر وبتهر أعدائه وقال له طيفور ما نذا قد زال الخطر
 ولم يبق من أمر مكدر فان أعداءك قد لا قوا شر أصحابهم وما ان فيروز شاه قد فقد
 ومعه كل فارس وبطل من بين جيوش فارس وهذه الشرذمة القليلة الباقية أماننا لا
 تلبث أن تنقرض بعد يوم أو يومين وتظلوا هذه الأرض منهم وبمد ذلك نرف ولذك
 الشاه صالح على عين الحياة بنت سیدی الشاه سرور ونرجع إلى بلادنا فيأبث كان ذلك من
 أول الأمر أى يا ليتة خطر لكم من البداية أن تذهبوا إلى المقنطر وتستينوا به لكان
 توفر عليكم مصائب شتى . قال مامضى فأت وليس لنا أن تقدم على أمر انقضى بل يجب
 أن نفرح لما أحرزنا من النصر في هذا النهار واتنا بهجة تمر تاس لا يمسى اليوم الآتى
 إلا وقد فرقنا جميع الاعداء تفريقا كاملا بحيث لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل . ودار الحديث
 بينهم مما يفعلون في الغد ومن يكن في الميسنة ومن يكون في الميسرة وقد وعدهم تمر تاس
 أنه يكون في القلب وأنه لا يرجع عن القتال ما لم يأت بالملك ضارب قتلا أو أسيرا
 وعند انقضاء السهرة انصرف الجميع من صيوان الوليد وسار كل واحد إلى جهة وكان
 بدر فئات قد عاد من عند الملك ضارب فارس رفقة يدانديش وهو يظهر له التعجب
 من عمل المقنطر وقال له في آخر كلامه انى أخاف يا سیدی أن يضع منك هذا الخاتم
 الذى لا يثنى بشئ لا سيما واتنا محتاج اليه إذا قصدنا الساحر المقنطر أو إذا وقف في
 وجهنا رصد آخر أو إذا أردنا ابطال سحر اضطررنا إلى ابطاله وقد رأيت في نومي
 أمس انه قد منك فقامت مرتباً وكنت أود في هذا النهار أن أسألك عنه أن تسلمه
 إلى فسهى عن بالى والآن اطلب اليك أن تدفعه إلى بحق مالى عندك من سابق الخدمة
 لأنى أعددت له مكاناً عظيماً وهو انى قصدت أن أربطه بربطة من الحرير الرفيع وعلقه
 في عنق حتى لا يقدر أحد أن يصل اليه ولا يغيب عن نظرى يوماً واحداً قال صدقت
 فما من حاجة لبقائه عندي وقد سألتك من البداية أن تبقيه عندك على أمر منى أن
 يبقى محفوظاً

ثم ان الوزير دفع الخاتم إلى بدر فئات العيار وأوصاه بالحفظ عليه لانه كان كما
 تقدم يركن اليه كل الركون ويسله كل أشغاله وأعماله وأمواله . فاقام بدر فئات صابراً

إلى الغد ليذهب بالحاتم إلى جبروز . وفي صباح اليوم الثاني نهض الوليد من نومه وفي
 نيته أن يحارب أعداءه الأعجم حرباً شديدة فينبههم بها عن آخرهم فنظر إلى جهتهم فلم ير
 أحداً ونظر الأرض خالية خاوية وروح الطبيعة يرف على وجهها وما من بشر عليها
 غير الأتار الباقية فوق باهتا إلى أن اجتمع إليه جميع أعيانه ووزرائه وكانوا قد شاهدوا
 غياب الإبرانيين فظنهم أنهم قد رجعوا عنهم وتركوا الحرب ولذلك دعاهم للشورى
 فدخلوا الصيوان وانتظموا حلقة ثم قال الوليد على ما أظن أن الملك ضارب وجد نفسه
 مغلوباً فاختار البقاء على العدم ففكر راجعاً إلى بلاده وأما إلى بلاد اليمن فما هي
 الطريقة وما ترون من الرأي أنسر في أثره أو نلث في مكاننا إلى أن يظهر لنا أمره
 فقال بيدائش أنه لا بد لنا من لحاقه حياً بصالح الشاه سرور لأنه لا ريب يسير إلى
 بلاده وينتظر عودته إليها فينتقم منه ويأخذ بثأر فرسانه وأبطاله من رجاله وقومه إعلم
 في الحاضر لا يمكننا أن نتأثره بل من الواجب ألا أن نذهب إلى المقنطر ونعرض
 عليه الواقع ونطلب إليه قتل الفرسان الذين عنده ومن ثم نعود إلى هنا فنزف عين
 الحياة على الشاه صالح ونرى إذا كان قبل المقنطر الساحر في أن نسير خلفهم فيدفع
 إلينا وسائط النصر أو يرى لنا طرقاً أخرى لخلاص بلاد اليمن وهلاك العدو . والان
 أرى من نفسي الخطأ والغلط لأنى لو طلبت من المقنطر أن يضيف إلى الفرسان الذين
 استأسرهم الملك ضارب وطيطلوس لكان هان عابثاً الأمر ولا قدروا أن ينجو من
 أيدينا . فقال تمرناس لا حاجة إلى المقنطر الساحر فإن المعجم أمسوا في حاله ذل وقهر
 فمن اللازم أن نتأثرهم ونوقع فيه وهلكهم عن آخرهم وهذا الرأي من أحسن
 الآراء وأصوبها وإلا أى فضل لنا إذا التجأنا إلى الأعمال السحرية في حال اتصارتنا
 ومجدنا وفوزنا . وإذا ذلك تكلم طيفور وقال إن من الخطأ أن نعتقد أنهم قد رحلوا
 إلى بلادهم وتركوا فرسانهم يد المقنطر وإن صح ظنى يكونون قد اتخذوا مكاناً لهم
 محميهم منا إلى حين يكونون قد سعوا بخلاص قومهم فاستد الشاه سرور قوله وقال من
 الواجب أن ترسل عياريك أن يفتشوا في نواحي مصر وآكامها ولا ريب في أنهم
 محتفون فيها فإذا سرفنا في طريق اليمن يفتنمون الفرصة بعدنا ويملكون المدينة وتقع
 معهم بالغلبة بعد النصر والظفر فقال الوليد إن هذا عين الصواب فقبل كل شيء يجب أن نفتش
 في نواحي مصر ونواحيها حتى إذا قطعنا الرجاء من وجودهم فيها نظرنا في أمر تأثرهم
 وإلا إذا كانوا لا يزالون مقيمين في إحدى الأدغال أو الأكام سرفنا إليهم وأوقعناهم ولا
 تترك لهم فرصة لهم شعهم وفي الحال أمر العيارين أن يتفرقوا ويعودوا إليه بالعجل دون
 إبطاء فساروا وما غابوا إلا ساعات قليلة حتى عاد إليه هلال العيار وقال له أعلم يا سيدي

ان الاعداء لا يزالون مقيمين في بلادك وقد رجعوا الى الوراء بضعة أميال فقط وهم متحصنون في الاكام والشعب ووضعوا العيون والارصاد تراقب لهم حركاتكم وقد نظرتهم عن بعد في الطريق المؤدية الى جهة الشرق وذلك لما سرت من هنا للاكتشاف عليهم تبعت الانار واتخذت اثر حوافر خيلهم دليلا كبيرا على التوصل اليهم ولا زلت حتى وصلت الى المكان الذي اقاموا فيه فوقفت عن بعد انا كدوجودهم وخفت ان اقرب منهم فيلقون القبض على اذا راوى فكررت راجعا اذ تحققتم عين التحقيق . قال طيفور اذن لابد لنا من مطاردتهم في تلك الداحية بحيث نهلكهم عن آخرهم ونسد عليهم الطرق ونمنع عنهم الشارد والوارد فقد رماهم الله في ايدينا فلتتهم حملنا . قال الوليد لا بد من قناهم عن آخرهم وقد خطر لي خاطر واحد تقدر به ان هلكهم ونبيدهم بوقت قريب وذلك اعتمدت ان اقسم جيشي قسمين قسم يحاربهم في النهار وقسم في الليل وبهذه الطريقة يبادون وبأكلهم التعب لان الجيش الذي يحاربهم في الليل يعود في اول النهار فيأخذ لنفسه الراحة بالنوم وينوب عنه جيش النهار وهذا يعود ايضا في اول الليل للراحة فيقوم مقامه جيش الليل وهكذا يكون حملنا الى ان نفيهم عن آخرهم وبهذه الطريقة لا تترك لهم وقتا للراحة ولا الأكل فاستصوب الجميع رايه واختاروه على غيره وقالوا لا بد من إتمام هذا العمل بالسرعة وفي الحال دعا الوليد قائد جيوشه العام وكان اسمه الامير مسعد فقال له خذ لك أربعمائة ألف من الفرسان وسر بهم في هذا الليل إلى الأكام التي في شرق المدينة وحارب الايرانيين حيث أقاموا هناك وفي الصباح عد إلينا فيكون قد سار عوضا عنك تمرثاس بالفرسان في أول النهار ف فكر على حذر حتى إذا سارت الساعة من الليل وصلت إليهم وأنزلت بهم العبر وراك من اتهم أو تنقاعد لآتي لا ارضى في المطاولة وأحب هلاك الاعجام بوقت قريب جدا فرعده القائد مسعد ببذل الجهد في نوال المراد وإنه يضيق على الاعداء غاية المضايقة ولا يرجع عنهم ما لم ينزل بهم الولايات والمصائب وكذلك تعهد تمرثاس بأنه إذا بقي منهم بقية أنهي أمرها في النهار القادم وأقاموا ينتظرون المساء وأما بنو قنت فانه عندما علم بما دبره الوليد تكدر مزيد الكدر وخاف من أن يلحق بالايرانيين ضرر أو يمين عليهم أمر فم يشاء أن يصبر إلى المساء بل سار من بعد الظهر إلى جهات البر ولم يأت عد عن قومه مال إلى التواحي المقيم فيها الملك ضارب ولا زال متسلقا لآكام حتى أن وقف بين يديه فقبل الأرض وعرض عليه ما كان من أمر الوليد وتديره وانه أمر بدوم الحرب ليلا ونهارا فلم يبد الملك حركة ولا فاه كلمة بل ضحك في الأرض إذ أن قال بدر فثات وما إلى قد جئت ياسيدي بالخدمة الذي وعدتكم حذر رد فأخذه منه

بهروز وقال انى كنت اود أن أسير فى هذه الساعة لو كنت أعرف أنه يوجد فى الجيش من يقرم مقامى سبياً وأن الأمر الآن خطير والخوف من المصريين كثير ويحتاج الأمر إلى التدبير فلتنظر فى طريقة توصلنا إلى منع الأعداء من الوصول إلينا هذه الليلة فقال طارق البيار لا تخف أنت على الجيش فمجل إلى خلاص الفرسان بما قدرت من السرعة وإنى أعدك وأقسم برأس سيدى الملك ضارب ملك بلاد فارس وأبى فيروز شاه سيد فرسان هذا الزمان انى لا أترك الأمير مسعد وجيشه يصلون إلى هذه الآكام وليس ذلك فقط بل انه لا بد لى من نصب مكيدة يذهب بها من جيوش الأعداء أكثر من مائتى ألف فارس دون أن يبدى أحد منا حركة أو يتحرك من مكانه وسوف تنذرون فعلى بعد هذا اليوم ثم استأذن الملك بالذهاب وأن يسمح له بشياغوس وشبرنك فأجابه إلى طلبه وفى الحال خرج من صنوان الملك وأخذ معه الاثنين المذكورين وكذلك بهروز قبل يدى الملك واستأذن منه بالذهاب وأن يسمح له بأن يرافقه الأشوب وبدر فئات لقضاء مهمته فاذن له وأوصاه مزيد الوصية وحرصه من الوقوع فوعده بالنجاح وخرج من حضرته إلى صنوانه ففتح الصندوق الذى جاؤا به من قصر صفراء الساحرة وأخرجوا منه الثياب فلبس هو واحدة والبس بدر فئات الثانية وسلم الثالثة للأشوب عيار مصفر شاء فأفرغها عليه وكانت الثياب كأنها معمولة من عمل السحرة ومنقوشة بالآسيا والطلاسم مما يبهج بها النظر وبعد أن أخذ كافة ما يحتاجون إليه وبارح الجيش وسار قاصدا لجهة المقنطر الساحر وبدر فئات يقودهم إلى الطريق المستقيم المؤدى إلى ناحيته وانرجع الآن إلى طوران تحت وعين الحياة وقد تركناهما فى قصر واحد وكلناهما مغرمين بحب حبيب قد علفت كل قلبها به وتتمنى أن تراه أو بالحرى تسمع أخباره وتقف على أحواله إلا أنها أقامت مدة أيام دون أن يصل اليهما خبر البنة لا عن فيروز شاه ولا عن مصفر شاه وهما فى كل يوم يرسلان القهرمانه هند البحت والتقصى دون الوقوف على نتيجة مطمئة لحواطرها إلى أن كان ذات يوم خرجت هند كعادتها وسلكت فى الأسواق من واحد إلى آخر وهى ترى الناس فى فرح زائد وسرور وهم يهتفون ويدشرون بعضهم بقرب زوال الحرب وقهر الفرس ففحق قلبها وعادت إلى القصر فأخبرت عين الحياة وسيدتها بما سمعت وقالت لأعلم من أين جاء هذا النصر وهل وقع على الفرس شيء أم لا فتكدرتا عند سماعهما خبرها واشتغلت خواطرها ولم يريا وجهها للحقيقة تلتفتان إليه وقالت طوران تحت من أين تقدر أن تعرف ماذا جرى على الفرس وهل أن مصفر شاه وبقيّة قومه بخير أم لا .

فالت عين الحياة انى أرى من الموافق أن ترسلى رسولك إلى أليك بقصد

الاطمئنان عن أحواله وتكتي له كتابا تستفسرين به عن حالة جيشه وعن أعدائه وتلوميه على منعه عنك الأخبار كل هذه المدة حتى شغل بالك واضطربت . فاستحسنت كلامها ورأته صوابا وفي الحال استدعت بأحد خدمها ودفعت إليه كتابا كتبت إليه أيها تقول له فيه اني في حالة صعبة لأن انقطاع الاخبار جعلني في ارتباك وأنت تعلم بحبي لكم وميل إليكم فأسألك بحق الترية أن ترسل إلي خبرا مفصلا عن حالتكم الحاضرة وماذا جرى على فرسانك وكيف حالة أعداك وهل أن فرسانهم بأجدهم باقون أو أهلكتم منهم أحدا . فأخذ الخادم الكتاب وسار إلى أن وصل إلى الوليد فقبل يديه ودفعه إليه فقرأه وبعد أن فرغ منه قال في نفسه لقد أصابت بتي فيما قلت فاني قطعت عنها الاخبار وكان من الواجب أن أرسل من يبشرها بنصرنا وقهر أعدائنا وهربهم وأسر المقنطر لفرسانهم وفي الحال كتب لها مفصلا يعلمها بكل ما كان من أمر الإيرانيين وأمرهم من حين إتيان تمرناس إلى ذلك اليوم وأعاد الكتابة إليها مع الخادم فتكدرت مزيد الكدر عند اطلاعها عليها وعلمها أن مصفر شاه في قبضة يد المقنطر الساحر وبكت ولطمت على وجهها وأغمى عليها فرشت هند الماء على وجهها ورفعته إلى فراشها وكذلك عين الحياة انقطرت مراراتها وشمرت بأن أكبر المصائب قد وقعت عليها واختارت الموت على الحياة وتمنت أن يفقد الظالمون الذين ظلموها ورموها بكل هذه الاحزان وطلبت من الله هلاكهم ونجاة فيروز شاه وكان لطوران نخت وعين الحياة ساعة من أشم الساعات وأقبحها مزقتها ثيابها وأسبكتا شعورهما وأذرقتا دموعهما ولم تعدا تعرفان ما تقولان كل ذلك النهار وفي المساء اجتمعنا إلى بعضهما وأخذت كل واحدة تنشد غرامها وتلوم زمانها وتعدد مصائب حبيبها وهي غرقى بدموع الحزن والأسف وقطع الرجاء وأنشدت بنت الوليد

| | |
|------------------------|----------------------|
| يدنيه قلبي ويعدده | طنف الأمان ثم أقفده |
| ظن الهوى بالقلب منزلة | أقوى فعاوده يحده |
| لاحظته فتولدت عني | والحب من نقر تولده |
| ريم أذ إلى الحشا سكنا | فالقلب مريه ومورده |
| ساروا فصار القلب بينهم | حيران يجهل أين ممهده |
| وبقيت بعدهم وايس سوى | نفس ولا أقوى أردده |
| ردوا فؤادي فهو ينجدني | من بعد ساكنه ونحوه |
| فالحب ان شط المزار به | يوما تؤسينا معاهده |
| كم وقفة للبين مزججة | خان الفؤاد بها نحوه |
| تنهل أدمعنا وتنهلها | حذرا لو اشضل مقصده |

ونكاد نشرق إذ نسبح دما والبن لا تصفو مواده
 أما الليل طال بعدكم ودجى النوى لا يرتجى غده
 أبكى إذا صدح الحمام على فتن فينشدنى وأنشده
 أن تحت قام إلى يسعدنى أو ناح قمت إليه أسعده
 بتنا معا في ليل داجية لكن سهرت وبات يوقده

ولما عين الحياة فكانت النار تتسعر في فؤادها بما لحق حبيبها من المصائب وقد
 اندثرت وهى تتمنى أنها لو كانت معلقة لربما توصلت إلى خلاصه

أنظر إلى المجد كيف ينهدم وعروة الملك كيف تنفصم
 وأعجب لشهب البراة كيف غدت تسطو عليه الحداة والرخم
 قد كنت أختار أن أغيب في التراب ونيل عظامي الرمم
 ولا أرى اليوم من أكابرنا اسد وفيها الذئاب قد حكموا
 بأى عين نرى الأنام وقد تحكمت في ليونتنا الغنم
 أما مات وذكروا حسن أما حياة وربنا حرم

وكانت المصائب والأحوال قد الفت عين الحياة حتى أنها عندما تشتد عليها
 كانت لا تؤثر فيها عظيم تأثير إنما كان الحب وحده الذى يفعل فيها ويحرك منها
 دواخلها ويجعلها أن تخاف على من أحبه حبا يكاد يحسب ضربا من العبادة الحارة
 المتولدة في القلب الكثير الميل والشعور ومنذ ذلك اليوم وقع على عين الحياة
 وطوران تحت واقع الكدر والحزن فكانتا تصبحان وتمسيان على البكاء والتعداد وفي
 كل يوم تنزل هند الأسواق مستشفقة الأخبار باحثة عن حالة جيشها فكانت لا تسمع
 إلا فرحا وسرورا من الأهالى وهم يظهرون لعلام النصر أبهج علام

قال فلنتركها على هذه الحالة ولنرجع إلى طارق العيار فإنه وعد الملك ضاراب
 وروز بانه يوقع في المصريين والذين تنصروا لهم الوقائع الهائلة وينصب لهم شركا
 يهلك به أكثر من مائتى ألف نفس وهذه الغاية أخذ شيرنك وشياغوس وسار بهما
 كما تقدم الكلام وكان طارق في النهار قد أوسع في القفار وجمال في الطرقات
 حتى توصل إلى واد بالقرب من تلك الجهات لا يبعد عن مصر إلا عدة أميال ونظر
 في الوادى المذكورة جيشا جوارا كثير المقدار يبلغ أكثر من مائتى ألف فارس
 فتعجب لنزولهم في تلك الوادى فاختلط بينهم وجعل يستفسر منهم عن حالتهم إلى
 أن عرف أن أولئك القوم هم من ملاطية وقد جاءوا لنصرة الوليد وهم تحت إمرة
 ثلاثة فرسان من الفرسان الشداد يقال لهم فبروهر وقبروكان سيف الدولة صاحب
 ملاطية قد بعث لهم رسول يستدعيهم لنصرة توليد مزارى أخبرهم أمرهم أن يجمعوا

الفرسان ويأتوا إليه وفي الحال ركبوا وساروا إلى أن قربوا من تلك الوادي وكانوا من التعب على جانب عظيم ولذلك اختاروا النزول والراحة وقالوا نيات هذه الليلة في هذا المكان وفي الصباح نسير إلى مصر وربما يدرك الوليد وهو في الشدة أثناء القتال فيكون لو وصلنا بأثر عظيم ونفخ أعظم ولما اعتمدوا على هذا الرأي نزلوا وسرحوا خيولهم ونصبوا خيامهم للبيت في تلك الأرض ولما علم طارق سر المسألة أبقاها في ذهنه وهو يفكر في عمل حيلة إلى أن تعهد الملك ضاراب بما تعهد فقصده أن يخدمه خدمة يشكره عليه فلبس لبس تجار الشام وألبس شبرك وشياغوس مثله وهما لا يعلمان ماذا يريد منهم مزق الثياب وعقر نفسه بالتراب وسار إلى جهة مصر وصبر في منتصف الطريق إلى أن قرب الزوال وإذا به يرى عساكر مصر وقد خرجت مع الأمير مسعد قاصده الآكام وهي التي عينها الوليد لقتال الليل فلما رآهم طارق جعل يبكي وينتحب وسار إلى جهتهم على تلك الحالة وفعل رقيقاه فعلمه من النوح والبكاء إلى أن وصلوا إلى العساكر وهي سائرة فسألوه عن حالهم فقال لهم طارق خذوني إلى الحاكم فإن لي كلاما أقوله له قالوا إن الحاكم ليس هو مع الجيش إنما معه قائد الأكبر فأخذوه إليه فلما وقف بين يديه بكأ وحث التراب على رأسه وقال له أرجوك يا سيدي أن نغيثنا وننظر إلينا وترجع أموالنا فقد سلبنا الأعداء ورمونا بالفقر والفاقة ولم يبقوا علينا سترا . قال من أتم ومن الذي فعل معكم هذه لفعل . قال طارق اعلم يا سيدي أننا تجار من بلاد الشام وجئنا بها إلى القدس على أمل أن نبيعها هناك فنرجع فيها غير أننا صادفنا كسادا في تلك المدينة ولم ترج بضاعتنا فخطر لنا أن نأتي بها إلى مصر رجاء أن نبيعها ونزيع في ثمنها فسرنا كل الطريق دون مدافع ولا مانع ولا خرج علينا أحد إلا أننا وصلنا إلى هذه البلاد وهي محل الأمان وعط السلام مررنا في واد بالقرب من هذه النواحي ونحن لا نعلم أن فيها أحدا وبينما نحن سائرون خرج إلينا جماعة ظهر لنا أنهم من جماعة الفرس فسلمونا أموالنا وقادروا القافلة بما عليها وأخذوا رجالها أذلاء حيارى وهم يقولون لنا سلوا أنفسكم إلى الملك ضاراب ملك بلاد فارس وكنا نحن مع جماعتنا قد وقعنا في أيديهم إلا أن العناية الإلهية سمحت لنا بالخلاص فافلتنا من أيديهم وجئنا إلى جهة المدينة إذ أن صادفناكم وقد اندهشنا لكثرتهم وكثرة جيوشهم

فلما سمع الأمير مسعد هذا الكلام وقف مضطربا ثم قال وهل تكدتم حق التأكد أن أولئك القوم من الفرس . قال طارق كيف لا وقد تبين لنا من ملابسهم وقعاتهم أنهم أعجم وقد ضربوا الخيام في جوانب الوادي ومثروا ضوئا وعرضا فقال لا ريب أن الملك ضاراب هو نازل في تلك الوادي وصحاحي يكون غير مكانه

خوفا من أن تقاجته فاغتيا في ذلك المكان . ثم قال لطارق سيروا بنا إلى الجهة التي تزعمون الاعداء قد أخذوا لكم بضائعكم فيها فانا نردها عليكم ونزيدكم فوقها أضعافا فقالوا سمعنا طاعة وساروا أمام العساكر والامير مسعد في أثرهم ومال الجيش برمته إلى تلك الجهة وهم فرحون بنزول الاعجام في الوادي لانه أسهل مجالا للقتال والزال ولما قربوا من الوادي تقدم طارق إلى الامير مسعد وقال له أخاف ياسيدي أن يقع بينكم وبين الاعجام قتال تخسرون به ولذلك أرجوكم أن تستكن هنا لأن لا علم لهم بكم فاني أذهب وأترب لكم إياهم حتى إذا دخلوا خيامهم للنوم وفرقوا عن بعضهم تكبسونهم وتوقعون بهم ولا يفقد منكم واحد قط وبهذه الوسيلة تقدرون أن ترجعوا لنا بضاعتنا ولا تقولوا أنها كلفتكم دم كثير من الرجال قال لقد أصبت فسر الى أن يتبين لك أنهم نيام وأت البنا لاني أقيم هنا نحوا من ساعة لراحة الجيش وكان الامير مسعد قد شاهد عن بعد الجيوش النازلة في الوادي وقد أشعلت نيرانها ونورت مصايحها فتأكد قول طارق وعلم أنه صادق وفي الحال أطلق طارق ساقبه إلى الريح وسار الى أن دخل الوادي وتخلل القوم حتى وصل الى صبيان الامراء الثلاثة وقال لهم وهو يظهر على نفسه التعب ويلهث بتتابع اعلبوا أن بعض عياري الوليد كان بين جيوش إيران يتجسس أخبارهم ويستطلع أحوالهم فعرف مؤكدا أنهم أطلعوا على أمركم وقد قرروا فيما بينهم ان يكبسوكم في هذه الوادي فعاد العيار وأخبر سيدي فتعجب لما أنه لم يكن له علم بوصولكم وفي الحال بعثي لانيهم لتكونوا على حذر اذا صح ما أخبر به العيار وبيننا أنا آت شاهدت جموع الاعداء يتقدمون

اتهي الجزء الخامس عشر وسيليه الجزء السادس عشر

الجزء السادس عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

شيئا فشيئا ولذلك أهلكت نفسى بسرعة المسير الى أن سبقتهم وقد خطرتلى أنكم ترجعون إلى الورا وتفرغون الخيام حتى إذا صار الأعداء بينها تنحدرون اليهم وتبادرونهم بالقتال وإنى أعود إلى أنوليد فأخبره ليدارككم بالنجدة فيفنون عن آخرهم وما ذلك إلا من سعادة الوليد وحسن حظه . فلما سمع فيرومهر وقهر هذا الكلام قالوا انا نعجب كيف أن الأعداء عرفوا بنا لا ريب أن أحد عيارهم كان مارا من هذه الجهات فتجسس أخبارنا ولا بد لنا من الاتباع بهم ونصب مكيدة تكون عليهم سرا وبالا . ثم أمر رجاله في الحال أن ترجع إلى الورا وأن تطفى الأنوار وتمتنع عن الضوضاء والغوغاء حتى لا ينبه العدو اليهم بل يظنهم داخل الخيام وبأقل من نصف ساعة خرجت رجال ملاطية من بين الخيام وتوغلت في رؤوس الوادى . ولما رأى طارق رجوعهم ثبت عنده نجاح مساعه فكرر راجعا حتى انتهى إلى الأمير مسعد فقال له إن القوم نيام وهم آمنون من طوارق الخلدان ولم يخطر لهم قط أن عساكركم تفاجئهم مثل هذا الليل وأسأل الله أن لا يقيم منكم وأن يهلكوا عن آخرهم . وفي الحال أمر الأمير العساكر أن تدرج إلى الوادى وتهجم على الخيام هجمة واحدة وأن يوقعوا بالأعداء ومن وقعوا به منهم لا يبقوا عليه حتى إذا أشرقت الشمس يكون قد بددهم وأهلك قسما كبيرا منهم فلا يعود من لزوم لحجى تمرناس . لقتال النهار ففعلت العساكر ما أمرهم به فائدهم ودخلوا الوادى وهجموا على الخيام دون أن يبدوا حركة ما وتفرقوا بين المضارب ودخلوها وهم لا يرون أحدا وفي تلك الساعة صاحبت عساكر ملاطية وحملت وقومت أسنبا وستر عنها الليل وجه الحقيقة فضئت أن الآتين من الإبرانيين كما كان يظن ذلك المصريون وبأقل من ساعة ارتفعت الصيحات . وعلت الأصوات . واشتدت الشدات . وكثرت الويلات . وعملت السيوف الصقال . في صدور الرجال . فمددتها على الرمال . واختلط القومان . وسلبا بأنفسهما إلى الذل والحرار . وعرضا بأنفسهما إلى الهلاك والقلعان . ومامن واحد عرف خصمه . أو تبين شكله ورسمه . بل كانت القتل تتمدد بين الخيام وتعتز بالرجال الجبول قمرمها على بساط الآكام . وتدوسها بعالمها . فتذوق شروباها ونكالا . ولم يكن ير في سواد ذلك الليل إلا بريق ولعان وشرار يتطابر من وقوع السيف الجمان . على درق الفرسان .

ولما رأى طارق أن القومين قد وقعا ببعضهما وإن الحرب قامت على ساق وقد هموا من سبيل إلا فصلها ورجوعها قبل آتيان النهار أخذ رفيقه وكر راجعا إلى جهة الآكام المقيم فيها الملك ضاراب وهو يصفق من العرح والمسة وقد أنهى من عمله شبرنك وشياغوس حتى دخل صيوان الملك ضاراب وكان اذذاك في آخر السهرة وقد أوشتت الناس أن تنفض عن ديوانه وقال له بشارك يا سيدى فقد خدمتك في هذه الليلة السعادة حتى وفرت عليك من التعب ما كنت تخاف منه قال بما تبشرنى يا طارق هل تخلص ولدى والفرسان . قال كلا يا سيدى إن ذلك شغل بهروز الذى تعهد به وأما أنا فأتى تعهدت لك أنى انصب للأعداء شركا يهلكون به انفسهم فقد توقفت والحمد لله إلى المطلوب . ثم شرح للملك ما كان من أمر فهر ومهروفر وكيف رماهم مع الأمير مسعد وقال له إن الحرب لا تزال الآن قائمة بين القومين ولا يمكن فصلها قبل الصباح لأنهم لا يعرفان بعضهم وسواد الليل قد سترهما . قال فسر الملك ضاراب غاية السرور وتعجب غاية العجب من حيل طارق وخداعه وقال له فلتكن عيار الملوك مثلك والافلا . ولا ريب أن العمل الذى عملته وقت به مقام جيئنى بأجمعه واهلكت من الأعداء ما بهعب على عساكرى هلاكة دون أن يفقد منهم فارس واحد . ثم أمر الملك أن يخلع عليه الخلع الحسان وتدفع اليه الدراهم والدنانير وقام مع وزيره وتقدموا إلى الامام وعلوا اكمة عالية ونظروا عن بعد إلى جهة الوادى فسمعوا اصوات القتال وشاهدوا على نور السكاك بريق السيوف وكثرة الازدحام فزاد سروره وقال لوزيره لا ريب أن الفريقين يهلكان بعضهم في هذه الليلة فلا يصبح الصباح وفيهما بقية رمل فله درك يا طارق وأنى أسأله تعالى كما توفق إلى اتمام تعهده يتوقف بهروز إلى خلاص رجالنا والآن تبين لى طرق النجاح ولا بد من الحرب في الصباح والمطالبة لنهلى القوم عن أن يذهبوا إلى المقنطر لينتظروا يعود الينا بهروز واسأل من اقته توفيقه . ثم عاد الملك ووزيره وهم في فرح ومسة وناموا تلك الليلة ينتظرون الصباح .

وأما المتقاتلان فانهما بذلا الجهد في الطعان والضراب . وقد سدت في وجوه الرجال جميع الأبواب . حتى لم يعودوا يرون خلاصا من الهلاك والعذاب . ولا سبيلا إلى الهرب . والنجاة من التعب . وملاقة العطب . ودامت الحرب قائمة على ساق وقدم . إلى أن انقضى الليل وأمر واقبل النهار وتقدم . وقد تحذرت من الفرسان السواعد والاكتاف . وباتوا على شفير الهلاك والتلاف . وكادوا يفنون عن آخرهم لأنه ما بقى منهم إلا كل مجروح أو قاطع الرجاء وخائر العزم والقوى ولما اشرق لنهار تبين القومون بعضهم فمير الحصى في خصمه دلائل إنيابة بل رأى اهل ملاطية

أنهم تقاتلوا مع المصريين ورأى المصريون أنهم قاتلوا فصراتهم أهل ملاطية وفي الحال أمر الأمير مسعد بضرب طول الانفصال ومثل ذلك فعل فهد وأخوه فرجعت الرجال عن بعضها غير مصدقة بالخلاص . واجتمع الأمراء ببعضهم واستفسروا عن السبب فحكى كل منهم ما كان من قصته وما سمعه من طارق فتعجبوا من عمله وقالوا لا ريب أنها حيلة إيرانية فتكدر واغاية الكدر وتأسفوا على ما فرط منهم وحزنوا على الفرسان الذين قتلوا وظلوا وعدوانا وبعد أن ارتاحوا قليلا نهضوا فركبوا خيولهم وساروا راجعين إلى الوليد وقد قتل منهم أكثر من مائتي ألف رجل من الفريقين . وكان الوليد في الصباح أمر تمراس أن يذهب بمساكر الرومان أجمعها ويصم إليها مثلما من عساكر مصر واليمن وأن يسير إلى جهة الآكام بحيث يكون الأمير مسعد قد انتهى من قتال الليل فيفاجأ الأعداء وينزل بهم الوليات ولا يدعهم يرتاحون البتة وأن لا يرجع إلا والملك ضاربا أسير معه فوعده بكل خير وسار على طريق الآكام المقيم فيها الملك ضاربا . وهو يؤمل أن يرى عساكر الأمير مسعد عاتدين متصرين ظافرين فلم يرم ولا زال إلى أن قرب من المكان الذي كان فيه طارق العيار والتقى بالأمير مسعد وحكاه ما كان منه . قال وهناك نظر إلى الأمير مسعد أت من جهة الوادي فوقف له إلى أن قرب منه فسأله عن تغيره الطريق وعن الأسباب الموجبة لقلقه وتعفر رجاله فحكى له كل ما توقع من حيلة طارق وكيف قاموا بالحرب كل تلك الليلة مع بعضهم البعض فتكدر تمرة من وقال لا ريب أن هؤلاء القوم شياطين مردة ولكن إذا فعوا انكم ذلك فلا يقدر أن يفعلوا معنا فبما سبوا إلى الوليد وأعرضوا عليه أمرهم وإني سأخذلكم بالثأر هؤلاء الأوغاد وأرهبهم كيف تكون الخيل ثم صار إلى جهة الآكام وسار الأمير فهد ومهر وقهر إلى جهة الجيش حتى وصلوا إلى الوليد فنعوا له القتل منهم وحكوا له كل ما كان من أمرهم وكيف أن عيار العجم غشوا بهم فطارعه لهذا الخبر وتكدر زيد الكدر وقلق لما وقع على عساكره ولا سيما سيف لدولة حاكم ملاطية فانه حزن لفقد رجاله ولام بهلواة بلاده كيف أنهم نزلوا تلك الليلة في لوادي مع أنهم قريون من مصر . فقالوا هكذا حكم القضاء وأظم كدر كان على الوزير طيفور لأنه كان يعد لشه سرور أنهم في ذلك اليوم يقبضون على الملك ضارب ويددون كل رجله فحقه "تمثل والحية إلا أنهم عفاوا الأمل بتمرتاس وقالوا لا بد أنه ينهي أمر الأعداء ويأخذ لنا بالثأر منهم وبأنوا يعلقون الأمل بعود عساكر الثأر .

وأما ما كان من تمراس فانه تقدمه شيء فشيء من جهة البحر المقيم به عساكر إيران

ولا زال الى أن تينته عن بعد وإذا بالفرسان قائمة حبة واحدة الى بعضها وهم يهتفون
للنزول من مراكرهم لأنهم شاهدوا عن بعد العساكر آتية فاستشاروا الملك ضارب
في ماذا يفعلون فقال لهم انزلوا اليهم الى أسفل ولا قومهم بهمة وحمة فإذا تبتم ابقوا في
مراكركم ولا تعودوا الى الآكام وتسلقوا الجبال وإياكم من الانفراط فأجابوه ولما
قرب تمر تاس بجماسته منهم خرجوا اليه ولا قوه عن بعد وهم على يقين أنهم لا يثبتون
لأنهم كانوا بلا قواد يفعل وكان الخوف فيهم بكل قوته ولا سجا خوفهم من المقنطر
الساحر أن يعود فيفرقهم أو ينصب لهم طريقا آخر للهلاك والموت ولما التقى القومان
حملوا على بعضهم البعض ومالوا في الطول والعرض وقدهم زوا العمدان وأطلقوا العنان
واختاروا الموت على البقاء والهلاك في الثبات على التأخر والرجوع الى الوراء وكان
تمر تاس يصول صولات الآساد ويدير كما تهدر غول الجبال وهو يميل تارة الى اليمين
وطورا الى الشمال وقد جود الطعن في الأدهام وفك فتك أعجيبا فتبوا له ثبات الابطال
والتقوا المنايا بقلوب صابرة وصدور وسيدة ودارت بهم المصائب من كل ناح ولم يعودوا
يعلمون ما بين أيديهم ولا ورائهم وبأقل من ساعة أخذوا في أن يرجعون القهقري
ويتأخرون ولما رأى الملك ضارب حالة جيشه غاب عن الصواب وخرج من تحت
الاعلام وهو في حالة جزونية وعول على الهجوم على تمر تاس فتمسك به طيلوس وقال له
لا حاجة لخروجك للحرب الآن فلا تخاطر بنفسك في القتال ولا ترى بجيشك في بحور
المهلك بل من اللازم أن تضرب طبول الرجوع وتأخر الى ظهور الآكام ونظار
الاعداء بالسهم الى حين يصل البناء من بهروز عساه أن يقضى العمل ويأتينا بابك
والذين معه فاصغى الملك اليه وضرب تغير الدود فتأخرت عساكره الى الوراء طالبة
الصعود الى مراكرها وطاردها تمر تاس بجيشه وعول على أن يبق متاثرها الى مراكرها
ولا يرجع عنها ولو ألزمه الامر فقدان نصف عساكره الا أنه توقف لما شاهد عن بعد
غبارا قد ارتفع الى العنان ومن تحته جيوش وفرسان وهي كالجراد الزاحف تميل سيوفها
في الهواء وتشرع بعدائها فتكلم فيخرج من جرى وقعه على بعضه أصوات أشبه بالعود
القواصف وكذلك الملك ضارب فانه وقف بجيشه في منتصف الآكام لما تبين ذلك الغبار
وهو عن طريق التين وصبر ليعرف سبب محيته وقال لطلوس وكان يقربه إن هذه العساكر
آتية علينا وإني أخاف أن تكون هذه الواقعة سببا لانقرض دولة فارس لانا أصبحنا الان
في مركز صعب جدا فعساكرنا كادت تفقد قواها وعاثت بعد قليل من الايام وفزساننا
الان في قبضة ساحر يصعب على اعظم عيارى هذا العالم أن يتشلهم منه اذالم تساعد يد العناية
الالهية الغالبة والاعداء يتجمعون علينا من كل جهة ومكان وما من نجدة يشتد بها ظهر

جيشنا ويسد به الخلل الذي ينقص فينا قال ان قلبي يخبرني ان هذه العساكر آتية لنجدتنا وان بها يكون لنا فرج عظيم وطالما اصبحت في ظني وما اخطأت مرة وسوف يحل لك سر الامر . فتتد المالك وقال من اين تأتينا التجديدات فان بلادنا بعيدة عنا ومامن خبر عندهم منا ولا اظن انهم يسمعون وراءنا ويتركون البلاد ويتحملون مشقات هكذا طرق طويلة وصعبة دون أن ندهوم اليها .

قال وبينما كان الملك وطيطلوس يتكلمان وأعينهما تهرب إلى جهة الجيوش القادمة وكذلك تمرتاس واقف في مركزه وعيرته مائلة اليها وقلبه متلهف إلى معرفة أحواله وظهور حقائقه وكانت تلك العساكر تتقدم وكلما تقدمت زادت وضوحا حتى ظهرت رايتهما واكدت بالبيان انها يمنية من رايات بلاد الشام سرور فقال تمرتاس في نفسه لا ريب انها آتية نجدة للشاه سرور فهي موافقة لنا معينة لحر بنا لا خوف منها واطمان باله نوعا وانتظر قدومها ووصولها وأما طيطلوس فانه قال للملك ضاراب لا ريب أن هذه العساكر يمنية وهي مرسله من قبل الشاه سليم لنجدتنا وبعد ساعة أو نصف ساعة تبين لك الحال وتناكد كلامي وما جاءتنا إلا بوقتها لاننا في ضيق الخناق ففرح الملك ضاراب بذلك وقال لطيطلوس اني أعجب من الأيام فاتها لا نريد أن تبقينا على حالة خوفا علينا من أن ننفتح ونخمر بخمرة النصر والقوة ولذلك تطلننا لعلمة وتداولها وتلطم أعدادنا عدة لطيات ولذلك إن صح قولك وكانت هذه العساكر نجدة لنا ثبتنا في مراكزنا وطاولنا الاعداء إلى حين ظهور خبر بهروز واني أسأله تعالى ان يكون بينهم فارس يقتل تمرتاس ويربحنا من أمره . ودام القومان ينظران إلى جهة القادمين إلى أن قربوا كل القرب وتبينهم فردا فردا فاذاهم من اليمن وبين أيديهم فارس مربوع القامة ملثم بلباسه إلى حد عينيه لم يظهر لوجهه ولا لراسه قط من أثر وهو فوق جرد أدهم كالليل الحال كوعلى جنبه سيف عريض وفي كتفه قوس معلق فيه عدة سهام وتحت إبطه كنانة معلقة في عنقه ولا زال هذا الفارس يتقدم وهو مجهول من القومين إلى أن وقف على مقربة من الايرانيين والمصريين ونظر إلى جهة جيوش إيران فرأها يهتة فتتحقق حالتهم وعلم ما هم عليه ثم نظر إلى جهة تمرتاس فوجده واقفا وقفة المعتز المنتصر وهو ينتظره للهجوم وشاهد أيضا أن كلا القومين ينظران اليه وينظران معرفة حقيقته وعليه فقد تناول من كنانته سهما وأخرج قرسه ورفع السهم فقمسه بالقبز وأخرج نبطا فأطلقه وأشعل السهم به فالتهب وفي الحال أوتر به القوس وأطلقه إلى جهة تمرتاس بخفة تسبق وقوع الرياح فخرج من كفه بلع كالشهاب وهو يتلهب ويزيد اشتعالا وما نظر تمرتاس إلى انطلاق السهم وانه وجه اليه اضرب في بعضه وعزم على الحرب وأن يتجنبه فلم

يتمكن من ذلك لأنه قبل أن يلوى عنان جواده أو يعيل برأسه من اليمن إلى الشمال وقع
 السهم عليه عند عنقه وفي الحال التهب ثيابه لأن النار الشاعلة بالقيصر أصابت ثيابه
 فأحرقتها وأخذت تلتهب وأما السهم فانه اخترق رقبته وللحال مال عن جواده إلى
 الأرض وهو كشمعة نار يتطاير منها اللهب والدخان والشرار فتعجب الجميع من هذا
 العمل وانبهروا من حسن معرفة هذا الفارس الخفي تحت القناع برمي السهام النارية
 وكان أكثر السكل فرحا الملك صاراب فانه صفق يديه ونادى لا شلت يدك ولا كان
 من يشاك يا فارس هذا الزمان وأمر جماعة من فرسانه أن تسير إليه وتدعوه لمقابلاته
 فعزلوا أن يتقدموا وإذا به راؤه قد صاح في رجاله وأمرهم أن يهجموا على جموع مصر
 والرومان ويتشلوهم على أسنة الصفاح ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى التقت الفرسان
 بالفرسان . وطاف سلطان الموت وحان . وانتصب للأعمار من القصف أرجح
 ميزان وأمر الملك ضارب عساكره بالهجوم وأن تأخذ لنفسها بالنار . وترفع عنها
 العار . فقد عاد إليها الصر والفخار وغاب عنها النحاس والانكسار . وقسم عساكره
 إلى فرق وأقسام . ورتبها على أحسن ترتيب وأوفق نظام . فاحتاطت بأعاديها احتياط
 الاسوار بالزنود . وأروت ظمأ أسنتها من دماء الكبود . وكان ذلك اليوم من الأيام
 المعدودة بين أقوام ذلك الزمان . فيه ضيع سلطته سلطان الامان . وخاب رجاء كل
 مؤمل من العودة إلى الأهل والحلان . وقال ملك الموت لأهبا إلى الفوت فقد بعث
 لقبض الأرواح وتجريدها عن الأشباح وأمرت بتقليل العدد وتفريق المدد فقد طغيت
 بالعناد والبستم مناخ الأرض ثياب الفساد وجرت على بعضكم مع انكم خليفة واحدة
 لخالق واحد . لا ولد له ولا والد . وما أوجدكم إلا لضع الأرض وعمراتها والارتفاع
 بنتاجها وتشديد بنيانها وإن يكون بعضكم لبعض مساعدا عند الضيقات ومعاضدا لحركتهم
 بعملكم هذا غضب ربكم . فحكم عليكم في قصاصا لديكم . واختلط أولئك القوم
 ببعضهم اختلاط الخمر بالماء . وشربوا من كف البلايا كؤوس العماء وكانت تلك الواقعة
 هائلة عظيمة . ومريعة جسيمة قتل فيها من الفريقين قوم كثير وجم غفير وفعل ذلك
 الفارس في أعداء الإيرانيين أشم الأفعال . وأنزل بهم المصائب والنكال . وقد سطا
 عليهم سطوة جبار . وأراهم من سيفه البتار جمرات الأكدار والأخطار وما جاء
 آخر النار . إلا وتفرقوا في تلك البراري والقفار . وتشتت بعضهم إلى اليمن وبعضهم
 إلى اليسار فأمر الملك ضارب أن تنهزمهم العساكر وتلحق بهم ولا ترجع عنهم وفيهم
 رفق ولا زالت عساكر إيران وعساكر النين تضرب بأفقيتهم حتى كادوا يهلكون عن
 آخرهم وما خلاص منهم إلا القليل من كل طويل العمر وعاد رجال الملك ضارب

وأحزابه وهم متصرون ظافرون وفي مقدمتهم ذلك الفارس المقنع الذى سبق الكلام عنه وقتل تمراس .

قال صاحب الحديث وكانت تلك الفوارس يمنية كما قدمنا وقد بعثها الشاه سليم لاغاثة الملك ضاراب وذلك أن الشاه سليم بقى على كرسي تعزاء الين حاكما نافذ الكلمة فى كل النواحي وقد أحبه البعيد والقريب من أهاليها لعدله وجوده أخلاقه وكرم طباعه وقد جاء بعائلته وحريمه من المدينة السليمية ليعيموا معه فى تعزاء الين وأقام حاكما على المدينة السليمية عوضا عنه وأرصادها بالحفاظة عليها ونشر العدل والأمان فيها لأنها مدينته الأصلية وقد ورثها أباه عن جد وجداه عن أب ودام له الحال وراق البال مدة طويلة إلا أن ابنته أنوش كانت قلقة تأتية الفكر مبللة اليل مضطربة الحاطر يحظر على قلبها دائما فرخوزاد وتذكر جماله ووداده وتتمنى قربه منها وقربها منه وصرفت أكثر أوقاتها فى ترددات حديثه وذكر أوصافه فكانت تسلى نفسها بهكذا أقوال ولا ترغب فى أن يتيح بسرها لأحد كونها ثابتة الجأش جلودة صبورة على مصائب الزمان وكانت فى أكثر الأيام تلبس أثواب الفرسان وتذهب إلى البرارى والقفار وتسطو على الوحوش الضاررى فتصطاد بعضها بالسلاح وبعضها تقض عليه باليد وقد سبق لنا أن قلنا عنها أنها كانت ماهرة بالقتال تعلت فنون الحرب بجميع أنواعه الأصلية والفرعية حتى فى كل بلاد أيها لا يوجد من يقدر أن يثبت أمامها أو يلقاها فى حرب أو طعان وفى المساء عندما تنفرد فى نفسها تدخل إلى غرفتها فى قصرها وتصفى وأضىء المدام وتشرى على ذكر من أحبه وكلما شربت كأسا تذكره فتشده شيئا من "شعر تافى به نار شوقها" وتشخص به جماله وبهاءه وأوصافه التى كانت قد أحلتها من قلبها وأرفع مكان وأزلفت منزلة النوم من عيون الوسنان وبقيت على ذلك مدة طويلة وهى فى كل يوم تود أن تعرف شيئا من أخباره فتأتى إلى أيما وتسأله عن أحوال الملك ضاراب وعن حربه فى مصر إذا كان وصل إليه خبر عنه فيقول لها ان لا علم لنا عنه مطلقا وكان أبوها أيضا مريبك الافكار خوفا من أن يلحق به أذى أو يتدد حيشه ويعود فنوزل شاه سرور فيعود إلى ملكه ويفوته فرخوزاد الذى كان يحبه محبة تامة الأولاد ولم يزل المطل ولم يصل إليه علم وخبر عزم على اكتشاف الحقيقة وأن يرسل معه جيش من جيوش الين فدهاها إليه وكان يحملها هى عليه من اشجاعة ولأقده وقتلها أريدملك أن تلبس لبس الفرسان وتذهب بجائة ألف فارس إلى مصر لتكشف عن حالة الملك ضاراب فإذا وجدته لا يزال فى الحرب فانضمي إليه وكونى معه ورفقته وقتلى بين يديه مكافأة له على معروفه معنا وربما كان فى حاجة إلى الجدة وإذا رأيت أن قد انتصر ولحق

بالإيرانيين لاحق الكسر ولم يكن أحد منهم هناك وعلم بك الشاه سرور ققولي له ان
 أني لما استبطأك بعث إليك بهذه العساكر نصرة لك وقد جمعها من سائر الانحاء اليمنية
 إنما هذا يكون بعد قطع الرجاء من الملك ضاراب وغيا به عن تلك الارطان فاصدقت
 أن سمعت هذا الكلام حتى امتلا قلبها فرحا وسرورا وتمنت أن تظهر لتصل إلى
 جيش إيران وتشاهد حبيبها فرخوزاد وتبلى شوقها من مشاهدته وقالت لا ييها لقد فكرت
 حسنا ولا ريب أن الملك ضاراب في حاجة الآن إلى النجدة على الأكثر لأنه يتعب
 مع المصريين لكثرتهم وكثرة توارد النجادات عليهم فهو بعيد عن بلاده ومامن أمل أن
 يزيد عسكره إذا نقص قال هكذا افتكري فكتري على استعداد لتسيرى في الغد فصار
 عن أمام أيها وهي في مسرة وابتهاج فرحة بما كان من أمره وسماحه لها أن تسير مع
 جيشه إلى بلاد مصر ودخلت قصرها وأحضرت المائدة فأكلت واكتفت ثم جاءت
 بالشراب فوضعت أمامها وأحاطته بالنقرلات وهي لوحدها لاتبوح بسرها لأحد ولما
 لعبت بها الخنزة ودار في رأسها مفعولها جعلت تنشد وتقول قول القائل :

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| أذاب التبر في كأس اللجين | رشا بالراح مخضوب اليدين |
| وطاف على السحاب بكأس راح | فطافت مقلته بأخرين |
| إلى عينه تنتسب المنسايا | كما انتسب الرماح إلى ردين |
| تلاحظ سوسن الخدين منه | فيدها الحياء بوردين |
| ومجلسنا الانيق تضيء فيه | أرواق الراح من ودق وعين |
| فأطلقنا قم الأبريق فيه | وبات الزق مغلول اليدين |
| وشمعتنا شيه سنان نهر | تركب في قناة من لجين |
| وقد صاغت يد الأزهار تاجا | على الاغصان فوق الجانبين |
| بوردد كالمداهن في عقيق | وأفداح كأززار اللجين |
| وقد جمعت لى اللذات لما | دنت منها قطوف الجنتين |
| ألا يا نسمة السعدى كوى | رسولا بين من أهوى وبينى |
| تملك حبه قلبي وصدرى | فاصبح بملء تلك الخافقين |
| ويا نثر الصبا بلغ سلامى | إلى الاحباب بين القلعتين |
| وقل لمطرب هل من نهاز | لوعدى سالفك السالفين |
| وهبتك فى الهوى روحى بوعد | وبعتك واعدت نقدا بدين |
| وجئت وفى يدي كفى وسينى | فكيف جعلتها خفى حنين |
| ولم صبرت بعدك قيد قلبى | وكان جمال وجهك قيد عيني |

فصرنا نضبه النمرين بعدا وكنا أمة كالفردين
عرفتك دون كل الناس لما نقدتك في الملاحه نقد عين
وكم قد شاهدتك الناس قبلي فما نظورك كلهم بعيني
وطاوعت الفتوة فيك حتى جعلتك في العلاء برتتين
أجعل لي سواك عليك عينا وكنت على جميع الناس عني
بعادك أطمع الأعداء حتى رارك اليوم خزر الباطرين
وهلا طالمرك بعين سوء وأمرى نافذ في الدولتين
وما خفت جناح الجيش إلا وأراني ملء قلب السكربين

وكانت تشدد وهي راضعة شخصه نصب عينيها متذكرة أيام كانا يجتمعا مع بعضهم البعض في قصر أبيها عندما كان في المدينة السليمية ولا زالت هذه الحالة حالتها وهي تعد نفسها بانها في صباح اليوم الآتي تركب تحت الراية اليمنية وتسير إلى حيث أخيب ويشاهدها وهي بذلك المركب ويرى من هيبتها وفعلها إذا تأملت أمامها ما يزيد بها منزلة في عينه إلى أن قرب السحرفات يضع ساعات لتأخذ لنفسها لراحة من تعب الليل الناتج عن كثرة الهواجس وفعل الخثرة وطول السيرة ولما شرقت شمس ركبت جوادها وتقلدت بسلحها بعد أن لبست ملابس الرجال وضربت قناعاتها على وجهها كي لا يعرفها من يراها وكانت تحسن رى السهام النارية أحسن من أعظم فارس في ذلك الزمان وقد امتازت به على غيرها فأخذت كنائنها وقوسها وسهامها وما تحتاج إليه أثناء القتال وجاءت إلى قصر الأحكام فوجدت أباهما بانتظارها وهو بعدد العساكر ويفرق بينهم لاسلحه ويحيى لهم المؤن اللازمة فلما رآها أبوها وقد أتت فرح بها وأمرها أن تضم إلى الجيش وأن ترفع فوق أسها الأعلام وتضرب بين يديها الموسيقى وأمرها أن تحفظه على نفسها واليقظ أثناء القتال وكتب لها كتابا إلى الملك ضارب وضرب "يومان" تدفعه إليه وتهديه سلامه وهو أن ودعها وقبلها القبلات "كثيرة" وهو ينفذ ما وعد بعدها لأنه كان يحبها بحبة خارقة العادة كونها وحيدة له ووحيدة في أعماق مملكتها لجيش وخرجت من المدينة لحمة بلاد مصر ومسكت الطريق الموصلة فسكتم ولا زالت سائرة أياما وليال وهي مسرعة السير ترغب في السرعة للمكانة وهو لا يدركها إلى حد حتى وصلت إلى لندن الطائف فضربت خيامها عنده وأمرت عسكرها أن يتركها لنفسها الراحة التامة بعد انما اب المدير ومشاقه وعلم الأمير أن سر قدومه حديثا ليمر فأمرع للمقام وسلم على الاميرة أنوش وسألتها أن تدخل ومتعت بالاحتفاء من نفسها إلى تحب البقاء في الخارج وانها في الصباح تركب إلى جهة مصر فمرسى "الاطمعة"

والملوكات وبانت تلك الليلة بالقرب من الطائف بين شجر النخل والسنوبر إلى أن لاح وجه الصباح فهضمت مبكرة وأمرت عساكرها بالنهوض أيضا فعمدوا إلى خيلهم واعتلوا فوق ظهورها وركبت هي أيضا وسارت مردعة أرض اليمن وداومت السير عدة أيام إلى أن قربت من مصر ودخلت أراضيها فشعرت بارتياح في قلبها ووعدت نفسها بقرب من مشاهدة فرخوزاد وانها بعد يومين أو ثلاثة أيام يجتمع به وتسلم عليه وتكون دائما بقربه ومعه وتشاهد أعماله ويشاهد أفعالها وهي تكاد لا تصدق أن تصل إلى العرضى الموجود فيه ولو لم يكن يخطر ببالها أنه ربما كانت لا ترى الحرب باقية لكانت أفرح العباد إلا أنه وقع على قلبها الحزن بغتة عند ما فكرت أنه ربما يكون قد وقع على فرخوزاد أمر مكرره أحرمها وجرده ونظره وهذا الفكر أرقعها في اليأس وجعل قلبها يخفق وكادت تفقد كل قواها وحراسها وقالت في نفسها اتقي طالما كنت أظن الخير فلو لم يكن فرخوزاد تحت ثقل المصائب لما كان يخطر لي هذا الخاطر وإن الأرواح كانت ومني إلى وصولي من نوال آمالي فخطأتني وبعث إلى الدهر بالأفكار الرديئة تنبها للمصائب قبل ملاقاته وكانت واقعة بين أمرين تارة حزن وطورا فرح ولذلك جدت في مسيرها أملا أن تتخلص من تلك الأرواح وتمت أن تطير لتكشف الحقيقة ودامت بسرعة إلى أن تبين لها عن بعد غبار كيف قتبت لديها انه غبار المقتولين فطار قلبها شعاعا وقالت لا بد من أن أدركهما وهما تحت نيران الوغى فأظهر شجاعتي وأبدى عملا عجبا ومالت إلى جهة الغبار ولا زالت تتقدم شيئا فشيئا وكلما تقدمت تجلى لها الحقيقة إلى أن قربت من الزوم عند تلك الآكام كما تقدم معنا ونظرت إلى الرايات وتحققت أن الملك ضاراب في حقيقته عند مشاهدتها إياه ملتجئا إلى الجبال فتوسطت المجال ونظرت إلى عساكر المصريين ونظرت إلى تمرناس وهو مفتخر بنفسه معتز بانتصاره فغاطها ذلك وتكدت كثير من عمله وأرادت أن تظهر لجيوش إيران شدة بأسها ترغيب لهم فيها وحبا بصوالجهم فأخرجت ذلك السهم وفعلت ما فعلت ولما ساعدتها الصدف وخدمها التوفيق وأصاب سهمها تمرناس ووقع قتيلًا كادت تطير من الفرح واشتدت بها الحية والحماسة وعلمت أنه رئيس القوم وقادهم فتأكدت أنهم لقتله يصفون ونقمهم اليلة لحملت حالا وحمل لخلها الملك ضاراب وهو مسرور من عملها كما تقدم معنا "كلام دون أن يعلم أنها إنة الشاه سليم واكتسب النصر وشئت لأعداء وفقه يقيم

ولما عاتت من خوف الأعداء قصدت جهة الملك ضاراب وقبل أن تصل إليه وجدته واقفا بجواده ينتظر قدومها فترجلت ودنت منه وقبض يده وعرفته بنفسها وقالت له يا سيدي إن أبنا طال عليه أمر غيابكم خاف من أن يكون قد لحق بك

ضرر أو أصابكم أمر وكان هذا الأمر يشغله دائماً حتى أفلقه وأحره لذيذ النوم وأطار منه الراحة ولم ير بدا من أن يعثى اكتشف له أمره وأبعث له بالخبر اليقين ومعه معى نحو مائة ألف فارس فالحمد لله الذى وجدكم على أتم الصحة وأشكره أيضاً لعدم تأخير وصولي لائق على ما أظن أنه كان نافعاً لكم ومما يكدرنى جداً أنى لم أر أحداً من فرسانكم فأين هم الآن وإلى أين ذهبوا وأسأل الله أن لا يكون لحق بهم مكروه ففرح الملك لسكلامها وتعجب من فصاحة لسانها كما تعجب من قوة جناها وشجاعتها التى ندرت فى مثلاً من بنات الزمان وقال لها انى أشكر اهتمام أهلك وجهه فلولم تأتى فى مثل هذه الساعة لكنا فى ويل وعذاب لأن الاعداء لما فرط انتقامهم وشاهدوا الدمار بعينهم استنصروا علينا بالملك قيصر فبعث لهم بالعساكر والابطال مع بهلوان بلاده تمر تاس فلم تعتد بذلك ولا حسبنا له حساباً بل أوقعا به وبهم الخسارة والويل وكدنا مدخل المدينة ونفوذ بالنصر بعد قصصيات كثيرة غير أن الوليد لما شاهد نفسه مغلوباً معنا لجأ إلى ساحر فى بلاده اسمه المقنطر وطلب منه آذانا وذلك منذ أيام قليلة وبينما كنا نرتع فى بحبوحة الظفر فرحين به وإذا بأبطالنا طارت يعمل هذا الساحر جميعاً واحداً بعد واحد فرقنا من بعدهم بايأس والعذاب ولنا رجا، أنهم يتخلصون فى هذين اليومين ولهذا الرجاء لجئنا الى هذه الآكام فننظر المخرج فلم نصبر علينا الاعداء بل قسموا جيوشهم لى قسمين قسم يقانلكا بالنهار وقسم يقانلك بالليل والحمد لله قد أرقعنا بأجيشين وأهلكنا قسماً كبيراً منهما مع ضعفنا وقوتهم وقه فرساننا وكثرتهم . ثم ان الاميرة أنوش سارت مع الملك ضاراب الى صيون وهى حربية كشيبة عند استماعها أن فرخوزاد فى قبضة السحرون فى خطر الموت منه وكادت تغيب عن الصواب الا انها أذهت أجل وأخفت الكمد اختشاه من أن ينحصر منه شيئاً الملك ضاراب ويعلم ما فى قوادها من أحب فتناول منازله عنده وكانت تعرف من نفسها قلت اضطربها على معاناة حب ومود الحبيب الا ان كانت تعرف أن بالصبر ينال الانسان مراده وان الشكوى لا تفيد ذلك كانت تغير بحوب والدهت بقيت مصرة على اخفاء أمرها الى أن دخلت انضرب بسكى فحس لك وأمر لا يبر بالجلوس وجلس ضبطوس ودوش لارى وعند ذلك أخرجت من جيبه كتاب أقيم ودفعته الى الملك ضاراب وقالت له لما كان شوقنى غير متناهى معى علاوة عر ما بلغت اياه هذا التحريرو وأمرنى أن أدفعه لعضمتك خذ المكتوب منه ردهه وزيره يقرأه فقرأه واذا به ما يأتى

من الشاه سليم ملك بلاد النج ورواحيم عاهل ملك ضاراب لك لا كبر بعد بتم الله والاتكال عليه أقول انه لما كنت قد ارتبطت مع مدايكم بالحقد.

ورفعت نفسى لكم على وثيرة الخارص وعدم التسكت كان لا يزال يتردد في ذهنى ما أريدتمونى إياه من النعم فكنت أريد أن أظهر صدق مودتى ووفائى لخدمتكم وكنت أنتظر أن أقف على خبر من جهة حروبكم مع المصريين لأسربه وبطمأن بالى ولبت من حين سفركم إلى هذا اليوم فى شأغل ليس من بعده شأغل وكلما تقلبت الأيام وطالت يطيل هذا الأمر وتطول على موجبات القاق والاضطراب إلى أن ضقت صدرأ من جرى هذا الانقطاع وأخيرا خفت من أن تكون أموركم غير ناجحة فتزيد الكسارى فجمعت فى الحال مائة ألف فارس من فرسان اليمن وعاباكم وقادت أمرهم إلى بنى انوش لما أعهم فيها من الشجاعة والبسالة وأمرتها بسرعة المسير ولهذا كنت على ارتياح نوعا ما فأسألكم ياسيدى أن تكرموا على برسول يطمئنى عنكم وإذا كنتم فى احتياح إلى زيادة الجيش فأمرؤا بالافادة فان عموم أهل اليمن صغارا وكبارا على استعداد للمسير إلى خدمتكم فانهم قد رأوا تحت ظلكم من الراحة والأمان والعدالة ما لم يروه من قبل ولذلك تراهم يدعون دائما لدولتكم بالعمز والبقاء ونشر الأمن والأمان وها أن بنى والجيش يبقون فى خدمتكم إلى حين رجوعكم وأسأله تعالى أن يعيدكم إلى وطنكم وأنتم تحت ألوية النصر والظفر والسلام ختام .

فلما سمع الملك ضاراب كلام الشاه سالم قال بالحقيقة إنه من عقلاء هذا الزمان وحكامها فهو ودرد مختص فله يلقى أن يكون حاكما مالمسا مستلما حياة عبيد الله عافظا عليهم ولا بد لى بعد قليل من الأيام أن أبعث له برسول أعرض عليه كل ما جرى علينا لأنه يسر لسرورنا ويتكدر لكدرنا إنما يكون ذلك بعد مجى فرساننا والخبر عنهم والأمل منه أنه لى أنهم يكونون هنا بعد يوم أو يومين وهذا ما أنبهنى إليه ضميرى لأن للسعادة علائم وللحسوس علائم وما التحوس الا اعداء الداء لنا لانها ان فاجئتنا لا نأبت عندنا طريلا بل ترحل عا مدفوعة بيد الاقدار مرفوسة برجل السعود . وقبل أن امكن الوليد اخبرا من تدبير امر جديد فقد فكرت ان تنهض فى الصباح ونسير إلى جهة معسكره لأنه لا بد ان يكون فى بلاء وويل من جرى قتلة تمرتاس وتفريق جيشه وجيش الأمير مسعد فقد تدبرنا ونحن فى اصعب الضيقات اسهل الطرق لكبح هذا الجيش الذى لا يأتى بفرقات الغاية لكان هذا كئنا لا محالة . فاستصوب الجميع رأيه وباتوا على نية الرجوع إلى نحاء معسكر الوليد فى اليوم القادم وكانت رجال الاميرة انوش قد سربوا مضاربهم رعبوا مضاربهم فذهب اليه وباتت على فراشها كل تلك الليلة قلقة مضطربة على غيب فرخوزاد وهى تقول فى نفسها قد خاب ما كنت مؤمنة فأتى تحملت كل هذه المشقة وسفرت من بلاد اليمن إلى مصر على أمل أن اجتمع بمحبوبى فواخية المسعى

ويا لضياح التعب إذا لم يعد فرخوزاد فماذا يا ترى يحل في وإلى أي جهة أذهب وهل أبقى حياة أراقتل نفسي وألحق به وهذا من العدل أن لا أبقى بعده دقيقة كي يقال عني اني حفظت هذه حتى الموت وإذ مت فلا أعود فأرى أحدا من سكان هذه الدنيا وعليه فاني لا أخشى لو ما علي قتل نفسي وكانت تقوى في رأسها هذه التأملات وتتقلب أشكالا وأواعا وما من حاجة لشرح وبيان حالة من كان مثلها عاشقا ثابت العزم كثير الوفاء

ولما كان الصباح نهض الملك ضاراب من فراشه وأمر أن تنهض العساكر فترك خيولها ففعلت وركب هو أيضا وركبت انوش إلى جانبه ويطيّلوس ودوش الرأي فساروا في مقدمة الجيوش الى أن استلوا السهل فتبطنوه وقطعوا الخرش حتى وصلوا الى المركز الذي كانوا فيه فبلا وهذاك شاهدوا عساكر مصر نهج وقضج وهي قائمة في مركزها فأمر الملك ضاراب أن تدق طبول الحرب وقال لا يجب أن أضيع هذه الفرصة فانها غنيمة لنا فاعدائنا في اضطراب ونقصان وليس في ثل ساعة يجب الرحمة والعدل لأن لو كان فرسانى عندى وقومى باقية كما هي لانصنت القوم وما حاربت هذا النهار بل أخرته لأنهم للقنال من قبل شروق الشمس أى من قبل ساعات ولا افاجئهم بقتة . قال وكان الوليد حقيقة في اضطراب والربك لما وصل اليه الامير مسعد وحكى له ما كان من امر الحيلة التي ذهبت عنده وكيف قتل منهم هذا العدد العظيم تكدر غاية الكدر وكذلك سيف الندوة فانه عند اجتياحه بفهر ومهر وقهر لامهم على غشهم وسلوك هكذا حيلة عليهم غير أن الوليد كان معلما كل أمله بتمرتاس وقال لوزيريه وان كان قد فقد منا هذا المقدار ضلنا وعدونا انهم لى امل وثيق بان النصر باق لنا وان تمرتاس سيأتينا بالملك ضاراب في هذا اليوم ولا اظن ان الايرانيين يثبتون امامه الا ساعات قليلة وبقي منتظر كل ذلك فظهر بفروع صبر وما صدق ان رأى الشمس وقد مدت الى جهة غروب فركب مع وزيره والشاه سرور ويطيّر وسيف الندوة ورجاله لامراء ومهر وسوارى على مقربة من الجبل وكان في نية الوليد أن يأتى تمرتاس على بعد لا قد فزع صبره ولم يمكنه القيام والبقاء لحين وصوله اليه بل ركب وتقدم رجاء ان يصل اليه خمر الظفر قبل وقته بدقائق الا انه ما تقدم الا قليلا حتى شاهد سلاح جيشه قد سير على تلك الحالة المشؤمة وهم متفرقون كل التفرق يركضون ويغترون على اوزر خوفا من ان تكون الاعداء لاحقة بهم . فلما رأى الوليد ذلك عن بعد كدد يظهر صوابه وخفق قلبه وضار الشرار من عينيه ودلت حجة قتاده بن عوزهم وكسرويه كسرة هائلة مريضة وبقي خائف القلب مضطرب البال الى ان وصلت بين يديه

وأحلت البيض النصال في المرافق والأوصال . ولعبت العمدان في الرؤوس والأبدان .
وهممت الخيل وحملت . ولعبت الفرسان وحملت . ونشر الغبار كالغمام . وضرب فوقهم
رواقا كثيفا من الظلام . وفعلت الفرسان أفعال الصناديد . وقاتلت قتال الأبطال
الاماجيد . ونادت مناداة المتصرين . وقامت من على الشمال واليمين . تسد على
المصريين طرق الحرب وقد عولت على أن يتيدهم عن آخرهم إلا أن المصريين كثير وا
العدد فلم يخل انتظامهم ولا لحق بهم ضرر بل كانوا منضمين إلى بعضهم البعض أى
انضمام . فلاقوا أخصاصهم بقلوب لا تخشى الإعدام . ولا تخف شرب كأس الخمر .
ولذلك كان القومان متعادلان . والقومان ككفتى ميزان . فان شجاعة الأيرانيين
أقامت مقام كثرة المصريين ودام السيف حاكما بين الفريقين والموت سائدا عند
الطائفتين إلى أن قرب الزوال ومالت الشمس طالبة الاختباء وجمت بالاختفاء وفي
الحال ضربت طبول الانفصال فرجع الجميع عن الحرب والقتال . وهم في تعب وملال
وعاد كل إلى ناحية فتنزل الملك ضاراب في المكان الذي كان نازلا به قبلا وعاد الوليد
إلى مضاربه وخيامه وبعد أن أكل الطعام وأخذ لنفسه اراحة اجتمع حوله أعيانه وقواده
ومن الجملة ييدانديش الوزير . فقال لاخفاكم أن الأعداء أخذهم الطمع فبنوا في نيتهم
أنهم يتغلبون علينا فاذا لم تداركهم بالتدابير الحسنة وإلا نالوا منا مرادهم في يومين
أو ثلاثة أيام . فقال طيفور ليس من الرأي أن تنهمل في أمرهم بل من الواجب أن
تبعث بوزيرك إلى المقنطر الساحر ويعرض عليه عظم المصائب التي جددت بعد غياب
فرسان إيران ويطلب منه دفعة واحدة هلاك الملك ضاراب وقومه لأن الحرب قد
طالت كثيرا ولم يعد من وسيلة لحسمها إلا به ولو سأله من الأول ذلك لفعله وجرى
على الجميع ما جرى على فيروزشاه ورفقائه . قال الوليدانه خطرتي أرأيت الوزير
أمس إنما تأخر بسبب غياب عياري . قال ييدانديش إنى لما كنت عند المقنطر دفع إلى
خاتما أبصره عمل الأفعى فقامت عند باب سسه ومندأربعة أم أخذ عياري الخاتم وفي
أعد أراه فيها . ولا أعلم أين هو وهل وقع في يد الأعداء أو لحقه ضرر آخر ولذلك
أنا في ارتباك عظيم من أجله . والآن كنت سرت هذا الأمر . فقال فيفور لا يجب أن
تستظر عياري كما دخلت في الأول على المقنطر الساحر يجب أن تدخل هذه المرة البرية
لم يرجع عياري وأخاف أن يكون قد انتقم مع الملك ضاراب وأخذ لهم الخاتم للسعي
في أمر خلاص فرسانهم قال لا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا كان أسيرا ونزعوه منه وعلى
كل حال فاني أسير من هذه الساعة على أمل أن أكون هنا بعد ثلاثة أو أربعة أيام ثم
أريد منكم أن تمروا هلال عياري أن يسير معي لاني أحتاج إليه في الطريق فأجابه الوليد

إلى طلبه زعاد بهلال العيار وقال له كن على حذر فأنك بعد ساعة ستسير برفقة الوزير إلى قصر المقنطر الساحر فيكون لك بذلك الخير الكثير قال سمعوا حادثة في أحب أن أحضر بين يدي هذا لأطلب منه أن يسهل على الأخص طريق زفاف سبدي عين الحياة بسبدي الشاه صالح وأن يكتب لها الحجابات التي تقر بها من بعضهما البعض في الحب والرغبة وأن يمنع عنهما كل أعين المفسدين الحاسدين

قال الراوى وما انتهى هلال العيار من هذا الكلام حتى سمع من نحو الأعمام غوغاء وضوضاء وصياح وتصفيق ومناداة ثم أعقب ذلك أصوات طبول أفراس وتباشير هناء وموسيقى ملكية تعزف باصوات النبال والمسرات حتى كان القوم في أعظم فرح وجور فاشغلت هذه الحالة أفكار الوليد وجماعته وأرعبت كل لرب وباحسبوا لها ألف حساب وفي الحال قال لهلال العيار سر بالعجل وادخل بين القوم وانظر فيهم وأتينا عنهم بهلم اليقين ولا تحف عنا شيئاً البتة قبل أن تدير مع الوزير . فأجاب أمره وسار فقير ثيابه ولبس ثياب فقراء الأعمام وخرج من جيشه وتوغل في القفار ثم جاء من جانب الجيش وهو مظهر على نفسه الفاقة والضعف فلم يفته إليه أحد ولا أرى حارساً عند الحدود فأشغله هذا الأمر وزاد انشغاله عندما أى كل واحد يصفق من جهة وهذا يهنا ذاك وذلك يبشر هذا فدنا من أحد الناس وسأله عن الخبر بلسان إيران وقال له ياسبدي لما هذا الفرح في قومنا أهل جد حارث حديد موجب لهذه الأعمال . فقال له ويحك أما أنت في الجيش وهل أنت أطرش لا تسمع قول أو أسمع إنما لا أفهم وأنظر الناس في فرح زائد فاسأل فلا يجبرني أحد . وبمضى المضى حائى وكفى شغاذ لا يلتفتون إلى . قال صدقت ذلك معذور . إلى أحرك راسنا وأبطالاً قد عادت إلينا في هذا اليوم من أسر الماحر مقطوعاً بظهر هلال . وحرمى قبعتة بالأرض وجعل يرقص بعصاه حتى ضحك منه كل من رآه . ومن ثم وقف وقال وهل سيدنا فيروز شاه عاد من الأسر أيضاً وتخلص معهم قال رحمة من جمعهم . ثم بالمقنطر أسيراً وقد ركب على ظهره بهروز من قصره إلى هذه المدينة . فمد يده فطهرى وجعل يصفق ويمشى حتى فات القوم ثم نظر إلى جواره فوجد راسه يثقت له فعد من حيث أتى وهو مضطرب كل الاضطراب وكثرت مررتة فذا وهو في رمل اقراض الوليد ورجاله قد آو وأن الشاه سرور سيلحق به . يلقى غيبه من بين والخسران ولا زال على هذه الحالة حتى دخل على لوليه وقد له به خبر مشوم ياسيد فقد قلبت علينا النحوس وخاب ما كنا نضنه وقول به . وبه آخر راحة فهدق قلب الجميع عند استماع كلامه وقال له الوليد تجر بلاخر رقبة سبدي بهر ورشار

قد تخلص ومن معه من أسر الساحر وقد جىء بالساحر ذليلاً حقيراً وهو مقاد كالبعير وفوق ظهره بهروز العيار على فيروز شاه وابن الغول . فبزات الخلة على الجميع وأخذهم سكوت طويل ولم يقدر أحد منهم أن يلفظ كلمة إلا أن طيفور لم يقدر طويلاً على السكوت لأنه لم يصدق هذا الخبر ولذلك قال لجلال هل نظرت بعينيك ما تكلمت به فاني أحسب ذلك ضرباً من المستحيل وكيف يمكن لبهروز أن يسطو على مثل المنظر الساحر ويقوده ويركب على ظهره وهو يملك لسانه وعقله فيقدر بكلمة واحدة أن يقبده ويكتشف على أمره ويعرف سره وأحواله . قال هكذا سمعت ولا أظن أن فرح الايرانيين يذبح عظيماً هكذا على غير هذه الطريقة . قال طيفور ان الايرانيين اصحاب مكر وخداع فعملوا هذا العمل وأشاعوه بين قومهم لأسباب أولاً لتشدد به ظهور الفرسان ويصبحون قادرين على الضرب والطعان لعددهم أن فيروز شاه ورفقاه في نصف المعسكر ثانياً ليلفتنا هذا الخبر وحسب له حساباً ونهايه ويكون حلة لقطع ظهورنا واضطرابنا ولا سيما إذا عرفنا أن الساحر أسير عندهم فلا نعود نطمع بالمسير اليه للتخلص منهم وبذلك يصبحون قادرين علينا إذا قطعنا الرجاء منه . فدخل هذا الكلام في خاطر الوليد صواباً وقال لجلال سر ثانياً إلى الجيش واحتمل لتنظر بعينيك وهل حقيق ذلك أم لا وهل أن الفرسان تخلصوا فإذا رأيت ذلك حقيقة فعد الينا حالاً وأخبرنا بالواقع فانا لا ننام الليلة إلا لنعود من بينهم .

قال سمعاً وطاعة وفي الحال عاد على الطرق التي جاء منها ودخل بين الايرانيين ولازال يطوف بين المضارب والخيام وهو ينظر إلى فرح القوم ولا يرى فيهم شيئاً من اتصاع والرياء إلى أن وصل إلى قرب صيوان الملك ضارباً فوجد الازدحام كثيراً والعالم تأني أفواج افواجا للفرجة على المنظر وهو واقف بباب الصيوان وعلى ظهره بهروز العيار وفي انفه إبرة مخينة من الفولاذ وفي رقبته حبل طويل أشبه بمقود مستنبه بدر فئات الابرار .

واخذ لجلال أن يراى القوم إلى أن قرب من الصيوان وشاهد تلك الحال فتعجب الخبر إلا أنه نظر إلى الداخل فرأى فيروز شاه جالسا بالقرب من ابيه وبقية فرسان فارس من حوله وكلهم كالكوكب اللامعة والملك ضارباً لبساً أحمر زينة وعلى رأسه التاج المرصع الذي كان لبسه أثناء المواسم والأعياد وكان لا يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً بل أينما سار يصحبه معه وكذلك طيطوس والجميع عليهم من الملابس الذهبية ما لا يمتن بشئ لحق هلال ماسمه وفي الحال كرر رجاء حتى انتهى إلى حضرة الوليد فقال له ليس بأسيدى في المسألة رياء ولا

خداع من القوم فانهم على الواقع يفرحون ويسرون ثم حكى له ما شاهده وكيف رأى المقتدر ذليلاً حقيراً وعلى ظهره هروز وهو عرصة للمرجة والحزم.

فلما سمع الوليد هذا الخبر وتحققه أيقن بالهلاك وخراب الديار ونشيت الأحوال ولعب به لاعب اليأس فقطع حيله وألقاه في ارتبك وذهب إلى فراشه ون أن يبدى رأياً وتفرق من بعده الجميع كل ذهب إلى صيوانه وهم في حالة من أيشم الحالات وأصعبها واجتمع طيفور بالشاه سرور في انفراد وقال له إن هذا الحساب لم يكن لنا على بال وما كان ظنى أن الملك ضارب يعود إلى التجمع وتعود إليه قوته وهل يدخل بعقل بشر أن مثل هروز العيار يتوصل إلى القبض على مثل المقتدر فالحقيقة إن العناية مصاحبة الإيرانيين ولم تنته السعادة عنهم بعد . قال الشاه سرور إن هذا الذي كنت أحافه وأحشاء وفلى ينمى إلى أن الملك ضارب لابد أن يقهرنى ويأخذ منى ببنى رغماً عنى كما أخذ ملاى وأنفذ أمره فيها . قال طيفور أما أخذه لبنك فلا بد منه وهو الألف . فإنا نخاف من أن ينتقم منا وبقتلنا لأنه من المقرر المؤكد أنه ملوء بالغضب من امتناعنا عليه ولا بد إذا وقعنا في يده يميتنا أشر ميتة ولذلك أرى من اللازم إذا دخل المدينة نهر من غير جهة وترك عين الحياة أما بإرادتنا أو بالرغم عنا ففى استحوذ عليها وتملكها زفها على ولده ورجع عنا بعد ذلك نرسل إليها الرسل فتوسط أمرنا ونعود كما كنا هذا إذا كان لم يظهر لنا من عام الغيب أمر جديد يعود علينا بالنصر والظفر فيما كان يخطر للوليد أن يذهب إلى قيصر ويتمسك بأذباله ويطلب إغاثته ومعوته فتكون إذ ذاك لنا طيق الرجاء مفتوحة فنذهب معه ويكرن إتمام السعى عليه تعالى . ثم إن الشاه سرور وطيفور باتا في قلق حيث لا يعلمان ما يكرن من مستقبلهما وما تحبأ لهم في زوايا الزمان

قال الراوى وكان السبب في خلاص فيروز شاه وبقيّة الفرسان الذين كانوا في قبضة المقتدر هروز العيار كما تقدم معنا " الكلام فانه سار ومعه الاشوب ثم رجع فر شاه وبدر قات ودارموا المسير الى أن تيزو " السد عن بعد فدارموا شيشا شيد إلى أن قربوا من الباب ورأوا الحبة عليه قائمة على عملها و" ار تنقذ من فير كبركان نار ملتب فأخرج بهم وز الحافته . تقدم أمام رفيقه إلى لافعى قطلت حركها عندما صوب الحافتم إليها وأقبل من لحظة مر الاشوب وسرقت من السب وتبعها هروز وبعد أن صاروا داخل الباب عادت حركات الالهى إلى ما كانت فلا ثم تقدم هروز أمام الاثنين وأوصاهما كل الوصية وعليها ما تحت جال " به وما هـ لاره فـ به وبقى سائرا إلى أن توسط الروض وكان الوقت إذ ذاك صباحاً فصدفوا " مقتدر خرجا من قصره وفى نيتة أن يأتى روضه فتشاهد آيين إليه وقبل أن تخذه لدمشة من حاتم

ويصكر فيهم نظرهم قد سجدوا أمامه إلى الأرض ونادى كبيرهم هوذا السيد العظيم
والساحر الكريم الذى أتينا من أقصى الأرض لخدمته وتقف بين يديه هذا
أستاذ السحراء وكاهن الكهنة الذى لا يوجد له فى هذا الزمان ثان فاشكر الشياطين
والأرواح القوية على هدايتها لنا إلى أن صار لنا أن نتشرف بلثم تراب أقدامه فالحمد
لهم وألف الحمد على هذه المنة العظيمة ولنشكر النار وما تبعث الشمس من الأنوار وما
يأتيه إبليس من الأسرار وجعل يسجد ويقوم عدة مرات ويفعل الاثنين كفعله
حتى نؤكد المقنطر أنهم سحراء أو تلامذة سحراء وثبت عنده ذلك من ثباتهم المشغلة
بالنقوش التى لا يمكن أن تكون إلا من عمل أعظم السحر وصبر إلى أن وقف بهروز
بين يديه وارمى عليهما بقبلهما ووقع على رجليه بقبلهما أيضا ويمرغ بوجهه عليهما
وقال لبدنات والأشوب تقدما وامسحا وجهكما بأقدام هذا السيد العظيم تبركا
منه فهو سلطان سلاطين سحراء هذا الزمان وواحد كهنته ولا يوجد بين الفرسان
من هو مثله فى حكمته وعظمته وكرامة أخلاقه وسيادته وعلا منزلته وإذا قدرناه حق
قدره حق لكل من خدم واستخدم أن يتخذها لها ومعبودا فخراب الدنيا وعمارها
متوقف على لحظة من فيه

فلما سمع المقنطر هذا الكلام أعزته نفخة الكبر والعظمة ومال قلبا إلى بهروز وفى
الحال تقدم الاثنين وجعلوا يقبلان أقدامه ويتمرغان عندها . ثم قال المقنطر لبهروز
من أنتم ومن أن آوز فيظاهر لى أنكم قد كتمتم آدانا ومعرفة وتريتم على يد رجل عظيم
الكهانة واللباقة يقال له بهروز اعلم يا سيد سادات من خط وكتب ونطق بالحكمة
المنطوية على الأسرار الروحية أننا عبيدك من بلاد الغرب الأقصى وذلك أن أبانا
كان من هذه البلاد وسار تجارة إلى ملك الأرض وأقام فيها وتيسرت أموره
وتحصنت أحواله فاخذنا مع ولدتنا ونحن صغار لأننى تلى أحد ولا نعرف شيئا من
هذه الدنيا إلى أن كبرنا وكان والدنا قد تعرف بأحد المعاربة الذين لهم معرفة بفن
السحر فطلبنا منه . قال له إن أولادك يصلحون لأن يكونوا سحراء وانى أكراماك
أبذل الجهد فى تعليمهم فأقمنا عنده أياما وفى نيته أن يعلمنا هذا الفن الشريف
فدرجتا فى بادية الأمر أن علما شرب المر وأكل الحشرات وما تمايز به السحراء ليكون
لنا نفس قوية على قبول مثل هذه المكروه . فكنت أنا أصنع له الشراب فاستخرج به
يسر به جدا ويقول لى دائما أنه لا يمكن أن يوجد من هو قادر على استخراجه فملك
وكنت أشربه بقبول ورغبة فأتى الحد إنما أخوى كانا يكرهان ذلك ولم يعتادا عليه
ولسوء الحظ فاجئت المنبة أستاذنا قبل أن بدأ تعلمنا إلا أنه قل موته إذ طانا
هذه الثياب وقال لنا هى تقيمكم من كل ساحر وتدخلكم فى جوق السحراء وما لنا أن

نقصد غيره فلا نضيع هذا الفن الشريف فحزنا عليه جدا وصرقنا نحوا من سنة بالبكاء والعويل . ثم جعل بهروز يكي ويلطم على خدوده وبدرقات والاشوب يفعلان كفعله وقال للمقنطر أنه لا يليق بالإنسان أن ينسى من عمل معه معروفا فياليتنا كنا الفداء لنفسه من نكبات الأيام وغدرها . ثم إننا ياسيدى بعد السنة رجعتا إلى أينا وأخبرناه بموته فحزن جدا وفعل عليه أفعال الآم على ولدهما لما كان بينهما من الحب والمودة وبعد أن صرقتنا زمانا ليس بقليل ونحن نسال إذا كنا نرى غير أستاذنا يدرستا هذا الفن . وأخيرا قال لنا أبى إنا كان ولا بد لكم من تعليم هذا الفن على حقيقة فان في بلاد مصر ملك هذا العلم وسيده وفارس ميدان سباقه المقنطر الساحرة ذهبوا اليه وتراموا على أقدامه فهو كريم لطيف حلیم يقابلكم ولا سيما إذا عرف أنكم من بلاده ومن أبناء وطنه . فكاد قلبنا يطير فرحا وحرورا وبعد أيام قليلة ودعنا أبانا وأخذنا رضاه وصرنا على هذه النية والامل أن كرامتكم تقبلنا عيدا لنصرف العمر في ظلكم وتحت حمايتكم وفي خدمتكم

فأجاب المقنطر على الرحب والسمة فأنت عندى فى أرفع منزلة لان قلبى قد مال اليك ولكن يجب أن تقيم عندى أياما وتضع لى شراب هذا المساء من يدك لأرى هل كما وصفت وقلت مين أستاذك الاول كان يشهد لك به قال . سمما وطاعة فسوف ترى منى صدق ماقلته لك . ثم اهما رجعا إلى الداخل ومن خلفهما بدرقات والاشوب وجعل المقنطر يريهم غرف قصره واحدة بعد واحدة إلى أن دخل بهم أحيرا غرف الامذته وكان عنده اثنا عشر تلميذا يدرسه من السحر وقد انتخبهم لنفسه فلما رآهم بهروز حياهم وبش فيهم وأظهر سروره منهم فعاملوه بالمثل وقد تعجبوا من رفته وانهم وان ثيابه وثياب الذين معه وعلموا أنهم من وجاق السحر . وهناك جلس المقنطر بين تلامذته وأمر بهروز وبدرقات والاشوب أن يجلسوا على المائدة فأفهم كل منهم إلى جانب على كرسى فأمر أن يؤتى لهم بالشراب فذهب أحد التلامذة واتى به وهو على صر من ذهب وكان المقنطر يرغب في أن يرى كلام بهروز هل هو صحيح . لانه يقدر أن يشرب هذا الشراب . يقول مع أنه هو نفسه يتسجر منه وتولاهذته وكثرة استعمله كان لا يتحقق شرابه أصلا ولما قدم الشراب إلى بهروز أخذ به يقول ووضع كأس على فمه وتجرعه دون أن يظهر على نفسه أدنى ملل أو كراهة أو شيء من ذلك لى بين لمة يطر سره من ذلك الشراب وانه سهل عنده شربه ويتذقه تسويق ز من جوارف بدرقات والاشوب فتنهما ماشرياه إلا بكل من وكراهة المقنطر من بهروز وقد تلامذته انظروا إلى هذا الولد الماهر واقتدوا به ولا ريب أنه يخرج من حر قدر لا ثان له فى

زمانه فقال له هذا جل غايتي ياسيدى فأتى أعرف أن من تكون أنت أسأذه بسود
ويأهى ويقاخر بين العالم أجمع
وبعد ذلك بليل أمر بالطعام فأتى به من جرادين مقلية بدنها ومن هررشوية
على النار ورأسها ويدها باقية ومن جرادين مكبوسة بالمالح إلى غير ذلك مما تسكره
النفس فلما رأى ذلك بهروز قال هذا الأكل مما طلبه نفسى ثم جلس وجعل يأكل بالتهام
ويظهر سروره من الأكل دون مانع أو تسكره حتى سر منه المقطر فوق ما هو مسرور
وقال فى نفسه لا بد لى من الاعتناء به عنوة وأن أفضله على جميع تلاميذى وقد أعمى
الله عنه وجه الحقيقة وستر غايته فلم يفكر بحيلته ولا خطر له نط أنه محتال أو مضع
وبعد أن فرغ من الطعام قام المقطر وخرج إلى روضه وقال لتلاميذه ابقوا أنتم فى
دروسكم وسأل بهروز أن يسوى له الشراب وأن يستخرجه بحسب ما تعلمه من أسأذه
الأول ليرى هل هو كالشراب الذى يستخرجه هو فقال سمعا وطاعة ونزل بهروز
أيضا إلى البستان وأخذ من الحشائش والأشجار المرة فذقها وعصرها ثم غلاها على النار
نحو من ربع ساعة وبعد ذلك أنزلها وبردها إلى أن تضيبت جيدا وبعد ذلك جاء
بالروائح الزكية ورشها فوقها ولما فرغ من عمله قال الآن وقت نوال المرام ثم سكب
الشراب فى كأساته فأملأ أولا الكأس الأكبر للمقطر ووضع فيه البنج كثيرا ثم ملأ
أيضا الاثنى عشر كأسا وأشغلها بالبنج أيضا وأما كأسه وكأسا رفيقه فبقيا على حالهما
وصف الجميع على المائدة وعاد إلى المقطر وقال له ياسيدى إن الشراب قد انتهى فهل
لك أن تذوقه وتأمر بشرته قال فى بانتظار ذلك وفى الحال صعد من الجنة ودخل
غرفة الطعام فوجد الكاسات مملوءة واستنشق الروائح العطرة فانتش بها قلبه وقال
نعم إن الشراب يحتاج إلى مثل هذه الروائح فهل هكذا كان يشرب أسأذه قال نعم ياسيدى
وجلس المقطر وجلس التلامذة كل على كرسى مخصوص به وبقى بهروز واقفا فقال
له المقطر لما لا تجلس . قال إن خدمة المائدة فى هذا العشاء على ياسيدى ولذلك بعد
شربكم للشراب أهمل لك طعاما لم تذوقه زمانك لتعلم صدق خدمتى لسيدى قال أحسن
فمثلك تلتذذ السحراء وإلا فلا ثم أخذ الكأس وأمر التلاميذ أن يأخذ كل كأسه
ففعلوا وشربوا وقد ذاق المقطر نمراتها أشد مما كان يصطنعها هو إنما كانت أذكى
وانحأ واشهى لنفسه ممر منها وقال لبهروز عافاك فهذا الشراب لم أذق مثل عمرى
والأمل أن يكون الطعام مثله فقال مرحباً بك ياسيدى فسوف تعلم علم اليقين أنى
ما جيتك إلا رغبة فى الشراب لأسقبتك إياه من يدى فتذوق ما لم تذوقه وما
انتهى بهروز من كلامه حتى وقع تلاميذ المقطر باجمعهم وأما هو فانه رأى من نفسه

تغيير أحواله وأنه اخذ في أن يدوح شيتا فشيئا ، تأكد أن الشراب مشغل لاسباب عند
مائين من تلاذذته أنهم سقطوا جميعهم فأحرق في هروز وعول أن يوقع به فلم يقدر أن
يتلفظ بكلمة واحدة ولم يمكنه بهروز أيضا بل انه خاف من أن يفقد غايته فيه قبل
سقوطه فرفع يده ولطمه ثم الطمة قوة اللقاء بها على الأرض كلمات وقد شاب عن الوجود
من عظم الضربة القوية التي وقعت عليه ومن فعل البنج في الحال أسرع إلى جبل فشدته
وأخرج من جيبه إبرة كان قد استحضرها من عند صفراء الساحرة وأدخلها في أرنبة
أنفه وكان قد تعلم من صفراء أن هذه الإبرة إذا أدخلت في أنف الساحرة يفقدون معرفتهم
ويقدرّون على الاتيان بعمل من أعمالهم السحرية .

وبعد أن انتهى بهروز من عمله طاف بالفصر كله ومعه رفيقه وهم يتشرون على الاسارى
فلم يروا أحدا ولا وقفوا على حبر أحد منهم حتى أعيام لامرو تكذروا مزيد الكدر
ورجع بهروز ووضع البج في أنف المقطر فاستيقظ ووجد نفسه أسيرا مربوطا وأراد
أن يوقع ببهروز فلم يقدر فقال له بهروز أين فرسان فارس وأين سيدى فيروز شاه
فأخذنى اليه في الحال وإلا تحركت بهذا الخنجر قال ذلك انى قادر أن أفعل فيك ما فعلته
بهم ولكن قلبي أحبك فلا أعاملك بما تستحق وسوف أهديك اليهم إنما أخرج لى هذه
الإبرة من انى فاتها ألتقى جدا وسر أمانى لأرسلك اليهم ولا تخفنى ما عرفتك من
الاول إنما غضضت الطرف عنك رغبة فيك قل لك ترجو محالا فهذه الإبرة لا تخرج
من انفك مادمت حيا فاعجل بالافادة عن مكان وجودهم فقد طشت القصر ونقشت
في جمع نواحيه قال لا يمكن ان أخبرك البتة ولو قتلت ومت "فميتة ثم نظر المقطر
إلى جهة سرير منامه ليرى إذا كانت تغيرت حالته عنده سمع من بهروز نقشت القصر
بأجمعه فلاحظ منه بهروز ذلك وأسرع إلى سرير قلبه ووجد تحته حقة شدها ووذ
يلاطه قد رفعت فيها ربا من تحت دهن عميق يستدى نسم ضيق فتدحرج إلى روض
إلى الاسفل ومشى بذلك الدهليز إلى أن انتهى إلى درصيرة في صدره قو كبير وط
فدفع بابه بقوة فانكسر ودخل وإذا به يرى "فرسان" جميعهم مشهورين على نهم
البعض وهم في حالة عذاب لألمهم كانوا "بجميعهم مقيدون بأيديهم ورجلهم ومضروب
لهم سلك من الحديد بخلاف فيروز شاه فإنه كان مضربا "عذاب" ورجله أربعة قيود
ومثلا في أيديه وعند عنقه طوق من الحديد "كثير الخنفس يعضه بحيث لا يقدر
أن يتحرك فلما رآهم بهروز فرح غاية الفرح وتسع صدره ، لأن جميعهم مذبذبون
نجاح . وفي الحال قصد ملك القيود فأخذ لمبرد وقصد أن يكسب قيوده به وقصده

السكك فلم يؤثر المبرد فيها فاشغاه ذلك جدا وأما فيروز شاه فانه فرح غاية الفرح وقال له لازلت يا بهروز تا تينا وقت الضيق فانت علة وجودنا فاسرع في خلاصنا وإلا متنا عن آخرنا فامعن بهروز النظر مدة وهو يفكر ماذا يعمل بقطع القيود وقد ترجع عنده انها قيود سحرية لا يعمل بها المبرد ولا خلافه ولذلك عاد راجعا إلى المقنطر واخذ الخنجر واستله عليه ونحسه في ظهره وقال انى انحرك إذا كنت لا تفك قيود الاسارى قال لا اناك قيودهم مالم تطلقى فانى اعاهدك على ان لا اخون قولى بل حالا افكمهم واطلق سيدهم ولا اعود إلى اسرهم مرة ثانية قال انك ترجو عمالا فما خلاصك من سبيل إنما إذا فككتهم خفت عنك العذاب ورفعت عنك انقلا كثيرة بفكرى ان احرك لياها هل لا تطمح بخلاصهم إلا برفع الابرمة من اننى فاحتمد بهروز من كلامه ولعب به الغضب وبينما هو على مثل ذلك خطرياله الخاتم الذى جاء به بدرقات العيار بأنه يبطل عمل السحر ونى الحال اسرع الى الزول فى السلم فصار فى اسفل الدهلين ودخل القبر المجرودين به وقبل كل احد دنا من سيده فيروز شاه ووضع الخاتم على قيوده فتساقطت ووقعت الى الارض فكاد يطير شعاعا ومثل ذلك فعل بالاطواق الحديدية التى كانت تحيط بعنقه فانفتحت وزالت فرمى بهروز نفسه عليه وجعل يقبل يديه ويهت به السلامة فقله فيروز شاه وقد بكا من شدة الفرح لأنه كان لا يصدق بالخلاص وايقن قبل مجيئه بالهلاك والمات غير انه قال له دعنى يا بهروز الآن واسرع الى فك قيود الباقيين فانهم فى عذاب مبين فاسرع اليهم وجعل الخاتم على القيود فتساقطت وتحل وتطلق اصحابها وترجع اليهم الحرية التامة وهم فى فرح لا يوصف وامنهم إلا من شكر بهروز وأثنى عليه وتعجب من فعله وقد سأله فيروز شاه كيف قدر ان يتوصل اليهم ومن أين عرف انهم عنده وانهم تحت الارض . تخشى لكل ما توقع له معه وكيف انه اسره بالابرمة الولاديه وانه الساعة قائم فى القيود وقال لسيده أرجوك ان تخشى لى عن أنواع العذاب التى عذبكم بها وأخذ السكا بشار منه قال لا خفاك اننا عندما كنا فى الجبش نحارب ولا علم لنا بامور مثل هذه وإذا بنا قد تطايرنا فى الهواء ولا نعرف عظم القوة الفعالة التى تبضعنا بل لم نرى فى انفسنا إلا سقوطنا بأسرع من لمح البصر ثم هذا الخبيث وإذا به جالس على كرسية كانه الملك فى عظمته ولما صرنا بين يديه لم يكن فينا من قرينة تحرك بها فقال لنا اهل كن من قسركم تطرقوا ديار مصر وتعملوا ما عملتم دون ان تحسبوا حسنا ثم لاحق عبيك اجمعك بل الحق على هذا فيروز شاه ثم تقدم منى وطمحنى لكمة لا تساهل لى لانه لا يمكن لى عندي من القوة قدر ذرة لادافع عن نفسى . ثم قمه ضامه وشاء لعب بى الفيلض فسمعت ان ارفع يدي

لاضربه فلم أستطع فكذبت أنشئ احتداما غير أنه لم يكن في وسعي الا الصبر فصبرت على مفضض . ثم ان المقنطر قال لنا اني عازم على قتلكم جميعا وليس الآن بل عندما ينتهي الوليد من عمله وينتقم من جيوشكم ويبددها ويؤف ولده على عين الحياة وبعد ذلك يجهى الى مع وزرائه وفرسانه فأقتلكم بوجودهم شر قتلة . فلما سمعت أن في الاجل تأخير فرحت على نوع ما وقلت في نفسي ان هذه من توفيقات العناية لان هذه المدة لابد من أن يسمى بهروز أو طارق بخلصنا بالحيلة وبعد ذلك جاء بالقيود فكأر بأمرها أن تقيدنا فتفعل وتضايق علينا ثم سافنا الى هذا القيو وضرب لنا السكك وزادلى أنا العيار ووضع لى المناخس وقد قال لى انك رئيس القوم فن الواجب أن تحمل أعضاف ثقلهم لاسيا وأن بنية جسمك وقوتك تقدر على العذاب اكثر منهم . وبقينا فى هذا المكان وكل يوم يرسل لنا مع واحد من تلاميذه قطعة من الخبز فقط لا غير مع قليل من الماء ولذلك ترانا فى خراب عظم وضعف قال لأبأس فالخذ لله الآن على سلامتكم فاذهبوا بنا الى الاعلى لتأخذ السأحر معنا وتلاميذه ونسير فى الحال لاز الملك ضاراب فى شدة عظمة وقد تأخر الى الآكام وتحصن بها وهو فى مزيدارتباك فاذا لم نداركه تشتت الجيش جميعه وامسى هو اما اسيرا واما قتلا فلما سمع بهروز شاه صاح من شدة الاسف وقال لا سمح الله ان يقع على ابى مكروه فلا بد لى من ان انتقم من الوليد ومن رجاله واجعل بلاده خرابا ينقع فيها اليوم والغربان ومثل ذلك فعل بهزاد وبقية الفرسان وقالوا سبروا بنا الى مواقع القتال لتأخذ لانفسنا بالكار

قال ثم انهم أسرعوا الى فوق وامامهم بهروز كفرخ من فروخ الجن وبأسرح من لمح البصر صاروا فى ساحة القصر ورأوا المقنطر على تلك الحلة فشتوا فيه وامامهم الا من طلب ان ياكله باسنانه الا ان بهروز منعهم وقال لهم لا بد لنا من عذابه فتنبأوا بالسير فاننا فى حاجة الى السرعة انما قبل ان اذهب فلا بد لى من ان اقتش فى هذا القصر فلا بد ان يكون فيه من الجواهر ما نستعين به فى غربتنا وفى الحال أسرع الى الغرف وجعل يدخلها واحدة بعد واحدة وكه رأى شيئا من "عصف والجواهر والذهب اخبره حتى حزم عشر حزم فعاد الى تلاميذه المقنطر فأتىهم من وقادهم بضد البنج فاستيقظوا وانهبوا عند ما شاهدوا كثرة الفرسان فصاح فيهم بهروز وقال لهم ويلكم من فاه منكم بكلمة قتله الا تعدون انى كبر سحراه هذا الزمان وما استاذكم الا من اقل تلاميضى وقد قصرت ان اخبره لانه عظم معرفته فانه هو حمار بليد لا يعرف من السحر الا الاضرار بالاس والاكوك كما يدعى المكان يعرف انى من اكبر أعداه والآن قد صر سيرا وسترون ما فعله الله لارى

[١٥ - قيروز شى]

أن أقبل بكم سوماً إذ لا ذنب عليكم إنما أريد أن أصحبكم معي إلى جيوش فارس فليحمل كل منكم حزمة من هذه الحزم ويسير أمامنا ثم فتش بهروز على مكان الخبز فوجد بعض أرغفة فأعطى كل واحد من الفرسان كسرة وقال لهم إننا في الطريق نأخذ من القرى والضيايع وكان جاءهم بأساحتهم التي كانت عليهم لأنها كانت في إحدى الغرف وودع لكل أمتعته وخرجوا . وأما هو فإنه تقدم من المقنطر وركب على عنقه واقب برجليه على ظهره وقال له سر بي مع رفاقي فقال له لا أسير فرجع السكين ونخسه بها نخسة قوية من دؤاد مقروح فجرحته وسال الدم وركض يجرى حالاً أمام الجميع وقد قال له بهروز الآن إن عصيتي قتلتك لأنني لست في حاجة إليك وقد أهيت كل العمل وخلصت الفرسان فونك خير من حياتك . لئلا أن يطيعه وسار يركض إلى أن وصلوا من الأفعى فأخرج بهروز الخاتم وصوبه إليه فبطلت حركته ثم دنا من الأفعى فرفسه برجله إلى الأرض فسقط . وقال للمقنطر لا تظن إن رصداً يفعل في فار ثيابي هذه لا يؤثر فيها السحر ولا تفعل نار الأفعى بها شيئاً إنما جئت بالخاتم لأقوى عليه وأسهل للفرسان المرور وبعدوا عن القصر جعلوا يمشون على القرى والضيايع فيذهب بدر فئات والاشوب ويأتون منها بالطعام وداموا في مسيرهم نحو يرمين ولبلة إلى أن أدركوا مصر فعول بهروز أن يعيل بهم إلى جهة الآكام إلا أنه نظر عن بهروز أن جيوشاً كثيرة عند المدينة فقال إن صح ظني فملك ضاراب قد عاد إلى مركزه الأصلي وهو في نصر وتوفيق ومن اللازم أن ترسل بدر فئات يكشف لنا أخبارهم فإذا كانوا هنا يبشرونهم بقدمتنا فاستصوبوا رأيهم وأمر فيروز شاه بدر فئات العيار أن يسير إلى ساحات القتال فإذا وجد أباه هناك يذهبهم بقدمتهم ويعلمه بخلافه فسار وكان الوقت حينئذ عند الغروب والملك ضاراب قد عاد من ساحة القتال ونزل في صوابه ومالئ أن صار داخله إلا وبدر فئات أصبح من الخاويج بشرائك يا سيدي بشرائك فقدم عاد إليك ولديك وتخلص من شرك أخلاك فوقع صوت بدر فئات في أذان الملك فعرفه وفي الحال خر إلى الأرض ساجداً وشكر الله على ما سمعه وقيل القرباب تواضعاً ثم ركض إلى الباب وإذا به يرى بدر فئات فقال له أصبح ما تنادي به قال نعم يا سيدي وبعد ساعة يكون هنا فأعاد الشكر لله وأمر في الحال أن يفرغ الذهب على بدر فئات وأن يعطى العطايا العظيمة وأرسل فدعا أنوش بنت النشاه سليم وأطلعها على الخبر وأمر كل الفرسان والرجال أن يخرج إلى ملاقة ولده وأصله فركوا إلا أنهم ما بعدوا إلا قليلاً حتى رأوا بهروز في المقدمة راكباً على ظهر المقنطر وهو يسوقه سوق البعير وبقية الفرسان خلفه متواردين نضاحوا عن فرد صوت صياح الفرح والمسرّة ورموا بأنفسهم على بعضهم البعض وما منهم إلا من شكر الله تعالى وتقدم فيروز شاه وقبل يدي أبيه قبله بدموع تتساقط من أعينه كالعارض المطل . ثم تقدمت أنوش وسلبت على

فيروز شاه وعلى فرخوزاد وحكى الملك ضاراب عن عملها وكيف قتلت تمر تاس فشكرها الجميع وفرحوا فيها ولا سيما فرخوزاد فانه فرح غاية الفرح وحسب ذلك من السعادة والتوفيق أن تكون دائما إلى جانبه وبقربه فيمتع من النظر اليها ويلتذ بحديثها وعذوبته وصرخوا نحو من نصف ساعة وهم في سلام وتهنئة وقد نظر الملك وبقية الفرسان إلى المنظر الساحر وفوقه بهروز كالنمر الجارح فتمجبوا منه وما منهم إلا من لعنه وأمر الملك أن يبقى بهروز راكبا عليه إلى حين وصوله إلى الخيام وأن يقف عند باب صيوانه لتأق صوم رجال فارس تنفرج عليه وبعد ذلك عادوا إلى الخيام وهم من الفرح وأعلى سماء وأصواتهم مرتفعة إلى السماء حتى وصل ضحيجهم إلى المصريين فتمجبوا وامتوا بهلال العيار فكشف الخبر وجاءهم يعلم اليقين كما تقدم مع السلام

وفي ثاني الأيام اجتمع الوليد برجاله وقد فارغ غضبه حتى أصبح صدره يغلي كالمرجل ولام طيفور على عدم تصديق هلال وقال له لا زالت متصليا في أعدائك مخطئ في آرائك والآن لم يعد أمامنا إلا الدخول إلى المدينة وقتل أبوابها والمخاصرة داخلها إلى أن نرى لنا طريقا للتخلص من هؤلاء القوم الذين جلبوا إلينا من غضب الله علينا فلا كانت عين الحياة ولا كان اليوم الذي فكر فيها أنى ووصر خبرها إليه وهل لأجل زواج بنت مخرب بمالك وامم وما ذلك إلا فعل الطيش والحدة فانها تفعل في لاسار إلى أن تغيبه عن الصواب وتذهب به عن طرق الرشاد . قال بيدانديش مامسى فات باميدى وإر كنت قد دافعت في وطلك دافعت عن شرفك وناموسك ولادك إنما اليوم كل لوء على الملك ضاراب الذى ترك بلاده وسار رجاله من جهة إلى جهة ومن مملكة إلى مملكة حتى أهلك كثيرا من رجاله ومن أخصامه كل ذلك لأجل عين الحياة على أنه لو سار بها أبوها إلى ما فوق السبع اصقاق ونزل إلى ما تحت يابسة أسار خله وما ذلك إلا لأجل عناده وتصلبه والآن أرى من لراى الحسن أن ترسل الخبر إلى المدينة فتفتح أبوابها ويوقف عنده جماعة من الرجال فغافل في الغد ما استعمله من شدة كان خيرا وإلا فرجع القهقري ويدخل المدينة من جميع الأبواب ويدخلون من كل الأبواب في وجه الأعداء لانهم دون شك يكونون في أثرهم ففتحت الأبواب لأهل المدينة فصاروا يقدرون أن يصل إليها فقاتلوا من الخارج ويندبرونهم فيجيبونهم بالمدينة حول الحندق ومن ثم نرى هناك ما يجب علينا فعله . فقل الوليد لهذا الرأي وقد عزمت في الغد على ما أشرت وفي الحال بعث بالخبر إلى المدينة وأمر أن تفتح الأبواب وتوقع الطرقات ولا يقف أحد في وجه الجيش إن قد عليه أن يدخل مدينتهم والخبر في المدينة برجع فرسان إيران من عند المنقصر ولعث بمثل هذا الخبر إلى بته طر . إن تحت

وأطلعها على ما كان من أمر الفرسان وقال لها إني كنت أخبرتك سابقا عن أن المقنطر قد
 يمت بالاوراق فاستأسر فيها فرسان الفرس والآن أخبرك أن بهروز العيار سار بالحيلة
 إلى المقنطر بعد أن توافق مع بدر فقات العيار عيار الوزير بيدانديش ودخل على الساحر
 ولا أعلم بأى قوة قدر أن يربطه لأنه خلص فرسانهم وعاد بهم فرحين وفي مقدمتهم
 فيروز شاه وبهزاد ومصفر شاه وأمام الجميع بهروز راكبا على ظهره وبدر فقات يقوده
 كأنه بعير وهذه الأعمال قد أخذت بعقلي وأشغلتلى أفكارى ورمسى فى هذه الأيام
 وفى الغد تربنى داخل إلى المدينة مهزوما لاحتاصرها داخلها إنما لابد من أن تنتصر الأعداء
 أخيرا على لأن ما من أمل عدت أو مله لتعاد إلى قواى الأصلية كما كانت قبلا وكل هذا
 الذى جرى علينا كان بسبب أخيك وزواجه هذه عين الحياة الموجودة عندك ولا ريب أن
 طالعا منحوس على كل من يرغبها ويطلب زواجها . وبعد أن بعث بالأخبار إلى المدينة
 وإلى بنته أوصى كل رجالة أن تكون فى الغد على أهبة القتال ومتى تضائقوا يدخلون
 الأبواب ويقفلونها خلفهم وبات على هذه النية ينتظر مضى هذه الساعات القليلة الباقية
 من الليل وقد أمر أن يدخل فى الليل الحيام والمون والذخائر وكل ما هو فى الخارج
 كى بعد دخولهم لا يكون باقى لهم شئ فى الخارج تكسبه الأعداء

قال كنا قد تركنا عين الحياة مع طوران تخت فى حالة تعبسة تندبان حظيها
 وتلومان زمانها وتزمان الأيام التى ما سمحت لها إلا بقليلها . وفى تلك الليلة كانتا
 نأتمنين على مثل هذا الحديث كل منهما تشكى ما هو ملم بها لرفقتها وتبيح لها ما فى

تتمى الجزء السادس عشر وسيليه الجزء السابع عشر

الجزء السابع عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

قلبا فقالت أنظني أن الأيام تعود فتجمنى بمصفر شاه ذاك البدر الذي مارأت عيني قط أبهى جمالا منه ولا أشرق نورا وهل أرى نظير تلك اليلة التي زارني بها وأشاهد من سناء طلعتة وحلاوة حديثه اللطيف ماشاهدته وسمعتة . وإن عروقة الفؤاد لاجل ذلك وعلى الأكثر لو كان بقي يوما أو يومين لكنت ارتويت من عذوبة ألفاظه وشبعت من النظر إلى محاسنة

لو كان هذا الدهر يرضى قربنا يوما لما نظرت با عيناها
باليه قد كان أعشى لا يرى ليلا أتاني فيه مصفر شاه

فكانت لها أن تشكى من الدهر فطالما شكى قلبك أناس وإن تذهبه فذهمه كثيرون
قلبك فهو عن الشكوى أصم أعشى لا يؤثر فيه الطعن والذم ولو سمح لك أن تقيمي
مع حبيبك يومين أو ثلاثة أو أكثر لا بد من أن يعود إلى عنادك فتكونين كما أنت
الآن ومثل هذا الحب لا ينقضي بمدة من المدة فكما طال طال الرجاء به وكما تمدد
زاد تعلق القلب به فما الدهر إلا ذو غايات ومقاصد من مال إليه كان مسرورا سعيدا
وطالما دعوت أن يبقى حبيبي عندي فيخالفتي مخالفة الخصم ويعاديني معاندة العدو
إلا أنه لا بد أن يضجر ذات يوم فيسمع النداء كونه كما يقال عنه متقلب لا أعمال
لا يقبل أن يبقى على حالة واحدة مطلقا أنه بعمله هذا يمتحن ما حنا وبعلنا أن نحافظ
عليه فالحب الثابت الشديد لا ينقضي بانقضاء الأيام وتقلباتها "سيدة ولا يتغير بعناد
الدهر والأيام فهو يبقى حتى الموت

لا كان قلبا لا يدوم على الوفا حتى تضم يد "بلا حسنه
فالنفس لا ترضى البقاء إلا على أمل بأن تنها بمن تهواه

فاجابت طوران تحت فأين الهناء من أين الراحة فوكت من رشح أناس كك
سهل علينا جدا أن نجتمع بمن تهوى دون حسود ولا رقيب وكان الدهر يمتد عنا
ولا ينظر إلينا بعين الازميه والاهتمام وهل توتحي الهناء إلا بالاحترار بحبيب وهل
من اجتماع بعد وقوعهما بأيدي السحر اما كرم القنطرة فوالله ما كان يهتديان
عنده في أسره بأنواع العذاب التي لا تعرفها البشر فلهسحره فقدون العينين
والرحمة والشفقة ومن ياترى يقدر أن يتسبب في خلاصهما أو يخمس أن ينظر إلى

بيت هذا الساحر يسوء هذا إذا كانت لم يحوته نفسه الخبيثة الدنية الفاسدة بهلاً كهما
وإطاء خبرهما وقطع رجاء أصحابهما منهما فياليت ذلك الخبيث اللعين يموت قبل أن
ينوى شراً لهما أو يلقى عليهما ضرراً

لأعاش من يبغي الردى لأحبي يا رب بل يحجل عليه فناء
لجميع أعضائي وكل جوارحي تدعوك يا ربى فأنت الجاه
وكانت طوران تحت تتكلم وتنحصر وتلطم على خدردها على غيروي ومثلها كانت
تفعل عين الحياة قد قالت نعم انى أتصور عظم المصائب والاهوال المحيطة بنا لأجل عذاب
من يحب وكل ما جرى على فيروز شاه قبل هذه المرة على أن أقول أن ليس على الله من أمر
عسير فقد نجاه الله مرات كثيرة من أيدي السحرة وانتشله من أيدي القتل وأبمد عنه
تدابير الأعداء ورد عنه سهامهم . ولذلك كان من الصواب أن ننظر أحكام العناية
وتدابيرها . وبجل ما يعذبني الآن ويكاد يذهب بقواى تأكدى أن هذا الساحر لا يعذب
على الأكثر إلا حبيبي لأنه هو المطلوب والمقصود وهو الذى قاد هذه الجيوش كلها
من أجلى وهو الذى أرفع بجيش أليك وكاد يهلكه وعليه فقد تأكد الجميع ولا سيما
أبوك أنه إذا قتله يتخلص من كل ما هو واقع فيه فياليت من يأتينا بالأخبار عن الاحباب
أهل هم بافون في قيد الحياة أم اغتالهم أيدي الحوادث وأوصلت اليهم الأشرار إذاها
ولا ريب في أنى سأموت لموته كما أنى سأعيش لراحته وهناه

هل من يبلغنى عن المحبوب ما يلقى وما فعلت به أعداء

أو من يقول له بأنى بعده أرجو المات إذا حرمت بهاء

فما كنت طوران تحت أن اليأس الذى علينا بكل قرته حتى تمكن منا والآن أرى
أنه لا بد من أن نعى أنفسنا فأننا سئمت لا محالة إذ لم يعد من مطمع لنا يرجوع من
تعب نفوسنا ولا ندر أن نعيش بدونه فعزى ليعزىك واندى حظى لارنى لك حظك
فان لم تكن الآن مائتين فعلا فأننا سئمت بعد قليل وإذا كنت زعمت بأنك ستميتين
ففسك إذا عفت يموت فيروز شاه وأما أيضاً سأجعل الموت نصيبى فان اجتماعنا
في اليوم الآخر أسهل علينا جداً من اجتماعنا في هذه الدنيا الزائلة وأقرب

لاخير في الدنيا وفى لذاتها ان كان من أهوى يمز لقاءه

فجميل صبرى قد أضعت لبعده والدمر أشعل في القواد لظاه

وما كانت عين الحياة ممن يقطع الرجاء إلى الحدد الأخير وكانت ان استعظمت
أعصاب وشخصته جسيما ترى من نفسها ارتياحاً إلى المستقبل لاسيما عند ما فكرت
أنى في رجال إيران من العيارين الذين لا يصعب عليهم خلاص فرسانهم ولو كانوا

في جوف الأبحار تحت الماء وعذرت رفيقتها على ضياع كل صبرها لعلها أن ركونها
إلى محبوها كان بقدر اجتماعها القصير به إنما عجبها له كانت بأشد ما يمكن أن تحب أوفى
بنت لأجل شاب ولامتها في نفسها على التهور إلى هذا الحد قيل أن تمنحن
حبة حبها وقالت لها لقد أرى أن الحبة الواقعة في قلبك إلى مصفر شاه أشبه بالحبة
التي هي عندى لفيروز شاه إنما محبوك لم يكن عندك بمنزلة الخاطب كونه وجد أسيرا
فأبيت به ولهذا رضى من نفسه أن يكون لك محبوبا مكافأة على فعلك معه الجميل ولم
تقبله على حبه الحوادث لتعلمي أن كان ثابتا فيها أم لا خلافا لفيروز شاه الذى جد في
الاول إلى الحصول على وعاد الى تكرار وحفظ الى الآن مودتى وتذكرها وهو
تحت أنقال الحديد وفي أشد الضيقات ولو كان يزع من قلبه حبي لا تصرف كل هذه
المشاكل والحرب لكنه رضى بهلاك نفسه وجبرشه لأجلى ولا أقول لك هذا لأفضل
نفسى ومحوبى وأظهرت لك أن فيروز شاه هو أصدق ودا من مصفر شاه وأكثر
حبا لأن رجال الفرس مطبوعون على الوفاء والأمانة إنما جل قولى بأن لا تمكفى
البأس من نفسك وتعدى الصبر الى الدرجة الأخيرة مع أنك لم تدق من حلوة
العيش شيئا وسلمت بنفسك الى أبدى الضر والممل ويحب عليك أن لا تموت بدمه بل
تختارين غيره زوجا لك كمادة بنات الملوك اللاتي لم يكن لهن وفي قلوبهن من الحب
الا بقدر وجود المحبوب اذ يكون قد مر الحب عليهن كالظل فينقضى بانقضائه ويزول
يزواله فافلعي من نفسك هذه الجرثومة ولا تلقى بنفسك في سبل المهالك وعيشي مع
أيديك مرتاحة فعملين طاعة وتحفظين أوامره ولا تتخذين بذلك عذولة لك على حبك
أو لائمة على عمرك هذا بل أريد أن أجعل لك من نفسك سلوة حتى اذا قضى لا سمح
الله على مصفر شاه تجدين سلوة بغيره اذ لم يوجد عندك الا ساعات قليلة بالصدقة .
وأما أنا فاذا مت لموت محبوتى كال فرض على أولي لمكون عاهدته على ذلك مرارا
وثانيا كوني غريبة مأيوسة ساجرة الى قبول غيره بالرغم عني وقد شع خبر حبنا في
كل قطر وناد وتحدث به الركبان في كل مكان وقد عرف الشرق والغرب أن الحروب
قائمة بسببى فكيف يمكن أن تطيق نفسى سواه ولو كنت من أجبن الناس وأقلهم
مودة لك لكانت علمتني كل هذه الامور أن تكون صادقة الحب ودودة احفظ عليه
حتى الموت

ما أضعفت قط الحوادث قوتي بل زاد حبي بالنسبة لهواه

هي علمتني أن اكون ودودة حتى أئمت لأجله ايضاه

فأثرت طوران تحت من كلام عين الحياة الا انهم احلوه على محب صديقه الطيبة
وإذلك قالت انظنين اني ارضى غير مصفر شاه حبيبا ولو فقت هذه الحياة

واضطرت إلى سف التراب والتساؤل من أيدي الناس لآتي رهنث نفسي لهو وعدتها به ووعدته أيضا بأن أكون له وكفاني أن أكون أما وافية له بوعدى وإذا كان الحب مبتدئا فلا فرق الآن بين قلبي وقلبك وحي وحبك ان أوله وان آخره فانا الآن فى سقم على زعم من قال ان أول الحب سقم وآخره قتل وسوف أصل إلى آخره فالآتي فيه القتل المعد لكل حبيب خاته الدهر فأبعد حبيبه ورماه فى يأس مافوقه من يأس فأها والقب آه

ولو أتى القيت فى رأس شعرة من الجفن لم تشعر بي العين من سقم كذلك لو مازجت بالجسم نقطة من الخط ما تمازت عن الخط فى الجسم ولورام فرض الجسم منى توها أخو فكرة أعياء ذلك بالوهم وما فرغت من كلامها إلا وقد دخل عليها البواب وقال لها يا سيدتى ان رسولا من أهلك دفع إلى هذا الكتاب وعاد على عجل وقد فهمت منه ان أباك عاد إلى الناصرة والاذلال فعول فى الغد أن يدخل المدينة ويحاصر فيها فاتهمشت روح عين الحياة لهذا الكلام ومالت بكل سمعها اليه تنتظر وضوحا من التحرير وأما طوران تحت فأخذت التحرير من الخادم وبعد ان صرفته فضته وقرأته ولما وعيت ما فيه جعلت تصفق من الفرح وتصيح .. الحبيب .. نجا .. نجا .. الهناء .. الهناء .. مصفر شاه أتى ... مصفر شاه ... فأرادت عين الحياة ان تستعيد منها الحديث بكل سرعة فلم تجبها بغير ما كانت تسمع منها فأسرعت إلى التحرير وتلته فى داخلها ثم بعد ان عرفت كل ما فيه وتأن كدت منه ان فيروز شاه قد نجا من قبضة الساحر وقد عاد إلى ابيه القيت بنفسها الى سرير هناك واستندت راسها الى حائط ووضعت يدها على قلبها وهو يخفق لعظم الفرح الذى وقع بفته وقد اخذت بعمل رفيقتها وبقيت مدة تحديق بها فتشاهد اعمالها وافكارها تضرب الى معسكر ايران تسلم على حبيبها وتمننه بسلامته وبقيت على ذلك نحواً من نصف ساعة الى ان قدرت على جمع حواسها فسجدت إلى الارض وشكرت الله ودنت من رفيقتها وقد خانت عليها كل الخوف من ان يلحق بها ضرر أو تصاب بجنون من جرى هذه للشارة فاحاطت يدها بوسطها وأخذتها إلى الدبر فاجلستها وقالت لها اجلسى وتأنى باعمالك واحذرى على نفسك من الطيش والخفة فتجاة حينئذ وان كان مفرحاً إلى مافوق يظن إلا انه يلزم ان لاندع انفسنا عرضة للوم وعندنا من أسباب الفرح ما يجعلنا ان ننأى به ونسلى ذواتنا فيها بنا إلى مادة المدام نسكر ونطرب بذكر الاحباب ونفرح احلاصهم ونهوى انفسنا بقرب المعاد فوعت إلى كلامها وانتادت اليها وقالت لها هلم فاسقنى على ذكر مصفر شاه وزيدى من حديثه فى مثل هذه الساعة يطيب شرب الخور وفى الحال أمرت عين الحياة قهرماتتها شريفة

وقهر مائة رفيقتها هند أن تروقا بواطىء المدام وتأتبان بالنقولات والزهور فاسرعتا
إلى طلبها ولم يكن إلا القليل حتى جلست عين الحياة إلى جانب طوران تحت ثم سكبته
كاسا ونارلتها وقالت لها اشربي على صحة محبوبك وانشدى شيئا من الشعر فاليوم يوم
الهناء فاخذت الكاس وشربته بعد أن انشدت تصف جمال مضفر شاه :

عطفك على ود الهوى وولائه وأخلصت اسرارى لحفظ اخائه
وما ذاك إلا ان حباي بشادن يقطع أكباد الجفا بوفائه
رخيم معاني الدل أدمت من روا نعم خدود القانيات ومائه
سقيم حواشي الطرف والخصر عز أن بلوح لراى العين بند قبائه
اغن كأن الله ألبس خده لثام ورود مذهبا بجائه
وارودع جفنيه من السحر صارما تلوح المنايا منه عند انتضائه
وللحسن بل لله بانت قدوه إذا عبت فيها طلا خيلائه
يصوبها نحوى فيوهنى المنى أداء سلام خصنى بأدائه
وما هو إلا ان تحقق ان لى بقية روع سهلها بانثائه
إلى الله أشكو أرقما فوق خده يحوى خلال الفكر دون اقتفائه
ومهما بدا من وكره وهو يلتوى لوى كل غصن مستهما بدائه

ولما سمعت عين الحياة انشادها وما وصفت به حبيبها من المحاسن الثابتة في عقلها تذكرت
هى فيروز شاه وجماله وبهاءه وما هو عليه من المودة والوفاء وحسن الطوية
وكيف انه لما كان يزورها ويحتمع بها يشدها من فصاحتها وعذوبة ألهاظه ما يجعلها
تسكن فتغيب عن الهدى وتذكرت أيضا يوم قبلها وقبلته ووقعت شفاها على أعنه خدوه
وتذكرت ليونة قدوه فهاج عليها الغرام وتأت إلى وصف جماله فخذت كاس من الخمر
فشربتها وانشدت :

دب الحياء بخده فتضرجا رشاء اناز على الشقيق نفسه
رخص البناز اغنأحوى اوطف كابد ربهى من رأيت وجه
لم يكفه دمع العيون ملاحه حتى تشرش بها وتوح
وتفضضت وجانه وتذهت الحس دماح سابقه ودبح
يحتال كالغصن الرطيب بمصطف لسن راء سميرى معرج
ويظن يكسر مقننيه تدلا اين الوجة عاشق ابره الحدا
ومعرد للحظات اطلق حسنه فتتبدت بشووه مقل الرجاء
صلت اجبين بدا كبد زاهر يا صدى قد هت وترج

قد ذاب قلبي في هواء صباية وبحسنه لكمين قلبي هيجا
وفتي اصطباري في الهوى وتجلى والدمع أمطر في الجفون وأتلجا
يا أيها القمر الذي القمر الذي من صدغه من صدغه ليل سجا
جد بالوصال فان لي بك مدخل لم يبق عنه حسن وجهك مخرجا
من لي بمن فضح البدور ملاحه وبطرفه فتن الغزال الأدجا
فاضت مياه الحسن في أعطافه والجسم أزيد فوق ردف موجا

ولم تكن إحداها أقل عشقا من الثانية لترى فيها عيانا من تطرفها في العشق والشكوى
إلى حد خارق العادة ولذلك أقامتا وقتنا ليس بقليل على شرب عتار ومناشدة أشعار وهما
تعلان النفس بقرب الوصال . وقد قالت بنت الوليد لعين الحياة لا بد لنا بعد أيام
قليلة من أن تنال مرادنا وتصبح كل منا بيد محبوبها وروق لنا العيش بعد هذا التكدير
فتهدت عين الحياة تنهد الحزين الضعيف الأمل وقالت لها من أين تعرفين ذلك والحرب
لا تزال واقعة ولا رجاء بالصلح والتقرب من بعضهما وفي نية إليك أن يحاصر المدينة
فإذا قدر على الدفاع عنها أقما زما ما دون حصولنا على نتيجة من قرب الحبايب وان
لم يقدر على المدافعة أشار عليه بظهور بالسفر فيسافر الجرح ويهربون من المدينة ويأخذوننا
معهم فإذا عسى أن تقولين إذ ذاك قالت وقد أزعج ذلك خاطرها وأقلقها وأبان لها وجهها
مخوها جديدا وهل تظنين ان والدنا يتركان المدينة ويهربان هكذا على ما أظن هذا
إذا فكرا بالخلاص قبل تمكن الإيرانيين من المدينة وفتحها عنوة وإلا إذا فتحوها
بالحصار ودخلوها والسيوف تتع على السيوف والفرسان تصافح المنون فازوا بأنفسهم
وتركونا دون أن يتمكنوا من أخذنا معهم . قالت وهذا جل ما نرجوه فحينئذ تأتي
أهل فارس فتدرس البلد ويجلس الملك ضاربا على عرشها ونزف على حديدنا ولا يكون
وقته من خوف علينا البتة . فأحرق هذا الكلام داخل عين الحياة وتممرت منه
لأنها وان كانت مقروحة الفؤاد على فرق فيروز شاه وملوعة بعباده ومشاقة كل الشوق إلى
قربه والدنو منه وتخلص من كل هذه الصعوبات إلا أن عزة نفسها كانت تمنعها ان
تتزوج به على غير الطرق المرقية في شرف من كان مثلها من بنات الملوك . ولهذا
غالت لرقيتها أنظنين اني وان مت كدما ولوعا بحب من انا مضطربة بنار حبه أقبل
بأن اسلمه نفسي كسدية استحوذ على بالسيف وارغم ابني على أخذني وماذا ياترى يقال
بين بنات الملوك الحاليين وأهل هذا العصر والاعصر الآتية الأقبال عني اني بعث ابني
بشهووتي وقبلت ان اسلم نفسي سبية أثناء الحرب والطرادوان فيروز شاه الذي يهواني
يرغب في ومحارب لأجل قهر ابني وطرده بالسيف واخذني من بعده فهذا لا يمكن ان

أقل به ولا أفضل الحياة ولذة الزواج على فقدان الشرف والناموس . قالت انك تأملين محالا لان أباك لا يقبل قط أن يسمح بك لأعدائه ولا يمكن وقوع صلح بين وبين الملك ضاراب لتزفين بطريقة الشرف والناموس قالت انى أعرف ذلك إلا انى ما زلت أقدر أن أمنع وقرع مثل هذا الامر فلا أتأخر ولا سببا إذا كان أبى لا يزال حيا يملك نفسه فهو الولى المقام على قبل العناية الالهية وانى أسلم بتدبير أمرى إلى الله فهو يدبر بحكمته كذا يراه مقربا للصواب والانسانية . ودامتا على مثل هذا الحدث حتى سكرتا وغابنا عن الوجود فانت قهرمانه عين الحياة فأخذتها ومثل ذلك فمات هند ووضعنا كل واحدة منهما فى فراشها ثاملة من خرقى الحب والكرم وسنرجع إلى ذكر حديثهما فيما يأتى معنا من الكلام ان شاء الله تعالى

ولما كان صباح اليوم التاسع لذلك اليوم نهضت عساكر إيران من مراندها . قد عمدت إلى خيولها لانها سمعت من قبل الصباح بضرب طبول الحرب والكفاح بأمر الملك ضاراب وكذلك أُنذرت عساكر مصر أن الاعجام سيهجمون عليهم و ذلك اليوم فاستعدوا للحرب والكفاح وافتقت جموعهم إلى فرق وذلك أن الاسكندر ملك الاسكندرية فرض رجاله على حدة وأوصاهم أثناء القتال أن يقاتلوا نحو ساعة من الزمان ثم يهزموا على طريق الاسكندرية ويسلكوا تلك الطريق عائدين إلى بلادهم إلى أن يصلوا ومن وقع بأيديهم من رجال إيران أخذوه معهم أو قتلوه وأوصاهم كل الوصية أن يحاولوا أسر فارس من فرسان إيران يسبرون به إلى بلادهم وكذلك سرور بن عتبة ملك الشام والمصور ملك حلب وسيف الدولة صاحب ملاطية وبقية الملوك المتجمعين هلك كل واحد منهم عرهم على الهجوم على الاعداء حتى إذا اشتد القتال تفرقوا وسار كل فريق منهم فى طريق إلى بلاده ومثل ذلك اوليد والشاه سرور فانهما أوصيا رجالهما وقوادهما عند المضايق أن يتفقهوا إلى المدينة ليحاصروا بها . وبأقل من نصف ساعة اصطفت الصفوف ورتبت الخيول والاف وركب فارس ميدان السباق والجامع اشتات قوتها بعد الحق . وروز شه بن الملك ضاراب الذى لم يخلف له ثان بين الاعجام والاعراب ومن خذله قبة الحرب نزل لاجزاب وكلهم يعدون أنفسهم بالنصر والظفر وأن يحملوا ذلك ثم رآهم لا يهجم بهم وبين المصريين وأما بهزاد فانه اجتمع بسامك سياقا وقال له فى هذا النهار تظهر لاهران ويان الشجاع من الجبان وأريد أن أفذك بالقوم فكلمه بروا مثله فى كل هذه الحرب ولا أتى بمثله فارس من فوارس الزمان غير انى أطلب اليك أن تراقبنى وأراقبك أثناء القتال فلا يبعد أحدهما عن الآخر بل تكون ملاصقين لبعضنا جنا لجنب فتحمى ظهرى وأحمى ظهرك وعندى ان كنت أمارت على هذه الخطة كفى

وحدثنا هلاك المصريين . قال له حبا وكرامة فاقى أريد ذلك لأن فيه شفاء الغليل من
الاعداء اللثام ولما اعتمدا على هذه الحالة تقدما إلى الامام يطلبان الحرب والصدام
وإذا بالصاكر قد حملت على بعضها البعض . وقدارتفع صياحها وضجيجها وهي منتشرة
في تلك الأرض . وبأسرع من لمح البصر حمل الرجال على الرجال وجرى الدم وسال
وتقطعت المرافق والأوصال . وغابت منهم نجوم الآمال وافلت أهلة الأعمار فلم ينير
منها هلال . وطلب السيف الفصال . أن يكون حاكما في صدور الأبطال . ليفعل في
حكمه أعجب فعال . وينفذ غاياته خارقة درجات الاعتدال فيطرد الأرواح من الأشباح
ويجعل الأجسام . عرضة للطيور والحوام . وهكذا كان فان السيف اليان أنزل على
القوم أنايب العذاب كالعارض الهتان . وصب عليهم صيب الأكدار تتدفق بأعظم
فيضان . فذل من بعد عزه كل شجاع . وارتضى بالموت فيسيل الممانعة والدفاع كرها
بالهزيمة وتخلصا من السمعة والذميمة . وذاق المصريون من حرب أهالى إيران أمر
العذاب . ودارت عليهم دوائر الشدات والاكثاب وتفرقوا في تلك البرارى والهضاب
وفي أثرهم صاحب هذه السيرة الذى كان عليهم كقضاء الله . ابن الملك ضاراب فيروز
شاه . الذى ساد على سائر الملوك بالشجاعة والمجد وعلو الجاه . فضرب في أفتيتهم ضربا
أحر من لهب النار . وفعل فيهم فعلا يحق أن يكتب بهاء الإبصار . فيقرى على أهل
الادمار والاعصار . فيعرفون عظم مقدرة ذلك الفارس الجبار والأسد المغوار .
والصارم البتار الذى اخترق صيته السبع البحار . وفعلت جميع الفرسان كفعاله واقتدت
بحربه وقاتله . فاتخذته لها مقياسا وجعلت لاعينها حملاته مقياسا . ولما رأت أهل مصر
أن إيران أنزلت عليهم وبلائها . ورمتهم بشدب طعناتها وضرباتها . حتى أهلكت منهم
الجمع الغزير . وأوصلت اليهم البلاء الكثير اتخذت طرق الحرب والفرار فألوا وابتعان
خيولهم وطلبو الهزيمة وسار كل فريق بطريق وأما أهل مصر واليمن فانهم قصدوا جهة
المدينة وتبع كل فارس من فرسان إيران ملكا من الملوك وقبيلة من القبائل وانتشروا
انتشار الغيوم في تلك السهول وازدحمت أقدام الداخلين إلى المدينة ورجال الملك ضاراب
تتأثرهم وتضرب في أفتيتهم وقد أشفت غليلها وأروت ظمأ أفتدتها وأما بهروز وسياملك
سياقبا فانهما اخترقا رجال المصريين وقد فعلا بهم أفعال عفاريت الجان وفتحافى وسطهم
بجلا وكانا يضربان بالعمدان فيسحقان الروس والابدان وقد أسكرتهما خمرة الانتصار ولم
يقدر أحد أن ينجت أمامهما ولا يبق وراءهما وقد غاصا بالدماء وأورثا بالعدا لا تقام وكلما
تقدم المصريون إلى جهة المدينة تقدم أمامهم حتى دخلا باب مصر مع من دخل من الفرسان
وهما لا يعرفان ذلك ولا شعرا بدخولهما بل داوما على القتال والحرب والنزال والقتك

في الابطال وكان هذا مجمل ما يفكران به وينضمان إلى بعضهما لا يفترقان ولا يأخذهما هدم ولا توتان ولا زالت الفرسان تدخل المدينة والرجل الشجاع الذي يسلم عند دخوله وينجو بنفسه ويخلص من سيوف الفرس وطمعناهم حتى دخلوا بأجمعهم وفي الحال قفلت الابواب في وجه الايرانيين وهم يهيجون كالجمال ويزأرون كالأساد ولما استقر الوليد في داخل المدينة أمر ان تطاف المدينة بالماء وان يدار الثبل على الخندق المحيط بالاسوار ففعلوا ورجع الايرانيون إلى الوراء وما منهم إلا من هو على غاية الفرح والسروو لانسيامك وبهزاد فانهما أصبحا داخل المدينة وهما على ما هما عليه من الحرب والقتال يزيدان كما تزيد النار بالاشتعال.

قال وبلغ الوليد ان فارسين من فرسان إيران يقاثلان ويناضلان داخل المدينة وقد اهلكا قسما من العساكر وهما يصيحان ويناديان فيدعى احدهما انه بهزاد ويتكنى بنفسه والآخر يياحي بأنه سيامك سياقبا ولم يقدر احد من الفرسان ان يثبت امام وجهيهما فلما سمع الوليد هذا الخبر كاد يطير من الفرح وقال ويلكم ان كان بهزاد داخل المدينة فزيروا عليه العساكر كي لا يفل وينجو وإذا نجح جازيت كل العساكر بأجمعها ثم انحدر إلى الاسواق وشاهد تلك الافعال فأخذته الحيرة والانشغال وجعل ينادى بالعساكر والابطال ان تزدهم عليهما وان ترميها بالاحجار والنبال وان بسدوا عليهما كل الطرقات وقامت القيامة في تلك الساعة وكثر الصياح والصراخ وجعلت الناس تتراكمض نحوهما البعض للقتل والبعض لفرجة على ما يكون منهما . وكانت عين الحياة وطوران تحت في تلك الساعة جالستان في القصر على شرب وهناء وهما تعلقان نفسيهما بقرب أيام الراحة وبالخرى بنجاح الاحباب إلى ان بلغهما دخول الوليد إلى المدينة مهزوما فقالت عين الحياة هو ذا ابوك في البلد وقد كسر أيشم كسرة ومن الاصابة ان يرعوى عن طلي ويصاح اليك ضراب ويزوج ابنة بغيري وإذا انتهى الاتفاق بينهما طليك مصفر شاه من أيت فيزوجه بك دور شك ولا ارباب وهذه الطريقة بحفظ بلاده من الخراب ويدفع عن رجائه ويلاصق قنصه ويبصون حريم المدينة ومواضعه من الخراب ولا تسلب ويكون له نحن نراحة في رجوه من رب الارباب هذا إذا كان صاحب عقل وتوسير لا يصغي إلى آراء وزيرة ووزير في صغور وإلا لا بد له من ان من الاستلاء على اعيان كل حاروي ولادة بعض جمع أو ستعاز عليهم بملوك الارض واجمعوا يستجود بسحرهم وكنهم في نه سجدوا على قلوبهم ووقفهم قالت يا حباذا لو كن ذلك لم طمع الناس في هذه الدنيا بصورتهم لم استقر بصورة حسنة فيأخذ بامباله إلى ارفع الدرجات ويهوره منهم في ندرت واستقر ويسر ان من

تروق في أعينه السلامة دفعا لويلاته لانه شامخ العز والنفس يفضل الموت على الذل
ولذلك لا أعلم ما يكون منه وماذا يفكر في مستقبل أمره مع الايرانيين حتى انه لومال
إلى دفع هجيات الايرانيين التي تدك الجبال بمصالحتهم والتنازل لهم عن زواجك بابنه
لمنعه أبوك ووزيره طيفور الخبيث وساعده على ذلك انقياده الاعشى الى وزيره بيدانديش
وبينا كانت عين الحياة وطوران تحت تتكلمان بشأن ما كان من أمر ابويهما وإذا
سما الصباح وترا كض الناس فاستدعنا بالبواب وقالوا له اذهب وانظر لنا سبب
هذا الصباح . استفسر لنا عن حالة المطاردين وحالة رجال المدينة وهل دخل الاعداء
المدينة أ لا يزالون خارجها . فتدرج الى اجابة طلبهما ونزل الاسواق وسأل عن الخبر
فأخبروه أن المدينة في ضيقة عظيمة وأنه بعد قفل الابواب وجدوا فارسين من فرسان
ايران يقاثلان في وسط المدينة وقد ازدحمت فوقهما كل عساكر المدينة ورجالها وهما
لا يكلا ولا يملان بل مصران على الطعام والضراب وسلب النفوس . فعاد البواب وأخبر
طوران تحت بكل ما سمعه من الناس في الاسواق فزادتا كهما ولا سيما عين الحياة فانها
ترجمت أن فيروز شاه هو داخل الاسواق وأنه خاطر بنفسه لاجل حبها وكذلك
طوران تحت خافت من أن يكون أحد هذين الفارسين مصفر شاه حينها ولذلك تاقنا
الى معرفة الخبر وسالت عين الحياة البراب وقالت له هل سالت عن اسمي ذينك الفارسين
قال كلا ياسيدي فقالت له اسرع واستفسر لنا عن اسميهما ممن يعرفهما لنعلم من ياترى
يكونا . من رجال ايران . ففكر الى الاسواق وسال ممن أمكنه أن يفيد قليل له ان
أحدهما يدعى بهزاد والآخر سيامك سياقا فعاد وأخبرهما بذلك ففرحتا غاية الفرح
واتسع صدرهما وانثرا غاية الانثراح وقالت عين الحياة الحمد لله الذي لم يكن هذان
الفارسان حبيبي وحبيبيك ولا واحد منهما لاني مؤكدة أنهما لا يخرجان من المدينة
وأنهما سيمسيان اما قتيلان واما أسيران مهما جالدا على القتال وأهلنا من الرجال
ثم انهما صبرتا على حكم القضاء وانتظرتا الفرج من العزيز الرحمن
قال ولا زال بهزاد وسيامك سياقا في قتال شديد يفك الزرد النصيد ويعمى الابصار
ويعير الاكابر وقد تمكمت حولهما القتل كالثلول وسالت بين أيديهما الدماء كأنابيب
الماء وقد تخدشت أجسادهما من الجراح الا أنهما ثبتتا على الحرب والكفاح وأيقنا
بشرب كأس الخمام وهما يصيحان ويخترقان الصفوف ولا يريان بين أيديهما الاجدران
وأسوارا وكيفا ملئت حولهما لرجل مالا وكلنا قتل عشرة أو عشرين جاءهما عوضهم
ميتات وألوف وهما ثابتين على هذه الحال الى أن ضاق خلق الوليد وضجر من ثباتهما

فجعل يصيح بالرجال ويقول لهم ويلكم ضائقوهما واقتلوا جواديهما وانزلوا بهما العير
 فأمرت الفرسان لصباح الوليد وصوبوا السهام الى الجوادين فقتلوهما ووقعا الى
 الارض فارمت الفرسان بنفوسهما فوقهما وهي تخاف من أنهما يبقان فيعودان الى
 القتال وداروا بهما من كل جهة وصوب حتى منعوهما من الوقوف ونزعوا السوف
 من أيديهما وجاءوا بالجلال فبطوهم وأوثقوهما حتى أصبحا أسيرين ذالمين وتأكدا
 وقوعهما في يد الوليد فصبرا على حكم الباري سبحانه وتعالى وأما الوليد فنه فرح غاية
 الفرح واتسع صدره وانشرح وسر غاية السرور ورجع كنه انتصر على الملك ضاربا
 وعساكره وجلس في قصره وكان قصره عند حافة النيل عجاظ بسور ارتفاعه نحو
 عشرين ذراعا وأمامه رياض وفسحت وجنائن وبعد أن استقر به المقام دعا اليه
 بكامل رجال ديوانه فحضروا وقال لهم ارهذين لاسيرينهم من رجال الفرس الأعظام
 وهما اللذان فعلا بمساكرى الافعال الشنيعة واتى روم أن شفي قلبه بقتلهم فله طيور
 أن في قتلهم الثأب ولا سيما بهزاد لانه فلك في الرجل فتكا ضيما وهوركن من أركان
 فارس يبلغ درجة فيروز شاه وأيه فيل زور وإذا أبقيت عنه سمعت عيار وفارس بنجانه
 لانهم غفارت لا يصعب عليهم أمر في هذه الدنيا لو شدتها عندهم رجاء قد لا بد لي من
 ذلك في الغد اذا أحيانا الله ثم أمر بالاتباه والحافضة عليهما ووضعهما في سجن قصر
 بالقرب منه وصرفوا ذاك البهار على أنهم ما يكون من السيف عيبه وسنشد الوليد
 أيضا جماعته فيما يفعلون في أمر الحصار فصرخوا عليه واعتنوا على أن يدؤوه
 الحصار الى أن يفتح لهم باب الفرج

فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الملك ضارب هذه عدو من خرب الى
 صيوانه أمر بأن تجمع عنده الفرس ليرى من في منهم ومن معه وكان سرور جد
 بانتصار ذلك النهار وبسطوه على المائدة ودخلوه إلى مسرة رستم عليه وشبه فرج
 كان بولده الذي كان تنصر معقود بأصنعه وبذعه يتزرجد فرس ومنت في سجنه ليجد
 بيتا لا ينهدم مع رالي الايام وفي الحال خذت في أن ترد به الفرس وحدث به وحدث
 حتى احتبك ديوانه وجلست الفرس في مر كزها كز في مر كزها وعنى كز به تمت في
 المجلس برمه فوجد كزى بهزاد وكزى سيامك وكزى خورشيد شدة وكزى بهزاد
 قارعة وليس عليها أصحابها فاضرب دُخيه وخشع لملك وارثك وسنة عنده فقبله أن
 سيامك وبهزاد كانا يقفان مع الجيش ولم ترهم حرا ولا سعة شدة أمر وأما
 ورخشيد شاه وبهزاد قبا فنه سيران لادن حدهم اسرى جيش لاسكندهم منك

الاسكندرية والآخر قبض عليها عند عاربته مع جيش الشام والآن هو عند الملك
 حمرور بن عتبة وإنا عرفنا ذلك من فرسانهما لأن كل واحد منهما تتبع جيشا وتأثره
 ولا زالوا يركضون أمامهم حتى تقطعت الفرسان من خلفهم إلا أنهما لم يرجعا حتى
 وقفا في أيديهم فأعاط ذلك الملك وأرتبك وقال لم يكن في ظني أن هذه النصرة
 تكلفنا فقدان من هم أحب علينا من بلاد مصر ومن فيها ولا بد من مداركة الأمر
 والسعي خلف من يمكننا خلاصه وهو خورشيد شاه لأنه قريب منا ويمكن تخليصه
 بأقرب وقت وأما بمنزلة قبا فلا بد من السعي خلفه عند نهايتنا من هذه الحرب ولو كان
 يمكننا أن نقادى بالعساكر لأرسلت أكثر من نصف عساكرى الآن إلى الشام إذ
 لا يكون على ولا يطيب لى العيش إذا فكرت بأن الفرسان الذين خدموا بلادى وقتلوا
 أمام جنودى يقاسون الذل والعذاب من أجل ثمانيه أمر كرماني شاه أن يسير بمائة ألف
 من العساكر إلى الاسكندرية لخلاص خورشيد شاه ويموده وإذا رأى أن الأمر صعب
 يبعث إليه بالأخبار فامثل في الحال وودع الملك ضاراب وبقية الفرسان وأخذ معه
 جدر ثقات ليعار يخطط له الطرقات ويهديه على منافذ المدينة لأنه مصرى الأصل وخير
 بأحوال تلك البلاد ومعايرها ومساكنها . وبعد ذلك قال الملك ضاراب وقد بهمني
 أمر آخر وهو أن أعرف كيف غاب بهزاد وسيامك وهل لحق بهما ضرر أو أخذ
 أسيران إلى جهة من جهات مصر وذلك من العجب لأنهما من أقوى فرسان فارس
 فلا أظن أنهما يسلان بنفسهما إلى الأعداء إلا بعد فقد قواهما وقطع رجائهما من
 الحياة . فقال فيروز شاه لأريب أنهما دخلا المدينة على ما أظن لأنهما كانا بقاتلان في
 عساكر مصر وقد غاصا فيها وغابا عن نظري وهما إلى جنب بعضهما لا يفارق أحدهما
 الآخر وفي ظني أن الطمع ونشوة الفخر بالشجاعة لعبت برؤوسهما فدخلا المدينة وقتلت
 خلفهما الأبواب وهذا على الأكثر . فقال طيطولوس هذا ما يرجح ولا بد من أن نقف لها
 على خير وسوف نرسل بيارينا إلى المدينة إذا أمكنهم الدخول فيرون لنا صحة الخبر
 وبعد ذلك نصرف الجميع بعد أن تقرر عندهم وجوب محاصرتهم المدينة والقيام حوالها
 ثم قد شأظهم جدا جريان الماء حوالها بجداول محفورة لها منذ القديم حتى طافت على
 وجهه ذرأض بعد أن مكث الحنادق ودارت فيها

وفي صباح اليوم الثاني جلس الوليد في قصره المعروف وأخرج إليه بهزاد
 وسيامك سائلا . أن أحضر لديه كل رجالة فلما وقف بين يديه قال لهما أنظنان أن
 نرى من يصفو لكم يارجلان فارس ويتم لكم النصر والعز دون أن تروا مكروها أو يفقد
 منكم دس خطير فقد طفيتم وتمردتم حتى أصبح كل واحد منكم يظن من نفسه أنه

وحده كاف لجيوش مصر فكيف ترون بأنفسكم الآن وهل من وسيلة لخلاصكم فقد عزمنا على قتلكم والانتقام منكم وذلك على أسوار المدينة ليُشاهد كما الملك ضارب ورجاله تَحترق قلوبهم عليكم فقال له بهزاد وبك أيها الملك الجاهل الجائر أهل تظن أن الموت يخيفنا فوكننا مثلكم نهاب المنون لما كنا نفتحها بقلوب أشد من الحديد صلابة ألا نلتمونا والسيف حوالينا كالاشطان نضحك ونزنى باجسادنا عليها كأنها أكياس قطن وإن كنت تباهى أنك أسرتنا ووضعت علينا الحجر والترسيم فهذا عار وعيب عليك لأنك ما أسرتنا إلا بفرسائك أجمعها وساعدك ضيق المجال وقتل خيولنا فلو كننا في القلا واجتمع علينا أضعاف جيوشك وقوادك لما رأوا منا غير ضربا ينلق الجلاميد وطعنا يكسر الرؤوس فاقصر كلامك واجر أحكامك فإنحن عن بكره الموت بعد أن فعلنا ما فعلنا من جيوشك أكثر من عشرة آلاف نفس وقد أخذنا لأنفسنا وألبسناكم أثواب العار إنما أحذرك من أمر واحد وهو أن قتلنا يكون عليكم شرا ووبالا لأن الملك ضارب إذا عرف بقتلنا لا يبقى على أحد منكم ولا سيما ولده فيروز شاه قاهر الأعداء ومبيد الأضداد فلا تظن بنفسك أن فرسانك تقف أمامه ولا تمنعه هذه الأسوار عن أن يدوسها بأرجل جواده ويدخل المدينة فيأخذ منكم حقنا ولا يرضى بأعظكم لعله أننا نساوى ملادكم بأجمعهم فأغاظ الوليد كلامه وقال له مه أيها العبد الأتهاب غضبي وأنت في قبضة يدي وسوف ترى إلى أين يصل بك هذا الكبر والدعسيان ولا بد من موتك أشنع ميتة فاستهدف بعد ساعات قليلة للقتل وكان الوليد يتكلم عن غيظه من كلامه وقد تأكد عنده أن رجال الفرس لا يهمهم الموت فلا يهابون النوازل والمصائب وبصبرون عليها صبر الرجل الكريم الجليل .

قال الراوى وبينما كان الوليد على مثل ذلك وإذا بضجة وصيحة قامت خارج الديوان والناس تتراحم أفواجا أفواجا فقال ما الخبر فقبل له اعم يا سيدى إن الملك قيصر بعث إليك منذ أياما جوادا عظيم الهيكل لا يوجد مثله لقتال عليه وهو من نسل خيول البحر فصادف بجبهه مع عشرين نفسا من رجال الروم يوم هربكم من الأعداء في اليوم الأخير أى البارج ودخولكم إلى المدينة وقد دخلوا قبلكم بساعة تقريبا ولما لم يتهد لجواد عند مشاهدته لقتال أخوه إلى اصطبل خصوصى فأبقوه فيه أمس واليوم جهوا به ليقتلوه خضمتك لقتال عليه رجال فارس ولا ريب أنه وحيد خيل هذه الدنيا فالذى يركبه يلحق ولا يتحقق ولا يصد راكم ذوق ولا يصل إليه خصمه . فشاق الوليد النظر إلى هـذا الجواد وإذا بـرجل قد دخوله إلى باب الديوان فلم يدخل لعظم جثته . سهل بصرت نـشه بـرغمه "تأصف حتى

[١٩ - فيروز ثاى]

أرعب قلب كل من حضر وخافه الجميع ولا سبى الوليد وطبقور وقال الوليد في نفسه قد بعث قيصر لي بهذا الجواد لأقاتل عليه فكيف أقدر أركبه ولا أظن أن أحدا من فرسانه يقدر أن يركب عليه وبينما كان الوليد وبقية الفرسان يشغلون بهذا الجواد التفت بهزاد إلى سيامك وقال له لولاك ولولا خوفي من أن تبقى وحدك هنا عرضة للموت لخدعت الوليد وتسببت إلى الخلاص قال إن كنت تقدر عليه فلا تتأخر فإن خلاصك ينفعني أولا لعلني أن قصد الوليد أنت فإذا نجوت لا يعود يفكر في وثانيا يمكنك أن تتسبب بعد خلاصك في خلاصى وتطلع الملك ضاربا على أمرى فاجعل في خلاصك وانج بنفسك وإلا قتلت أنت و قتلت أبا معك بجريرتك قال سوف ترى ثم التفت إلى جهة الوليد وقال اعلم يا وليد إن هذا الجواد من أحسن الخيول وقد يسمع أنه يكون كالغول عند القتال إنما توجد دائما به خصائل رديئة لا يأمن راحته من الغدر والقتل فإن شئت ركبت لك هذا الجواد فإذا كان به بعض الخصائل الرديئة لينته وطبعته حتى يأتي على طرق الصواب ولا خفاك أن لا قوم في كل أقوام العالم يعرفون بالخيول ويركبوها كاهل الفرس ولما انتهى بهزاد من كلامه قال طبقور لا تصنع إلى كلامه ياسيدى فإنه يسمى بنصب مكيدة بخائن نفسه بها فلا تصدقه فقال بهزاد من أين يمكنك الخلاص والمدينة مقفلة الأبواب والأسوار منيعة عالية سبها وأنا بلا سلاح ولا عصا فكيف يكون الخلاص ومن أين أطمع به وفوق ذلك فاني أطلب أن تقام العساكر حول الميدان صفوفا صفوفا حتى يسدوا على كل طريق ومسلك فيصعب على الجريان في غير الميدان الذى أجرب به هذا الحصان فقال الوليد انى أحب أن أرى انسانا يركب هذا الجواد وفي ظنى أن بهزاد لا يقدر على ذلك بل يرميه ويدوسه بأرجله وتكون هذه الغاية ومع ذلك فاني أضع العساكر طبقات طبقات تقوم كلها بالسلاح وهو بلا سلاح فلو شاء الحرب لما أمكنه ومن أين يهرب إنما غابى الوحيدة إن اعرف هل يقدر على رد جماع هذا الجواد وإذا كان يقدر هل له أن يعرف العيب الذى فيه وهل خصلته رديئة كما يزعم قال ثم إن الوليد دعا بقواد العساكر وأمرها أن تحيط بالفسحة من كل جهة وأن تستعد على أسلحتها ولا تدع مجالا للحرب بهزاد وأنه إذا قصد الفرار يرمونه بالسهم فيقتلونه لأنه مجرد من السلاح وما من درع عليه يمنع عن جسده ففعلوا وفي الحال اصطفت العساكر من كل ناحية وازدحمت أقدام المتفرجين وكان أكثر الناس شوقا إلى ذلك الوليد حيث كان يحب أن يلين الجواد ويعرف إن كان يقدر على ركبه أم لا ولما انتهى العمل أمر الوليد بهزاد أن يعلو الجواد وأن يطلق قيادته وتفك رجلاه فلما رأى من نفسه أنه مطلق أيقن بالفرج وفرح غاية الفرح وفي الحال اعتلى

ظهر الجواد وأخذ يده قيادة وقد شاهد منه جرادا كالبرج المشيد ذات قوائم ضخمة
 بالنسبة إلى جسمه فتأكد أنه قادر على أن يبلغه ما في فكره وأن ينجو عليه من فوق
 الأسوار وبعد أن نظر إلى اليمن والشمال ورأى أنه يسهل له الفرار منه أطلق للجواد
 العنان فخرج من تحته كالسهم في الانطلاق حتى لسرعة جريه كاد يختفي عن العيان ثم
 عاد به ثانيا حتى حى واشتدت أعصابه ولا سيما عند مارأى من نفسه أن فارسه بطل
 من الإبطال لا يقاس به ثان وفي المشوار الثالث قرب بهزاد من الجهة التي فيها الوليد
 وصاح أي وليد ان لي امانة عندك وهو رفيق سيامك سياقا وانى اقسم بالله العظيم له
 الخليل إبراهيم ان مددت يدك اليه بسوء لا ارضى إلا برأسك بدلامنه ولا ارجع عن مصر
 إلا ان اهدمها إلى اساسها وسوف ترى بعينك ما تسمع به أذنك وجرى ذلك بأسرع من
 لمح البصر ومن ثم صاح بالجواد صيحة قوية من فؤاد مقروح ارتجت لصياحه تلك الأسوار
 وارتجت قلوب الحاضرين وزاد الجواد في غليانه وجريه حتى كاد يقرب من حائط
 السور وهناك لسكه برجله عند خواصره ورفع له رأسه فادرك الجواد الغاية فتجمع
 بقوائمه وضرب بها الأرض فانفتحت فيها حفر وخليجان وارفع الجواد إلى الجو وقد
 شاهدته كل عين وانبر منه الوليد وجماعته ولا سيما عندما شاهدوه وقد حلق السور
 إلى الخارج وارتفعت منهم الأصوات وعلا الصياح وأمر الوليد ان تسرع الفرسان
 إلى الأسوار وترمي به بالنبال والسهام إذا كان لا يزال حيا قتلوا الجدران ونظروا إلى
 الخارج وإذا بالحصان غاص في الماء وهو ينخطف كالسنور لا يأخذه تعب ولا ملل
 وقد تقدم أنه كان من خيول البحر فلا يذهب في الماء بل كان يجرى فيها أكثر مما يجرى
 على اليابسة فصوبوا نحوه السهام وهم يعلون أنهم لا يقدررون ولا يمكن ان يدركوه
 وسمع صياحه كل من كان في المدينة حتى بلغ طوران تحت وعين الحياة وهما في مزيد
 كدرا لما بلغهما من ان الوليد سيقتل بهزاد وسيامك ومعظم كدراهما كان خوفا من
 ان يقتل الاثنان وبسيهما تزيد العداوة فلا يرضى منك ضارب وفيروز شاه إلا
 بالوليد والشاه سرور وكل سيد مشهور واخذ في ان يذم الزمرك كيف يصعب الامور
 ويأتي بها على غير المراد وفي احوال سمعوا الصياح والصراخ فارتدت ابواب واصتار
 ان يأتيهما بالخبر فغاب وعاد اليهما بما رأى وقال لهما ان احد الفارسين فاز بنفسه
 ونجا من يد ابيك وقد قفز السور بجواد ركه وحكى لهما كل ما كان قد سمعه عن
 بهزاد وفرحت عين الحياة ومثلها طوران تحت رقات لارلى شابه فلا تسمع خيرا
 عجيبا عن رجال فارس إلا وبقية اعجب منه فهم عن حقيق من شد رجال العالم
 ولو لم تكن بهم صفات الانس لقاتلهم طائفة من طوائف الحن خرجت على

الانس لتوقع بها وتلقيا في وهدة التشيت والعذاب فهل سمعت أو سمع أحد قبل الآن أن رجلا خلق على جراد سور كالسور القائم في هذه المدينة واني أشكر الله الذي ما أحببت رجلا من غير هؤلاء الأنوام ولا مالت نفسي إلا لمن سيكون له في الدنيا حديث تتحدث به الأنام أجيالا بعد أجيال .

قال وأمرع بهزاد على ظهر الحصان في الجرى وهو يمخر النهر على غير هدى لانه غاب عن الوعي إلا أن عزمه بقى ثابتا لأن شدة برودة الماء وعظم نزول الحصان فيها وتبلل ثيابه أثر فيه كثيرا لانه وإن كان يقدر أن يتقلب على الناس والابطال ويقفز الابراج والاسوار إلا أنه لا يقدر أن يقلب فواعل الطبيعة المؤثرة التي لا يحتمل المراء عظم صعوباتها ولما رأى من نفسه أنه يكاد يقع عن الجواد وأن البرد أثر في جسمه مال رأس الحصان إلى الشاطئ فخرج به إلى الضفة ومال حتى البر حتى وقع إلى الأرض كالمانث وقد تشنجت أعضاؤه وبس كالخشب وغاب وعيه قال وكان قد وصل إلى قرب المكان البازل به الملك ضاراب فشاهد بعض الرجال عن بعد وهم لا يعلمون من هو عاسرعوا وأخبروا الملك ضاراب فأمرهم أن يسرعوا ويأتوا به حالا وبالحصان ليرى من هو فلما ساروا ووصلوا تحققوا أنه بهزاد ففرحوا للقائه وتكبدوا من حالته وأسرعوا به إلى الملك ضاراب فلما رآه على تلك الحال طار الشرار من عينه وصاح وناح وخاف من أن يكون قد فقد حركته وفارقه الروح وأمر طيطلوس أن ينظر فيه ولما رآه طيطلوس علم أن الحياة باقية فيه فأمر أن يؤتى بمحرق من الصوف ويفرك جسمه وأخذ في أن يسكب في فيه المنبهات ويدهنه بالارواح المبهجة إلى أن دنت فيه وسرت في جسمه ورجعت الاعضاء تتدرج إلى وطانها ولم يمض إلا ساعات قليلة حتى عاد اليه وعيه وجلس مستويا ونظر ما حواله فعلم أنه في حصرة الملك ضاراب فصاح أين الحصان فقال له الملك عندنا لا تخف عليه واستعد منه حديثه فاعاده عليه موضعا للاختصار . ثم أخذوه إلى صيرائه وجعل الوزير طيطلوس يداويه ويسقيه من الملقوبات وهو على ازدياد قوى وبجراح .

قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وسوف نرجع إلى حديثهم بعد الآن وأما ما كان من خورشيد شاه فإنه لما تتبع آثار رجال الاسكندرية وقد انفرد عن رجاله وطلبت نفسه الفتك في المارين لعله ان هذه فرصة لا يمكن أن يضيعها ولا يتسبل مرة ثانية أن يشقى غايل فواده منهم ولذلك دام على طعنه وضربه وقد بعدوا عن مصر وهو في آثارهم لا يفتر ولا أخذه هدوء إلى أن غاب عن أعين أصحابه وإذ ذاك تبيل للأسكندر أن فارسا من فرسان إيران متبعا آثارنا لوحده وليس في فرساننا

من يقدر أن يقف في وجهه فاغناظ من ذلك وكان قد أمن لحافه من الاعداء ونظر إلى نفسه وقد بعد عن مصر فامر أن تعود إليه الفرسان فعاتت وصاحت وحملت فالتقماها بقلب قوى وعزم جرى إلا أنه كان قد تعب وكل فجا استقام أكثر من ساعة حتى وقع من التعب إلى الأرض فهجمت عليه الفرسان وأوثقوه بالكثاف وقدموه إلى الملك اسكندر فسأله عن نفسه وقال له من تكون من الفرسان قال أنا خورشيد شاه ارفعم الملك صاراب ملك بلاد فارس وابن عم فيروز شاه الذي أنزل بكم الويل والعنى وربما كم بالذل والقهر وشتمكم تشيتا لا تجتمعون بعده مدى الدهر. قال وكان الاسكندر قد أغبط من كلام خورشيد شاه ولكنه كظم غيظه وأمر أن يحمل إلى المدينة ليرى ماذا يفعل به إما أن يقيه وإما أن يقتله وقطع المسافة باياء قليلة إلى أن دخل الاسكندرية وهو منهزم بحالة يرثى لها ودخل العسكر إلى المدينة وما فيهم من يصدق أنه ينجو من الموت ويصل إلى مقره سالما أمينا من الخطر الذي كان يتهدهه واجتمع إليه أعيان البلد وهنأوه بالسلامة وشكروا الله على رجوعه وبعد ذلك استشارهم فيما يفعل في خورشيد شاه فقال له وزيره الخاص إن كنت ترغب في إبعاد الأذى عن بلادنا ورفع الضرر عن الأهالي فاطلقه ودعه يذهب إلى أهله وإلى ملكه والا إذا أبقته هنا أوقعت به أمرا منكرا فدت اليك عساكر ايران فيأتون هذه البلاد ويوقعون بنا وليس لنا طاقة على حربهم ولسنا بملزومين لأجل الانتقام من فارس واحد تجلب إلينا الويل والحراب وما من عداوة بيننا وبين الايرانيين. قال أما اطلاق سبيله فلا مطمع فيه لأنى مزعم على إرساله إلى الوليد عند اغتنام الفرصة عساه ينتفع به ويرى لزوما لا بقائه عنده أر يبعد به الايرانيين عنه وإنما لا أضيق عليه بل أوصى بالحفاضة عليه دخر قصرى لأرى كيف ينتهى الامر وإذا وجدت أخيرا أن الدوائر دارت على توليد قتله وأخفيت أمره ثم دعا بالحارس وقال له أريد منك أن تبقى هذا عندك ولا تغفل عنه مضيقا إنما لا تضيق عليه ولا تضع في أرجله القيود بل جردة منها وأبق منها وإحدى صغيرا في رجل واحد بحيث لا يتمكن من الفرار وإياك أن تدع أحدا يكلمه أو تدعه يتحدث أحدا أو تدع سلاحا يصل إلى يده وأحضر خورشيد شاه وسلمه إليه وقال له كن دائما متيقظا على فاجاب وذهب به إلى غرفة من غرف القصر السفلى ووضعها وعمل ما وصاه به لاسكندر قال وبينما كان الحارس ذاهبا به نظرت بنت الملك اسكندر "بم من شافند فرفعت في هواه وكان اسمها كومندان وكانت من الحسن والجل على جانب عظيم ذات قد قويم مشوق تقبه لقنا بعنق طويل أبيض يحمل رأسا صغيرا مستديرا في

أعلاه عينان سوداويان تحت حواجب مقرونة كالقسي في وسطه جبهة واسعة لامعة
تضيء كالقياس ولم يكن فيها بأكبر من الخاتم الذي يلبس في خنصر الضعفاء من النساء
ويزين هذه كلها وجه كثير الجاذبية بخدود ناعمة وفي عنقها عقد من الماس الثمين الذي
فقد رونقه بياض عنقها الصافي وتحت ذاك العنق صدر فسيح متملىء بارز منه نهدان
لا كبيران ولا صغيران لا يمكن أن يتمكن القابض عليهما من الثبات في مركز المداعبة
والملاعبة دون أن يشعر من نفسه بالسعادة العظمى المقرونة بثبات العقل وشدة الهيام
وتحت ذنبك النهدين بطن كثير العكنات فوق ساقين على قدمين صغيرين فجعل من قال
لها كوني إلهة للحسن فكانت . ويجعل القول أنها كاملة في كل تركيبها أى لم تكن أدنى
وصفا ولا أقل رتبة في درجات الجلال من بنات هذه الرواية وخطيبات أبطالها . فلما
شاهدت كومتان خورشيد شاه وكان قلبها لا يزال خاليا لم يتمكن به بعد حب أحد
شغفت به وكادت تقع إلى الأرض لولا ثباتها وجلدها وقوة قلبها . وقد رأت منه شابا
ظريفا معتدل القامة كامل الهيكل صبح الطلعة لم تر مثله قط بين فرسان بلادها وقد
تأكد لديها أنه ملك عظيم الشأن رفيع المقدار لاهتمام أبيها به ولما غاب عنها وأخذ إلى
القصر بكت من عظم ماناتها حرقه عليه ونأسفا على وضعه في الحبس وبعد أن حل محل
بها وصرفت نحو من ساعة تشكو غرامها لنفسها وتنتظر إذا كان يمكنها الوصول إليه
فلم تر سبيلا وللحال نهضت إلى قهرماتها ودخلت عليها سرا وقالت لها أريد منك أن
تنظري في أمر يوصلني إلى الأسير الفارسي الذي وضعه أني في هذا القصر . قالت وماذا
تريدين منه قالت قد علقت به وأحبه قلبي وتمنيت أن يكون لي زوجا ويكون دائما عندي
قالت إن ذهابك إليه ووصولك إلى سجنه ليس من الموافق وربما فضحت وظهر الأمر
وليس أيضا من المناسب أن تجتمعي به في السجن إذ لا يليق بك أن تقيا هنا عرصة
للخاطر والعذاب والاكتشاف بل من الواجب أن تتسبي في إحضاره اليك فيقيم
الليل عندك والهار في سجنه لا يعلم به أحد قط قالت إذ أصبح ذلك أغنيك وجعلت نفسي
مدبونة لك بالجميل قالت هذا سهل عليك جدا لأن الحارس تحت أمرك لا سيما وأنه
كان قبل استخدامه في الحبس بوابا عندك وخادمالك ومطيعا لأمرك وعلاوة على ذلك
تعلمين أكيدا أنه رجل طماع يحب المال فعديه به ومهما طلبت إليه فعل قالت إنني لأرغب
في أن أكلمه بمثل هذا الكلام بل أفوض اليك هذه المسألة فخذني له مهما شئت من الذهب
وعديه بالكثير ولا تبخل قط عليه حتى يجيب قاني أهب كل شيء حتى روحي في سبيل
الاجتماع ببجي الجديد الفارسي ولو ساعة واحدة قالت سوف ترين ما يسرك ويرضيك
ثم أخذت في جيها الذهب وخرجت إلى الحبس فوجدت الرجل قائما عنده فسلمت عليه

فأجابها بالسلام وكان له بها محبة قديمة ومحبة ثابتة فقالت له إنى عرفت أن عندك رجل
 فارسي أتى به ملكنا في هذا اليوم من حرب الابرانيين قال نعم هو خورشيدشاه ابن عم
 الملك ضارب ملك الفرس قالت ان سيدتي كومتدان قالت لي اذهبي إلى الحبس واسألي
 لي الحارس أن يرسله إلى لاراه وبقى عندي هذه الليلة أنفجر عليه لأنه قيل لها أنه جمل
 الطلعة قال أما من جهة جماله فهو مفرد فيه لا نظير له في كل ما رأت عيني وأما من بعته
 اليها فلا يمكن لأنه نظرا لحسنه يسي كل من رآه وبدون شك إذا شاهدته تنوء فلا تعود
 تتخلي عنه ويقع اللوم على وربما قتلتني أبوها إذا عرف بفعلها قالت ومن أين يعرف
 أبوها بذلك فهي تريد أن تراه وإذا علفت بحبه كما زعمت كان لي ولك الخير الكثير
 لأنها كريمة العطاء وهي سيدتنا ونعرف طباعها وتسلينا أمر تديرها ولا سيما أنا فاتها
 تأتمني على سرها وتستشيرني في قضاء كل مصالحها فأشور عليها أن تحضره عندها في آخر
 السهرة من كل ليلة وفي الصباح تسترجعه من عندها وتنزله إلى مكانه فلا يعلم أحد بذلك
 وإني أسأل الله تعالى أن تعلق به وتحبه فأتانا أخذ أموالا غزيرة نستغني بها فمدة قصيرة
 عن خدمتها وتقيم مع بعضنا في مكان منفرد ونصرف الوقت بالهناء فكان هذا الكلام
 على قلبه أشهى من الماء الزلال لأنه كان مفرما بها ويتمنى أن يقيم معها دائما فقال لها
 إن تكفيني لي ذلك أجبت سؤالك . قالت كي أنت مطمئنا فسوف ترى ما يسرك
 ويكون لك عندها كل إكرام ومقام ثم أخرجت له قبضة من الذهب دفعتها اليه وقالت له
 خذ هذه منها الآن على إيسيل أن تربها إياه ويقم عندها تحادثه هذه الليلة وتسأله عن
 بلاده وأحواله فصل الى الله تعالى أن يقع في قلبها موقعا حسنا وتحبه كما أتى أحبك قال
 إنى أطلب من الله ذلك وإنى من الآن قائم على الصلاة وقد فرح بما رأى من الذهب
 وسرغاية السرور وقال في نفسه أصابت القهرمانة فيما زعمت فان القرة فرية ماء والراحة
 تنتظرنا ولهذا وعدا أنه في نصف الليل يأخذها اليها وودعها وودعته ورجعت إلى
 سيدتها وقالت لها ابشري ياسيدتي فان الامر قد انتهى علي أحب ما تشتهي وفي الحال
 أمرتها أن تعدد مائته المدام وتبني الموازم المقتضية لصرف الليل مع خورشيدشاه الذي
 أحبه من كل ما يليق به فأسرعت إلى طلبها وكان ذلك انيل عندها من أحب البلى وأهناء
 لما كانت تعد ساعاته بفروغ صبر قراها طويلة تكاد لا تنتهي الساعة إلا لينتهي معها
 الصبر وتلقها في الضجر وما صدقت أن جاءت الساعة المطلوبة حتى جاءت قهرمانتها
 وأخبرتها باتيان خورشيدشاه فنهضت من غرفتها مدهوشة فرحة وأسرعت إلى الباب
 وإذا به واقف عنده مع السجان فآخذته منه ودفعت له قصة من الذهب جائرة على

فعله وتلفت خورشيد شاه بالترحيب والاكرام وأرمت بنفسها عليه تقبله وتشرح له حال حبها وهو مندهش من عملها مبهور منها كيف أنها أحبتة وسعت في جليله اليها دون أن يكون بينهما سابق معرفة وكيف رمت بنفسها عليه وباحت بهواها وغرامها دون ترر ولا أن وتأكّد أن ذلك جرى منها لشدة ما وقع عليها من عظيم الغرام حتى أغابها عن وعيها وكان قد انهر عقله وضاع وعيه لما رآه من جمالها وحسنها الباهرين الساحرين للألباب الاخذين بالعقول . وقد أجاب الى عملها بأنه قاب لها بالمثل وجعل يقبلها وقال بنفسه لا يلبق بي أن أصدها وأضيق لها رجاءها بي وأرميها بالهشل واليأس وإن كان قد سبق مني وعد إلى تاج الملوك بنت الملك النعمان وأهدت اليها بقبلي وعاهدتها على الوفاء ولكن قطع رجاء هذه بوقعها باليأس وربما بالجنون لانه رأى منها تهورا بالحلم مفراطا وعملها صادرا عن قلب محترق مألوع بغيران غرام شديد ولهذا سلم نفسه اليها واعتمدان يبق حافظا في قلبه محبة حيثته الاولى فأبطته وتأبطها ودخلا غرفة المدام وجلسا عليها وإذا كل آتيتها من العنقة والذهب وهي مخفوفة بالازهار والرياحين مع اختلاف أجناسها وألوانها وكلها زكية عطرة تشرح الصدور وتسر النواظر .

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| أبدى لنا الياسمين الغض حين بدا | درا يفوح بنشر منه معتبق |
| كزويجات صفار صار في لمع | من أفعها ذوائب الياقوت في الشفق |
| ونرجس الروض قد حي بمضعمه | في أصفر نافع مع أبيض يقق |
| كانه وهو في قضب منعمة | ياقي النسيم عليها نفس معتق |
| أفشاط در من الابريز في جم | جعد فآ بين مجموع ومفترق |
| وفتح النور أحداقا بلا هذب | صبت بمنهل أجان بلا حدق |
| كانن فقافج مكبسة | تمزقت بارتجاس الريح في الورق |
| وأقبل الورد من برغومه خحلا | يدى لنا فوق ربا نشره العلق |
| دراهما من بواقيت على قضب | تراكمت تحت دينار على طبق |
| وقد أحاطت لرص الدسبند بها | من الزبرجد حيتان من الورق |

وبعد أن جلست وجلس إلى جانبها جعلت تطارحه الغرام وتشكو له ما لحق بها من جرى نظرة واحدة أعقبتها ألف حسرة حتى غيبتها عن الهدى وأنها تكسدت من جرى قيامه بالسجن . فشكرها على فعلها معه وقال لها إني مديون لك الآن بالجميل كما أني مغرم بك مشغوف بحبك وأريد منك أن ترأى حرمه هذا الود وإني أعدك أنك لا تلبث أن تصيرى زوجة أمير إراني لأن ليس في نساء إيران ولا في غيرها من هي مثلك في حسن الوجه وجمال المعاني فسرت من كلامه وملاّت قدحا

من الخمر وناولته فشرب وفعل هو كفعلا وأنشدها من شعره ما أسكرها وغيبها عن
الهدى ودام هذا العمل بينهما وهما على شرب ومشوم وعناق وتقبيل يصرفان الوقت
بحجر الغرام مع المحافظة على العفة وقفل أبواب الطهارة في أوجه الاميال الفعالة إلى
أن كاد يفقدان صبرهما لولا تسليهما بالأشعار والشكوى وقد فعلت برأسهما الخمر
أعظم فعل ولما اشتد غرام كومتدان ولعب بها العشق بتحريرات الخمار أخذت فشربه
وأنشدت تصف جمال محبوبها وتباهي بحسنه وهي على غير علم انه مفرم بغيرها

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| بروحى من أفضت لسلي خلافة | وذو الحسن مثل الصبح ينيلك صادق |
| إذا طال ليل مثل الشوق وجهه | بدا فاحال الصبح أبداه فالحه |
| تجسم من نور جنى يكاد من | لطفه يؤذيه بالحظ راقه |
| يجرد من لحظه ان كان رامقا | لها روت سيفا تستينا بوارقه |
| يفنح بالكحيل أجفان طرفه | وقد ذرفت العارضين شقائقه |
| وما قصده التحسين بالكحل إنما | لتحديد عصب لم يحد عنه عاشقه |
| فحاذر سها ما فوقت عن حواجب | من اللحظ ريش بالجهنم رواشقه |
| وما فرعه المسود فوق جبينه | سوى لاحق والصبح لا شك سابقه |
| ومسكى خال منه في ناصع الطلا | كما فتق الكافور بالمسك فانقه |
| حكى خاله من فوق مخضر شارب | لشعور روض شوقه حدائقه |
| وما البدر إلا ما أظلت ذوائبه | وما الشمس إلا ما حوته بناقته |
| وما السكر إلا من رصاب لشغره | إذا مزج الصبياء من فيه ذائقه |
| إذا اهتز رجا أو تمايل بانه | وإن ماسى بها قلت قد جل خالقه |

وكانت لا تشد بيتا إلا وترى من نفسها لذة تأخذ بها إلى الميلان والمحبة

وترتاح إلى كثرة النظر في وجه حبيبها وأى شيء ألد على العاشق من أن يسمع
له الزمان بالاجتماع محبوبه على خلوة يسمع منه شواه ويحبه عليه مشم ولدت كانت
ترى من نفسها أنها بنعمة من الله وإن الدهر راقد عنها ملك بغيرها وتمت أن لا
ينقضى ذاك الليل بل تقف الكرة مضرة بظهرها إلى شمس فلا تصفح ذلك القطر
غير أن الليل أبى إلا السرعة في الرحيل ومركا يمر ظل وانقضى بحيث لا يشعر إلا
ونور الصبح أخذ في أن يتقدم رويدا بطلعة النهار فاسود ليلك فسها وكاد يغنى
عليها فصبرها خورشيد شاه وقال لها لا تباي من الاجتماع مرة ثمة في الحكمة
الاصابة . قالت انى أعرف ذلك ولا أريد أن تنق عندي إلا الليل أملا أن لا يطلع
أحد على خبرك فيمدونك عنى ولا يتيسر لي الاجتماع لك مرة ثمة ولست س صبر

كل هذا النهار والقسم الأول من الليل وإن كنت ألاقيهما من عذاب ناشئ عن
بعدادك هذه المدة التي أحسبها أطول من سنى حياتي الماضية إنما لى أمل بفصل هذا العذاب
بما اجتماع المساء القادم فتزود منى لاتزود منك بقبيلات الوداع . ثم عانقا بعضهما
عناق الوداع وقد ذرفت أعينهما دموعا غزيرة ببلتهما أى بلل . وإذ ذاك دخلت
القهرمانة وقالت يا سيدتى إن الحارس أتى وفى نيته أن ينزل خورشيد شاه إلى الأسفل
وقد وعدنى أنه فى المساء يعيده إليك . فقالت لها ادفعى له مهما شاء من الدراهم وعديده
أتى سأزيده عندما يأتى فى المساء . ثم سارت القهرمانة ومن خلفها خورشيد شاه وخدمة
القصر إذ ذاك نيام حتى وصلت إلى الباب فزول خورشيد شاه وهو نشوان من خمرة
الحب واللذة التي لاقاها فى تلك الليلة وقد علق أملا كبيرا باجتماعه مرة ثانية وثالثة
بتلك المحبوبة الجديدة وكان يريد فى أن يعاها معها على الحب ويرتبط بها وباطل مكينا
ويوجه أفكاره إلى التعلق بها تعلقا صحيحا إلا أنه كان يرجع عندما يرى من نفسه ضرورة
الوفاء والقيام بصدق القول مع تاج الملوك محبته الأولى ولا تطاوعه مروءته أن
يقال عنه بأنه قليل المودة ناكث العهد وهذا الأمر جعله كالواقع فى لجج الاجبار تلاعب
به الأمواج وهو بين دفتى خطر ونجاة وبعد أن استقر فى عجبسه وضع السجنان القيد
فى رجله كالعادة فأطاعه وبعد ذلك اتى برأسه على وسادته ونام طويلا إلى ما بعد
الظهر فاستيقظ وأكل وصبر إلى أن كان الليل وراح الوقت المعين فأخذ إلى كومندان
وصرف تلك الليلة عندها أشهى وأحب من الليلة الأولى وفى الصباح أعيد إلى مكانه
وأقام على هذه الحالة ولم يطلع على خبره قط أحد

قال وقد تقدم معنا أن كرمان شاه ركب وسار فى اليوم الثانى من غياب
الفرسان وجد فى مسيره يتقدمه بدر فتات العيار حتى قرب من الاسكندرية وكان
ذلك عند غروب الشمس فنزل للراحة تلك الليلة وفى الصباح نهض إلى صيروانه
وكتب كتابا إلى الملك اسكندر صاحب الاسكندرية يقول له فيه أعلم أيها الملك
الرفيع الشأن أن الملك صاراب ملك ملوك الاعجام وصاحب إيران وأبا فيروز شاه
صاحب البند والعلم ومذل الجبابرة العظام والملوك الفخام الذى رأيت بعينك فعله
وشاهدت حملاته وبعثه لما اقتعد ابن عمه خورشيد شاه صعب عليه الحال وغضب
مزيد الغضب وتكدر لفقدته وبعد أن علم من اتاعه أنه أسر عندكم بعثنى بمائة ألف
فارس من فرسان فارس الأشداء وأمرنى أن أطلب اليكم تسليم ابن عمه المأسور
عندكم فإن سلمتمونى إياه كان خير فأخذه مع تقديم الشكر وأعود راضيا من أعمالكم
ولا فانى ما ذرون بحاربتكم ومقاتلتكم ولا أرجع ما لم أهدم أسوار المدينة وأخلصه

من أيديكم وأقيم حاكما أطلبه واختاره . وأخذ بدر فقات التحير ووانطلق إلى أن وصل إلى باب المدينة فطرق وقال للبواب أتى رسول من قبل سيدى كرمان شاه إلى حاكم المدينة فدخل وسار إلى دار الحكومة إلى مقر الاسكندرية فدفع إليه الكتاب وطلب منه الجواب فلما قرأه اشتعل بغيران الغضب وقال أيعظن كرمان شاه أن كل رجال فارس وغيرهم من فرسان هذا الزمان إذا تجمعوا عصابة واحدة يقدرّون على الدخول إلى المدينة وأسوارها متبعة شاهقة لا تحرقها الحفارق وأبواب البحر مفتوحة لنا لا يمكن حصرها فليقبل مهما شاء ثم نظر أيضا إلى بدر فقات فعرفه وقال له لقد وقعت يدي يا بدر فقات فأنت خائن وما جزاء الخائن إلا الموت وكما خنت سيدك ستلقى نتي الهلاك فلا بد من قتلك الآن قال كيف تقتلنى يا سيدى وأنا رسول وفى شرع الملوك ونظامها أن قتل الرسول حرام . قال إذا كان الرسول آمينا أما إذا كان خائنا فقصاصه ضرورى وفى الحال أمر أن يقبض عليه ويساق إلى أسوار المدينة مع أربعة من أنفاره فيزع من ثيابه وينادى أمام رجال إيران لينظروا إليه ويعلموا أنه قتل رسولهم ويروا موته باعينهم . فلما سمع وزير الاسكندر كلامه نهاه وقال له دعه يا سيدى يرجع إلى مولاة واطلق خور شيد شاه أيضا واعتذر إليه وارج نفسك من معاندة الافدافان أهالى فارس قادرون على كل ما يقولون فلا تقف فى وجوههم أسوار مدينتك ولا غيرها قال أن ذلك لا يكون أبدا ولا بدلى من أن أعمل عملا فى أهل فارس بذكر جبلا بعد جبل ثم أنه أمر النفر أن تسوق بدر فقات إلى أعلى الأسوار فيقتلونه ويحرقونه بدمه على جدرانها ويكون ذلك على مرأى من الايرانيين فأخذا بدر فقات العيار وصعدوا به السور القائم إلى جهة عساكر كرمان شاه فأوقفوه عليه ونادوا بأهل إيران أن تنفرج عليه وعلى ما يحل به من أيديهم ثم أخذوا بحردونه عن ثيابه ويقسمونها بينهم وكانت ثمينة جدا مرصعة بالذهب والحجارة الكريمة ولا سيما خنجره اثنتين وانهم لما رأوه انعطفوا إليه مندهشين وكل وجه فكره إلى أن يستولى عليه فرأى سر فقات منهم الغفلة والانشغال فضرب برجليه فى جدار السور وقز كالغزال من أعلاه فبططوى إلى النهر المحيط بالمدينة من تلك الجهة ولا زال فى حروطه إلى أن وصل إلى الماء . فأخترقه لعظم ثقله حتى اختفى عن الاعين ثم طفى على وجه الماء فسمح إلى أن وصل إلى الضفة فصعد عليها وكان لا يزال عليه قميص فقط فسار بتلك الحالة إلى أن أرى نفسه بكرمان شاه وحكى له ما كان من أمر حاكم الاسكندرية وكر راجعا إلى صهره فليس ثيابه ونشف جسده ورجع إلى صيوان سيده فوجده فى اضطراب فاستعاد منه الحديث فأعاده وشرح له مفصلا كل ما كان له فى حضرة الاسكندر وكيف أن وزيره نصحه

فلم يقبل فأغازه ذلك وعزم على الفتك بالمدينة والهجوم عليها . فقال له بدر فئات مهلا يامولاى لاتفعل الآن أمرا وابق ذلك إلى الغد فأتى عزمت في هذه الليلة أن أنزل المدينة وانظر مقر خورشيدشاه على أقدر أن توصل إلى خلاصه فأتى به لآنى أخاف ان نحن ضايقا الاسكندر انتقم منه ولاسيما أنه يخطر في ذهنى أن أرى لى طريقا تمكننا من الدخول الى المدينة بغتة خوفا من التطويل والفشل لأن هذه الاسوار القائمة حولها سميكة جدا بحيث لا تقدر على هدمها إلا بعد صعوبات جمة وقتل كثير من رجالنا . قال أخاف عليك من ضرر جديدمو ما من منفذ تقدر على الدخول منه قال انى أعرف بالقرب من النبل منفذا صغيرا يساع رجالا فقط وذلك بدهليز طويل ينتهى إلى دار الحكومة يصعد منه على سور على وينحدر من هناك على قصر بنت الملك المحاذى لقصر الملك وقد عرفت ان خورشيدشاه هو فى قصر الملك أى فى غرفة فى أسفله ملاصقة لقصر بنت الملك فإذا تمكنت من خلاصه عدت به على هذه الطريق بأسرع آن . قال افعل ما بدا لك وإياك من أن تظهر أمرك فانك إن وقمت بأيديهم هذه المرة يقتلونك لا محالة . قال كن مطمئنا فأتى كافل بنفسى النجاح وسوف ترى منى صدق كلامى . ثم صبر إلى الليل حتى اسود حالكة فلبس لباسا صيفيا وتقلد بنجره خلاف خنجره الذى سلب منه وانسل إلى جمة النبل فوجد رواقا ضيق المجال فمشى عليه بدقة عند حافة النهر حتى انتهى إلى المنفذ فدخل منه زحفا على بطنه ولا زال حتى صار إلى الداخل فوصل إلى دار الملك وتسلق السور وعزم على أن يقفز على سطح قصر كومنندان فوجد فيه نورا منبعئا من نافذة صغيرة فى أعلى القصر فشغل باله وخاف من أن يكون خدمة القصر وسكانه مستيقظين فوقف برهة متفكرا إلى أن خطر له أن يدنو من النافذة وينظر إذا كان داخلها قوم قيام أو نائمون فرمى بالحبل على السطح فمسكت كلاليه وشدها فوجدها متينة تحمله فأتى إلى طرف السور ونصب نفسه على الحبل وأخذ يتسلق الحائط شيئا فشيئا إلى أن قرب من النافذة ونظر الداخل فوجد كومنندان جالسة وإلى قربها خورشيد شاه وأمامهما صفرة المدام وهما يتعاطيانهما على أحب انتظام وهى مقرونة بالسامرة والمغازلة وقد سمع كومنندان تقول له لا قطع بالخروج من هذه المدينة الا بى ولا أحمل أبى أن يتخلى عنك وأظن ان مروءتك تقاومك على تركى أتقى على جمر الغضاواتسمر بنار الحب فأصبح عرضة للأمراض والأوجاع والاسقام . قال إنى قلت لك اذلا اذهب عنك ما زلت اسيرا او مازالت بلادكم فى يدنا فتكوين معنا إنما أؤكد لك انه لا بد من إتيان عيارى بلادنا لخلاصى ووصولهم إلى ولذلك لا بد لى من الذهاب معهم والنجاة . قالت هذا يعد تقديره فعياروكم لا يصلون إلى هدم

المدينة ولا يقدرّون ان يعرفوا مكانك ولهذا ترى امنية من هذا الوجه ولما سمع بدر ختمت هذا السلام وتأت كد خورشيد شاه اخذ حصاة صغيرة ورمها بها فانبتت لها واربتكا واضطربا وبأ كدا ان احدا يطلع عليهما واراد خورشيد شاه ان يخرج ليرى من الراى وإذا به قد حاكاه وقال لا تخف يا سيدى فأنا بدر فقات عيار ابن عمك وقد جئت لخلاصك فحقق لذلك قلب كومتدان وزادت اضطرابا وشعرت بفراق قواها وارادت ان تعمل الحكمة والدراية فى بقاء محبوبها واما هو ففرح مزى بالفرح وامره بالنزول فرفع نفسه على الجبل الى اعلى السطح ثم نزل من سلم القصر الى وسطه فوجد القهرمانه بانتظاره لان كومتدان دعته وامرتها بأن توصله اليهما فلما دخل سلم عليهما وقال لكومتدان انتظرين ان عيارى الملك عوارب يصعب عليهما شيء من مصاعب الدنيا فما من عقدة إلا ويقدرّون على حلها . قالت قد دركم فاني اعرف كل ذلك واسمعه عنكم . إنما لا اريد ان اعرف واصدق انكم تقدرّون على تكدير راحتي وهنائى وتقصدون ابعاد خورشيد شاه عني . قال كيف يمكنه بعد ان نكون قد جئنا وخاطرنا بأنفسنا لاجله يمنع ولا يذهب معنا ومع ذلك فاننا اتينا بالعسكر لنستولى على المدينة ونستلظ عليها وذلك تحت قيادة كومان شاه ويلتا . ثم حكى لهم كل ما كان من امر ابيها وكيف انه لم يقبل بأن يسلم خورشيد شاه وفوق كل ذلك فانه قصد قتله وهلاكه فنجأ حاذقا نفسه من على السور فتمعجا منه ثم قال وإنا الآن حول المدينة قائمون وفى نيتنا المواجهة ولم يكن يعقنا إلا وجردك داخلها فأنتيت لأذهب بك إلى المعسكر . قالت انى لا اطيع إلى تسليمه وانى افادى ببلاد انى وبف نفسه ايضا لاجله فما من مطمع لذهابك به وحده إنما عندى من الراى ان اسلم لكم تسليم المدينة فتدخلونها وتستولون عليها ويبقى حبيبي فى يدى . قال إذا فعلت ذلك اجبت سؤالك وابقيته عندك . قالت انى فكرت فى الغد ان اخذ شرذمة من الرجال ويكون ذلك فى الليل وامأل البواب فتح الباب لاخرج وفى نيتى ان اتحسس اخباركم عن بعد واقول للبواب ان انى امرنى وفى نيته ان يكبس جيوش القرم وعند فتح باب المدينة تكونون انتم قائمين عنده مهيبين انفسكم لدخول فبحال فتحتى لباب تهمجون فتقتلون البواب والحراس وتدخلون المدينة فتفتكون بين يديكم ويدلهمكم ولا اريد منكم إلا بقاء من احببت عندى وافعلوا انتم ما شئتم ففرح بدر فقات لذلك وقد تعجب منها ومن عظم تعلقها بخورشيد شاه حتى انما سمعت بفتح المدينة وتسليمها لاجله وباعت اباها وكل ما هو عظيم عندها لاجل شوقها "سبانية" . ولذلك قال لها انى ارى هذا صوابا وبممكنك ان ترقى مرتبة خاصة عني من اجابه ونستولى نحن على المدينة دون عذاب كثير وعظم صعوبة . وبعد ان انفقوا على هذا

الرأى وعينت الزمان والساعة التى تفتح بها باب المدينة ودعها وخرج مسرورا بنجاحه فصعد السطح ونزل السور إلى دارالحكومة ومنها إلى الدهليز فاستلبه ودخل منه كما خرج إلى أن انتهى إلى الرواق ولما صار فى الخارج اجتاز النهر وسار إلى معسكره حتى انتهى إلى صوابه فبات تلك الليلة وفى الصباح نهض إلى سيده كرمات شاه فوجده جالسا بانتظاره . فقال له ماذا فعلت قال كل ما نحن محتاجون إلى فعله ثم أطلعه على مارآه وما كان من أمر كومندان ففرح غاية الفرح وسر من قرب نجاح مسعاه وقال ان العناية توفقتنا والظروف دائما تتقدمنا وما برحنا نفتح البلاد الصعبة الاسوار بسهولة غير متنترة . وأقام ينتظر المساء بفروغ صبر وقد أعد العساكر وأوصاها بأن تسهر كل الليل ولا تنام إلى حين يدعوها وأن لا تنزع عدها وسلاحها

وقبل نصف الليل بساعة نهض كرمات شاه بعساكره ورجاله وتقدم إلى جهة باب البلد ورتب العساكر أن تدخل حال فتح الباب وبقي بالانتظار وكانت كومندان بعد أن وصل إليها خر رشيد شاه أبته فى قصرها وأوصت القهرمانه بالمحافظة عليه وجاءت إلى المعسكر وقالت للقائد انى أريد منك مائة نفر لغاية يريد أبى أن يجرىها بواسطة وابق أنت فى مكانك منتظرا أو أمره فانه سيصدر لك أمرا فيماذا يجب أن تفعل فى هذا الليل فأجاب طلبها فأخذت الرجال وسارت بهم إلى جهة الباب فوجدت الواب نائما وألحارس قائما على حراسته وهو يخفى فندت منه وأيقظته فاستيقظ مرعوبا لما علم أنها كومندان وقال لها ماذا تريدين ياسيدتى . قالت افتح الباب فان أبى عول على مفاجأة الأعداء فى هذه الليلة وانى سائرة فى مقدمته لأرى ان كانوا استقروا فى خيامهم آمنين أولم يزالوا ساهرين وهو ذا أبى أت فى أثرى ففتح البواب الباب وفى تلك الدقيقة هجمت رجال فارس وكانت كما قدمنا منتظرة فتح الباب فقتلت الحراس وتدفقت على المدينة فأقاموا الصباح فى كل جوانبها وارتجت المدينة فى تلك الساعة أى ارتجاج وهبت الناس من مراقدهم مرعبون خائفون لا يعلون السبب ولا ماذا جرى وكذلك الاسكندر صاحب المدينة فانه استيقظ مرعوبا وسمع الصراخ والصياح فى سائر الأحياء فتأكد أن الأعداء دخلوا البلد فارتاع وغضب وقصد الذهاب إلى مقر العساكر ليدافع عنه يمنع عنها ما جهتهم إلا أنه ما بعد إلا القليل حتى صادف كرمات شاه لانه كان أتيا اليه ينتقم منه ويقطع أثره وفى الحال ضربه بسيفه فقتله وقصد جهة العساكر مأسغل فيها القتل حتى صاحت من شدة الألم واستأمنت لانفسها وقد علمت أن ملكها هلك واندر وما يزغت الشمس إلا والمدينة بيد الفرس وقد دخلوا أسوارها ورفعوا عليها الأعلام

الفارسية ونادت في كل الاسواق باسم الملك ضاراب ودخل كرمان شاه قصر الملك وجلس عليه كرسيه ومعه بهوان بلاده ييلتا وبين يديه بدر فئات العيار وكلهم فرحون بالنصر والظفر من أقرب طريق وأسفلها وعند ذلك دخل خورشيد شاه عليه وهناه بالانتصار ومدحه على السعى في خلاصه فصافحه وحياء وقال له إن ابن عمك الملك ضاراب في ارتباك عظيم لاجلك ولولا انشغاله بمحاصرة المدينة لسار بنفسه أوبعث بابه لاجل خلاصك والحمد لله فانا لم نلاق صعوبة ولا فقدنا فارس واحد وما هذا إلا من من مساعدته تعالى ومن حظوظ الايرانيين لانهم محبوبون مادخلوا مدينة إلا رعلق بهم فساقها باعوا بلادهم لأجلهم . قال إني أعلم ذلك ولولا كومتان للقينا صعوبة وعناء ولقيت أنا أيضا عذابا ومشقة إنما أخذتني إليها وأكرمتني فهي بالحقيقة من البنات اللاتي أخلصن الود في خدمة الملك ضاراب وان تكن قد باعت أباها من أجلي إنما لا أنكر أنها عاقلة حكيمة وفعلها هذا كان بالرغم عنها إلى ضرورة العشق التي تعمى بصرها وتذهب بصوابها وليست هي بأول من فعل مثل هذا الفعل وكنت عزمت في الاول أن أقطع رجاءها متى وأطلعها على أمرى وأخبرها بأني وعدت قبلها غيرها وأعطيتها قلبي لكنني فكرت أن ذلك يعود عليها باليأس وعلى بترك الراحة . قال حسنا فعلت فاتها وإن كانت علمت بحبك لغيرها لا ترجع عن هواي ومع ذلك فمن الإلزام أن تبقى عندها ولا لا تكاثرها إلا بالجمل والاحسان ومتى آن أو ان أظهر الأمر وعرفت الحقيقة تعذر عن طلب من الملك ضاراب أن يزفها على أحد أبناء عمه . وبعد ذلك جاء وزير الاسكندر وأعيان المدينة ينادون بالطاعة وعرضوا على كرمان شاه دخولهم في طاعة الايرانيين . فقال لهم اننا نقبلكم مع رضا عنكم ولا نكر لكم جيلا فقد عرفنا أنكم نصحتهم ملككم وسألتوه اطلاق سبيل أسيره فلم يقبل حتى اتى شر عمله والآن فاق بأذن سيدي ومولاي وان عمي الملك ضاراب أقيم باسمه حاكما عليكم هذا الوزير العاقل الخبير فنادوا باسمه ملكا عليكم تحت حماية الفرس وأن تبقى الراية الفارسية مرفوعة على أسواركم ففرح الجميع بهذه البشارة وقالوا إننا نشكر الله غاية الشكر ونحمد ربه على هذا لالتفات العظيم فانا نحب هذا الوزير أكثرنا كنا نحب ملكنا وشع الخبر في كل المدينة ان الحاكم عليهم هو وزيرهم

وبعد أن رتب كرمان شاه كل ما يحتاج إلى تربيته نهض من خورشيد إلى قصر كومتان فوجدها قائمة لها بالانتظار وقد أعدت الطعام وهيئات موجبات الاكرام بما يليق بشأن ضيفها الجديد وحببها ولما رأتهما ترجبت بهما وسمعت عنى كرمان شاه وتلقته بكل ترحيب فشكرها على فعلها ونجاحها في عملها . وقد تعجب مما هي

عليه من الحسن والجمال والبهاء والكمال وحسد عليها ابن عمه وهى أيضا تعجبت من
 هيئته ووقاره وجماله وقالت فى نفسها بالحقيقة ان رجال فارس بأجمعهم أصحاب
 حسن فقد خصهم الله بهذه المزية فتنة لنساء الصالح ولما جلست على مائدة المدام تأملت
 بهما فلم تر فرقا ففطنت لنفسها وقالت إني الآن فى أعظم سعادة لاني قائمة بين اثنين
 من أجمل رجال الدنيا وأى بنت من بنات ملوك هذا الزمان وساداتها لا تحسدنى على نعمتى
 ولذة معيشتى معهما ولا غرو ان مات أنى بعدلى فاني عوضت عنه بمعين أذل لعينى وقلبي
 عنه وعوض أن يموت على غير سبب فيلحقنى الحزن والكآبة والسعى مدفوعة الى
 البكاء والصياح بالتأثر الشديد الذى يقع على أغرب الناس للمفقود وأحبههم عنده فلماذا
 السبب وهذا الحب دفعت عنى تلك الاكدار بل بدلتها بافراح وراحة وهناء شتان
 بينها وبين تلك الحالة التعيسة التى انقضت وما وعيتها . وجعلت كومنذان تسكب الخمر
 وتعاطى ضيفها وترحب بهما وهما يتناشدان الاشعار ويتذاكران الاخبار ويترنمان
 بالاغاني المتنوعة المطربة وقد راق لهم الزمان وطاب الوقت وحسب كل واحد منهم
 نفسه سعيدا وتمنى أن تدوم تلك الحالة وتطول فقد خلت من كل رقيب وحسود وغفلت
 أعين الزمان فلم تحدث لهم ما يكدرهم فى ذلك النهار إلا أنهم حسدتهم على ما رأوهم
 فيه وما هم عليه وغازطوا عدم انتباههم اليها فأرادت أن توقع عليهم بعضا من همومها
 وانشغالاتها فصبرت عليهم وهى تنوعدهم قائلة لهم فى آخر الليل تسمعون الصراخ
 وتنبهوا على تلك المناداة بين الكاس والطاس إلى ان اشتد الليل فحينئذ قال خورشيد
 شاه ان لى عدة أيام آتى إلى هذا

انتهى الجزء السابع عشر وسيله الجزء الثامن عشر

الجزء الثامن عشر

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

القصر فلا أرى فيه غير هذه الغرفة ولا أخرج منها إلا إلى عيسى وكنت لا أحسن أن
أظهر لأعين ساكنيه وخدمه وأما الآن فقد صرنا نحن الحكام وما من مانع يمنعنا من
أن ندور فيه وننظر في غرفه وفسحاته قالت فلندع ذلك إلى اليوم القادم فأتنا الآن
فساوى من فعل العقار . قال أتى أحب أن يكون ذلك في هذا الوقت وما من مانع
فطوفى بنا هذا الطابق العلوى قبلًا فلأبد أن تكون غرفة مزينة بالنقرش الجميلة ويكون
أثاثه متقنا لأن صناع الاسكندرية من أعظم صناعات الدنيا ولهم معرفة وإلمام بالخوارف
وكل ما هو مبهج مرغوب قال فلم يسعها إلا أن تحب سؤاله وتقبل قايته فقامت به
وجعلت تدور الغرف واحدة واحدة حتى أتت غرفة الاستقبال وكانت من اتقن الغرف
وأجملها منقوش على جدرانها النقش البديع وفي سقفها سلاسل من الذهب معلق بها
ثريات من الذهب أيضا مرصعة بالجواهر اللامعة من صناعة المصريين القدماء وكانت
نوافذ تلك الغرفة تشرف لجهة البحر وقد تسمع اصوات الأمواج تضرب على
جدرانها بما يستدعى التفات السامع فأعجبت هذه الغرفة كرماني شاه وخورشيد شاه
وتقدم الأخير إلى جهة النوافذ المطلّة على البحر وجلس بقربها وودعا كرماني أن يجلس
هناك وقال إن قيامنا بهذه الغرفة مسر لقلوبنا موافق لحالتنا أكثر من غير ما فعلت له
كل القصر لابل كل المدينة تحت أمرك الآن وما من مانع دون مرامك وطلبك فإنيما
شئت اجلس ومن ثم جعل ينظر إلى جهة البحر وقد أخذ نظره إلى جهة نور بعيد ظاهر
عن بعد وهو في وسط ضباب كثيف أشبه بغيمة سوداء قائمة على سطح البحر وكان القمر
مشرقًا ونوره صافيًا يتكسر على المياه فيتموج مع موجها فأعجبه ذلك المنظر وطلبت
نفسه النزول في البحر والسير عليه ولذلك قال لكمدان أتى أرى هذا الدور من
خلال هذا الضباب وهو في نصف البحر مع أتى لا أرى يابسة وليس هناك من جزيرة
قالت وقد ظهر عليهم الاضطراب وأربكت وجعلت تزدرد في ريقها لا أعرف هذا
فدعنا منه فما عرفه أحد قبل لا عرفه ولا يمكن لأحد من بلادنا أن يعرفه قال لا يمكن
ذلك مع أنه قريب من المدينة ولا بد من أنك تخفين عن امرأتنا وابن غمضه فقولي
لي القول الصحيح ولا تدخل في باب الكذب فإنت ممن يكذب بل يئى ما يتكذبك إن
يئيبه لي بحيث لا نحوجني أن أقصد تلك الجهة لأصع على تلك الحجة وقد شوقني

كلامك وتغير حالك إلى الوقوف على خبرها فلا بدلى منه . فلما سمعت كلامه خفق قلبها وشعرت بانسلاخ روحها وكادت تسقط إلى الأرض لولم تستنمض همتها وتجلد وتيقنت أنها إذا أخبرته عن الخطر المحدث بمن يروم الدخول في ذلك الضباب يرجع ولا يرضى بأن يخاطر بنفسه فيقدمها ضحية للهالك فقالت له انى لم أكذب عليك قط واتى صادقة فأتى لأعرف شيئا عن تلك الناحية وما أسمع له لا يفيدك شيئا وهو ان تلك الناحية التى تراها هى جريرة قائمة في وسط البحر يظللها ضباب كثيف جدا محدق بها من كل جهة فلا يرى قط ما هو داخله ويقال ان ضمن الجزيرة كنز من عمل السحرة القديما . وقد قصدوا حفظه فأقاموا عليه هذا الضباب كالحارس يحرسه من قاصده والطامع فيه وقد قصد كثير من الطامعين وأصحاب البطالة أن يعرفوا مقر ذاك الكنز فركبوا القوارب وحالما يجتازون ذاك الضباب يختفون فيه فلا يعود يسمع عنهم خبر ولا ينظر لهم أثر وقد كان أبى رغب كثيرا فى أن يعرف ضمن تلك الجزيرة فبث بكثير من الناس لاسيا من المحكوم عليهم بالقتل ورعدهم أنهم إذا جاءوا له بالأخبار الأكيدة عن هذه الجزيرة أطلق سبيلهم وأنعم عليهم وجعلهم من خدمة فيذهبون على القوارب ويدخلون الضباب ومن ثم لا يود يسمع لهم خبر كغيرهم من الذين هلكوا قبلهم ولهذا خاف الجميع الدخول وأبوا المخاطرة بالارواح لان كل نفس عزيزة على صاحبها ولهذا قلت لك انى لا أعرف ما يب هذا الضباب ومن أين ذاك النور فيه وليس أما فقط بل كل من فى المدينة لا يعرفون هذا السبب وكل واحد يسمع من أبيه وأبوه من أبيه أيضا ان هناك كنز لعمام الموت دونه وما يظن أنه هلك داخل هذا الضباب أكثر من مئات ومئات من الآلاف

قال فلما سمع خورشيد شاه هذا الكلام قال صدقتك أنك لا تعرفين شيئا عما هنالك إنما معرفته كغافى وما فى فأتى أسعى لمعرفة بنفسى فقال له كرامان شاه وكيف تقدر ان تعرفه قال انى اذهب بنفسى إلى تلك الجزيرة وأجتاز ذاك الضباب ولا أعود إلا بمعرفة الحقيقة فصاحت كوندان على غير وعى عند استماعها كلامه وقالت له انى لا أقبل قط ان تخاطر بنفسك فارجع عاقبته وليس داخل تلك الجزيرة إلا كنز من الآمال والجواهر وهذا أنت فى غنى عنه وأكدر ان ذهابك يلقى فى وهدة العذاب بحيث ألزمت ان أميت نفسى أشنع ميتة تخلصا من الحياة بدونك قال لها لا بدلى من أن أسير إلى اخنراق هذا الحجاب وما كانت رجال الفرس لتقول أمرا ولا تفعله ولاسيا وأتناعتقد أن الله معنا وان المرء لا يموت بغير يومه فاطمعت على خدودها وبكت من فؤاد قريب وقالت أنك تخاطر بنفسك وترمى بها إلى

الموت عن طيش وحدة وكيف يمكن أن أطيعك على مثل هذا العمل وأفقدك بوقت قليل كذا . وقال له كرماني شاه لا تذهب ولا أقبل معك بالذهاب ولا أدعك تغذ غايتك ومأربك وتلق بنفسك إلى الخطر على حين أنت في غنى عنه لا سيما وإن مستول الآن لدى الملك ضاراب إذا تركتك وشأنك لأنه بعني وأنت في الأسر لخلاصك وإرجاعك إليه وقد قبل بالمقادة بمائة ألف من العساكر طمعا بحياتك وخلاصك فكيف بعد الوصول إلى الغاية والاعتماد على الرجوع إلى حضرة ملكنا تتأخر وتفقد أنت من يتنا هذا لا يمكن أن أوافق عليه وادعه بنم قط . فأغاظه هذا الكلام وتشاحت به مفاعيل الخثرة وقال له أنك لا تقدر أن تمنعني عن انفاذ غايتي فانت ملك وأنا ملك وإني أحتم كل الحتم وأقسم بالله العظيم رب موسى وإبراهيم الخليل وأثبت قسمي بحياة الملك ضاراب وحياة ولده فيروز شاه كنز الفخر والجلال إلى لا أرعوى عن غايتي ولا أرجع عن طلي ولا بد من ركوب البحر في الغد والوصول إلى هذه الجزيرة كيف كان الحال إن كنت أعيش أو أموت . فأنغم هذا الكلام كرماني شاه وكرمندان وأسلكتهما ولم يشاء أن يحيياه لما رأيا منه هذه الحدة والاقسام وصبرا عليه إلى الغد على أمل أنه يكون قد انتبه إلى نفسه وشعر بالخطر الذي يهدده من جرى دخوله في ذلك الضباب ويرجع عن قوله

وبعد أن انتهت تلك الليلة وجاء الصباح قاموا من رقادهم وخرجوا إلى بعضهم وفي ظن كرمندان أن حبيها يكون قد صحا من سكره ووعى إلى نفسه فحين وجست بقربه وهي هاشة باشة فاجابها بمثل عملها وقال أريد أن أرسل الآن متادبا بنادى في المدينة أني أريد الذهاب إلى الجزيرة المسحورة وإني أريد قارباً مع أربعة انفار من الملاحين فن قبل بذلك اعطيته ألف دينار سلفاً . قالت له هل لا تزال مصراً على قولك تطلب الهلاك لنفسك . قال أني قلت ولا أرجع ونسئ نحدثي أن الموت بعيد عني وإني سأخترق هذا الحجاب الكثيف وأطبع على كل ما هنك وأعود دون أن يلحق بي ضرر أو أذى . فأنصرى عن المدينة وأجى إلى كل ما أقوله قالت أني لا أظن أن أحداً من الوثية يقبل أن يحاضر بروحه لأجل السبل . قال لا بد من الوصول إلى رفاق برقوقوني في سفري هذا . وفي الحال دعا المتادى وأمره أن ينادى في كل أسواق المدينة وشوارعها أن كل من يرغب في أن يذهب مع ابن عم الملك ضاراب إلى الجزيرة المظلمة ويرصه على قاربه إليها أعطاه ألف دينار فذهب المتادى ونادى كل ذلك لهم أن يرجع في المساء دون أن يحصل على نتيجة وأخبر خورشيد شاه أن لا أحد برضى هذه الخاضرة ولم يحبه حدى من متادته . فإن يلزم أن تراجع العمل في الغد وتزيد المبلغ إلى خمسة آلاف دينار ولا ترجع أو

قط دون أن تأتيني بالمطلوب ولو صرفت سنة على هذه الحالة فاطاع المنادى وفي اليوم الثاني أعاد عمله وجعل ينادى وزاد المبلغ إلى خمسة آلاف دينار وفيما هو ينادى سمعه أربعة رجال وكانوا فقراء للغاية وليس يديم ولا بارة الفردوم أصحاب عيال وأولاد صغار وما من سبيل إلى القيام بأردم . فاجتمع هؤلاء إلى بعضهم وقالوا نحن نذهب مع هذا الملك ولسنا بأحسن منه فإذا عاش عشنا معه وإذا مات متنا معه ونكون قد أحينا عيالنا وأعدنا لهم المال الكثير ليمشوا به بعدنا . ولما اتفقوا على هذه الغاية جاءوا إلى المنادى وعرضوا بأنفسهم عليه وقالوا اتنا نذهب لقضاء هذه المهمة ونسير مع هذا الملك على قاربنا إلى تلك الهوة المقترحة للهلاك ونرمى بأنفسنا إليها معه فأما أن نتخلص معه ونرجع معه أيضا وأما أن يصيبنا ما يصيبه فلسنا نحن بأعز حياة منه فأتى بهم المنادى حتى أوصلهم إلى خورشيد شاه وعرضهم عليه ففرح بهم غاية الفرح واستعاد منهم الوعد فأجابوه بما تقدم وقالوا له نحن رفاقك في سفرك إلى أين تريد الذهاب فأمر أن يدفع لهم المال الذي وعدهم به وزادهم فوقه وأمرهم أن يتبأوا وينقلوا المؤنة إلى قاربهم ليذهبوا في صباح اليوم الآتي ففرحوا بما وصل إليهم وأخذوا الذهب وساروا به إلى بيوتهم وعرضوه على نساءهم وأولادهم فإمنهم إلا من بكان فراقهم وناح على هلاكهم إذ كان مؤكدا عندهم ذلك واجهدوا أنفسهم في إرجاعهم فلم يصغروا وقالوا ليس ذلك في وسعنا فإنا لا نقدر على اخلاف الوعد بعد أن قبضنا المال وبعنا أنفسنا إلى هذا الفارسي الذي في نيته أن يكون رفيقا لنا فما نلاقه بلاقه وليست أنفسنا بأعز من نفسه

وفي صباح اليوم التالي جاء النوتيون إلى قصر كومتدان فوجدوا أن خورشيدشاه قد أعد كثيرا من الخبز والمأكل ما يكفي لهم أشهراً فأمرهم أن ينقلوه إلى القارب ففعلوا حتى كاد يمتلئ . ولما فرغوا أخبروه بذلك وطلبوا إليه أن يأتي معهم إلى القارب فنهض بقصد الذهاب وجاء إلى كومتدان وودعها وهي تبكي بكاء الشكلى وتعلقت بأذنيه على قصد أن ترجعه عن عمله وطلبت إليه أن لا يحاظر بنفسه وزادت في البكاء ورمت نفسها عليه وقد خلعت الصبر لما تأكدت مسيره إلى الهلاك . فلم يصغ إليها ولا رجع عن عزمه بل قال لها أريد منك فقط الدعاء وأن تصبري على حكم القضاء والقدر . ثم دنا من كرمان شاه فودعه وبكى كل منهما على فراق الآخر وأعاد كرمان شاه عليه قوله ينصحه بعدم الذهاب واجهد نفسه لينعه فلم يتدر وقال اني أنسمت فلا بد لي من إتمام قسمي وإن فقدت حياتي . وبعد أن ودع الجميع ذهب إلى الشاطئ وركب القارب وسار به على أجنحة السرعة يشق الماء موجها إلى تلك الجزيرة . وكانت كومتدان بعد أن سار من أمامها دعت بأربعة من النوتية آخرين

وقالت لهم أريد منكم أن تذهبوا في أثر القارب الموجود فيه خورشيد شاه وتروا
 أن كان يدخل الضباب أم لا وعودوا إلى بالخير الصريح وأن جستوني بخبر رجوعه
 أعطيتكم الذهب الكثير . فاجابوا طلبها وأسرعوا إلى قاربهم وساروا من خلف القارب
 الأول يتربصون مسيره وجلست كومنندان في نافذة القصر تنظر إلى القارب وهو سائر
 على وجه المياه وكلما بعد عنها تشعر بانحطاط قواها وضدق في أعصابها واسوداد في
 قلبها وتقطع في أحشائها وانسكاب في دموعها واحتراق في فؤادها واعتقاد في صبرها
 واختلال في عقلها وعما في عيونها حتى كانت حالتها عبرة لمن اعتبر ولما رأت القارب
 قد بعد عنها وغاب عن بصرها لطمت على صدرها وخدودها وأيقنت بمات حبيبها
 وأذرفت دموعها وأنشدت :

| | |
|--|---|
| لَكَ اللهُ هَلْ يَرِقُ الزُّبُوعُ يَاحُوحَ | وَهَلْ بَانَ مِنْ لَيْلِ الْعَنَادِ نَزُوحَ |
| وَكَمْ تَرَاهُ يَسْطُو عَلَى بَادِهِمُ | وَأَشْبَهَ طَرَفَ الصُّبْحِ عَنْهُ جُوحُ |
| أَرَأَيْتَ نَجْمًا حُلَّ مَسَلِّكَ غَرْبُهُ | وَعُطِفَ هَامُ وَالْفُؤَادِ جَرِيحُ |
| يَبِيتُ بِنَاجِيَنِ الْحَمَامِ يَسْجَعُهُ | وَيُرَوِّى حَدِيثَ السَّقَمِ وَهُوَ صَحِيحُ |
| يَنُوحُ وَلَا يَدْرِي الْبَعَادَ وَفَرْخُهُ | لَدَيْهِ قَرِيبٌ وَالزَّمَانَ سَدُوحُ |
| عَلَى غَصْنِهِ الْمِيَادُ أَصْبَحَ شَادِيَا | وَنَشَرَ الصَّبَا يَغْدُو لَهُ وَيُروحُ |
| أَقُولُ لَهُ وَالرَّجْدُ يَمْطُرُ مَلَقَى | وَقَلْبِي مِنْ نَارِ الْغُرَامِ طَرِيحُ |
| الْأَيَّامُ الْآيَاتُ فَرَّخَكَ حَاضِرُ | وَعَصْنُكَ مِيَادُ فَقِيمِ تَنُوحُ |
| فَأَيُّ مَنْ التَّامَى عَنِ الْبَعْدِ حَاضِرُ | وَأَيُّ مَنْ الْبَاكِيِ الْتَحُوبِ صَدُوحُ |
| فَهَلْ يَأْتَرَى مِنْ مُنْقَذٍ وَمُسَاعِدِ | يَخْلُصُ مِنْ أَيْدِيِ الْتَوَى وَيُريحُ |
| وَهِيَاتُ أَنْ أَلْقَى عَلَى الدَّهْرِ مُنْجِدَا | سَوَى مَنْ لَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ صُدُوحُ |

وكانت تبنى وتنوح وتستغيث بالله سبحانه وتعالى وتدعوه إلى 'نقاذه' وخلاصه
 من الموت وكانت لاتزال معلقة بعض الأمل برجوعه عند وصوله إلى ذلك 'ضباب'
 ومشاهدته الخطر عيانا ووصوله إلى شفيره وكان كزمان شاد أيضا قائم عند نافذة ثانية
 ينتظر عودته أو عودة الملاحين الذين تأثروا وقد حس بالخير والكربة لبعده وتأكد
 عنده أن الملك ضاراب سيلومه على تركه وشبهه وركوبه من 'الاضطراب' وخشى أن
 يدعوه الله إلى سبحانه وتعالى لينقذه من 'المسكن' لذهاب إليه أو بغير في عزه
 فيرجعه عن السلوك في سبيل المخاضرة والحلاك وأما خورشيد شاه فإنه في بندقته
 على ذلك القارب الذي يحمله حتى قرب من الضباب فوجده كهيئة جلد وهو يشبه
 غمامة سوداء تظلل رقعة كبيرة من البحر لا يعلم قط ما داخلها وكان البحر يظهر
 من حول تلك الغمامة صافيا راتقا بحيث يظهر ما في قمره . فذاقوا من تلك التهمة

توقف الملاحون عن الدخول وقالوا اعلم يا سيدنا اننا الآن قادرون على الرجوع ولا نزال نملك أنفسنا وقيادنا فاذا أردت الخلاص فارجع بنا وإلا بعد دخوانا في هذه الغمامة السوداء لا نعود نقدر على الرجوع مطلقا ولا نعود نملك أنفسنا فبقى داخلها إلى أن نموت ولا نعلم ما يكون فيها وما يجري علينا وما نعلمه وتؤكد أنه كثيرين قصدوا اكتشاف هذا الكنز فدخلوا ولم يعودوا قط ولا رأيت انهم هلكوا وانقضوا وأصبحت هذه الجزيرة مدفنا لهم فعد بنا من حيث أتينا واشتر نفسك فان النفس عزيزة وكان خورشيد شاه قد شعر من نفسه بقرب الخطر الذي سبلاقيه ورأى به نيه شدة كثافة تلك الغمامة وجعل يردد في ذهنه عدم تقدمه إلى الامام وخطره مرارا أن يتأخر عن الخوض في عباب ذاك البحر إلا أن عزة نفسه كانت تمنعه ولا سيما عندما فكر أنه أنسم باقه وبالمالك ضاراب وبابنه فيروز شاه وقد يهون عليه أن تهلك نفسه ولا يضع نفسه وأكثر شيء هون عليه ركوب هذه المخاطر هو فكره باعمال فيروز شاه واصرارها على انقاذ مأربه لأنه ما فكر بأمر إلا وأجراه ولا سلك سبيلا إلا ووصل الى متناه فيلق بنفسه إلى المخاطر طوعا وبجور منها بأمره تعالى ولما قوى هذا الفكر في رأسه هان عليه الموت فسلم أمره لله تعالى وتقدم الى الامام أي انه أمر الملاحين بمداومة التجديف وقال لهم اني قلت شيئا ولا أريد أن أرجع عنه فاسألوا التوفيق منه تعالى . ولم يكن الا دقائق قليلة حتى اقتحموا ذاك الضباب ودخلوا تحته فظلمهم ولم يعودوا يروا بعضهم بعضا وحجبا عن أعين غيرهم وصاروا يكلمون أنفسهم وهم يعرفون مواقع بعضهم بالصوت وقد ثبت عند خورشيد شاه انه في موة الموت وان سلك سبيلا صعبا وضاق صدره وأصبح كالاعمى لا يرى قط ما أمامه ووراءه وثبت عنده ما كان يسمعه من كومندان عن ذاك الضباب وأراد التخلص والرجوع الى الورا فامر النوتية أن تدبر مقدمة القارب وترجع الى الورا عساعم أن يدخلوا من تلك الحالة الصعبة فجهربوا ولم يقدرُوا . قالوا له لا نطمع محالا فان القارب لا يمكن أن يرجع الى الورا مقدار شعرة واحدة كان ما خلفه يابسة فزاد هذا الكلام قلقه وجعل يصلي الى الله ويطلب منه المدونة والاعانة والقارب يتقدم الى الامام وكلما سار قليلا تشتد كثافة الضباب ويزيد البحر اضطرابا وهياجاً ولم يكن الا القليل حتى لطم القارب اليابسة فاصاب صخر اهناك رهدا عليها فعرف خورشيد شاه انهم وصلوا الى البر فنزل عن القارب اليه وفعل مثله الملاحون . هم يهتدون الى بعضهم بالصوت واللس وبعد أن أقاموا قليلا شعروا بشدة الجوع والظهور تنازلوا شيئا من القارب فاكلوا وبعد أن شبعوا أراد خورشيد شاه التقدم الى أواسط الجزيرة فامتنعوا عليه رفقاءه وقالوا له اننا لا نقدر أن نتقدم اختشاء من أن لا نعود

تهندى إلى مكان القارب فيضج عنا الزاد فموت جوعا وإنا مازلنا هنا نقدر أن نقيم أكثر من شهرين لأن عندنا من الزاد ما يزيد في أجلنا ويطلبه إلى أن يبعث الله لنا بالفرج من عالم غيبه وإلا مازلنا نقدر على تأخير الأجل لا نتركه مطلقا فوافقهم على ذلك وعرف أن الحق معهم وأنهم إذا بعدوا عن القارب أضاعوه فيموتون بوقت قريب وأقاموا على تلك الحالة في الصباح والمساء يأكلون ويشربون ويصلون إلى الله أن يأتيهم بالفرج ويتسلون مع بعضهم بالأحاديث والقصص والنوادر

ورجع القارب الثاني الذي كان يتأثرهم بأمر كومنندان وأخبرها أن القارب الأول دخل للضباب ولم يعد يظهر له أثر فغمى عليها نحوًا من ساعة فرشوا على وجهها الماء حتى أخذت لنفسها الروح وجعلت تعدده وترثيه وقد ثبت عندها أن حبسها قد فقد ولم يمد يرجع ولم يكن دأبها إلا التوح والبكاء وأما كومان شاه فانه كاد يَحْتَقُّ من الآسف وانفطرت مرارته وقال في نفسه من اللازم أن أسمى في كشف هذا الضم عن خورشيد شاه فاذا توصلت إلى مابه الصواب كان خيرا والا بعثت فأخبرت الملك ضاراب ليرى الطريقة الواجبة لنجاته ولهذا جمع إليه شيوخ المدينة ورجالها والحاكم عليها وقال لهم لا تخافكم ما كان من خورشيد شاه ونزوله البحر قصد الاكتشاف على هذه الجزيرة وقد دخلها ولا أظن أنه عاديكم الرجوع عنها والتخلص منها وقد دعوتكم أملا بلا اكتشاف على حقيقة هذا الخطر وماذا تعرفون من أمر ذلك المكان عسانا نقدر أن نخلص ابن عم الملك ضاراب الذي لا ريب في أنه يفضبه هذا الأمر ويكدره تهاملنا عنه فأجاباه بالجمع أن لا علم لنا بشئ عما تقصد ولا نعرف إلا أن داخلها كنز من الذهب والجواهر وقد طمع به كثيرون فلاقوا الموت ودفنوا فيها لأن الداخل إليها لا يخرج وهذا نسمعه من آبائنا وآبائنا عرفوه من آباؤهم . قال وهل لا يوجد دليل أو حديث أو حكاية تحكي عن هذه الجزيرة قال الوزير إنا لا نستدل من شئ قط عنها وقد يوجد دليل عظيم لو كان في وسع أحد أن يقرأ اللغة السكانية لأن في خزينة مملكتنا هذه كتاب بهذه اللغة يتعاقب بأمر الضباب والجزيرة انه لا أحد قدر أو يقدر أن يعرف ما دخله ولذلك تراه مهملا متروكا داخل الخزانة لا يلتفت إليه . فلما سمع كومان شاه ذلك ترجع عنده وجهه لامل فقال اريد أن تسرعوا إلى هذا الكتاب فإن الفرج فيه وأما من جهة قرأته ومعرفة فيه فهو سهل جدا لأن عند مملكتنا رجل حكيم عاقل خبير بأحوال الدنيا ومطلع على كل لغاتها وتفرعاتها وقد يعرف نحو سبعين لغة أصلية مع فروعها فلا ريب أنه عند اطلاعه على هذا الكتاب يعرف حال هذه الجزيرة فيبادر "ينا خلاص خورشيد شاه ونجاته قبل أن تدركه المنية ويقوتنا الوقت وفي الحال ذهب الوزير إلى الخزانة فخرج

الكتاب وجاء به إلى كرمانيشاه فدفعه إليه فأخذه منه وفي نفس الدقيقة كتب إلى الملك ضاراب كتابا قال له فيه . اعلم ياسيدي أني انتصرت على المدينة ببيتك بعد وصولي يومين وذلك أن بدر قنات دخل المدينة على أمل أن يحبس أحوالها ويعرف مقر ابن عمك فيخلصه ويأتني به قبل مهاجنتنا المدينة فصادف أنه رآه عند بيت الاسكندر حاكم المدينة وقد علقت بحبه وهويته ولهذا اتفق بدر قنات معها على أن تفتح أبواب المدينة قبل نصف الليل بقليل فتدخل عساكرنا وتملكها وهكذا صار فانا عند فتح الأبواب اندفعنا على البلد فتملكناها وبسيفكم قتلنا حاكمها ونشرنا راية فارس على أسوارها تلوح بالنصر وتحقق بالظفر والسعد إلا أنه جد علينا حادث لم يكن في الحسبان قط وهو أن ابن عمك خورشيد شاه قصد الدخول إلى جزيرة مطلسة بوسط البحر مظلة بغمام كثيف مظلم فعملنا كثيرا على منعه فلم يصغ وأصر على الدخول في ذلك الغمام ومن خواصه أن الداخل تحت لا ينجو قط منه ولا يعود قادرا على الرجوع وبعد أن سلك هذا السيل الخطر وثبت عندنا وقوعه في حفر الهلاك وقد بحثت على الطرق المؤدية إلى خلاصه فلم أر إلا طريقة واحدة فهمتها من الوزير الذي أقنعه باسمك حاكمي على المدينة وهو أنه موجود عندهم في الخزينة كتاب من عهد الملوك الينيين أي من عهد الملك سيف بن زى يزن وفي هذا الكتاب كلام عن هذه الجزيرة إلا أنه لا يوجد بينهم من يقدر على تفسير حرف من حروفه أو يقرأ كلمة من كلماته ولهذا أسرع بارسال هذا الكتاب إليكم مع بدر قنات العيار لنعرضوه على سيدي الحكيم الخبير وزيركم طيطلوس حتى إذا تبين منه أمر للخلاص يبادر إلى إنجازه خوفا من أن يضيع الوقت وتفوت الفرصة فيلحق بابن عمك الموت ولا يعود فيوسعنا بعد ذلك إلا التأسف والتندم على ضياع أمير خطير مثله والسلام عليكم فأسرعوا لأن الوقت قصير . وبعد أن ختم التحرير سلمه إلى بدر قنات العيار وأمره أن يأخذه ويأخذ الكتاب معه ويسير إلى الملك ضاراب بما أمكن من السرعة والاستعجال فتناوله من يده وضرب رجله بالأرض وانطلق يجرى كالغزال المدعور ينهب الأرض نهبا وينخطف كالبرق في السرعة .

فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الوليد فانه بعد أن دخل المدينة وقتل أبوابها كما تقدم مع بهزاد وسيامك وفر بهزاد عن الأسوار غمى على الوليد وكاد يفقد حواسه وبقي نحوا من ساعة وهو يزد وبزغى كالجمال ولا أحد يحسر على الدنو منه أو التكلم معه ولا سماع عند ما أخبروه أنه قد فاتهم ولم تقصه سهامهم وكان أسفه عظيما على بهزاد بقدر ما كان على الجواد وبعد أن وعى لنفسه قليلا قال له طيفور ألم أقل لك ياسيدي أنه يفر وينجو لأن رجال الفرس شياطين مردة فما أفعالهم إلا عجيبة ولأن أعرف بهم من كل الناس فلم تنع لقولي ولا التفت إلى وقد صدقته حتى

فاز بنفسه وبالجواد أيضا فلعب الغضب بالوليد من تعنفه وشتته على قوله وقال له لا تزال تذكر بالشر فما أنت إلا مطبوع على القال والرداءة . ثم أمر أن يبقى سيامك تحت الحفظ والترسيم إذ لم يعد له من قتله فائدة . وبقي على الدفاع وفي كل يوم تهجم رجال الفرس على الأسوار فينتشب القتال كل النهار ويعودون دون جدوى في المساء وهكذا كانت حالتهم .

ومثلهم كانت حالة الملك ضاراب وعساكر إيران وفيروز شاه ورجاله فانهم أقاموا على حصار المدينة لا يقربون من أسوارها لداعي إحاطتها بالخنادق والمياه بل يقاتلون من على الأسوار عن بعد بحيث تصل السهام وتمي زادوا في القتال اختفى رجال مصر داخل الأسوار وكانوا ينتظرون الدخول إلى المدينة بواسطة اكتشافهم على منفذ أو بفروغ الزاد من المدينة أو بوقوع حادث جديد فرق العادة . وكان بهروز مشغل الفكر من جهة المنقظر الساحر وهو قائم على حراسته يعذبه ليلا ونهارا وأخيرا سأل الملك ضاراب في قتله وقال له ما من حاجة إلى بقاءه فموته خير من حياته لأنه نعمة للعالمين ولا مطمع لنا فيه . قال قتله وأرح عباد الله منه ونخاف أن يتخلص فيهلكنا وينقم منا ونعود إلى العذاب وتكون حالتنا الأخيرة أشد من الأولى . فأخذه بهروز إلى قرب الأسوار في صباح يوم حينما كان رجال مصر عليها وهم ينظرونه عن بعد وقد تقدم منه بهروز وأخذ خنجره في يده وقال له كيف ترى نفسك الآن فانك بعد دقائق قليلة تفارق هذه الدنيا فمت على دين الله سبحانه وتعالى وتب إليه فيصيح عنك في اليوم الأخير . قال إني لا أترك معتقدي ولا أخاف الموت فانه أحب إلى من قيامي عندك على العذاب والقهر إنما أحذركم يا رجال فارس شربفت أخفى شمس الساحرة ساحرة بلاد الصين فأنما تأخذني صمك بالشار لأنها داهية دهماء لا يوجد من يحميها في هذه الصناعة فقد تعلت وهي شاة ولا تزال تتعاطاه فتخضع لها به عموم بلاد الصين وتخافها كل سحراء الدنيا . قل له إنما لا نهاب السحرة وكما قدرنا عليك وجعلناك عرضة لانتقامنا نفعل بها إذ تعرصت لنا وقصدت أن تلقى علينا ضرا لأن إلحنا قدير يميننا على كل من يرغب لنا شرا أو أذى . ثم ضربه بالخنجر فترج روحه عن جسده وشرحه وقطعه قطعا وأخرج ذبرة التولاذ من أنفه وحفظها عنده وعاد إلى الملك ضاراب فأطلعه على ما حل بالمنقظر فشكره وشكر الله على هلاكه وخلاصه من يده .

قال وبعد مضي أيام قليلة من ذلك اليوم كان الملك ضاراب جالسا في صيوانه بعد العشاء وعنده كالعادة عموم فرسان الفرس ومقدميه وهم متضمون كحلقة وقد

قال الملك ضاراب انه حتى الساعة لم يأتنا خبر من جهة كرمان شاه ولا أعرف أهو
ناجح في قتاله أو متأخر أو لا يزال على حالة الحصار . فقال له طيطلوس ان مدينة
الاسكندرية من أمنع مدن العالم حصانة لمئات أسوارها ووقوعها على البحر فيمكن أن
تحاصر أعواما عديدة دون أن يتمكن مهاجموها من فتحها عنوة بالقوة لكن الرجاء
أن يتوصلوا الى فتحها بالحيلة أو بطريقة أخرى وينبأهم على مثل ذلك وإذا بدد فئات
دخل الصبوان حاملا على عاتقه الكتاب ويده تحرير كرمان شاه . فلما رآه الملك
ضاراب انتطف بخاطره اليه وقال له ما وراءك من الاخبار والامل أن يكون الى
خير . قال ما أتيت الا بالخبر ثم دفع اليه التحرير فدفعه الى طيطلوس فقرأه وبشره
بفتح المدينة والاستيلاء عليها واقامة الاعلام الفارسية فوق أسوارها وقرأ له ما كان
من أمر خورشيدشاه فتكدر الملك لهذا العمل الأخير وقال انى فرحت لفتح المدينة
في الاول خلاصه غير أن الكدر أوقفنى بالياس لأنى ما بعثت بالمساكر الا طمعا
بخلاصه وليس في نيتي فتح المدينة والانتقام من ملكها فاني في غنى عن ذلك . ثم
أمر طيطلوس أن ينظر في هذا الكتاب ويرى ما داخله عليه يجد الطرق الموضحة
أسباب ذاك الضباب المبيت عساه يتوصل الى طريقة ينقذون بها ابن عمه . فاجابه
وفي الحال تناول الكتاب وأخذ يقلب في صفحاته ويتبحر فيه وكان يعرف أن يقرأه
جيذا فصرف أكثر من ساعة على تلك الطريقة الى أن جلى له الأمر ووضح جيذا
فرفع رأسه وقال للملك ضاراب أشكر الله يا سيدى على النجات الله اليكم من قديم
الزمان واعداد السعادة والاقبال لكم من لدنه تعالى فقد تبينت أن السحر الموضوع
على ذاك الكنز يزول بهمة واهتمام رجل سعيد يوجد في بلاد فارس يدعى فيروزشاه
ابن الملك ضاراب ابن الملك بهمن من ملوك المرس وعلى وجهه السعيد يفتح الكنز
وتخرج الجواهر منه ويموت القائم على حراسته من سيفه . وهذه الجزيرة عمل السحرة
منذ أيام ملوك البن أى من حين عمران الاسكندرية لأن تلك المدينة بنيت في
زمان الملك سيف ابن زى بن من التابعة الذين خرجوا من اليمن وجاءوا هذه
الديار وكان هذا الملك موقفا كل التوفيق حتى ملك الدنيا بأسرها وجمع أموال العالم
وجواهرها العجيبة الى خزينته فبعد موته اجتمعوا سحراؤه الذين يقبروا أحياء بعد موته
وقد خافوا أن يفقد هذا المال وينتشر بين أبدي الناس فيضيع فضربوا الرمل فعفرقوا
أى رجل مدلول عليه من الله سعيدا موقفا فعفرقوا أيضا أن الله سيخلق رجلا يدعى
فيروز شاه وهو الذى يستولى على بلاد مصر ويفتح خزائنها لانه كريم شجاع يكون
أوحد أهل زمانه وأسعد رجل فطمسوا هذه الجزيرة ونقلوا المال اليها واقاموا على

خدمتها ماردا من أكبر مرداء الجان وملوكها وقد أعهدوا اليه بحراسة الجواهر إلى حين بأمر الله بموته . وهكذا كان وقد فصد كثيرون من طباىى الولاية والملوك والحكام والفرسان من أهل هذه البلاد وغيرها الدخول فلم يقدروا فهذا كل ما تبينه في هذا الكتاب الذى كتبه أولئك السحرة بلغة غريبة وقد أشاروا ضمنه أنه لا يمكن لأحد أن يطلع عليه أو يعلم ما فيه إلا طيطولوس الحكيم وزير ذاك الملك المدعو فيروز شاه ولهذا لم يعد عندى من ريب أن هذا الرجل المقصود هو ابنك وسيدنا ومولانا وفخر جيوشنا وبلادنا . وقد أوضح ضمن هذا الكتاب كيفية الدخول إلى الجزيرة والطرق الموصلة إلى إزالة المطامع والأخطار المحدقة بها . فإذا أمرت سرت في هذه الليلة مع فيروز شاه لخلاص ابن عمك وإخراج المسان وفتح الكنز . فسر هذا الكلام الملك ضاراب وانشرح صدره له وقام فسجد لله شكرا وفعل ابنه مثله ثم قال إن الله أعد لنا منذ الأزل زمانا سعيدا وهى لنا أسباب التوفيق وقد أراه سبحانه وتعالى يميل إلينا فائقا وإن كنا نلاق أحيانا صعوبات ومصائب إنما تلك المصائب تنهى علينا بالأفراح والمسررات وتكون على أعدائنا شرا ووبالا . وإنى الآن أطلب إليك أن تسرع متكلا على الله مع ولدى إلى الأفراج عن ابن عمى وخلاصه والعود إلينا به وباخبار ما يكون من أمر هذا الكنز . قال إننا بعنايته تعالى ستوفق إلى كل ما نرجوه

ونفض فى الساعة فأخذ ما يحتاجونه وركب . وركب إلى جانبه فيروز شاه وهو فرح بما سمعه من طيطولوس عن هذا الكنز وأعظم فرحه قوله عن أنه سيقبل بسيفه المارد القائم على حراسة الجزيرة وقال فى نفسه أنى كثيرا ما كنت أسمع عن قتال الجان وأريد أن أنظر إلى المردة فأحارهم لأرى هل فيهم من يقدرون أن يقف أمامى وهل لا يرهبون منى وطلبت إليه نفسه أن يغير إلى ذلك المكان لينهى العمل بأقرب وقت ويعود إلى محاصرة المدينة ويحصل على محبته القائمة داخلها . وبعد أن ودعا الملك ضاراب وبقيّة الفرسان خرجا من الجيش وبين أيديهما سرفقت وهروز العيار وهو كفرخ الجان وكان كسيده يطلب أن يلاق مarda ويعرف كيف هو وكيف تركبه وداموا على السير عدة أيام إلى أن قربوا من الاسكندرية فمرف كمرمان شاه بقدمهم فخرج بمركب عظيم وخرحت أهل المدينة كرا وصغارا رجالا ونساء يتسابقون إلى ملاقاتهم وكلهم يتشوقون إلى أن يروا فيروز شاه وينظروا إلى صفاته لأن اسمه كان عظما فى عقولهم وقد ملا قوه وشغلته عتوفه أحدثه وأحاديث شجاعته وبعد أن سلدوا على بعضهم البعض دخلوا المدينة فرحهم وورولا سيما عندما عرف الجميع أنهم جاءوا لفتح الكنز وأن طيطولوس عرف من الكتاب

الطريق الموصلة إلى افتتاح الكنز وإزالة الأخطار عن تلك الجزيرة القائمة في وسط البحر . ولما وصلوا إلى قصر كومنندان تقدمت من طيطلوس قبيلت يديه وشكت إليه حالها وطلبت منه الاسراع بنجاة خورشيد شاه وفعلت مثل ذلك مع فيروز شاه فوعداها بكل جيل ومدحها على خدمتها للملك ضاراب وخلصها للابرايين . وأقاما عندهما كل تلك الليلة على أحب إكرام وترحيب وأعيان المدينة يأتون لزيارتهم والسلام عليهم . وقد أخذت كومنندان بهمال فيروز شاه وقالت في نفسها لا أرى واحدا من الفرس إلا وهو أبهى جمالا وسناء من أخيه فهينتا لعين الحياة التي ستضم إلى هذا البدر المشرق والفارس الوحيد

وباتوا تلك الليلة في القصر وعند الصباح نهضوا من مراقدم وجاءوا دار الاحكام حيث اجتمع من حولهم الوزير السابق الذي أقيم حاكما على المدينة وكامل الاعيان ورجال المدينة فخطب فيهم طيطلوس وأبان لهم سبب مجيئه وقال لهم ان هذا الكنز سيفتح وهذا السحر المظلل الجزيرة يزول بعناية الله ومساعدة الملك وابن الملك قاهر اسلاطين وملوك الارض ومرعب مردة الجان الذي داس بأقدام سعده رأس كل فارس وبطل وأزاح بأرياح توفيقه غيوم المكاره والكرب فيروز شاه الذي جاء اليكم لاجل هذه الغاية فادعوا له ولوالده بالعز والبقاء وسوف تزون بأعينكم ماذا يكون والآن أريد منكم أن تجتمعوا معنا وتسبوا إلى حيث نسير لتشاهدوا عجائب أفعاله وغرائب أعماله وما من خوف عليكم ولا من كدر يلحق بكم . فرفضوا كلهم أصوات الدعاء له وقالوا اتنا أينما سار تسير في ركابه وبرفتنا نحن بأفضل منه والذي تسبل له أن يقتل المقنطر الساحر بعد أن يأتي به أسيرا ذليلا حقيرا لا يصعب عليه قضاء أمر آخر مهما كان صعبا ثم قال لهم طيطلوس هلموا بنا فإن الوقت حرج وأحب أن أكون في هذا النهار على الجزيرة بعد أن أجلوها لكم وتفتح عنها غيومها الكشيفة التي تظللها . فنهضوا وساروا أمامه إلى حيث يطلب فقال لهم أريد منكم أن تهدوني إلى قلعة خربة في هذه المدينة يقال لها قلعة نصر فقالوا له أن هذه القلعة مهجورة متينة لا يدخلها أحد ولا يجسر أفرس فارس ان يدنو منها لأنه يقال انها منذ زمن قديم مسكونة بالجان والمردة الذين كانوا في خدمة الملك نصر . قال اني أعرف ذلك وأريد منكم أن تسبوا أمامي فأجابوه إلى طلبه وساروا إلى أن قريوا من القلعة المذكورة فاذا بها شاهقة إلى حد السحاب وهي مبنية بالطوب دون نوافذ البتة فهي عبارة عن حجر واحد مرجع الجدران فتقدم في الأول فيروز شاه وإلى جانبه طيطلوس والناس من خلفهم أفواجا أفواجا يريدون أن يتفرجوا على ماذا يقدر أن يفعل وقد أسنوا على أنفسهم على نوع ما لما تكادوا أن طيطلوس اطلع على سر الامر

المخاطر في هذه الجزيرة وذلك بواسطة الكتاب المأخوذ من الخزينة وعندما داروا الاسوار ورأوها منيعة جدا أمر طيطولوس أن يؤتى بالبنايين والقلعة لحضروا بحالا فأمرهم أن يفتحوا في الحائط نافذة كبيرة مأخذوا يشتغلون بالآلاتهم وقوتهم حتى فتحوا نافذة كبيرة مربعة دخل منها كثير من الحاضرين ولما دخل طيطولوس نظر الى الداخل فوجد آثار أبنية قديمة عندهما الزمان أو كاد يهدمها وقد تجمع عليها من نسيج العنكبوت ما غطاها عن أعين الرائيين وكثير من التراب متراكم في أمكنة كثيرة عند فسيحاتها فامر طيطولوس أن ترفع تلك الأتربة وأن تكشف الأبنية من الانقذار المتولدة من قلب الازمان والسنين فرفعت في الحال وبان من تحتها أرض مبلطة بالبلاط الأبيض المنقوش من زمن قديم وكاد يزول ذاك النقش فلم يبق له الا قليل أثر وفي وسط تلك الفسحة المبلطة بالبلاط الأبيض بلاطة حمراء كبيرة ضخمة محكمة الوضع وفي صدر تلك البناية قبة قائمة ومن حولها طائر كبير أشبه بنسر هائل الهيئة يرف على سطح القبة بأجنحته وهو يسرى على محور واحد لا يتخطاه ويسمع لذلك الطائر صوت أشبه بصوت الغراب عنده نعبه ولهذا الصوت كان أهل الاسكندرية على الدوام يظنون أن داخل تلك القبة المهجورة طوائف من المردة والجان فلا يجسرون على أن يقربوا منها ويتجسم ذلك الوهم حتى دخل عقل كل نفس في المدينة فلما رأى طيطولوس الطائر وقف عند ذلك الحدوا أخرج الكتاب ففتحه وعرف ما داخله ثم أغلقه وأمر فيروز شاه أن يتلو حربه ونسبه على تلك البلاطة ثلاث مرات وينادى أنا هو الموعود باختراق هذا المكان وأخرج مفاتيح الكنز منه فيها أيها الخدام وأخرجوا منه فقد عزم على رفع هذه البلاطة لإخراج القوس والسهم منها . فأخذ فيروز شاه يقول ما عليه أياه طيطولوس إلى ثلاث مرات فسمع من تحت تلك البلاطة دوى عظيم وأصوات قريبة وصرير أسلحة حتى اضطربت كل تلك القاعة ومالت ببعضها وخاف كل الحضور الموت وارتعوا رباعضيا وكادوا يرمون بأنفسهم إلى الأرض من خوار قوام وانقطاع ظهورهم وعت وجوههم صدمة فاقدة كادت تخفى رسوم وجوههم الأصلية . وكان فيروز شاه يسمع تلك الأصوات ويضحك منها غير خائف من نتائجها إلا أنه وضع يده على قبضة سيفه وعول أنه لن يخرج عليهم أحد من طوائف الجان أنتدريه بضرب من قوى عزمه . ولم يكن الا لقبيل حتى زالت تلك الأصوات ونسبها هدوء وسكوت عظيم ونظر فيروز شاه إلى جميع من حوا به فذا هم كالمرتضى مضطربون وجوههم صفراء وليس فيهم من قدر أن يعيط نفسه من الخوف إلا بهروز فإنه بقي واقفا في مكانه ثابت الجنان غير مرتعب ولا خائف وقد استل يده خنجره كمن ينتهي للقتال . فعجب منه فيروز شاه وعم أنه قوى القلب لا

يوجد بين عياري الدنيا من هو مثله في البأس والقوة وكامل الخصال من الاقدام
والبسالة . وبعد ان هدأت الاصوات وسكنت الضوضاء وسكن خفقان قلب طيطلوس
أمر أن ترفع البلاطة الحراء فرفعت واذا به يرى من تحتها صندوقاً من حديد مقفلاً
ومفتاحه في قفله ففعلجه حتى فتح واذا من داخله قوس وسهم موضوعين فيه فتناولهما
طيطلوس ودفعهما الى فيروز شاه وقال له امش ثلاث خطوات الى الامام وقف مستوي
ووجهك الى جهة القبة ثم اتل حسبك ونسبك واذا ذكر اسمك واسم أيك وأوتر القوس
واطلق السهم منه فاذا كنت المقصود وقع الطائر حالاً الى الارض فتأتى اليه وتنزع منه
المفتاح الذي يفتح به الكنز فقال اني منك على الله ثم تناول القوس وعدا ثلاث خطوات
واستوى واقفا ونظر الى جهة الطائر فرآه لا يزال على حاله من طيرانه حول القبة فذكر
اسمه واسم أبيه وأجداده وأوتر القوس وقدوجه به نحو الطائر بخفة بد ممدودة فيه فانطلق
ذاك السهم وبأسرع من لمح البصر وقع في قلب الطائر فانبعث منه صوت قوى أشبه بالرهود
القاصفة ارتجت منه جدران تلك القلعة وما حولها وخاف الجميع أعظم من خوفهم الأول
الأنه بأسرع من لمح البصر انقطع الصوت ووقع الطائر الى الارض لا يبدى حركة فتقدم
فيروز شاه منه ومعه طيطلوس وبهر وزو قلبه فوجده من النحاس الاصفر المصقول وليس
فيه شيء من الريش الذي كان يظهر للأعين في حال قيامه حول القبة ثم تقدم طيطلوس من
الطائر وشقه واذا به يرى علة صغيرة من الذهب في جوفه ففتحها فرأى مفتاحاً صغيراً
فتناوله ودفعه لفيروز شاه وقال له قد قضى الغرض من هذه الناحية ولم يبق علينا
إلا المارد الأكبر المحدث الضباب حول الجزيرة فهذا ينبغي قتله وصاحب هذا الكنز
يقول في الكتاب ان داخل القبة حفرة الى جنب قبره فيها سيف مرصود لقتل ذاك
المارد وبغره لا يقتل . قال اخرج لي ذاك السيف فاقتله وارفع الغضب عن هذه
الجزيرة وأخلص خورشيد شاه المحبوس فيها بصفة أسير وان كان قتل أو هلك فاني
لأرضى بدلا منه كل ملوك الجان ومردتها . قال فأمر الوزير بحفر حفرة الى جانب
قبر كان موجودا داخل القبة وداوموا الحفر الى أن توصلوا الى ذاك السيف وهو
مصنوع من الحديد بقبضة من النحاس وليس فيه شيء ثمين إنما كان عليه من الكتابة
السحرية ما يغطي به صفحاته فيكاد لا يظهر ولا يقرأ تلك الكتابة الا من
كان ماهرا بهذا الفن وتناول فيروز شاه السيف وحمله الى جنبه بعد أن أرجعه الى
غمدته وهو فرح بهذه الحالة وبما وصل اليه من توفيق الباري وثبت عنده أنه سيقا تل
بعد قليل أكبر مارد من مرده الجان . ولما فرغوا من كل العمل ولم يعد عليهم عمل
هناك خرجوا من القلعة وعادوا الى القصر والناس من خلفهم أفواجا أفواجا وهم

يتمجبون من عمل فيروز شاه و ثبات جنانه وقد دار حديث شجاعته بين الكبير والصغير
وهم لا يكادون يصدقون كل ما رأوه وقد زال كأنه لم يكن .

وبعد أن أقاموا نحواً من ساعة في القصر وأكلوا الطعام وارتاحوا قليلاً جاءت
كومندان إلى الوزير طيطلوس وسأله أن يسارع لخلاص خورشيد شاه وقالت له إن
كل دقيقة تضيع قد يمكن أن يكون بها هلاكه لأنه مقيم داخل ذلك الضباب دون ريب
ويبقى مقبلاً إلى حين فراغ الواد منه ومتى فرغ الواد يموت جوعاً ولا أعلم أن كان يكفيه
لاكثر من هذه الأيام التي انقضت لاسيما وأن برفته أربعة رجال يأكلون معه ولا ظن
إلا أن المؤنة فرغت منهم أو كادت تفرغ . قال كيف يكون الحال أن كان عنده مؤنة
كافية أو لم يكن فاني معول على الذهاب إلى الجزيرة في هذه الساعة . ثم أمر الحاكم
أن يعد لهم قارباً كبيراً يسعهم ليسير إلى الجزيرة ويكون فيه التوتيين الأشداء ستة
يمجدون وفي الحال تهيأ القارب وأعد كل ما طلبه طيطلوس . ثم نزل هو وفيروز شاه
وبهروز وكرمان شاه والتوتيون فركبوا القارب وسار بهم قاصداً ذاك الضباب
الكثيف . وركب أهل المدينة بأجمعهم على قوارب مخصوصة وانتشروا في جوانب
البحر لأن الناس تأكدت أن الكنز سيفتح وأن الضباب سيذول بطالع فيروز شاه
ولذلك آمنوا على أنفسهم من الخطر وقصدوا الفرجة على ما يكون من أمره وكيف
يمكنه أن يفتح الجزيرة ويستخرج الأموال والأجواهر المدفونة هناك منذ زمن قديم
وساروا على قواربهم خلف القارب الأول السائر لقضاء هذه المهمة وكان فيروز شاه
قائماً عند مقدمة القارب موجهاً بوجهه إلى ذاك الضباب منتظراً أن يلاقى العجائب
داخله وقلبه جامد كالصوان غير خائف ولا حاسب حساب ما يكون له بل يتشوق برغبة
واشتاق لا زال القارب يتقدم إلى أن صافح ذاك الضباب وأخذ في أن يتدنى ويدخل
فيه وقد هيء ذاته فيروز شاه ونظر إلى ذاك الضباب وإذا به يرى مارداً ضويلاً قد
خرج من البحر من مقدمة المركب وانتصب انتصب العهود وهو نعمة تكاد لا تحق
السحاب عجيب التركيب رأسه أشبه بقصر كبير ضخم وجسمه يضاعف ذلك يزيد
كصواري المركب طويلاً إلا أنها تزيدها أضغاث غثا وخرقاً وحل انتصابه وخروجه
من البحر اضطرب وهاج بما أجفل الملاحين ولذين في القارب ماعد فيروز شاه
فانه تهال وجهه فرحاً كما كان يتهلل عند فتحه معبرك "ضمان وقد سمع المارد صاح
بصوته قائلاً ويلك يا فيروز شاه بن الملك عز راب قد جئت لموتك فستدفع لهلاك
والقلمان . ثم مد المارد يده وقصد أن يتناول القارب وبقى به إلى هواء أسرع
فيروز شاه وأجاب بصوت يكاد يقابل صوته وشهر ذلك "سيف وأرسله إلى يده

المعدودة بقوة عزم بقطع صلابة الحديد قال السيف من جهة إلى ثانية وانقطعت تلك اليد ووقعت إلى البحر فهاج وتلاعب القارب وفي الحال دخل المارد في الماء وانقشع من بعده ذاك الضباب قليلا بحيث صار يقدر الانسان أن يرى ما أمامه وفي الحال صاح فيروز شاه في الثوتين وأمرهم أن يسرعوا في التجذيف وكان الخوف أربع قلوبهم وأضعف من عزائمهم وقد رجفت أعضاؤهم من شجاعة ما رأوا من فارس ذاك الزمان وتأكدوا أن الخبر ليس كالعيان فجدفوا وخاضوا ذاك الضباب وساروا إلى أن توسطوه وهم يرون بعضهم بهضا ولا يرون إلى بعد وهناك عاد البحر فاضطرب واتصب ذاك المارد كالأول ونادى بنداءه السابق ومد يده الثانية بسرعة كلية فجازه فيروز شاه بنفسه المجازاة الأولى وقطع له يده الثانية فانفجرت منها أمانيب الدماء حتى تطلخ منها الجميع وعاد المارد فزل في البحر يصبح متألما متوجعا وشعر فيروز شاه أن القارب كاد يقف فعرف أن التوتية قد ضعفت أعصابهم فصاح بهم وهو ينظر إلى الأمام لا يقدر أن يلتفت إلى الوراء خوفا من غدر المارد فعاد الرجال إلى التجذيف إلا أنهم لم يقدرُوا عليه كالواجب لأن أيديهم تقطعت من خوارقواهم وضعف قلوبهم وما تقدموا إلا قليلا حتى اضطرب البحر وهاج فلم فيروز شاه بخروج المارد فتطلى بقيات عزم وما خرج ذاك المارد وقابل وسطه فيروز شاه حتى ابتدره بضربة في أحشائه من تلك اليد وصار ذلك بأسرع ما يمكن من السرعة فجمر المارد هوته وأرسل أصوات التآلم بما يشبه الرعود وانتفض في الجرو وانحذف إلى الماء فكثير اضطراب البحر وهياجه حتى أصبح القارب على شفير الفرق وكان الضباب قد انقشع تماما وازالت تلك الكثافة وظهرت السماء صافية وبينت الجزيرة قريبة منهم وقد قربوا من النزول ونظر فيروز شاه إلى ورائه لما شعر بوقوف القارب وقد تأكد أن المارد قتل واختفى أمره فوجد كل من في القارب ماتي إلى الأرض إلا فيروز فانه مشهر الخنجر وواقف فوق رأسه كأنه يتبهى للدفاع عنه فأنبهه منه وقال له والله ما أنت إلا أشد قلبا من كل من هب ودب على وجه الأرض وقد غلط من عملك العيارة فكان أحمرى بك أن تعلم حقن الحرب والقتال فتفوق كل من قل القنا قال اتني لأريد شيئا من كل ما ذكرت وجل ما أرغبه إن أبقى حافظا بأمانة خدمتي لك وأحرسك من كل عدو يريد أن يوصل أذاه عليك فإنما كنت أو مستيقظا ولا أعجب من ثباتي أمام هذا المارد لأنني كنت لولم يسبق سيفك إليه أو صلت خنجرى إلى قلبه ولا ريب أنه يقضى عليه به لأنه من الأسلحة التي جئت بها من عند المقنطر الساحر ففى من عمل السحرة المعدودة لمثل هذه الأعمال ثم تقدم فيروز شاه من طيطالوس ورش على وجهه الماء حتى استيقظ وهو أشبه بالأموات وفعل مثل ذلك

بكرمان شاه والباقيين ونه التوتية ولا مهم على تركهم المجاذيف وخوفهم وقال لهم ألا تعلمون أن مدتنا وحياتنا كانت تتوقف على ثباتكم فلو لم يقتل المارد في هذه المرة لوقف القارب عن السير ولم يكن في وسعي أن التفت اليكم لانهبكم خوفا من غدره لأنني أعلم أنه لا يأتي إلا من المقدمة كونه مسحور من جهة الجزيرة فلا يتخطى الضباب ثم طعنهم ووعدهم بإزالة الأخطار وكذلك طيطلوس فانه أوعب قلبه من الفرح والمرارة تأكد زوال الأخطار ونظر إلى البحر فوجده مصبوغا بدم المارد وهو كثير الاحمرار وكانت القوارب التي تأثرت قاربهم تأخرت قليلا عندما رأت ذلك المارد وصممت صوته إلا أنها تقدمت أخيرا لما تأكدت أن المارد قد قتل ونظرت أن الضباب الذي كان قبلا يظلل الجزيرة وما حار إليها قد انقشع وصفا الجو وبان كل شيء وكل من عليها يصبح بالبداء وطول العمر للملك صاراب وولده فيروز شاه

قال وكان خورشيد شاه قبل ذلك قاتما في مكانه على الجزيرة وبالقرب منه رفاقه الملاحون الذين جاءوا به وكانوا قد صرفوا تلك الأيام في عذاب آلام وأكدار وقد قطعوا الرجاء وبأسوا من الحياة وتأكد كل واحد منهم أنه هالك لا حيلة وفي كل مدة يأكل الواحد منهم كسرة خبز ويشرب قليلا من الماء خوفا من أن يفرغ منهم الخبز والماء فيموتون إذ ذاك وهم يطمعون في تأخير الأجل عسى أن الله يرسل لهم من عالم غيبه من يخلصهم . وفي نفس ذلك اليوم نظر خورشيد شاه إلى الزاد فوجده قد نقص كثيرا فلا يكفي إلا لوقت قليل قتال لرفاقه إلى مؤكدا كل التأكد أن الموت أصبح قريبا منا إذ أن الزاد صار قليل جدا فلا يكفيننا لا أكثر من مرة أو مرتين فقط ولا أعلم كم لنا من الأيام في هذه الجزيرة لأننا لا نرى النور قط فلا نفرق بين النهار والليل وأعيننا تنكد تعمي فلا نبصر بعضنا ولا بصر ما أمنا وورما نحن قاتمون على العذاب والأوجاع فأرى تخلصا من هذه المعيشة المرة أن نزن أنفسنا إلى البحر فموت غرقا ونعجل في الموت حيث لا بد لنا منه عاجلا كان أم لا فقلنا له ليس في وسعنا أن نقتل أنفسنا بأيدينا بل يجب أن نلقي إلى البحر نسمة من حياتنا ولا نقطع رجاءنا من رحمة الله تعالى فإن رحمته واسعة فلا بد من أن يظهر لنا شيء جديد وقت قريب وإلا فنموت موتا طبعيا ونخص من قصاصه تعالى . فرأى أنهم قد انحدروا وان رحمة الله قريبة من طالها فجعل يصلي إلى الله تعالى ويرجو منه الرحمة والمساعدة وأن يغيبه ويخلصه من تلك الهوة المهلكة وما فرغ من صلاته حتى انكسرت عليه رحمته تعالى وأغاثته ونظر إليه ولم يقبل أن يخيب سؤله وحشاه من ذلك فهو "سمع لحبيب وأخذته البغلة ورفقاؤه لما رأوا أن لافق صهره وأن "شمس قد سطت عليهم وبشت بأشعتها على تلك "الجزيرة مشرقه زهاء وبها وقية "نحر" من

نصف ساعة لا ينظرون بأعينهم لوقوع النور بغتة على أعينهم وانتقالهم من الظلمة إلى النور بوقت واحد ومن عظم الدهشة والتحير لم ينتبهوا إلى شيء مما في البحر بل قصدوا أن يصعدوا إلى أواسط الجزيرة ورووا القصر الذي رأوه قائما في وسطها وإذا بفيروز شاه يتنادى عليهم ويبشرهم بالخلاص فوقع صوته بأذان خورشيد شاه فدخل عليه بلهفة وكان قد خرج إلى البر من معه وجيلا يقبلان بعضهما ويكيان من عظم الفرح ثم تقدم طيطلوس أيضا وهما بالسلامة والخلاص ومثله فعل كرهان شاه وبيلتا والحاكم وكل من صعد على تلك الرقعة اليابسة وكان فرحه لا يقدر وقد نظر إلى البحر فوجده مملوءا من القوارب وعليها الناس مثل النجوم عددها ونظر أيضا إلى مدينة الاسكندرية فوجد أسوارها وجدرانها وسماها - هامة مغطاة بالناس وكلهم يتفرجون على الجزيرة وصياحهم قد ملأ الأرض لانهم رأوا جلالة الغمامة وانتشاعها فعادوا من الفرح يصيحون ولا يعلمون ماذا يقولون وقد ملأ الجهات أصوات تصفيقهم بالأيدى والصفيير .

وبعد أن حكى خورشيد شاه كل ما قاساه من العذاب في جوف تلك الظلمة وكيف أنه قطع الرجاء والخلاص ونوى على اماتة نفسه في ذلك النهار استعاد الحديث منهم وما سبب انتشاع تلك الظلمة عنهم لحكي له طيطلوس الأسباب وكيف أن كرهان شاه أسرع إلى الفحص في سبيل خلاصه ووجد كتاب الكنز فبعثه اليهم ليطلعوا عليه وقد وجدوا فيه أن الكنز لا يكشف إلا على وجه فيروز شاه بن الملك صاراب لأنه سعيد موفق موعود من الله بالاقبال والمساعدة وعلى هذا جاموا المدينة وأخرجوا من القلعة السيف والمفتاح وجاءوا الضباب فبانع المارد المقام عنده وعلى محافظته والذي هو أصله فقتله فيروز شاه وبعد ذلك رآه عن بعد ففرقه وأسرعوا اليه وهم يصفقون من الفرح لأن جل المقصد من مجيئهم هو ولولاه لما جاموا وليس من قصدهم أن يأخذوا مالا وجواهر أو تحرقها فشكرهم وأثنا عليهم وبعد أن استراحوا قليلا قال خورشيد شاه إن مرادنا أن تتوجه إلى هذا القصر فإن لا ريب أن داخله قوم من الجان لأنى دائما أسمع أصواتا رخيمة وأرى النور في أعاليه من وسط هذا الضباب ثم يخفى ولولم يكن النور عظيما وأن في القصر أسماك لا كان يحترق مثل هذه الكثافة ولا كان أيضا يصي . ثم ينطق . ثم يتغير ولا كانت الأصوات أيضا أحيانا ترتفع وأحيانا لا تسمع ويبقى في الجزيرة هدوء وسكينة لا يسمع إلا أصوات الأمواج التي تضرب على صخورها فقال طيطلوس إن هذا لا بد لنا منه وحيث أتينا هذه الجزيرة وصرنا عليها فلا بد من فتح الكنز واستخراج ما فيه . وبعد ذلك اعتمدوا على التقدم لاتمام العمل وما جاموا لأجله .

وكانت كومنندان عند نزول طيطولوس وفيروز شاه في القوارب مع تلك الجماهير
 أحضرت قارباً مخصوصاً وأرسلت عليه رسولا من قبائها وأمرته أن يعود إليها في الحال
 عند ورود خورشيد شاه حياً ووعدته أن تغمره بالأموال إذا جاءها ببشارة حياته
 فسار ذك الرسول وشاهد كل ما كان من أمر المارد وغيره حتى تبين خورشيد شاه
 وتأكد أنه حي فأمر رجال القارب أن تسرع بالعود إلى المدينة فسادروا به بمخرون
 البحر حتى جاءوا الشاطئ. فنزل الرسول ودخل على كومنندان فوجدها قائمة في نافذة
 القصر المطل على البحر فحكي لها كل ما رأى وما شاهد وما كان من أمر الضباب وإزالته
 وبشرها أخيراً بحياة حبيبها وأنه رآه مع رفاقه حياً في أرض الجزيرة فصفت من
 الفرح وصاحت على غير وعي وامسرناه ثم أفرغت على مبشرها الانعام وأعطته
 الأموال الكثيرة ورجعت فجعلت إلى قرب النافذة وجعلت تنظر بملء الفرح إلى
 الناحية التي فيها حبيبها وكانت قبل أن جاءها رسولها وبشرها بتلك البشارة نظرت
 إلى انقشاع الغمامة وجلاء الجزيرة فتعنت أن تطير إلى تلك الجهة لتتأكد هل أن
 محبوبها ومالك قلبها هو حي أو ميت وأصبحت تنتظر الحرس من وفدها إلى أن بلغها
 ومن ثم أقامت تنتظر عودته وتشاهد بدر جماله وقد شكرت عناية الله تعالى التي حفظته
 سالماً إلى ذلك اليوم

وكان في وسط تلك الجزيرة قصر قائم حسن البناء متقن القوش والرخارف وهو
 مبني على تسعين عمود من الرخام وفوقه قبة من الممر المفقوش وحل القصر سلم من
 النحاس الأصفر بدرابزون من النحاس الأحمر وكان كل ما في القصر وعبيد بدل أنه قديم
 العهد ليس من يسكنه إلا القلة القائمة على أعلاها فانها كانت تظهر نظيفة لامعة قال وكان
 السبب في نظافة تلك القلة أن بنين من بنات الجز كات تسكن في القبة وتدير في أكنة
 الأحيان إليها وتقيان فيها على الغناء والحظ والانشراح والسرور والافراح تتعاطيان
 كؤوس الراح وتبهان الوقت باللعب والمرح يقال لأحدهم وهي سكبرى المرحمة
 والأخرى وهي الصغيرة جهان أفروز وكانت هذه الصغرى قد سجدت بحر وأعطيت
 قسي العقول رقة خصرها وبهاء طلعها وياض جسمها وقد صارت تلك القبة تسمى
 اليوم الذي جاء فيه فيروز شاه فشعبت قناديل القبة والقبة تسمى "كسرو القاسر" والقبة
 تهرجان وتهرجان إلى أن مضى كل الليل وجاء "مرفضة" لأحد الرعاة من الصبح في
 مابعد الظهر وإذ ذلك استيقظنا من النوم فوجدنا "مرفضة" في البيت الذي كان
 إذا بهما قد سمعتا صوت المارد الذي سبق ذكر قتله مع فيروز شاه وتوافقت "الصغيرة"
 لاخبتها ما هذا يا أختي فاني أرى صياح مارد عظيم وأرى البحر ممتلئ بالقوارب والامسور

الانسان الذين يسكنون هذه المدينة . قالت هذا المارد هو المكفل بحماية هذه الجزيرة والمظال عليها الغمامة السوداء فن صدق ظني وصح ما كنت أسمع من أبي يكون المارد المذكور يتقاتل مع فارس من الانسان يقال له فيروز شاه ابن الملك ضراب قالت ومن أين يعرف أبوك أن هذا الفارس يقاتل المارد قالت لأنه كان يعرف أنه من أشد رؤساء المردة لا يمكن أن يقف أمامه أحد لا من المردة ولا من العفاريت حتى ان كامل ملوك الجان تهتز من سطوته وكلهم يرجفون من عظم صوته وهيبته ويتمنون له موتا أحمر لظلمه وعذره إلا أنهم كانوا يسمعون أن الحكماء الذين كانوا على زمن الملك سيف ابن زى يزن قد وكلوه بهذا الكثر لأنه كان من خدمه وعرفوا أن لا يقتل هذا المارد إلا هذا الفارس لأنه رجل سعيدات عليه الدلائل بأنه سيفوق على أهل زمانه من المشرق إلى المغرب . قالت ومن أين جاء هذا الانسى وما الذى أوصله إلى هنا قالت اتى سمعت من بعض خدمة المقنطر الساحر في هذه الأيام وهم العفاريت الذين كان يستخدمهم لقضاء مهماته انه علق بحب بنت من بنات الانسان يقال لها عين الحياة بنت الشاه سرور وقد لاقى لأجلها المصائب والأهوال ووقع في الضيقات والأخطار ومع كل ذلك فانه نجح منصورا ظافرا وقد حارب أباه فأكسره وقهره فقر من أمامه إلى هذه البلاد واحتسب عند الوليد وقد أصبح بنته معه فتأثره إلى هذه البلاد وقد جرت له عدة وقائع فانتصر وغاز وحاصر المدينة بمسأكره والآن أظن انه جاء ليقتل هذا المارد وسوف تظهر الحقيقة . وفي تلك الساعة انجلت تلك الغمامة فشهدنا رجال الانسان من تحتها . فقالت جهان أفروز أريد منك يا أختى أن تدلبنى على هذا الرجل الذى حكيت عنه وأشرت اليه . قالت انظرى إلى ذاك الذى فى أول الرجال يشرق بأنوار جبينه اللامع ألم تراه أكثر جمالا من كل من حو اليه لا بل من كل ما فى رجال الانسان فكما انه جمع لأعظم درجات للشجاعة فقد جمع أيضا لأجمل المحاسن وأجملها وقد قتل المارد وصبغ البحر من دمه وجاء لأخراج الأموال والجواهر المدفونة فى أسفل هذا القصر وليس من مانع بعد فانه فى هذه الساعة يأخذها ويرجع من حيث أتى . قالت بالحقيقة انه بديع فى جماله فند أخذنى عقلى لان عيني لم ترم هو مثله فهل ياترى ان اتى أحببا هى مثله فى الجمال وهل ان حبهاله كحبه لها لتنعم ان محبتها له ومحبتها واحدة كما ان حبهما واحد . فهى فى أعلى درجة من الجمال حتى ضربت بها الامثال وتناقلت أخبارها الركباز فهو بها على السماع كثير من أولاد الملوك والامراء إلا أنهم لم يعلق بحب أحد إلا بحب فيروز شاه وقد أخلصته الحب وبادلته المردة وحفظ العهود . قالت بالله عليك يا أختى أن تشفى على ونجمعنى به فلم يعد لى من صبر عن وصاله وأريد منه

ولو قبله واحدة فاني أشعر بخفقان داخل قلبي لا يهدأ إلا بالاجتماع به وأرى نيرانا
بقلي جديدة تضطرم فلا تنطفئ إلا ببرد عذوبة الفاعلة . قالت كوني مطمئنة الآن واصبري
على هواك فاني سأجعلك به بوقت قريب وأعدك وعدا صادقا اني أزورك به قبل أن
يتزوج بعين الحياة بنت الشاه سرور وأنتك تعلمين اني لا أقول شيئا دون أن أفعله
وكانت هذه المرحمة من قهرمانات الجان وطاماتها الكبرى وقد خبرت أحوال
الانس والجان وعرفت أمور العفاريث والمردة وأحاديث كل منهم ولم يكن يصعب
عليها شيء وقد تأكد عندها أن اختها أحبت فيروز شاه وهامت به وأشغلتها هواه
فصبرتها وعذرتها عليه وقالت في نفسها انه ذات وجه جذاب فلو كانت الملائكة من
أجواق النساء وفي صفاتهن ومزاياهن لأحببته مع عفتن وطلبن وصاله مع نراحتن
ثم قالت لأختها هلم بنا الآن لنذهب قبل أن يدخلوا القصر ويطلوا على أحوالنا
وليس من اللائق أن نبقى هنا ونجتمع بفيزوز شاه بحضور الوف من الانس ثم أخذنا
كل ما هو في القبة فاخفناه حتى لا يروونه وطلبنا طبقات الآفق وغابتا عن ذلك المكان
وجهان أفروز محروقة القلب ملذوعة الفؤاد تتحسر على الاجتماع بمن حبه ومن رآه
أعينها ينير كالقدر عند تمامه

وأما فيروز شاه وطيطلوس وخورشيد شاه والذين معهم فتقدموا إلى جهة القصر
حتى دخلوا تحتها وقد دهشوا من حسن صناعته واتقاز بنائه وطافوا في كل مكان
حتى لم يعد من مكان إلا وطافوه . وفي النهاية دخلوا القبة فرأوا داخلها من الآثار
ما يدل على أن يسكنها ساكن فقال طيطلوس لأريب أن النور يظهر من هذه
القبة في كل ليلة وإن صدق حذري فإنه يسكن هذه الغرفة جماعة من الجان فمالنا
ولهم الآن ولنذهب من حيث جئنا فقال خورشيد شاه كيف أتى إلى هنا ولا نعلم
السبب الموجب لقيام قوم من الجان هنا وما هو السبب في اجتماعهم بهذا المكان وإني
أريد أن أبقى هنا لأنظر الحقيقة فأعرضه فيروز شاه وقال له دعنا الآن من هذا
وسوف نعود إليه في وقت آخر وإني أخاف من أن يقع لنا حادث حديد يعيقنا إياما
وأشهرنا عن الرجوع إلى مصر وأحب شيء لدى سرعة الرجوع إلى هناك وأخاف من
أن يجد علي أي أمر غير منتظر يمنعه من الدخول إلى المدينة وفتحها ويفرون بعين
الحياة حبيتي بعد أن تكون قد وصلت إلى يدي وهذا الذي يشغلني دائما . فسكت
خورشيد شاه عند سماعه هذا الكلام ونزل الجميع إلى أسفل القصر بقصد استخراج
الذهب وما في الكنز من المال ولما وصلوا إلى أرض القصر وجدوا قبرا من الحجر
الرملي مكسا بالكلس الأبيض فأمر طيطلوس أن يهدم القبر فوشر بهدمه وظهر

من داخله باب سلم من الحجر الأبيض فأمر طيطولوس فيروز شاه أن ينزل أمامه فنزل ونزل من خلفه ومعهم بهروز العيار وبدر فئات ولما انتهوا من السلم وجدوا دهليزا واسعا فساروا فيه إلى أن وصلوا إلى مغارة تحت الأرض واسعة فدخلوا فيها والشموع بأيديهم فأروا في صدرها بابا من النحاس به أقفال من الحديد فقال طيطولوس لفيروز شاه هذا هو ناب الكنز فاخرج المفتاح الذي أنيت به من جوف الطائر وافتح هذا الباب بعد أن تقرأ سلسلة حسبك ونسبك ففعل وأخرج من جيبه المفتاح ووضع في القفل فافتتح في الحال وبأن من داخله غرفة تضيء بها مقاييس من الجواهر الالامة والذهب الوضاح فانبهر الجميع من عظم ما شامدوا وأخذتهم الدهشة وقال طيطولوس إن كل ما لا يفناه من المصاعب هو لاجل هذه الموجودات فاحملوها إلى فوق لنسير إلى الملك ضاراب فيمتخر فيها على كل ماوك الأرض لاسها لا توجد قط عند أحد في هذه الأيام فاصغر جوهرة منها بقدر البيضة الكبيرة . وأمر بهروز وبدر فئات أن يحملوا من تلك الجواهر وينقلوا الذهب إلى فوق ليحمل إلى القوارب ففعلا وأخذوا في أن يصعدوا بالاحمال على أكتافهم فيسلمونها إلى كرمان شاه وذلك بنقلها إلى القوارب على ظهور الرجال حتى فرغوا جميعا من العمل وحينئذ صعد فيروز شاه وطيطولوس إلى وجه الأرض وهنثوا بعضهم بعضا بالسلامة . وبعد ذلك كروا راجعين إلى القوارب فركبوها ومثلهم المنفرجون فانهم ساروا بقواربهم وهم يتعجبون من عظم ما رأوا تلك الجزيرة وما فيها من الأموال والجواهر التي لا تثنى بشئ فاصغروا فيها يساوى ملك ملك . قالوا لا زلوا حتى جاءوا الشاطئ فنزلوا ودخلوا المدينة بالفرح والدعاء واصوات المسرة والتهايل . ونقلوا الأموال والجواهر إلى قصر كومنندان وجاءوا إليها يخبرونها بكل ما جرى فهنأتهم بالسلامة والخلاص وهي من أفرح عباد الله بنجاة محبوبها ولا تصدق أن تراه وقد أعدت أكراما له ووليمة فاخرة دعت إليها كل أعيان المدينة وحاكما وعملت لهم الاطعمة الفاخرة والاشربة اللذيذة وزينت القصر بالانوار من كل جهة وكست جدرانه بالزهور والرياحين وترجت بفيروز شاه كل الترحيب فعاملها بكل بشاشة ولطف وقال لها كوني مطمئنة البال فسوف ترسل إليك بعد أيام قليلة لتأخذك إلى مصر بعد فتحها كوني عزمت هناك أن ازف على خطيبتى عين الحياة وعند زفاني لا بد من رفاف كامل الفرسان الخاطبين لأنفسهم ليكون فرحي شاملا وفرح ابني وكافة رجالى كما

واقاموا كل تلك الليلة على الفرح والمسرة إلى أن قرب الصباح فأمر فيروز شاه أن تحمل الاحمال وترفع على ظهور الرجال بعد أن تضع في صناديق صغيرة مصفحة

فحملت ورفعت وسارت امامهم وعند تضاحي النهار دعا بالحاكم اليه واعيان المدينة
فخطب فيهم خطابا حرصهم فيه على الصدق والامانة في حجة الملك ونفع الوطن وان
يحافظوا على الراية الفارسية وان يكاتبوا دائما اباة كملك اكبر فوقهم وضرب عليهم
الخراج والجزية ثم ودعهم وركب جواده الكمين وركب معه كرمان شاه والفرسان
برمتهم وطيطلوس وقد ودعوا ايضا كومنندان وشكروها على اهتمامها وودعها محبوها
ايضا فبكي وبكت وكل منهما يعد الآخر وكذلك كرمان شاه ودعها وفي قلبه منها
نار حب لا تطفى لانه كان قد مال اليها واحبها حبة صادقة وقال في نفسه ان ابن
حمى لا يمكن ان يتزوجها لنفسه كونه قد وعد غيرها قبلها ولذلك لابد لي عند اغتنام
الفرصة من طلبها لنفسى ولا اكون قد غدرت بذلك ابن حمى بل ية ازل عنها لعله
ان لا مطمع له بها وبقي يكمن ذلك في ضميره وينظر الوقت المعين . قال ودامت
العساكر سائرة في تلك الغلاة وفي مقدمتهم فيروز شاه الاسدالريال والفارس العجيب
الاهوال . وهو فرحان من نفسه وما وصل اليه من المجد والرفعة واكثر فرحه كان
بعودته الى مصر الى جهة عين الحياة وقال لابد من انها تنظر الى نفسها نظرا المختصر
اذا علمت اني قتلت ماردا من مرده الجان وفتحت كنز التبايعه وجئت منها بالمال
الغزير والذهب الكثير والجواهر التي تملأ المخازن والخزائن وقد خطر على باله كل
ما كان من امره ومن امر محبوبته وكيف ان اخصامه يحولون بينهما فيمنعونها ويمتنونه
عن ان يراها مع ان ملوك الجان وعقاريها وسحرتها لا تقدر ان تقف في وجهه ولا
تمنعه عن اجراء غاياته وجاش عليه الشمر فأشد

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| وعين الحياة ملوك الانس تخضع لي | وترهب انجان من قرلي ومن على |
| عين الحياة ابتغت اليوم لي سكنا | فوق السماك سما مجدا على زحل |
| لذا تريفي وجيش الجن ان ذكروا | اسعى له فر منى وهو في وجل |
| وماردا جنته لا العزم قل ولا | رأى سبيلا لضعفي عامل " - كل |
| لكننا كننت مثل البحر قد ضربت | به العواصف او كالعارض المطال |
| حزبته بحسام فاخفي وغدا | بان انه مشقوه من العلل |
| قطعت ايديه واجمع الغزير يرى | فعلى ويعجب منى كل ذى بطل |
| وعاد نحوى وعدت الضرب ثانية | قطع السيف منه كل متصل |
| بشراك بشراك يا عين الحياة لقد | اصبحت دون البرايا منتهى امل |
| فتحت في القلب كنزا قد حلت به | كته ايدى المعالى ابرج الخلل |
| هونت وحدك لي كل الصعاب فك | ازحت في همتى العليا من جبل |
| ان قلت للجبل العالى انتقل عجلا | لطاعنى وغدا يهوى على عجل |

وقد رجعت أخوض النقع مقتخرا لم ين كيد النوى كيدى ولا حيل
 وكان ينفذ وطيطلوس يعجب من انشاده ومن فصاحته وعلو همته وعظم
 محبته ولا زال القوم يسرون والعساكر جارية من خلفهم أمامهم الجبال تحمل الأموال
 وهي بعدد الرمال حتى قربوا من مصر وبانت لهم عن بعد نصف يوم أسوارها
 وبيوتهما وهناك أخذ طيطلوس قرطاسا وكتب إلى الملك ضاراب يبشره بما كان وقد
 كتب فيه

بسم الله المسهل المسبب

من طيطلوس عبد الملك ضاراب ووزيره الأمين إلى سيده وصاحب المجد والرفعة
 أما بعد فاني أخبركم يا سيدي اني توجهت من حضرتمكم مع ولدكم علة السعادة والفخر
 وسرنا حتى دخلنا الاسكندرية فأخرجنا منها مفاتيح الكنز وقد طردت باسم ابنك
 طوائف الجان التي كانت قائمة فيه ومن ثم ركبنا البحر وسرنا على القوارب لخلاص
 خورشيد شاه واخراج الأموال الغزيرة والجواهر النفيسة وعند مصافحتنا للضباب
 اتصّب لنا مارد عظيم لا يوجد أكبر منه بين كل المردة أربع كل من رأى ذلك
 المشهد إلا ابنك الأسد الكرار فقد قطع يديه بضربتين وقتله بالثالثة ومن ثم انقشع
 الضباب عن الجزيرة وتبين لنا ابن عمك عليها وهو حتى فقرحنا به غاية الفرح وأخذناه
 معنا ودخلنا الكنز فأخرجنا منه الخزائن التي كانت خبئت لكم منذ أزمان وأجهال
 فإذا هي بما يبهج النظر ويحير العقول فهي وحدها تكفي لأن تشتري بها الدنيا برمتها
 وأخذنا كل ذلك إلى الاسكندرية فرتبنا بها الحكام من قبلكم وضربنا عليهم الجزية
 وعدنا فرحين منتصرين نرتجي التشرف بمقابلتكم ولعلني بأن مسرتكم تزيد بأعمال ولدكم
 أسرعت فأخبرتكم ونحن بعد ساعات قليلة نكون في المعسكر بناديككم والسلام
 ثم طوى الكتاب وبعثه مع بدر فتات وأمره أن يسرع إلى الملك ضاراب
 ويملئه بقدرهمم فأخذه وسار بكل سرعة حتى وصل إلى بين أياديه فدفعه إليه بعد
 أن قبل يده فأخذه وقرأه فقرح فرحا لا يوصف وأعلن ذلك على كل جيشه وأمر
 الفرسان والابطال أن تركب ملاقاته ولده ووزيره طيطلوس وأن يكون لهما ملتحق
 عظيما فخرج الجميع وهم يعزفون بالموسيقا ويلوحون بالأعلام ويلعبون على ظهور
 الحبول وما ساروا إلا القليل حتى التقوا ببعضهم البعض فصاحوا صياح الفرح حتى
 ارتجت تلك الأرض وسلم المقيمون على القادمين وهتفهم بالسلامة وعادوا راجعين
 ناشرين أولية الأفراح والسرور حتى دخلوا المعسكر وجاءوا صيوان الملك ضاراب
 فخرج حبا بولده واعتبارا لطيطلوس الذي كان ينزله منزلة الآب النصوح العاقل
 وسلم عليهما ودخلوا جميعهم الصيوان وجعلوا يحكون للملك مفصلا ما كان من أمرهم

وما لا قوا في الجزيرة ففرح بسلامتهم ولام خورشيدشاه على غاظرته بنفسه ودخله باب الهلاك عن جهل . فقال له لم يكن ذلك مني يا سيدي بل هو من عركات العناية التي دفتني إلى تلك الحفرة الخطرة ولألا لولا دخولي فيها لما تيسر لكم السعي خافي ورفع تلك الاخطار واستخراج الاموال منها والانتفاع بها . قال أصبحت بذلك وإن أشكر الله تعالى على عنايته وتسهلاته فانه لا يداع بنا إلا إلى الامكنة الصالحة لنفعا ورفع اسمنا وتشيد دولتنا ولا بعد لنا إلا كل ما هو موافق لمصالحنا . ثم إن الملك ضارب أحضر المال والجواهر بين يديه وفتح الصناديق أمام الفرسان والابطال فأخذوا يتفرجون عليها وقد انبهروا بما شاهدوا وتعجبوا من كثرة تلك الجواهر وكبر كل واحدة منها وبعد أن فرغوا من الفرجة عليها أرجعها الملك إلى الصناديق وأقل عليها وأمر أن توضع في خزائنه حين الحاجة فقد عزم أن يفرقها مع الجواهر والاموال التي جيء بها من قصر صفراء الساحرة ومن قصر المقنطر في عرس ولده فيروزشاه ليغتنى بها كل بعيد وقريب وبعد أن أقاموا برهة على تلك الحال تفرق كل من الفرسان إلى صيوانه بقصد الراحة والنام .

فهذا ما كان منهم وأما ما كان من الوليد فانه لما خرجت رجال فارس لملاقاة فيروزشاه وعلت الضوضاء فيما بينهم أمر هلال العيار أن يسير في أول الليل عند نشر الظلام إلى بين المعسكر ويكتشف على سبب هذا الفرح والاستبشار فوعده بطاعة وانه لا بد له أن يأتيه بصحة الخبر وقد قلنا إن الوليد لما سمعه من أصوات السرور قال لا بد أن يكون جاء اليهم أمر مفرح أوجبهم إلى إظهار ما ذنبروه وما كفننا ما هم عليه من التقدم والانتصار حتى تزيد أمورهم نجاحا وفلاحا .

وفي المساء خرج هلال العيار ونصب الجسر ودخل بين الايرانيين واستنشق منهم روائح الاخبار واستعلم منهم على أسباب ما كان من أمرهم في النهار ومد أن وقف على الحقيقة كراجماً مندهشاً من توفيق فيروزشاه وحسن حظه ولما قرب من الخندق قطعه على جسر من الخشب كما فعل بالاول ثم رفعه وجعل الباب ففتح له ودخل إلى أن وصل إلى صيوان الوليد فوقف بين يديه والصيوان محبك بالاحضور وشرح له كل ما سمعه وقال له إن سبب ذلك رجوع فيروزشاه من الاسكندرية وقد فتحوها وقتلوا الاسكندر حاكما وضربوا الجزية على أهلها وكان ذلك بمساعدة بنته كومنندان لانها أحبت خورشيدشاه فباعت بلادها وأباما لاجله ثم ذهب إلى الجزيرة المنعومة وعلق فيها نزل فيروزشاه وفتحها وأزال عنها الظلم وقتل مردقود صفاريت وجاء بأموال السكز وجواهره فهذا الذي جعل كل أهالي فارس أن يفرحوا ويتهللوا ويصفقوا ويرقصوا لانهم كيفما مالوا يرون النصر والتوفيق فلا قرا فيروزشاه ملاقات

تلقى بمثله وقدمناه بسلامته الكبير والصغير فقال الوليد إن صح هذا فقد خربت بلادنا إلى الأبد وخرجت من يدنا لأنه كان لي كبير رجاء بالاسكندرية لعظم حصونها ومئاتها ووقوعها على البحر فإن كان قد فتحوها فليس لنا بعد من أمل بمكان حصين نلتجئ إليه إذا أخرجتنا الضرورة إلى الخروج من مصر هربا . وفوق كل ذلك فإنهم فتحوا الككنز وأخذوا أموال بلادنا المدفونة فيها منذ أجيال وأزمان فها هذا فيروز شاه لإلارجل سعيد الطالع مدلول عليه من الله مقصود توفيقه منه لأن التقادير لا توفى أحدا وتخدمه الوسائط إلا والله فيه غايات وآرب . وكان في عزم طيفور أن يضرب صفحا عن الكلام إلا أن سكوته وما سمعه عن نجاح فيروز شاه ومدحه كاد يفطر مرارته فتكلم بالرغم عن إرادته وقال أصدق مثل هذا الخبر يا سيدي وهل يمكن لفيروز شاه أن يفتح مثل هذا الككنز الذي حكى عنه هلال العيار ويقتل المارد ويهزم طوائف الجان . وعلى ما أظن أن فيروز شاه قصد خلاص ابن عمه وإخراجه فأصابه مثله وهلك ومات فلم يقبل الايرانيون أن يظهروا ذلك خوفا من أن نعلم به فنطمع فيهم فعملوا هذا العمل وأقاموا رجلا مثله في مكانه لغايتين أولا لأجل لا نطمع نحن كما تقدم وثانيا ليشهدوا بجهنم ولا يضعف لأن جيرش الفرس إذا ثبت عندهما قتل فيروز شاه لا تقتال القتال الذي تقاتله بوجوده ولك برهان على ذلك أنه عندما يغيب عنهم لا يتوقفون قط بل تضعف همهم وتأخر أحوالهم ففيروز شاه هلك لا محالة . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام أغاظه وكدره ولم يسمعه أن يسكت عن طيفور فقال له لازلت تأتينا بالآراء الخويفة وتظن أنك تفكر صوابا فإذا فكرت بكل ما نحن فيه ترى أنك أنت أصله وسببه فقد أشرت على المشورات الذميمة حتى خربت لي بلادى وأخرجتها من يدي فتسلكتها الايرانيون وأخذوا عمالي فنصبوهم عليها وأزمتني إلى أن أفود الويلات ورأى إلى مصر ولازلت حتى الساعة تشكر توفيق هذا الرجل العجيب فكيف لا يصدق عنه مثل هذه الأخبار وقد رأينا أعظم منه أهل الذي بعث أسيرا وحيدا إلى جزائر السودان وعاد منها مالكا عليها منصوبا على ملوكها بعد قتل ملكها وأهلك صفراء الساحرة التي هي أشد بأسا من ألوف من المردة لأن كلمة واحدة منها تكفي لهلاكه يصعب عليه أن أن يقتل ماردا ويفتح كنزا عرف منذ قديم الزمان أنه يفتح على وجهه وليس عمله هذا بأصعب من قتلهم للبقنطار الساحر وبعد وقوعه بأيديهم ولجوه استعمال قوته السحرية للفعالة وقد رأيت بعينيك عجيب فعله وكيف طير الفرسان في الجو إلى أن أصبحوا يقادون إليه كالأسارى . فسكت طيفور عن الكلام وقلبه يلتهب من الغضب والغيظ من عمل فيروز شاه وكلام سيده . ثم قال الشاه سرور للوليد انى أرى أن في المدينة

عن المون ما يكتفى إلى سنين وأعوام وأسوارها منيعة لا يقدر الإيرانيون على هدمها ولا سيما حولها الحاجز العظيم وهو خندق الماء المحيط بها فلبثت على الدفاع ومهما شاء الله فليعمل . وكان الشاه سرور في تلك المدة قد قدم منه وزيره الثاني وهو الخواجه اليان وأظهر له عذره وأبان له أنه لو سمح كلامه منذ البداية لما وصل إلى هذه الحالة . وبعد فروغ السهرة ذهب كل إلى مكانه وهم في كدر وبأس

قال وانتشر خبر انتصار فيروز شاه في جزيرة الاسكندرية وقتله للبارد فيها وإخراجه الجواهر منها حتى بلغ عين الحياة وطوران تحت . وذلك انه كان بالقرب من القصر القائم فيه قصر الوليد قد أنزل فيه سيف الدولة ملك ملاطية عند دخولهم المدينة للحصار وبسبب هذا الجوار وقعت الالفة بين زوجة سيف الدولة وبين عين الحياة وطوران تحت فصارت تأتي اليهما في كل يوم وتجتمع معهما على الطعام والمداام وقد اكتشفت على أسرارهما وساعدتهما عليها وقالت لهما انكما مصيبتان بجبكا لمثل رجال فارس ولا سيما عين الحياة فانهما ان قبلت بغير من أحبته وهو فيروز شاه أو بدلت بغيره قادت نفسها إلى الذل والعار فقتل هذا الرجل يحب ويعشق ويفدى بالأرواح وهل لو كان حبيبها الشاه صالح تقدر أن تفتخر به أو تنأى أو لا تسمع لوما وتنديدا من العالم أجمع بأنه بعد أن صار لها أن تكون زوجة لملك كفيروز شاه ابن الملك ضارب صاحب الأفعال الخيدة والحسن الفريدة والحصال المحمودة والصيت البعيد تتركه وتقبل بالشاه صالح الكاسل البليد . وعلى هذا كاتنا قد أحبنا وشاركنا في الاجتماعات إلى أن كان ذلك اليوم جاء اليها زوجها سيف الدولة وأخبرها بكل ما كان من أمر الفرس وقال لها ان قلبي يميل لهؤلاء الأقوام لأنهم فرسان صناديد وأبطال أماجيد تخدمهم الأيام وترعاهم العناية . وفي صباح اليوم الثاني بعد ذهاب زوجها جاءت إلى عين الحياة وحكت لها ما سمعته عن حبيبها وقتله للبارد وإخراج الكنز على وجهه فقرحت مزبد الفرح وجعلت تصفق وتقول هكذا هكذا وإلا فلا وطلبت من طوران تحت أن تجعل لها ذلك النهار نهار حظ فنشربان خصوصيا على ذكر الأحباب وننشدان الأشعار الغرامية لأجلهما ويكون ذلك بحضور زوجة سيف الدولة فأجابتها إلى عملها وأمرت قهرمانتها بأنماهم طلبها وفي الحال اتصبت مائدة المداام فجلسن عليها وهن من الفرح والمسرّة على جانب عظيم وأخذن في تعايط كؤوس المداام ونشدن الأشعار ووصف عاشر الأحباب وقد اشتد فعل الحب بقلب عين الحياة عند تلاعب الخمر برأسها فأنشدت .

رضيع الصبا البين قد طر شاربه وكهل الدجا مذشب شبت ذوائه
وما الليل إلا الدهر أعيت صروفه وما هو إلا صرفه وعجائبه

وما الويل من ليل تطاول إذ غدا
 طلبت به وصلا تقادم ههده
 على حين أحي ميت النوم ناظري
 ولى محسن قد ساء صدا وإعما
 ولا وصل إلا أن يلم خياله
 ولى كبد حرى على أبحر الهوى
 خذا الحذر من أعطافه وجفونه
 وإياكما القوس المرائش سهامه
 وماذا على من صار خالا بخده
 له عارض فى الخد قد زان شكله
 بكيت وقد قد الحشا وهو ضاحك
 فمن لوعة فى الصدر شب ضرامها
 خليلي مالى يوم نهب جوائحي
 أربحا فان الحب ضاقت مذاهبه
 إذا مادنا يخفى وإن يحنن دنا
 ومهما دعاه الوصل عارضه الجفا
 ومهما شفاه السقم أودى به الذوى
 وقد هدمت رايات جيش اصطباره
 وأصبح لا طيب الوصال ميسر
 فما كل عين بالجمال قريرة
 يجاذبني ذكر الهوى وأجاذبه
 وما كل مطلوب ينزل طالبه
 لزورة طيف أشبه الصدق كاذبه
 بدا الصد من أمر تسر عواقبه
 ولا هجر إلا أن تزم ركائبه
 تسير بها سفن الهدى ومراكبه
 فما هي إلا سمره وقواضيه
 ألم ترمكم الحاظه وحواجه
 أثار أبوه أو أغشيت أقاربه
 كما زان خط اللام فى الطرس كاتبه
 وهل يستوى مسلوب قلب وسالبه
 ومن مدمع يرفض فى الخد ساكبه
 أخيب من مالى ويغتم ناهيه
 ولم يلف خيرا فى الغرام يجاوبه
 فأى يدانيه وأى يجانبه
 فأى يحاسبه وأى يشاغبه
 فأى يعانيه وأى يحاربه
 على جيش الوجد صالت كتابه
 لديه ولا دار الحبيب تقاربه
 ولا كل سمع قد نحاء مجاوبه

انتهى الجزء الثامن عشر وسيليه الجزء التاسع عشر

الجزء التاسع عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

ولا كل من قد سار ردت جياده ولا كل من وافي أنيخت ركابه
ولما فرغت عين الحياة من انشادها اهتزت طربا امرأة سيف الدولة وقالت لها
لقد أصبت في ذكر أشواقك واجدت في وصف حبيك وأطربتنا بنغمت صوتك
الربط فجمع الله شملك به وجمعه بك وجعل أيام سعادتنا مقرونة بالبركات
والخيرات . ثم التفتت الى طوران تحت وسألتهما أن تنشد شيئا من الشعر في وصف
حبيبها وذكر أشواقها كما فعلت عين الحياة . فقالت حبا وكرامة فاني أئند الوفا من
الأشعار فهي عندي من الموجبات ومفروض فما حبيبي بمن ينسى سم تناولت كأسا
فشربتها وأنشدت

تري سكرت عطفاه من خمر ريقه فمات به أم من كؤوس رحيقه
مليح يغار الفصن عند اهتزازه ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه شيء ناقص غير خصره ولا فيه شيء بارد غير ريقه
ولا ما يسره النفس غير نفاره ولا ما يروع القلب غير عقوقه
عجبت له يدي القساوة عندما يقابلني من خده برفيقه
ويلطف بي من بعد أعمال لحظه وكيف يرد السهم بعد مروقه
يقولون لي والبدر في الأفق مشرق لذا أنت تموى قلت بل لشمس قبقة
فلا تنكروا قتلى بدقة خصره فان جليل الخطب دون دقيقه
ولييلة عاطاني المدام ووجهه يربسا صنوح الشرب حال غبوقه
بكاس حكاها نغره عند ابتسامه عما ضمه من دره رغيقة
لقد نلت إذ ناد منه من حديثه من السكر قالا نلت من عقيقه
فلم أدري من أي الثلاثة سكرتي أمن لحظه أم لفظه أم رحيقه
لقد بهته قلبي بخلوة ساعة فأصبح حقا ثابتا من حقوقه

وكانت طوران تحت رخيمة الصوت وقد أنشدت شعرا هذا بفؤاد ملسوع ملوع
من الحب فكان له تأثير عظيم في قلب عين الحياة وامرأة سيف الدولة وقد قالت لها
الآن لا تعني على دهرك الآن ولا تنحسري على بعد محبوك فلا بد من أن
يصفو الدهر وبروق عيشه وتجمعني بمصفر شاه وتغالي منه مرادك فرجال القرمس

يحفظون اليهود ويثبتون على الوفاء وهم الآن قائمون على المحاربة وملاقاة الأخطار
والأهوال والبعد عن الديار لأجل هذه الغاية وعندى أنهم لا يرجعون عن عزمهم
دون أن ينالوا مرادهم . ثم قالت عين الحياة لا راء سيف الدولة إني أسألك الآن
وإن كنت خالية من الحب وليس لك ما يشغل ضميرك ويطر فؤادك أن تنشدى
لنا شيئا من الشعر طمعا أن تسكنى بعدوبة لفظك ورخيم صورك هيجان فؤادينا فالت
أنى أحرمكما من ذلك وأمرك على واجب لأنك عما قليل تصبحين سيده البلاد بأسرها
ومالكة على الجميع . ثم انها شربت كأسا من الخمر وأنشدت

معاذ الهوى ان الصريع به يصحو ليفعل ما يعلى على سمعه النصيح
وكيف يرجى منه يوما أفاه وزند الهوى في عقله دابه القدح
دع القلب يشقى في طريق ضلالة فنى رأيه ان الوصول بها نجح
يؤمل آمالا مدى العمر دونها كان مطايا الثانات به جمع
ويكتم أسرار الغرام فؤاده ويفضحه من حزن مقلته السح
لقد الفت عيناه أن تنضح الدما ونالك دما عقل بها أحكم الجرح
يعاف الكرى منه المحاجر كارها نزول جراح جرحها شانه الرشيع
له في انتظار الطيف جفن مورك تفتنه من شدة الارق القرح
ولم يدرك ان الطيف يحذر ان يرى نزيل بيوت دأب أبوابها الفتح
غدا دهره بالهجر ليلا جميعه وحسبك دهر بانوى كله جمع
كأن نجوم الافق فيه تنصرت فليست لغير الشرق وجهها تنحو
كان الثريا والنسور نخاصما وظلا على جد بجانبه المزح
كان به الشهب النواقب تنبرى مراسيل ذات البين يرجى بها الصلح
وكان ذلك اليوم من أعظم أيام المسرة على عين الحياة بما وصل اليها من خبر
حيثما فلا تركت شعرا إلا وقاله ولا شربت كأسا إلا وغنت لها وطربت من
مفاعيلها وكانت تمتنى قرب زمن الاجتماع ولوصول إلى من اصطفتها لنفسها
واصطفها لنفسه

فهذا ما كان من أمرهن وسوف نعود بعد قليل إلى ما يجري بشأنهن وأماما
كان من الملك ضاراب ورجاله فانه في الليلة التابعة لليلة يحيى . ولده عقد مجلسا مؤلفا
من كل فرسانه وأبطاله واستشارهم في ماذا يفعلون فان أمر الحصار طويل والقتال
على هذه الحال يعد لا نهاية وبلا جدوى فقال له فيروز شاه اتنا لا نرى شيئا أماننا
يساعدنا على حوال غايتنا الا القتال وتشديد الحصار على المدينة ومبادرة القتال فانتا
لاندع لهم راحة إلى أن يسلبونا وينقادوا إلينا أو أن يظهر لنا سبب آخر للفتح من
طريق غامضة الآن لا نعلمها . قال طيطولس إن هذا جل ما نراه ومع ذلك نسأل

عيارينا أن يبادروا دائما الى الفحص عن منافذ إلى المدينة لان لابد من أن يكون لها منافذ خفية يدخلون منها في بعض الأحيان ومتى اطلعنا على هذه المنافذ يسهل علينا الدخول منها أو بالحري يدخل بعض فرساننا فيسهلون لنا طريق فتح الابواب قال الملك ضاراب اذا فلنبادر إلى الحرب في صباح اليوم القادم وانضرب طوبها من قبل إتيان النهار ولننكل عليه تعالى فانه لا يهمل أمرنا ولا يقبل بطويل كدونا وحجرنا ولا يقبل أن نبقى هنا عرضة للحر والعذاب . وفي اليوم القادم خرجت الابطال طالبة ميدان القتال وقد تقلدت بفسياها وحملت سهامها وتقدمت إلى ناحية الاسوار وطوبها تضرب نتيها لمن داخل المدينة . وفي الساعة الأولى من النهار وصلت إلى جهة الاسوار فوجدت ان المصريين قد أقاموا على جدرانها وبأيديهم السهام وما وقعت العين على العين حتى اختلف القتال بين الطائفتين واشتعلت نار الوغى وتطاير السهم في الغضا . واستمرت في هج الفرسان . فأنزلت عليها الويل والهوان . والملاك والحسران وعلى منها الضجيج والصياح وقام سلطان الموت لقبض الأرواح . واستخلاصها من الاشباح وقد ارتفع الغار إلى الجو فضرب على القوم سرادق الظلمات . وخفي في وسطه اختلاف مسير السهام فلم تعرف إلى أى الجهات وتلبست الابطال بثياب الويلات . طمعا بالتقدم والثبات وكان ذلك اليوم عظيم التكبكات كثير الشدات . هلك به كثيرون من الفريقين . وذاقوا أشد عذاب عالم تسمع به أذن ولا رأت عين . وما جاء المساء حتى صبغت الأرض بالدماء وتلطخت الجدران من كل مكان بأدمية الفرسان وعند اشتداد الظلام ضربت بطول الانفصال ورجع الفريقان عن القتال ورجع كل إلى طريقه فبرل المصريون عن الاسوار ودخل الابرانيون إلى الخيام وهم من التعب في أصعب مقام وقد لحق بهم من القتل والجراح ما أقامهم في حجر الهموم والاكدار ومثلهم حل بأعدائهم وباتوا تلك الليلة وهم على غاية ما يمكن من العصب على نية العودة إلى القتال في الصباح . ولما كان الصباح نهض الفريقان واستنفا القتال وعادوا إلى ما كانوا عليه في "يوم الاول وكان أكثر الناس هجوما رجال السودان الذين مع فيروز شاه لأنهم كانوا يهجمون لحرمة ويفعلون أفعال الاسود حتى هلك منهم كثيرون وتلهم يوم نة ندهم وكذا فيروز شاه حزينا عليه إلا أنه كان كالاسد الريال يصول ويجول ويهجم على الاسوار هجمات الصواعق إذا تحدت ونزلت وفي مساء ذلك اليوم رجعوا ووضع عليه أكثره اوقع في اليوم الاول وقد عادوا حيارى من عظم ما ناله وكدرهم جدل فمل المصريون وكيف انهم ثبتوا على الاسوار وكيف انهم لوجود خندق لماء لا يقدر أن يصلوا إلى الاسوار ليدكوها إلى الاساسات ويخربوها عن بكرة أبيها ولذلك جمع

الملك ضاراب رجاله ووزراءه وقال لهم اني مكبر جدا من عواقب هذه الحرب فانتا
تقاتل رجال مصر وهم داخل الاسوار فلا تصيبهم سهامنا وسهامهم لا تخطينا لان
ليس من مانع يمنع عنا ولا من حاجز نخشيه به فاذا دام الامر على ذلك عدة ايام
هلكنا . ووقعنا في مزيد الارتباك وقلت رجالنا كثيرا فمن الواجب أن تنظر أولا
في رفع هذا الخندق الذي هو حول المدينة بمنعنا من التقرب منها والدنو من أسوارها
قال طيلوس ان في ذلك صعوبة كلية لان نهر النيل لا قرار له ولا يمكن لارالة الماء من هذه
الحنائق وقت قليل ومع كل ذلك فاني ارى من المناسب أن تشتغل كل الفرسان بحفر ترعة
وتحول الماء الى جهتها وان كان في ذلك صعوبة كلية ووقت غير قصير . قال ريدما القوم على
مثل ذلك وإذا فارس من فرسان إيران قد دخل عليهم ويده أكره من النحاس الاصفر مدورة
بقدر البيضة مصقولة لا يعرف لها أول من آخر وقال للملك اعلم ياسيدي اني بينما كنت هذا
اليوم في القتال مع رفاقي وإذا بهذه الأكره وقعت إلى جانبي موجهة اليانا من جهة الاعداء
أي من على الاسوار القائمه الاعداء عليها ولا أعلم السبب وانما نزلت نزولا بطيئا يظهر منها
أن موتها لم يقصد بها ضرر أحد ولا لوضرب بها أحدا لآمانه دون شك ولو وقعت على
أربعة أشخاص لاهلكتهم لاحالة ولهذا أرى أن لها حديثا لا بد من ظهور نتائجه وقد
أتيت بها إلى حضرتك تنظر في أمرها فأخذها الملك من يده متعجبا وقد نظر فيها
وتحير من أمرها لانه رآها ملساء مسقولة لا باب لها ولا ثقب فيها ودفعها إلى
طيلوس لينظر أيضا فيها فأخذها منه ونظر فيها وقلبها بين يديه فلم ير سببا للظن
فيها وقال لا أعلم ما القصد منها وما هو السر فيها وأخذها من بعده دوش الرأي
وفهرو شاه ربيعة الفرسان والعيارين فما قدر أحد منهم أن يعرف سببا أو سرا لهذه
الأكره . كان بهروز ينظر اليهم منتظرا أن أحدا منهم يكشف أمرها فلم يتوفق إلى
إتمام انتظاره ولذلك أخذها بيده وتأملاها صاغيا . ثم قال ان صدق ظني يكون
داخل هذه الأكره تحرير مرسل اليانا من داخل المدينة وسوف تظهر لكم القضية
بحلا . ثم قبض الكرة بيديه الاثنتين وشد باحدهما الى صدره وسا كس بالآخرى
فانفتحت وسط الأكره وبان أنها مركبة برغي وداخله بعضها بعض بحيث لا تظهر
أعيون فتعجب كل من حذاقة بهروز واتباهه وبعد أن فتح الأكره تناما تبين أن
داخلها ورقة مكتوبة ومختومة ومعنونة باسم الملك ضاراب فتناوله إياها فأخذها
رندوها إلى طيلوس ليقرأها فرآها من أخواجه اليان وما يأق صورتها

من عبدكم اليان وزير الشاه سرور إلى سيدي ومولاي الملك ضاراب اني
سيدي فيروز شاه

أما بعد ذكرى لاسمه تعالى وانكالى عليه أقول . انى فى ليلة أمس دعانى الشاه سرور اليه بالخبرة فى شأنه وشأن تخلصه من المدينة إذا تسهل لكم الدخول اليها وقد أشار عليه طيفور بأنه إذا بان لك علامت الانتصار وأخذتم فى أن تدخلوا المدينة نجاً بنفسه مع وزيره وأنادون أن يعلم أحد يكون مسيره إلى بلاد الرومان إلى قصر الملك الأكبر يحتفى عنده ويستعين به عليكم وكان طيفور هو الذى هون عليه طرق الفرار وأدخل فى عقله سهولة المسير إلى هناك وأقنعه بأن الملك قيصريقدر أن يردكم عنه ويمنعكم أن تجبروه إلى زفاف بخته . ولما انتهى الامر واتفقنا عليه قال الشاه سرور إن مرادى أذهب إلى الوليد إلى قصره الآن واستخبر منه عما جدد فى هذه الليلة فى معسكر إيران لأنه أخبرنى أن عنده عيار اسمه روضة يذهب كل ليلة من دهليز فى قصره إلى النيل فيخرج منه ويختلط بين الأعداء فيقيم ساعة أو ساعتين ويعود اليه بأخبارهم وبماذا يفسكرون وعلى ماذا يعملون ولا ريب فى أنه ذهب هذه الليلة حسب عادته وانى أعلم أن الوليد ينتظره . فأجناؤه فى الحال وسرنا إلى أن دخلنا إلى قصر الوليد وكان الوقت إذ ذاك نحو الساعة الرابعة من الليل فوجدناه قائماً فى بيته لوحده منتظراً أخبار عياره تعلقاً وبعد أن سلنا عليه قال له الشاه سرور انى فرح غاية الفرح لأننا فى هذين اليومين ثبتنا وهلك من الإيرانيين جانب غير قليل . قال وانى مثلك فى هذا الامر وقد ندمت على خروجى إلى خارج البلد بل كان من الواجب مقاتلتهم ونحن فى بيوتنا وعلى أسوارنا وفى هذه الطريقة كنا قهرناهم وأهلكناهم فيئة بعد فيئة والآن انى موقن أننا إذا قاتلناهم شهراً على هذه الحالة أفيناهم عن آخرهم فى كل يوم يموت قوم بسماًنا وليس لهم سبيل لأن يصلوا الينا وتظهر فرسانهم عظم شجاعتهم فينا وأقل واحد منا يقوم مقام أعظم فارس منهم لاسيما وان عندى عيار أمين صادق يذهب كل ليلة ويأتى بالآخبار عنهم وعما يزعمون أن يجرؤا وبماذا يتكلمون وقد أخبرنى فى اليومين القادمين أنهم مضطربون لأجل النقص الذى وقع فيهم وبينهم وقد ذهب ليلة ولم يعد وميعاد ذهابه الساعة الثالثة من كل ليلة فيعود فى الساعة الخامسة إلى السادسة وإلا أنا بانتظاره فلا يمضى ساعة إلا ويأتينا الخبر عما يراه بين الفرس . وأما عند الوليد نحواً من ساعة ونصف ونحن بذكر هذه الحرب وما كان منها والامل أن يفيد الحصار أكثر من القتال والمجروح خارج البلد وفبا نحن على مثل هذه الاحاديث وإذا سمعنا من داخل خزانة موضوعة فى زاوية غرفة الوليد التى نحن فيها ثلاث دقائق خفيفة تنبئنا له فتقدم من الخزانة وفتح بابها وإذا روضة العيار خارج منها فتمت أن هذه الخزانة هى باب الدهليز الموصل إلى الخارج وان روضة يذهب اليكم من هناك

[١٩ - فيروزشاه]

قلبا وقف روضة بين يدي سيده أخبره بكل ما سمعه عن جيوشك وما تكلمتم به . من اضطرابكم من الحصار وكمية العدد الذى نقص منكم فى اليوم نفسه . فلما سمعت منه ذلك أغاظنى إلا أنى سكنت وصغيت لما كان يدور من السلام بين الوليد والشاه سرور ولما كان آخر الليل ودعنا الوليد وخرجنا وأنا أفكر بأمر روضة العيار ولما كان منه وما لبثت أفكر فى هذا الأمر إلى أن خطر لى أن أعلمكم به وإذا لم يكن عندى من أبعث إليكم عنل هكذا رسالة خطر لى أن أبعثها ضمن أكرة من النحاس ومضى وقعت بينكم لا بد أن تتعجبوا منها فتفتحروها وتعدوها ما أصد منها ولذا السبب ذهبت إلى النحاس وطلبت إليه أن يصنع لى أكرة على النسق الذى أشرت إليه فعمل لى حسب مطلوبى فأعجبتنى ولذلك كتبت هذه الرسالة ووضعتها داخلها وقفلتها فلا يظهر منها إلا أنها قطعة واحدة على أمل أن أذهب فى الصباح إلى الاسوار عند اشتباك القتال واضمها فى قوس وأوتره فتقع عندكم وفى ظنى أن وقعت بيده يطمعكم عليها ويدفعها اليكم وجل الغاية منها أنكم فى هذا المساء وفى المساء الذى بعده تنظرون الساعة المعينة وترصدون هذا العيار الذى ذكرته لكم فإذا قبضتم عليه وتهددتموه دلكم على الطريق الذى يدخل ويخرج دائما منه وبواسطة هذه الطريق تتوصلون إلى فتح المدينة بكل سهولة فتدخلونها وتتملكونها وتنتهى هذه الحرب الملهكة وبغير ذلك لا سبيل للنجاح مطلقا لأن الاسوار متينة جدا وخنادق الماء تحميها من هجماتكم عليها يوما والسلام منى مشفوعا بتقبيل أياديكم وأيادى وادكم سيدى فيروز شاه

فلما سمع الحاضرون والملك ضراب هذا الكلام فرحوا غاية الفرح وتعجبوا من ذكاء الحواجه البان كيف أنه اتخذ هذه الطريقة لا يصلح الخبر اليهم بأسرع ما يمكن قبل وصول روضة العيار اليهم . ثم أنعم الملك ضراب على الذى جاء بالأكرة وأصرفه ودعا إليه العيارين بأجمعهم وقال لهم أسرعوا إلى حدود معسكرنا واكنعوا متفرقين فى تلك الجهات عساكم أن تقيضوا لنا فى هذه الليلة على روضة العيار فتأتونا به ويكرن الفرج بواسطته فأجابوه بالحال وأسرعوا فاكمنوا كل إلى ناحية وهم شرنك والاشوب وطارق وبدر فتات وهروز وشياغوس وجعلوا ينظرون زججى هذا العيار ولم يكن إلا القليل حتى نظر هروز فى الجهة التى هو كامن فيها رجلا ينساب كالأفعى تحت ذلك الظلام احالك وهوأت من جهة المدينة الى نحو معسكرهم فقال لا ريب أن هذا هو المصنوب مصر الى أن قرب منه فتأكد عند ما رآه لا بسا ملابس الدراويش إنما ياكه وجهه لا شتنداد السلام فتأمره ليرى أى جهة يقصد فرآه فجاء إلى جهة صيوار تحت ضراب فزاد عنه التأكيد ولذلك أقض عليه انقضاء ليز وقبض من عنده وصاح فيه وقال له وينك يا روضة أنص أن شيارى ليراه

غافلون عنك ساكتون عن همك وأنت في كل ليلة تطرق جيشنا غير حاسب لأحد منكم فسوف ترى مايجل بك فحقق قلب روضة عند سماعه كلام بهروز وعرف أن أمره قد ظهر إلا أنه قصد المحاولة والتخلص . فقال أى روضة تعنى وأى عيار هنا فأنا درويش من عباد الله وقد جئت النهر فاستقيت وعدت أقصد البرارى وكان مروى عليكم من نوع الصدقة تقريبا لطريق وأنى أقصد الخلاه وأسافر من بلد إلى آخر فاتركنى وإلا إذا عرف ملككم بحالى وأنت تعرضت لى وأغنت رجال الله غضب منك وجزاك شر المجازاة . قال صه يا روضة ولا تطمع أنك تحصل بالحيلة فأنا بمن يحتمل عليهم فإن كنت لا تعرفنى فلا بد أن تكون قد سمعت بذكرى فانا بهروز عيار فيروز شاه فأذهب أومى إلى حضرة الملك ضراب فهو حليم كريم عليه يقربك إلى أستاذك طارق وتكون من خدمه وتنال أنعامه .

فحقق قلب روضة عند سماعه كلامه وقد خاف أن يتمتع أو يكابر فيقتله إنما سار معه وهو يقول له الآن تجلى الحقيقة وتعرف أنى لست بروضة العيار ولا زالا ساترين إلى أن أتأصيان الملك ضراب فوجداه قائما فيه كالعادة وحوله جميع فرسانه وأبطاله وهم بانتظار عودة العيارين المهم فدخل بهروز قابضا على روضة إلى أن وقف بين يدى سيده فقبل يده وقال له قد أتيتك بهذا الخبيث الذى نحن بانتظاره كى تنقم منه فهذا هو العيار روضة عيار الوليد وقد جاء بصفة درويش فقرح به وقال له ماهذه الأعمال يا روضة أما عرفت بعمل أستاذك طارق ورفيقك بدر فقات وهما الآن عندى باعزاز وإكرام يخدمانى بأمانة فكان من الواجب أن تسرخ من زمان إلى وقتك وسطك فى خدمتى فيكون لك الخير الغزير وتلك الالتفات الذى نله سواك . قال وابن روضة ياسيدى فأنا درويش أعبد الله ولا أعرف روضة ولا أحدا أسمه روضة وأنى أدعوا الله أن يخلصنى منكم فلا توصلوا ذكركم وأنا برىء لا ذنب لى قال لا تطمع فى المحاولة فى من سبيل خلاصك من أينما لاسج وأرعدا من يعرفك حق المعرفة . ثم أمر الخدك أن تجمع العيارين إليه فصرته أرسل إليهم ووجدت بهم ولما رأى طارق روضة عرفه حق المعرفة فقل للملك ضراب هذا هو روضة بعنه ياسيدى ثم بعد حين فى وسعه لأنكر وقد مر أن خدمته حق غافرون لم تقسه إلى أن يقيم عند الملك ضراب يرى أنه ذى خدمة له . من وقته أنه وفى الحال تقدم مر الملك ففهم طريقه وطريقه لا يكسر أبدا جسر به ومعروء طارق ذلك من خدمته به . بهت ففهم طريقه من خدمته الملك ضراب وتوجه حتى برص حتى وقم إليه وهو كرم وسيدى له . ولله سبب له . حبيب الله لا يجب أن يوحى له . حبيب الله وحسن

خدمته ترى منه كل مايسرك وبرضيك وإلا فانه يمينك لا محالة وأى شيء عدت
ترتجى من مصر وهى فى حالة الخراب والوليد سينقضى عمره بعد قليل من الايام
وملك العرس بلاده وملكه ويزول سلطانه فاجاب روضة وعرض خدمته على
على الملك قبله وقال له قد صرت منذ الآن من رؤساء عيارى بلادى وسوف ألبسك
الثوب المخصوص المرصع وأعطيك الخنجر الفارسى الغزير الثمن وارتب لك المرتبات
الغزيرة فتعيش كامير من الامراء الكبار مثل طارق وبدر فأتى اما أريد منك الآن
أن تهدينا إلى الدهليز الذى خرجت منه وهل يمكن أن يسير فيه أكثر من واحد .
قال هو دهليز واسع ياسيدى يمكن أن يسير فيه الرجل واقفا دون أن يلاقى صعوبة
البته فهو يبتدىء من خزانة فى غرفة الوليد قد حملها لاحفاء خبره عن أعين الناظرين
ويتهى إلى أسفل سور عند حافة النيل وبابه من هذه الجهة ضيق جدا بحيث لا يمكن
لرجل أن يدخل منه إلا زاحفا على بطنه وهو مسدود بحجر فاذا قصدت الدخول
منه رفعت الحجر فدخلت ثم عدت كما كان فلا يظهر للناظر قط أن هناك منفذ وهكذا
كنت أقبل دائما عند ذهابى وإيابى . قال وكيف كنت تجتاز النهر قال كنت أصحب
معى قطعة من الخشب السميكة كرن النهر من تلك الجهة ضيقا فالتفتها على ضفتى النهر
واجتازته ومنى عدت رفعتها وأدخلتها إلى الدهليز فتتقى إلى اليوم الثانى وهى الآن
فى مكانها فعدت عودتى أرفعها . قال الملك أن كنت قد رغبت فى أن تكون من عيارى
بلادى يجب عليك أن تقسم لى الأقسام العظيمة وتعطى صادق الوعد أنك تكون
أميناً صادقاً لا تخون بأحد من رجالى وأتباعى ولا تبيع بسر من أسرارى . قال انى
أقسم لك بالله العظيم والرب الكريم ان لا اخون لك عهداً ولا انكر جيلاً ولا اذكر
سراً بل اكون أميناً على خدمتك صادقاً فيها وسوف تظهر لك الايام ماانا قائلة الآن
وبعد ان اخذ عليه الملك ضراب العمود والمواثيق قال له أريد منك ان تذهب امام فرسانى
وابطالى فى هذا الدهليز إلى ان تدخلهم قصر الوليد ومن ثم تدلهم طرق الابواب ليفتحوها
فتدخل وتلك المدينة فى هذه الليلة ونخلص من هذه الحرب ويكون لك بذلك الخير
قال حيا وكرامة فأتى مستعد لقضاء ما تأمرنى به ولا تخشى هذه الليلة ما لم تدخلوا
المدينة وتقبضوا على الوليد وينهى الامر على احب ما ترغبون .
وحينئذ دعا الملك بهزاد وفرخوزاد وكرمان شاه وخورشيد شاه وبيلىنا
وبهمنزار قلى وطهمور ومرادخت الطبرستانى وشيرين الشيبلى الطلقانى وتمام التامنين
فأرسل من اقرب فرسان ايران وقال لهم سيبروا اتم خلف هذا العيار فادخلوا معه
الدهليز ومنى فمضت على الوليد فاسرعوا إلى الابواب من اقرب طريق دون ان

تباشروا عملا فتكون نحن على الأبواب . وفي مقدمة العساكر ولدى فدخل المدينة وتملكها ولا تنق على عاص فيها وتكون إذا أراد اقه في الغد حكام مصر فتجازى المعتدين على أفعالهم وأعمالهم فاجابوا طلبه وأسرع كل إلى عدته فلبسها ونقل سلاحه وتعد للقتال وودعوا الملك ضاراب وساروا خلف روضة وأمامهم بهروز الميار حاملا الشموع ليعلمها في الدهليز ولما وصلوا النهر قطع روضة أولا دلى الحشبة التي كانت موضوعة أشبه بجسر فوقه وخلفه بهروز ومن ثم صارت الفرسان تأتي واحدا بعد واحد إلى أن صار الكل في الضفة الثانية قرب السور فتقدم روضة إلى حائط السور وأخرج منه حجرا كان مسدودا به باب الدهليز فبان من خلفه خلاء طويل متسع فدخل روضة وفي أثره بهروز كفرخ الجان لا يفارقه دقيقة واحدة وقد وجد أن جوف الدهليز واسعا فجعل ياهق الشموع منيرة في جدرانها ليرى الفرسان طرعا فتدخل بسهولة فدخل في الأول هزاد ومن بعده أخواه ودخلت الفرسان واحدا بعد واحد فدخلون في الأول زحفا إلى أن يصلوا إلى الداخل ومن ثم بقفون ويسرون إلى أن صار الجميع داخل الدهليز فمشوا فيه على أنوار الشموع التي كان بهروز ينيها ويعلمها في الخيطان حتى وصلوا إلى آخر الدهليز فوقوا هناك ومن ثم ضرب روضة على باب الخزانة ثلاث ضربات كعادته وفتح الباب فصار داخل الغرفة فوجد الوليد بانتظاره وقد ساء ابطاؤه فقال له لما هذا الابطاء وما وراك من الاخبار قال اعلم يا سيدي أن عياري لبران عرفوا بامرئ فقبضوا على وقادوني إلى الملك ضاراب وأنا أحاول الخلاص منهم مدعيا بأنى درويش فلم يصدقوني ولا سيما طارق فانه عرفني حق المعرفة فعملوا على قتلي أو اتى انضم إلى عياريهم واخذهم كغيري فلما رأيت أن لا خلاص لي إلا بمخدمتهم فاجبتهم اليها ووعدت الملك ضاراب بصدق الخدمة . فهل أخطأت بهذا الوعد . قال كلا لأنك لو لم تعده بمثل هذا الوعد لما أتى عليك فنعم ما عملت . قال وبعد ذلك عدت من الدهليز الذي ذهبت فيه وقد اصحبنى بهزاد الايرانى وطلبت اليه أن يرجع فلم يقبل بل قال لي أن مراده يواجهك ويسألك عن رفيقه سيامك ساقبا لانه أبقاء أمانة عندك إلى حين رجعه وها قد رجع فارحبه الوليد عند سماعه بذكر بهزاد وخفق قلبه وصاح أين هو الآن وإذا بهزاد قد قفز من داخل الخزانة إلى أرض الغرفة مشهرا بيده السيف وهو يقول ها أنذا هو ثم تبعه فرخوزاد وبيلتا وبقية الفرسان فغى على الوليد وتيقن الموت والهلاك وفي الحال ربطه بهزاد ووكل فيه اثنين من الفرسان وقال لروضة انطلقينا إلى الأبواب فان فيروز شاه بانتظارنا عندها مع عساكر لبران . ومن ثم ساروا إلى جهة الأبواب وكان الناس إذ ذاك نيام فلم يشعر بهم أحد وان صادفوا أحدا قتلوه حتى انتهوا

إلى الأبواب قتلوا الحراس القائمة لحراستها وإذا بفيروز شاه واقف عند الباب الكبير
مهيئ للهجوم فعند فتح الباب التقى بهزاد فسأله عن الوليد فأخبره بأنهم قبضوا عليه
فهجم على المدينة عند ذلك وأمر الفرسان أن تتفرق في نواحيها وتملك الأسوار ومن
مانع قتله وأن لا يشرق النهار إلا والاعلام الفارسية تحفق فوق أسوار مصر .

قال واندفعت عساكر الفرس كالبحور الزواجر وهي تصبح وتنادى بالاستبشار
والانتصار وانتشرت في أسواق المدينة وفاجئت عساكر الأسوار فضربت فيها بالصارم
البتار وأجرت أدميتها كالآبهار ودخلت الثكن فتملكتها وأهلكت من فيها وأقام في
المدينة الصباح من كل جهة وناح وتأكد أهلها أن الأعداء دخلوها وفتحوا أبوابها
فارتعبوا وخافوا وقللوا أبوابهم وأقاموا داخلها وكان الملك ضارب قد أوصى فرسانه
أن لا يضرب أحد بالاهالي ولا ينهب من المدينة شيئا ومن خالف وصيته جازاه بالقتل
لأنما كان معظم الذبح والقتل واقع في عساكر الين وعساكر مصر ومن بقي في المدينة من
المنتصرين لها وقد قبض على كثيرين من الأمراء والفرسان ومن مانع قتل وذاق المات .
ودخل الملك ضارب بحاشيته ووزرائه إلى قصر الوليد لجلس في عرشه وهو غفوف
يحمسه الخاص ينتظر عودة فرسانه اليه عند فراغهم من العمل والاستملاك وهو في
فرح لا يوصف بهذا النصر العظيم وقد طن من نفسه أن الحروب قد انتهت وأنه وصل
إلى الحد الأخير منها وكان لا يعرف ماذا عملت فرسانه وماذا جرى على الوليد وغيره
من الأمراء والسادات وكان يسمع صياح فرسانه وأبطاله تنادى بالنصر والظفر وعساكر
مصر تستغيث مستجيبة من هول تلك الليلة ولا زال القتل في الثكن والأسوار عاملا
إلى حين بزوغ شمس النهار وقد أشقى فيروز شاه غلبه وأروى ظمأ نواده وفعل مثله
بهزاد ليث الطراد وبقية الفرسان الاحواد حتى أصبحت أسواق المدينة عبارة عن أقيية
وخلجان تسيل بها من الدماء . وفي الصباح رفعت السناجق الفارسية على كاهل الأسوار
ولم يبق من مكان إلا وتملكته رجال الفرس ووضعت سلطتها عليه وقد قبضوا على
كثير من الأمراء والاعيان فأرعدوهم السجن ومنهم الوليد وسيف الدولة حاكم ملاطية
وغيرهما من المشاهير وعند الصباح أتى الفرسان إلى قصر الأحكام حيث كان الملك
ضارب قائما وكلهم متوتنه بالنصر والظفر ووردت عقلاء البلد يقدمون له طاعتهم
ويستأمنونه على أموالهم وأرواحهم فوعدهم بكل جميل وأنهم وقال لهم لا بأس عليكم
فاني لا أريد لكم أذى وما دخلت المدينة إلا بعد أن حذرت رجالى من الاستبداد والتطويع
إلى الاضرار بأحد وما أقصده هو شيء واحد لا أريد سواء وقد مانعني فيه حاكمكم
وعسكره ولذلك كان هو المقصود من حربى فمن كان طائعا حرم قتله فأذهبوا وانثروا في

المدينة واسع حلم رجال فارس وأخبروا قومكم أن يخرجوا إلى أشغالهم وأعمالهم لأن لا حرب عليهم ولا مانع من وجودنا بينهم يتمتعون من البيع والشراء فمن أعسا كرى ابتاع شيئا دفع ثمنه بأكثر مما يساوى ومن من رجالى تعدى على أحد أو اختلس أحدا يارة أو طمع بأحد أو نظر إلى امرأة فارفعوا إلى أمره فأتى أجازيه بالقتل عبرة لغيره . فمدحوه من عدله وشكروه على حلمه وعادوا من أمامه وهم يأمرؤن الناس بأن تخرج من بيوتها وتعود إلى مصالحها ويلفوا الكل أمر الملك ضاراب وحكوا كلامه فأخذت الناس تاتى حاناتها ودكا كبتها آمنة من الظلم والاستبداد فرحة بالخلاص من ويلات الحرب .

وفى أول كل شيء طالب الملك ضاراب أن يؤتى بالشاه سرور ووزيره طيفور فذهب الشرط إلى قصرهما فلم يروهما فعادوا وأخبروه بغيابهما فتكدر وسأل إن كان أحد رآهما فلم يراها أحد وأمر أن يفتش فى المدينة عليهما ونظر أيضا فلم ير ولده فيروزشاه . فـ هاد مع بقية الفرسان فسأل عنه ف قيل له دخل قصر بنت الوليد الموجودة فيه عين الحياة فامر طيطالوس أن يذهب إلى هناك وينظر إذا كان الشاه سرور وطيفور هناك وقد ظن أنه اختبأ عند بنته وأمره أن يقبض عليهما ويأتى بهما فـ سار وأصحب معه بعضا من الفرسان إلى أن دخل القصر فوجده على غير انتظام ووجد فيروزشاه داخل غرفة من غرفه يبكى وينوح ويندب ويتحسر ويتوعد حتى كاد يفقد عقله فدنا منه وقد علم أن عين الحياة غائبة عن القصر فرفعه ونصحه السكوت والصبر وقال له إن كانت عين الحياة قد سارت من هذا القصر فلا بد أن تكون فى المدينة وعلينا أن نأمر بتفتيش البلد ونعد من تكون عنده ويأيننا بها بالاموال الغزيرة فنهض فيروزشاه عند سماعه هذا الكلام ومسح دمعته وهو يتحسر ويتحرق .

قال وكان فيروزشاه بعد أن فرغ من القتال ووضع الراية الاولى فوق الاسوار وبان نور النهار قصد قصر ابنة الوليد لأنه كان يعرفه حق المعرفة من ليلة جاء اليه مع بهروز فدخله وأمر الفرسان أن تسر إلى أبيه ولما صارضته فقتش على عين الحياة فلم يراها ففحق قلبه وسأل عنها بنت الرئيد . فقالت له لآتى فى أول الليل كنت وإياها فصرنا قسما من السهرة مع بعضنا نردد ذكركم وحديثكم إذ لم يكن لنا حديث غيرهما ثم اترقنا وكل واحدة دخلت إلى غرفتها للننام ولما ارتفع الصباح وعلت أصوات رجالكم عند دخولكم المدينة انتهت خائفة وأسرت إلى غرفتها فلم اجدها فسألت عنها فلم يعلمنى احد خبرا يتعلق بها ولا رآها احد . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام شعر بانسلاخ روحه من جسده وتأكد وقوع فراق آخر جديد لم يكن فى الحسبان وجعل يندب حظله وقد فقد صبره وعدم قواه عند ما فكر أنه بعد كل هذه المصائب

لا يرى عين الحياة ولا يقدر ان يكلمها بكلمة او ينظر اليها نظرة وبقى على ذلك إلى ان جاء طيلولس فأخذه وجاء به إلى ابيه واعلمه بغياب عين الحياة فلما غيظ الملك ضارب وقال لا ريب ان الشاه سرور فر يذته وأصد جهة الملك قصر ليحتجى به كما كتب لنا وزيره الخواجه اليان هذا إذا لم يكن محتبنا في المدينة وإني اقسم بالله العظيم رب موسى و ابراهيم الخليل انه إن سار إلى ماوراء جبال قاف تأثرته وانزلت به العبر لاني اقسمت واثبت الآن قسمي اني لا بد من ان أميته شرمية واجعل الغربان تأكل لحمه . ثم امر المنادين ان تنادى باسواق المدينة ان كل من عرف خبرا عن الشاه سرور ووزيره طيفور وأعرضه على الملك اجزل عطاء وغمره بانعاماته ومن جاءه بعين الحياة او يعلم عنها خبرا استوزره وخبره بان يعطيه كل ما يطلب منه فاخذ المنادون بنادون في البلد ودار التفتيش في كل مكان وبعث الملك ضارب بالفرسان إلى البرارى والطرق تسأل وتفحص عنه يقدر ان يعرف خبرا عن خطية ابنه او ايها .

قال وكان السبب في غياب الشاه سرور انه كان نائما تلك الليلة في قصره وليس عنده علم بما كان من تدبيرات العناية وهو يؤمل النجاح والخلاص من اعدائه بمداومة هذا الحصار فلم يشعر إلا وهلال العيار ينبه بهجلة كلية وقد قال له هيا باسدي قم بنا لتنجو من المدينة فقد دخلتها الاعداء وإذا بقيت في مكانك قبض عليك وهلكت لا محالة فنهض مرتعبا خائفا لا يدري ماذا يصنع وقال للال من اين ذلك وكيف السبيل إلى الخلاص قال إني قلقك ولم باخذنى نوم فخطر لي ان انزل الاسواق على ان أقف على خبر جديد او ان ارى عيارا من عياري ايران فنزلت السوق وطفقت قليلا فصادف مروى قرب باب المدينة الكبير وإذا بجماعة من الفرسان يتقدمون بحمى فصبرت انظر الخبر وقد اخفاني الظلام ولم يرني احد وإذا ببعض من فرسان ايران قد تقدموا من الباب فقتلوا الحراس وفتحوه وبعدها فتح الباب سمعت صوت فيروز شاه ينادى فثبت عندي ان الاعداء فازوا بالنصر وانهم يقبضون على كل من في المدينة إنما لا اعلم كيف دخل اولئك الفرسان الذين فتحوا الباب وإذا كنت . وكذا انك إن وقعت بأيديهم قتلك اسرعت بالمجل لاخذك وانسلبك من بين الاسواق إلى الخارج بينما تكون فرسان الفرس مشغلة باستلام انقلاع والاسوار فاجعل بالمسير قبل فوات الفرصة ولا هلكنا وراحت ارواحنا . ثم هلالا ابقط الشاه سرور وأولاده وأخذوا كل ما يحتاجون اليه ونزلوا من القصر يتأهبون بين الاسواق وقد قال طيفور انه كان من الواجب ان نحضر معنا عين الحياة فلان تركها هنا عرضة لهم فيزفونها على فيروز شاه فقال للال لا يمكننا ذلك قط فان عين الحياة في قصر طوران تحت والفرصة لا تمسكنا

من الوصول اليه حتى ولو وصلنا اليه فلا تأتى معنا ولا تقدر أن نجبرها فتروح أرواحنا بسببها فتقوزوا بنا الآن قبل إظهار أمرنا . ثم تقدم إلى جهة باب من أبواب المدينة صغير ففتحه وخرجوا منه واستلوا البر وقد جاءهم هلال بالخيول فركبوا وفروا يركضون وقد فرحوا بالخلاص والنجاة وداروا بوجههم إلى جهة بلاد الرومان إلى بلاد الملك قيصر يلتجئون عنده ويعرضون عليه حالهم وما أشرفت شمس نهار اليوم التالى إلا وكانوا قد بعدوا عن مدينة مصر بعدا عظيما لا يمكن لحاقه بوقت قريب وكان كل مهم كيف أن عين الحياة بقيت داخل المدينة وهي قد أصبحت في قبضة فيروز شاه ولا بد له أن يقترب بها في الحال فقال هلال لى أظن أن عين الحياة لا تقبل مع فيروز شاه أن يرف عليها من دون أن يكون أباهما حاضرا زفافها لأنها عاقلة حكيمة وتخاف من لوم اللاتمين ولا ترضى العار والذل . قال الشاه سرور هكذا كان عهدي بها وإنى أعلم أكيد أنها وإن كانت تحب فيروز شاه إلا أنها تراعى وتجنبى ولا تقبل فى إلهامتى ولذلك كانت فى كل هذه المدة طامعة لأمرى لا تخالف على ولا ترغب فى غير ما أنوله لها ولا تريد أن تظهر لى محبتاه اعتبارا لى فإذا امتنعت عن فيروز شاه ولم تقبل أن تقترب به إلا بحضورى بعث لى يترضاى فأمضى اليه ولا ريب أنه يعيد إلى بلادى وتصح أحوالى .

قال طيفور كيف تقبل بعد أن كان منه ما كان ووصلت العداوة بينكما إلى هذا الحد أن تحضر زفافه أو ترضى عنه وهل تظن أن عين الحياة إذا امتنعت عليه يقدر أن يجبرها لاسيما وهو مغرم بها فيلزم أن يتبعنا إلى بلاد قيصر ومحاربنا هناك وإذا لم يتبعنا جعلنا الملك قيصر أن يسير اليه بفرسانه وأبطاله لأن الرومان أشداء أصحاب بأس ونجدة فهم أقدر من الفرس على كل حال وذلك أن للملك قيصر ولد جميل الصفات بطل من الأبطال فنعرض عليه أمر زفافه بعين الحياة وأنها تدخل دين النصرانية وتعتمد بجرن المعمودية على زعم أنها عرفت الحق فانيته . وندخل نحن إلى بلادنا وعدنا إلى ما كنا عليه قبل من العبادة ونكون فقط قد خسرنا عين الحياة إلا أنها تكون قد قرنت بمن هو أعلى شرفا ونسبا من فيروز شاه وأحب اليها منه وليس هو بعدونا وملاكمه أو سمع وأنفذ كلمة فى العالم منه .

ولاريب أن الملك قيصر إذا رأى تذللنا وخضوعنا بين يديه حن لنا فإذا لم تأت الفرس إلى بلاده سار هو اليهم وانتزع منهم عين الحياة وأرجعنا إلى سلطتنا الأولى فدخل هذا الكلام فى رأس الشاه سرور واعتمد عليه كل الاعتماد . وساروا يقطعون الأرض وينهبون الطرقات قاصدين بلاد الرومان .

فهذا سبب هربهم وغياهم وأما عين الحياة فاتها كانت نائمة في فراشها وقد قلقت بعد دخولها الفراش يساعه فأخذت أن تلعب بها الهراجل وتذهب بها من جهة إلى أخرى وقد فكرت فيما يكون من أمرها إذا دخل الايرانيون البلد واستولوا عليها عنوة وكانت تحب من كل قلبها أن تعرف ماذا يكون من أمر أيها معهم وبماذا يعاملونه أهل يقتلونه أم يذلونه ويقنون عليه ويصالحونه وترجع لديها أنهم لا يتركونه بدون خصاص ولا يمكن أن يرجعوا اليه بلاده كونهم أقاموا عليها غيره ولذلك تكون وإن كانت زوجة ملك من أشرف ملوك العالم بنت ملك مطرود ومهان استحوذ عليها زوجها بقوة السيف فأذل أباه وأخذها بالرغم عنه وربما تيسر لأبيها أن يفر من المدينة ويهجر على وجهه في القمار ولا يعرف أين مكانه فتكون المصيبة عليها أشد وأعظم حيث أن أباه يكون بعيدا عنها وتكون في أعين الناس كمقصبة على الزواج فيقال عنها كما يقال عن غيرها بأبها قبلت بابعاد أبيها وإماتته وباعت بلادها لأجل شهرتها فهذه الامكار أخذت في ان تكبر وتنمو في رأسها حتى زادها البلبال فنهضت في الارق وجلست بقرب شباك غرفتها تطلب إلى الله أن يلهمها إلى مابه الصواب وإن لا يبعد عنها حبيبها وإن يجعلها بوقت واحد حائزة على الشرف الكامل بحيث لا يهان أبوها ولا يقال عنها أنها أخذت سبية وعلى ما ترجو من قرانها بفيروز شاه إذ بذلك يطمأن قلبها ويرتاح ضميرها وتكون قد عاشت عيشة مزوجة بالراحة والاطمئنان والهناء والسلامة وبينما هي على مثل ذلك بين تيار من الأفكار المقلقة وإذاها قد سمعت الأصوات وقدملات المدينة وارتفعت الضوضاء بما يشبه الرعد القاصفة فنفق قلبها واضطربت وقالت في نفسها لابد للايرانيين من أن يكونوا قد دخلوا المدينة وحال دخرهم يقبضون على أبي فيعدمونه الحياة ولا بد من أن يدخل على فيروز شاه ليرى سيفه وهو يقطر من دم المصريين وربما من دم رجال أبي نعم انى أريد أن أراه على مثل هذه الحالة إنما هل ظيعنى الانسانية عليه وهل يقبل معى ناءوسى بأن أواقه على أنى وبأى وجه يحق لى أن افتر على سواى من ربات الخدور إذا كنت لا أقدر ان ألجم نفسى عن غايتها وأرجع بها إلى ميدان الفخر والناموس انى قادرة ان أتقلب على أميالى وأأنحل مثل بعاد من أحب قلبى ولا أدرك أن أتكر جميل والد قد ربانى وفرضت على العزة الالهية طاعته فما ياترى ينبغي لى أن أفعل وفيما هى تلبس ثيابها وتفكر خطر لها ان تخرج من القصر وتدخل إلى قصر سيف الدولة وتختبئ عند امرأته إلى أن ترى ما يكون من أمر أبيها فان رأت أن الملك ضاراب قد صالحه وعفا عنه أظهرت نفسها وسلتها إلى حبيبها وإلا فتبقى مخفية

وتلحق بابيها إذا تيسر لها ذلك ولا تكون سمع من نفسها برغبة إلى انفاذ غايات حبيبها وقهر أيها وإهانتة .

ثم انها انسلت من القصر التي هي فيه دون أن يراها أحد أو يعلم بها أحد فرأت باب قصر سيف الدولة مفتوحا فدخلت فيه وأنت غرة زوجته وكانت مستيقظة وقد خرج زوجها من غرفتها لداعى الصراخ والصياح وهم باضطراب وارباك لانفتاح المدينة وامتلاكها من الاعداء فلما وصلت اليها رمت نفسها بين ايديها وقالت أريد منك ان تكتمى أمرى وتخفيه عن كل احد حتى وعن بملك واقه يجازيك عنى خيرا فانبرت تلك من عملها وقالت لما ذلك ولما تخافين لان هذا الفتح لاجلك وللاجل إهنائك وسرورك فستكونين سائدة على كل هذه البلاد ومالكة رجالها ونساءها وتزوجين بأكمل رجل في العالم وكيف تأين ذلك وقد سمعتك مرارا تتحسرين عليه وتبكين من أجله وطالما تمنيت حسم هذه الحرب وقربك من فيروز شاه فاختفائك هذا مما يزيد فى كددار الجميع ولا سيما خطيك فبراه عليها كدارا وأحزانا قالت إني طالما طلبت وأريده ولازلت أطلبه برغبة واهتمام ومحبى باقية على ما هي بل انها أخذت فى التوروما فيوما إلى أن بلغت حد الجنون انما قصدت ان اختفى لأعلم ماذا يكون من أمرانى معهم فاذا قبضوا عليه أظهرت نفسى وطلبت له من فيروز شاه العفو والتأمين وإذا هرب ونجا بنفسه أبقي مختفية وألحق به ولا أترك زواجى يتم على هذه الحالة مارلت قادرة على المنع وعلى ان لا أكون سبية وإنما إذا وقعت يدهم بالرغم عنى التزم ان أسكت عن هذه الحالة ولست كغيرى عن لاجل غايتها يهون عليها هلاك أيها وبلاده قالت لو كان أبوك واق حبيبك لما كان سعى وراءه وجسم اسباب العداوة بينه وبينه ولذلك لا يكون فيروز شاه المتعدى . قالت انى اعرف ذلك جيدا واعرف ان ابى يستحق القصاص منه بالنسبة اليه لا إلى انما لا ارافقه على قصاصه مهما سعى فى عذابى وعذابه كون العناية الالهية ترضى بمرعاة الوالدين وواجبات الانسانية تدفعنا اليها وقد اقبل الموت والعذاب على ان اسعى إلى زواجى رغما عن انى فاذا ما ترى يقول إذا عرّف به وهو يبدأ ليس بغضب على ويلغى ويشيع كلامه بين العالم فيقال انى قبلت بأن اكون معتصة سبية وخالفت رضا ابى ولم اك قادرة على ضبط نفسى إلى حين يرضى اقّه فيجمع بين انى ومحبنى أو يسمح بما هو فوق الحسبان وانى اخير اطلب اليك ان تخفى عنك ونكتمى أمرى عن كل انسان حتى وعن بملك ايضا وان تأينى باخبار الفرس وما يكون من أمرانى فوعدتها باصدق المواعيد ان تبقى محافظة عليها فلا تبيع بامرها ولا تعلم بها احدا إلى ان تحتاج اليه . ثم وصعتها فى غرفه ملابسها الخصوصية وأوصتها ان تبقى فيها إذ

يدخل اليها احد غيبرها فاقامت تنظر من الله الفرح وما يكون من امرها .
قال وقد نودى في كل المدينة واطرافها وسئل عن عين الحياة وعن ايها فلم يقف
احد على خبرها حتى ثبت عند الجميع ان الشاه سرور ذهب بوزرائه وبنته إلى جهة
قيصر كما كان قد اشار في تحريره الخواجه اليان فاغاظ ذلك الملك ضاراب وفيروز شاه
وعظمت عليه حالته وفراق حبيبته وكادت الدنيا لاتسمعه ولعن اباهما كيف انه يعدم
عنها كلما قرب منها واقام على حاله ينتظر اللحاق بها بعد الفراغ من مصر وقد اخذ
لنفسه قصرا مخصوصا يقيم فيه بقصد الانفراد والشكوى فعلم ابوه منه ذلك وسأل
طيطلوس ان يلازمه ويسليه ويعد به بتبع آثارها اينما سارت وإلى اين رحلت فجعل
طيطلوس ينام عنده كما كان يفعل في تمزاء اللين وفي خلال تلك المدة عقد الملك ضاراب
مجلسا لمحكمة المعتدين الذين في الامر واحضر في بادى الامر سيف الدولة وكان كما
تقدم قد اتى القبض عليه فلما وقف في المجلس ادعى عليه الملك ضاراب بانه يستحق القتل
بقيامه ضده ومحاربتة لساكره مع خلوه من الغرض والمصلحة فقال سيف الدولة انى
لا انكر انى حاربت عساكر إيران إنما كان ذلك فوق ارادى لاني من محال الملك قيصر
ملك الرومان وقد امرني ان اسير إلى مساعدة الوليد فسرت بامر آمرى وهكذا شأن
كل من كان مثلي ولم يكن لى ادنى علاقة مع دولتك وانما الآن وانا ارغب في الدخول
بخدمتكم فاسالكم العفو عني وان تقبلوني وبلادى تحت لوائكم فارفع الراية الفارسية
وأعد لكم جيشي لخدمتكم والقتال معكم فقال الملك ضاراب انى اقبل ذلك لانا في
حاجة اليها كوني عولت على الذهاب إلى قيصر في اثر الخبيث طيفور والشاه سرور
فبلادك قرية من هناك فاجعلها مقرى وعط عساكرى تحفيضا لعدائنا في البرارى
والسهول ثم تقدم الملك ضاراب وحل قيود سيف الدولة وصالحه واكرمه وتعاهد
ولياه على الوفاء وعدم الخيانة والمصافاة . ثم اجلسه الى جانب وزرائه بين ابطاله
وفرسانه وجعله من تلك الساعة عوناً من اعوانه . وبعد ذلك جرى بالوليد للمحاكمة
مقيدا فادعى عليه الملك ضاراب بانه استعمل كل اسباب العداوة ضده وانه قاومه وقصد
استخلاص خطيبة ابنه منه ليزفها على ولده مع علمه بانها مخطوبة من فيروز شاه وانه
ساع في مرضاة أبيها على زواجها وقد اجاره ضدنا وحماه منا ووعد به بالقيام علينا .
فقال الوليد انى لا انكر ذلك وقد سمعيت لاخذ عين الحياة زوجة لولدى عندماتاً كدت
من أبيها انه لا يرضى بان يزفها الا دلى ولدى وقد ساعدته كوني ملك من الملوك الكبار
ولى الحق ان أنصرف بارادى كيف شئت حتى وقعت بايديكم وجتى الساعة لا اقبل ان
اكون صديقا لكم بل ترونى مصرا على عداوتكم كى لا يقال ان خوفى من القتل والقصاص

الجاتى إلى التذلل والخصوع وبعد ذلك حكم عليه المجلس بالاعدام فأمر الملك ضاراب
أن يسلم إلى سيف الدولة وقال له ابقه أسيرا عندك إلى أن أطلبه منك لاعدمه ثم جىء
بفهر ومهر وقهر أمراء سيف الدولة وطلب عما كتمهم فوافقوه على خدمته وأن يكونوا
كسبدهم من رجاله وأبطاله فبقى عنهم وأطلق سبيلهم ولم تكن طاعتهم له صحيحة بل
أن الاثنين الكبيرين كانا يقصدان خيافته والرجوع عن طاعته والاصغر كان قد أخلص
قوله فى خدمته ولم يكن يقصد خلاف ما وعد وسوف تاقى على ذكر خبرهم وما يكون
من أمرهم فى غير هذا المكان وبعد أن انتهى من أمرهم أمر أن يؤتى بالشاء صالح
فحضر بين يديه فطلب أن يجرى قصاصه على تعديه فى طلبه بالزواج بعين الحياة مع أنها
لا تحبه فجعل يرجف من الخوف وقال له بالله يا سيدى أن تغفو عني فإني أذنبت
وانى أعذك أن لا أعود فأذكر عين الحياة بعد الآن وقد كنت أحدث نفسي بالتحال
ولم أكن أعلم أن وراءها من هو كابذك محميا عن طمع من هو مثلى وانى أعترف أمام
هذا المجلس انى لا أصلح لها وأحرى بي أن أكون عبدا عندها من أن أكون زوجها ثم
رمى بنفسه على اقدام الملك ضاراب وبكى لحي له وحركة حلمه وحنوه على الاتهمات
اليه وقال له انى كنت أزمعت على أن أوقع بك وأعدمك على ما وقع منك انما حيث
اعترفت بذنبك وعرفت مقامك عفوت عنك وسامحتك بكل ما سبق منك وأزيدك
فوق ذلك انى أكافئك واحسن اليك وإذا كان لا خلف لايك سواك فاقى أعهد اليك
بالمملك من بعد ابيك بشرط ان تستوزر عندك ابا الخير اللحام وحماه ويكونان مدبرين
لامرك فتفعل كل ما يأمرانك به لانهما حكيمان عاقلان وان تبقى على اسوار مدينتك
اعلام دولتى وتدفع لى الجزية والاخرجة فى كل عام . قال انى عبدك وافعل ما تأمرنى
به وتدعونى اليه ثم دعا باى الخير وابى زرجته وانعم عليهما كثير الانعام واعطاهما
جزيد العطاء وشكرهما على فعلهما مع ولده وقال لهما لا تظنا انى انرك جيلا عملتياه
معنا ومن هذه الساعة انتما وزيران فى هذه المدينة تدبران امرها وتسوسانها تحت
حكومة ابن الوليد ففرحا لانعامه وشكراه عليهما وهما لا يصدقان بما وصل اليهما وبأنهما
صارا من أمراء المملكة فى الدرجة الاولى وان البلاد اصبحت فى ايديهما بعد ان كان
احدهما جزارا والآخر طبيبيا واخذوا منذ ذلك الحين فى معاطاة وظيفتهما يتحان بامور
العباد .

وبعد ان جازى الملك ضاراب كلا على ما استحقه وسجن وغفا وسمح دعا سيف
الدولة اليه وقال له اريد منك فى الغد أن تذهب إلى بلادك وأصحب معك الوليد
وتتظرنى فيها إلى ان اوافيك لانى ساذهب من طريق الشام إلى خلاص احد فرسان
بلادى وهو بهمنزار قبا لانى ارجب فى خلاصه من هناك وان كان قد الحق به

ملك الشام ضرا قتله وجازيته على فعله وسرت من هناك في طريقى إلى أن أصل إلى ملاطية فاستخبر لى أنت عن الشاه سرور ووزيره طيفور واسأل عن عين الحياة بحيث إذا وصلت اليك تكون قد اطلعت على كل شىء وكفيتى مؤنة الفحص والتفتيش كوفى . أريد أن أعرف كل ذلك قبل مباشرة الحرب مع الملك قيصر . قال سمعوا طاعة وانى قبل بزوغ شمس اليوم الآتى أسير بعساكرى إلى ملاطية فاعدد لكم الدخائر والمؤن وبحال وصولى انزل الاعلام الرومانية وأرفع الاعلام الفارسية وإذا عرف قيصر بذلك وقصد حرنى بدئت منه الى حين مجيئكم ومهما أراد الله فليفعل . ثم انهم باتوا تلك الليلة على هذه النية وعين الحياة عند امرأة سيف الدولة كما تقدم معنا الكلام وقد عرفت أن أباهما فاز بنفسه ونجا وقصد بلاد الرومان ليحتسب بالملك الأكبر . فتكدورت في داخلها واحتارت في أمرها ماذا تفعل فإذا أظهرت نفسها لا ريب في أن فيروز شاه يطلب أن تزف عليه وذلك لا يرضيها وهى على مثل تلك الحالة وان بقيت محتفية طال عذاب حبيبها فيروز شاه ولاقى من أجل فراقتها الاكدار والمصائب وذاق الآلام والأوجاع ولذلك كانت تهرف ليها ونهارها مشغلة البال تطلب إلى الله تعالى أن يلهمها إلى ما به الصواب وما فيه صالحها وصالح أيتها وحبيبها ودامت على ما تقدم إلى أن جاءت امرأة سيف الدولة وأخبرتها بأن الملك ضاراب أمر زوجها سيف الدولة أن يسير أمامه في صباح اليوم القادم وأنه سيتبعه من غير طريق فيجتمع الاثنان في ملاطية لمحاربة الملك قيصر وسألتها في ماذا تريد أهل تبقى مصرة على الاختفاء وتسافر معهم إلى بلادهم أو أنها تظهر أمرها وتعرض نفسها على الملك ضاراب فارتاعت عين الحياة لهذا الخبر وبقيت نحوا من نصف ساعة مطرقة إلى الأرض لا تنمى على أحد ولا تسمع من أحد ولا تعرف بماذا تجيب . وبعد أقداح الفكرة ترجع عندها أن تبقى محتفية وقالت لامرأة سيف الدولة انى أرى أنه من الموافق الآن أن لا أعلن نفسى بعد أن تأكد الجميع انى سرت مع أبى فأرجوك أن تصحبنى معك دون أن تظهرى أمرى واجعلينى كخادمة لك وأبقى بين خدمك ووجهى مغضى فلا أظهره ولا أظهر نفسى إلى أحد إلى أن نكون قد وصلنا إلى بلادكم ولا بد الملك ضاراب ورجاله وفرسانه وابنه فيروز شاه من أن يأتوا إلى ملاطية فإذا جاءوا خبئنا زارى إذا كان يوافق أن أطلعهم على أمرى فيستدعون أبى ويصالحونه وأكون قد سهلت بعملى هذا طريق المصالحة وجررت الملك ضاراب وقومه إلى استجلاب أبى ولا يعرف إلا الله ماذا يكون هناك . قالت افعل كل ما يخطر لك فانى مطيبة لأترك حصانية نية فسيث بنفسى وحائى . فتشكرتها على كلامها وبقيت عندها إلى الغد وفى صباح الغد حتمت الهوداج لركوب امرأة سيف الدولة وجواربها

وخدمها فركبت وركبت عين الحياة بهودج دون أن يراها أحد وسار سيف الدولة بعده
أن ودع الملك ضاراب وابنه أسد الغاب وبقية الاحباب والاصحاب وأخذ الوليد
ذليلاً مأسوراً فرفعه على جواد وخرج من المدينة وبين يديه فرسانه وأبطاله وبه لوانية
بلاذه فهر ومهر وقهر وانطلقوا يقصدون ناحية ملاطية وذلك الجهات يتبطنوا البرارى
واستلبوا الطرقات وسيف الدولة فرح جداً بانفاقه مع الملك وخضوعه له واتحاده به
وقد عول على خدمته بصفاء باطن وصدق نية وأن يجعل بلاده ورجاله في خدمته فدية
عنه وعن رجاله وهو لا يعلم بين الحياة بل كان يفكر في اتخاذ الوسائط والأسباب التي
يجب استعمالها للفحص والوقوف على أمرها وهل هي عند الملك قيصر مع أيها أم لا
قال وبما أن الطريق بعيد على سيف الدولة فلنتركه سائر في طريقه ولنرجع
إلى الشاه سرور وأولاده ووزيره طيفور والخوارجا اليان وهلال العيار وداموا على
مسيرهم عدة أيام يمشون في السير يعدون أنفسهم بملاقاة الملك قيصر ويهتمون في أمر
مواجهته ويفكرون في ماذا يكون منه ولا زالوا يمشون حتى قربوا من العاصمة فدخلوها
وهم فرحون بالسلامة والخلاص من مشاق الطرقات وما قاسوه منفردين فيها فصادف
دخولهم المدينة عند الصباح فدخلوا على الملك قيصر وبكوا بين يديه وعرضوا أنفسهم
عليه وعرفوه بأحوالهم وشرحوا له أمورهم وتقدم طيفور وقال له وبعد أن حلت
بنا كل هذه الويلات والمصائب فكرنا أن لا أحد بالدنيا يقدر أن يحميننا من سطوة
الملك ضاراب إلا عظمتكم لعلنا أنك أوسع منه سلطاناً وأكثر أجناداً وأفضل عقلاً
وحكمة وقد قلت لسيدى الشاه سرور أننا نقصد الملك الأكبر وتمسك بأذياله
ولستغث ونطلب مساعدته فهو كريم حلیم لا يرد خائباً ولا يرجع قاصداً فكانه منع
النخوة والمروءة ولا سيما أننا إذا شكيننا له حالنا وأطلناه على قصتنا مع فيروز شاه
حن لنا وشفق علينا إذا تأكد ظلمنا وربما رغب في أن يرفق ببتك عين الحياة على
ولده الأمير انبوش لأنه أحق من فيروز شاه والبق منه لها رهن الشاه صالح والشاه
روز ومن كل الملوك الذين سعوا في زواجها وباعوا أرواحهم بخسفة في سبيل الحصول
عليها فلم يتيسر لهم ولما وافق على كلامي قصدنا النجى إلى أعتابكم وحاولنا أن تأتي بعين
الحياة فلم نقدر لأن الملك ضاراب دخل المدينة في وسط الليل وجل اهتمامه كان
التبصير علينا والانتقام منا ومن الوليد فنجونا بأنفسنا ولا ريب أن الوليد صديقك
وقع بأيديهم فأهانوه وقتلوه وأبينا نحن إليك نرجو منك غنة ثلاث تذكرك أن القرس
لا بد من أن يتبعونا إلى هذه البلاد ويتصدون لنا أشد أشد ويرموننا في وهدة
العذاب والموت وكان طيفور يتكلم وأدغمه تذرف على خمره فظهرت شكواه

